تحامل الجاهل على العالم

قال النبي صلى الله عليه وسلم: وَيْل لعالم أمْرٍ من جاهله.

وقالوا: إذا أردتَ أن تُفْحم عالماً فأحْضره جاهلاً.

وقالوا: لا تُناظر جاهلاً.

وقالوا: لا تُناظر جاهلاً ولا لجوجاً فإنه يجعل المُناظرة ذريعة إلى التعلّم بغير شكر.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: آرحموا عزيزاً ذلّ ٱرحموا غنيّاً افتقر آرحموا عالماً ضاع بين وجاء كَيْسان إلى الخليل بن أحمد يَسأله عن شيء ففكّر فيه الخليلُ ليُجيبه فلما استفتح الكلام قال له: لا أدري ما تقول فأنشأ الخليل يقول: لو كنتَ تَعْلم ما أقولَ عَذَرْتَني أو كنتُ أَجْهل ما تقولُ عذلْتُكا لكن جَهلْت مَقالتي فعَذلْتَني وعلمتُ أنك جاهل فعَذَرْتُكا وقال حَبِيب: وعاذِلٍ عذلتُه فَي عَذْلِه فظَنَّ أنيِّ جاهلٌ مِن جَهْلِه ما غبن المَغْبُونَ مثل عَقْلِه مَن لَكَ يوماً بأخيك كُلِّهِ تبجيل العلماء وتعظيمهم الشِّعبي قال: رَكب زيدُ بن ثابت فأخذ عبد الله بن عبَّاس بركابه فقال: لا تَفعل بابن عَمَّ رسول الله صلى الله عليه فقال: هكذا أُمِرْنا أن نَفعل بعُلمائنا.

قال زيد: أرني يدك فلما أَخرَج يدَه قبَّلها وقال: هكذا أُمرنا أن نَفعَل بابن عمِّ نبِّينا.

وقالو: خِدْمة العالِم عبادة.

وقال عليُّ بن أبي طالب رضوان الله عليه: من حق العالِم عليكَ إذا أتيتَه أن تُسَلِّم عليه خاصَّة وعلى القوم عامَّة وتَجْلس قُدَامه ولا تشِر بيدك ولا تَغْمِز بعَيْلِيْك ولا تَقُل: قال فلان خلافَ قولك ولا تأخذ بثَوْبه ولا تُلحَّ عليه في السؤال فإنما هو بمنزلة النَخلة المرطبة التيِ لا يزال يَسْقط عليك منها شيء.

وقالوا: إذا جلستَ إلى العالِم فَسَلْ تَفَقُّهاَ ولا تَسَلْ تعَنَتاً.

عويص المسائل

الأوزاعيُّ عن عبد الله بن سَعد عن الصُّنابحيّ عن مُعاوية بن أبي سُفيان قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأغلوطات.

قال الأوزاعيّ: يعني صِعاب المسائل.

وكان ابن سيرين إذا سُئل عن مَسألة فيها أغلوطة قال للسائل: أمْسِكها حتى نَسأل عنها أخاكَ إبليس.

وسأل عُمَرُ بن الخطّاب رضي الله عنه علي بن أبي طالب كَرَّم الله وَجْهَه فقال: ما تَقُول في رجُل أمّه عند رجل آخر فقال: يُمسك عنها أراد عمر أنَّ الرجل يموت وأمه عند رجل آخر وقولُ علّيٍ يُمسك عنها.

يريد الزَّوج يُمسك عن أمِّ الميت حتى تَسْتَبْرِئ من طريق الميراث.

وسأل رجلٌ عُمَر بن قيس عن الْحَصاة يَجدها الإنسان في ثوبه أو في خُفّه أو في جَبْهته من حَصى المَسْجد فقال: ارْم بها قال الرجلُ: زَعموا أنها تَصِيح حتى ترد إلى المسجد فقال: دَعها تصيح حتى يَنْشق حلقها فقال الرجل: سُبحان اللّه! ولها حَلْق قال: فمن أين تَصِيح وسأل رجلٌ مالكَ بنَ أنس عن قوله تعالى: " الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى " كيف هذا الاستواء قال: الاستواء مَعْقول والكَيْف مَجّهول ولا أظنّك إلا رجلَ سوء.

وروى مالكُ بن أنَس الحديثَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا استيقظ أحدُكم من نومه فلا يُدخل يدَه في الإناء حتى يَغْسِلها فإنَّ أحدَكم لا يَدْري أين باتت يدُه.

فقال له رجل: فكيف نَصنع في المِهرَاس أبا عبد الله - والمِهْراس: حَوْض مكة الذي يتَوضّأ الناس فيه - فقال: من الله العِلْم وعلى الرسول البلاغ ومنّا التَّسليم أمِرُّوا الحديث.

وقيل لابن عبَّاس رضي الله عنهما: ما تقول في رجل طَلّق امرأَته عددَ نُجوم السماء قال: يَكْفيه منها كوكب الجوزاء.

وسُئِل عليُّ بن أبي طالب رضوان الله عليه: أين كان ربُّنا قبل أن يَخلق السماء والأرض فقال: أين: تُوجب المَكان وكان الله عزّ وجلّ ولا مكان.

التصحيف

وذكر الأصمعيّ رجلاً بالتَّصحيف فقال: كان يَسمع فيَعِي غيرَ ما يَسمع ويَكْتب غير ما وَعى ويَقْرأ في الكتاب غير ما هو فيه.

وذكر آخر رجلاً بالتَّصحيف فقال: كان إذا نَسخ الكِتاب مَرَّتين عاد سُرْيانياً.

طلب العلم لغير اللّه

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: إذا أعطِي الناسُ العِلْم ومُنِعوا العَمل وتحابُّوا بالألْسن وتباغَضوا بالقُلوب وتَقاطعوا في الأرحام لعَنهم الله فأصمَهم وأعْمى أبصارَهم.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ألا أخْبركم بشرِّ الناس قالوا: بلَى يا رسول الله العُلماء إذا فَسدوا.

وقال الفُضَيل بن عِيَاض: كان العُلَمَاء رَبيعَ الناس إذ رآهم المَريضُ لم يسرّه أن يكون صَحيحاً وإذا نظر إليهم الفقيُر لم يَودَّ أن يكون غنياً " وقد صاروا اليومَ فتنة للناس ".

وقال عيسى بنُ مَرْيم عليه السلام: سيكون في آخرِ الزمان عُلماء يُزَهِّدون في الدُّنيا ولا يَزهدون ويُرَغِّبون في الآخرة ولا يَرْغَبون يَنْهَوْن عن إتيان الوُلاة ولا ينْتهون يُقَرِّبون الأغنياء ويُبْعِدون الفُقراء ويتَبسَّطون للكبراء ويَنْقبضون عن الحُقراء أولئك إخوانُ الشياطين وأعداء الرحمن.

وقال محمد بن واسع: لأن تَطلُب الدنيا بأَقبحَ ممّا تطلبُ به الآخرةَ خيرٌ من أن تطلبَها بأحسَن مما تطلب به الآخرةَ.

وقال الحسن: العِلْم عِلمان عِلم في القَلْب فذاك العِلم النافع وعِلم في اللسان فذاك حجّة الله على عِباده.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنَّ الزبانية لا تَخْرج إلى فَقِيه ولا إلى حَمَلة القران إلا قالوا لهم: إليكم عنّا دُونكم عَبدةَ الأوثان.

فيَشْتكون إلى اللّه فيقول: ليس من عَلِم كمن لم يَعلم.

وقال مالك بن دِينار: مَن طلب العِلم لنفسه فالقَلِيل منه يَكْفِيه ومَن طَلبه للنَّاس فحوائجُ الناس كثيرة.

وقال ابن شبْرمة: ذَهب العِلم إلا غُبَّرات في أَوْعية سوء.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: مَن طلب العِلْم لأرْبَع دَخل النارَ: مَن طلبه ليُباهي به العُلماء وليُمارِي به السُّفهاء وليَسْتَمِيل به وُجوه الناس إليه أو ليأخذَ به من السلطان.

وتكلّم مالكُ بن دِينار فأبْكَى أصحابَه ثم افتقد مُصْحفه فنظَر إلى أصحابه وكلهم يَبْكِي فقال: وَيحكم! كلكم يبكِي فمن أخذ هذا المُصحف قال أحمد بن أبي الحَوَاريّ: قَال لي أبو سُليمان في طريق الحجّ: يا أحمد إنَّ اللّه قال لمُوسى بن عِمْران: مُرْ ظَلمة بني إسرائيل أن لا يَذْكروني فإني لا أذكر من ذكرني منهم إلا بلَعْنة حتى يَسْكت.

وَيْحك يا أحمد! بَلغني أنه من حجّ بمالٍ من غير حله ثم لبَّى قالت الله تبارك وتعالى: لا لَبيك ولا سَعْدَيْك حتى تُؤَدِّيَ ما بيديك فلا يؤمننا أن يُقال لنا ذلك.

باب من أخبار العلماء والأدباء

أملى أبو عبد الله محمدُ بن عبد السلام الخُشَنيّ.

إنَ عبد الله بن عبَّاس سُئَل عن أبي بكر رضي الله عنه فقال: كان واللّه خيراً كلّه مع الْحِدّة التي كانت فيه.

قالوا: فأخْبرنا عن عَمر رضوانُ الله عليه.

قال: كان واللّه كالطير الحذر الذي نصب فخ له فهو يخاف أن يقع فيه.

قالوا فأخبرنا عن عثمان قال: كان واللّه صواماً قواماً.

قالوا: فأخبرنا عن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه قال: كان واللّه ممن حَوَى عِلْماً وحلماً حَسْبك من رجل أعزَّتْه سابقتُه وقَدَّمته قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلّما أشرْف على شيء إلا نالَه.

قالوا: يقال إنه كان مَحْدوداً قال: أنتم تقولونه.

وذكروا أنَّ رجلا أتىَ الحسَنَ فقال أبا سَعِيد إنهم يزعمون أنك تُبْغِض عليّاً فبَكَى حتى اخضلت لِحْيته ثم قال كان عليُّ بنُ أبي طالب سهماً صائباً من مَرامي الله على عدوّه ورَبَّانيَّ هذه الأمّة وذا فَضْلها وذا قَرابة قَريبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن بالنَّئومة عن أمر اللّه ولا بالمَلُولة في حق اللّه ولا بالسَرُوقة لمال اللّه أعطَى القِران عزائمه ففاز منه برياض مُونِقة وأعلام بيِّنة ذاك عليُّ بن أبي طالب يا لُكَع.

وسُئل خالدُ بن صَفوان عن الحسَن البَصْريّ فقال: كان أشبَهَ الناس علانيةً بسَرِيرة وسريرة بعَلاَنِيَة واخذَ الناس لِنَفْسه بما يَأمُر به غيرَه.

" يا له " من رجل اسْتَغنى عمَّا في أيدي الناس من دُنياهم واحتاجُوا إلى ما في يَدَيْه من دِينهم.

ودَخل عُروة بن الزبير بُستاناً لعبد المَلِك بن مَرْوان فقال عُروة: ما أحسنَ هذا البستان! فقال له عبدُ الملك: أنت واللّه أحسنَ منه إنَّ هذا يُؤتي أكله كلَّ عام وأنت تُؤتي أكلك كلّ يوم.

وقال محمدُ بن شهاب الزُّهريّ: دخلتُ على عبد الملك بن مَرْوان في رجال من أهل المدينة فرآني أحدثَهم سنّاً فقال: من أنت فانتسبتُ إليه فعَرفني فقال: لقد كان أبوك وعمُك نعَّاقَينْ في فِتْنة ابن الزُّبير قلتُ: يا أمير المؤمنين مثلُك إذا عفا يَعُدّ وإذا صَفح لم يثرب قال لي: أين نشأتَ قلتَ بالمدينة قال: عند مَن طلبت قلت: عند ابن يَسار وقَبِيصة ابن ذؤيب وسَعيد بن المُسيِّب قال لي: وأين كنت من عُروة بن الزبير فإنه بَحر لا تُكدِّره الدِّلاء.

وذُكر الصحابةُ عند الحَسَن البَصريّ فقال: رَحِمهم اللّه شَهدوا وغِبْنا وعَلِموا وجَهِلنا فما اجتمعوا عليه اتّبعنا وما اختلفوا فيه وَقَفنا.

وقال جعفرُ بن سُليمان: سمعتُ عبدَ الرحمن بن مهديّ يقول: ما رأيتُ أَحداً أَفْشفَ من شُعبة ولا أعبدَ من سُفيان ولا أحفظَ من ابن المُبارك.

وقال: ما رأيتُ مثلَ ثلاثة: عَطَاء بن أبي رَباح بمكة ومحمد بن سِيرين بالعراق ورجاء بن حَيوة بالشام.

وقيل لأهل مكة: كيف كان عَطَاء بن أبي رَباح فيكم فقالوا: كان مثلَ العافية التي لا يُعرف فَضْلها حتى تُفْقد.

وكان عَطَاء بن أبي رَباح أسوَد أعوَر أفطسَ أشلّ أعرج ثم عَمِي وأمُه سوادء تُسمَى بَرَكَة.

وكان الأحنفُ بن قَيس: أعوَر أعرج ولكنه إذا تكلّم جلا عن نفسه.

وقال الشَّعبي: لولا أنّي زُوحمت في الرَّحم ما قامت لأحد معي قائمة وكان تَوأماً.

وقيل لطاووس: هذا قَتادة يُريد أن يَأتِيك قال: لئن جاء لأقومن قيل إنه فَقِيه قال: ابليس أفْقه منه قال: " رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي ".

وقال الشَعبيّ: القُضاة أربعة: عُمَر وعلي وعبد الله وأبو موسى.

وقال الحَسَن: ثلاثة صَحِبَوا النبي صلى الله عليه وسلم الابن والأب والجدّ: عبد الرحمن بنُ أبي بكر بن أبي قُحافة ومَعَن بن يَزيد بن الأخْنس السُّلميّ.

وكان عُبيد الله بن عبد الله بن عَتبة بن مَسعود فَقِيهاً شاعراً وكان أحدَ السَّبعة من فُقهاء المدينة.

وقال عمرُ بن عبد العزيز: وددتُ لو أنّ لي مجلساً من عُبيد اللهّ بن عبد الله بن عُتبة بن مَسْعود لم يَفُتْني.

ولَقِيه سعيدُ بن المُسيِّب فقال له: أنت الفَقِيه الشاعر قال: لا بدِّ للمَصْدور أن يَنْفُث.

وكتب عبيد الله بن عبد اللهّ إلى عُمَر بن عبد العزيز وبلغه عنه شيء يكرهه: أبا حَفْص أتاني عَنك قَول قُطعتُ به وضَاق به جَوابي أبا حَفْص فلاَ أدْري أرَغْمِي تُريد بما تُحاول أم عِتابي فإنْ تك عاتباً تُعْتِبْ وإلا فما عُودي إذاً بيَرَاع غاب وقد فارقتُ أعظمَ منك رُزءًا وواريتُ الأحِبَّة في التراب وقد عَزَّوا علي وأسْلمَوني معاً فَلَبْستُ بعدهُم ثِيابي وكان خالدُ بنُ يزيدَ بن مُعاوية أبو هاشم عالماً كثيرَ الدِّراسة للكتُب وربما قال الشعرَ ومن قوله: هَلْ أنت مُنْتِفعٌ بِعل مك مَرّةً والعِلم نافِعْ ومِن المُشير عليك بال رأي المُسدَّد أنت سامِع الموت حَوْض لا مَحا لةَ فيه كلُّ الخَلْق شارع وقال عمرُ بنُ عبد العزيز: ما ولدتْ أُميةُ مثلَ خالد بن يزيد ما أستَثْني عثمان ولا غيره.

وكان الحسن في جِنازة فيها نوائحُ ومعه سَعِيدُ بن جُبير فهمَّ سَعيد بالانصراف فقال له الحسنُ: إنْ كنتَ كلّما رأيتَ قبيحاً تركتَ له حسناً أسرَعَ ذلك في دِينك.

وعن عيسى بن إسماعيل عن ابن عائشة عن ابن المُبارك قال: علَمني سُفيان الثَّوْريّ اختصار الحديث.

وقال الأصمعيّ: حدَّثنا شُعبة قال: دخلتُ المدينة فإذا لمالك حَلْقة وإذا نافع قد مات قبل ذلك بسَنة وذلك سنة ثمانيَ عشرةَ ومائة.

وقال أبو الحسن بن محمد: ما خَلق الله أحداً كان أعرف بالحديث من يحيى بن مَعِين كان يُؤتى بالأحاديث قد خلطت وقُلبت فيقول: هذا الحديثُ لذا وذا لهذا فيكون كما قالِ.

وقال شريك: إني لأَسمع الكلمةَ فيتغيَّر لها لَوْني.

وقال ابن المُبارك: كلّ من ذُكر لي عنه وجدتُه دون ما ذُكر إلاّ حَيْوةَ بن شرُيح وأبا عَوْن.

وكان حَيْوة بن شرُيح يَقعُد للناس فتقول له أَمه: قُمْ يا حَيْوة ألقِ الشعيرَ للدَّجاج فيقوم.

وقال أبو الحسن: سمع سليمان التّيمي من سُفيان الثّوريّ ثلاثة آلاف حديث.

وكان يحيى بن اليمان يَذْهب بابنه داودَ كلَّ مذهب فقال له يوماً كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كان عبد الله ثم كان عَلْقمة ثم كان إبراهيم ثم كان مَنصور ثم كان سفيان.

ثم كان وَكيع قم يا داود: يعني أنه أهلٌ للإمامة.

ومات داود سنة أربع ومائتين.

وقال الحسنُ: حدّثني أبي قال: أمر الحجّاج أن لا يَؤمّ بالكوفة إلا عربيّ.

وكان يحيى بن وَثّاب يَؤمّ قومَه بني أَسَد وهو مَوْلى لهم فقالوا: اعتزل فقال: ليس عن مِثْلي نَهى أنا لاحِقٌ بالعَرب فأبَوا فأتى الحجاجَ فقرأ فقال: مَن هذا.

فقالوا: يحيى بن وَثّاب قال: مالَه قالوا: أمرتَ أن لا يؤُمّ إلا عربيّ فَنحّاه قومه فقال.

ليس عن مِثل هذا نَهيتُ يُصلِّي بهم.

قال: فصلّى بهم الفَجْر والظُهر والعَصر والمغْرب والعِشاء ثم قال: اطلُبوا إماماً غيري إنما أردتُ أن لا تَستذلّوني فأمّا إذ صار الأمرُ إليّ فأنا أؤمّكم لا ولا كرامة.

وقال الحسن: كان يحيى بن اليَمان يُصلِّي بقومه فتعصّب عليه قومٌ منهم.

فقالوا: لا تُصلِّ بنا لا نَرْضاك إن تَقدَمت نَحَّيْنَاك: فجاء بالسيف فسَل منه أربَع أصابَع ثم وَضعه في اِلمحراب وقال: لا يَدْنُو منى أحد إلا ملأتُ السيفَ منه فقالوا: بيننا وبينك شريك فَقَدَموه إلى شريك فقالوا: إن هذا كان يُصَلِّي بنا وكَرِهناه فقال لهم شريك: مَن هو قالوا: يحيى بن اليمان فقال: يا أعداء الله وهلَ بالكوفة أحدٌ يُشبه يحيى لا يُصلِّي بكم غيرُه.

فلما حَضرتْه الوفاة قال لابنهِ داود: يا بُني كان دِيني يَذْهب مع هؤلاء فإن اضطُروه إليك بعدي فلا تُصلِّ بهم.

وقال يحيى بن اليمان: تزوَّجتُ أم داود وما كان عِنْدي ليلةَ العُرْس إلا بطِّيخة أكلتُ أنا نِصْفها وهي نِصْفَها وولدت داودَ فما كان عندنا شيء نَلُفُه فيه فاشتريتُ له كُسْوة بحبَّتَين فلَفَفناه فيها.

وقال الحسن بن محمد: كان لعليّ ضَفِيرتان ولابن مَسْعود ضَفِيرتان.

وذكر عبدُ الملك بن مَرْوان رَوْحا فقال: ما أُعْطِي أحدٌ ما أُعْطِي أبو زُرْعة أُعْطِي فِقْه الحجاز ودَهاء أهل العراق وطاعةَ أهل الشام.

ورُوي أنّ مالكَ بن أَنس كان يَذْكُر عُثمان وعليَّاً وطَلْحَة والزُّبير فيقول: واللّه ما اقتتلوا إلا على الثَّريد الأعْفر.

ذكر هذا محمدُ بن يَزيد في الكامل " ثم " قال: فأمّا أبو سعيد الحَسَن البَصريّ فإنه كان يُنكر الحُكومة ولا يَرى رأيهم وكان إذا جَلس فتمكَّن في مَجْلسه ذَكَرَ عُثمان فترحَّم عليه ثلاثاً ولَعن قَتلته ثلاثاً " ويقول: لو لم نَلْعنهم لَلُعِنّا " ثم يَذكر عليَّاً فيقول: لم يَزل عليٌّ أميرُ المؤمنين صلواتُ الله عليه مُظَفَّرا مُؤيداً بالنعم حتى حكّم ثم يقول: ولم تُحَكم والحق معك ألا تَمْضي قُدماً لا أبا لك.

وهذه الكلمة وإن كان فيها جَفاء فإنّ بعضَ العرب يأتي بها على معنى المَدْح فيقول: انظر في أمر رعيَّتك لا أبا لك " وأنت على الحق " 0 رَبِّ العِباد ما لَنا وما لَكَا قد كُنْتَ تَسْقِينا فما بَدَا لَكَا أَنْزل علينا الغَيْثَ لا أبا لكا وقال ابن أبي الحَوَارِيّ: قلت لسُفيان: بلغني في قول الله عزَّ وجلّ: " إلا مَنْ أتىَ الله بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ".

أنَّه الذي يَلْقى اللهّ وليس في قَلبه أحد غيره.

قال: فبكَى وقال: ما سمعتُ منذ ثلاثين سنةً أحسنَ من هذا.

وقال ابن المُبارك: كنتُ مع محمد بن النَّضْر الحارثيِّ في سَفِينة فقلتُ: بأيّ شيء أستخرج منه الكلام فقلت: ما تقول في الصَوم في السَّفر قال: إنما هي المُبَادرة يا بن أخي.

فجاءني واللهّ بفُتْيا غير فُتْيا إبراهيم والشَعبي.

وقال الفَضَيل بن عِيَاض: اجتمع محمدُ بن واسع ومالكُ بن دينار في مجلس بالبصرة فقال مالكُ بن دينار: ما هو إلا الله أو النار فقال محمد بن واسع لمَن كان عنده: كنّا نقول: ما هو إلا عَفْو الله أو النار.

قال مالكُ بنُ دِينار: إنَّه ليُعْجبني أن تكون للإنسان مَعيشة قَدْر ما يَقُوته.

فقال محمد بن واسع: ما هو إلا كما تقول: وليس يُعْجبني أن يُصبح الرجل وليس له غَدَاء وُيمسي وليس له عَشاء وهو مع ذلك راضٍ عن الله عزّ وجلّ.

فقال مالك: ما أَحْوجني إلى أن يِعظني مِثلُك.

وكان يَجلس إلى سُفيانَ فتى كثيرُ الفِكرة طويلُ الإطراق فأراد سُفيان أن يحرِّكه ليسمعَ كلامه فقال: يا فتى إن مَنْ كان قبلَنا مرُّوا على خَيْل عِتَاق وبَقينا على حَمِير دَبِرَة.

قال: يا أبا عبد الله إن كُنَا على الطريق فما أسرعَ لحُوقنا بالقوم.

الأصمعي عن شُعبة قال: ما أُحدثكم عن أحدٍ ممن تَعْرفون وممن لا تَعرفون إلا وأيوب ويُونس وابن عَوْن " وسُليمان " خير منهم.

قال الأصمعيُّ: وحدَّثني سلام بن أبي مُطِيع قال: أيوب أفقههم: وسُليمان التّيمي أعبدُهم ويُونس أشدُّهم " زُهدا " عند الدَّراهم وابن عَوْن أَضْبطهم لنفسه في الكلام.

" الأصمعيّ قال حدّثنا نافع بن أبي نُعَيم عن رَبيعة بن أبي عبد الرحمن قال: ألفٌ عن ألف خيرٌ من واحد عن واحد " فلان عن فلان " ينتزع السنّة من أيديكم ".

وكان إبراهيمَ النَّخعيّ في طَريق فلَقِيه الأعْمَش فانصرف معه فقال له: يا إبراهيم إنّ الناسَ إذا رأوْنا قالوا: أعمش وأعور قال: وما عَليك أن يَأثموا ونؤجر قال: وما عليك أن يَسْلَموا ونَسْلم.

ورَوى سُفيان النّوريّ عن واصل الأحدب قال: قلت لإبراهيم: إن سَعيد بن جُبير يقول: " كلُّ امرأة أتزوّجها طالق " ليس بشيء.

فقال له إبراهيم: قُل له يَنْقع أسنَه في الماء البارد.

قال: فقُلت لسعيد ما أمرني به فقال: قل له: إذا مررت بوادي النَّوْكى فاحلُل به.

وقال محمد بن مُنَاذِر: خذوا عن مالكٍ وعن ابن عَوْن ولا تَرْوُوا أحاديثَ ابن دَاب وقال آخر: أيّها الطالبُ عِلْما آيت حَمّادَ بن زِيد فاقتَبس حِلْما وعِلما ثم قَيِّده بقَيْد وقيل لأبي نُواس: قد بعثوا في أبي عُبيدة والأصمعيّ ليَجْمعوا بينهما قال: أما أبو عُبيدة فإن مَكّنوه من سِفْره قرأ عليهم أساطير الأولين وأمّا الأصمعيّ فبُلبل في قَفَص يُطربهم بِصَفِيره.

وذَكروا عند المَنْصور محمدَ بن إسحاق وعيسى بنَ دَأْب فقال أمّا ابن إسحاق فأَعْلم الناس بالسِّيرة وأمّا ابن دَأب فإذا أخرجتَه عن داحس والغَبراء لم يُحسن شيئاً.

وقال المأمون رحمه الله تعالى: مَن أراد لَهْواً بلا حَرَج فليسمع كلامَ الحَسن الظالبيّ.

وسُئل العَتّابيّ عن الحَسن الطالبيّ فقال: إنّ جَلِيسه لِطيب عشرْته لأَطربُ من الإبل على الحُداء ومن الثَّمِل على الغِنَاء.

قولهم في حملة القرآن وقال رجلٌ لإبراهيمَ النَّخعيّ: إني أَختِمُ القران كل ثلاث قال: ليتك تَخْتِمه كلَّ ثلاثين وتَذْري أيَّ شيء تقرأ.

وقال الحارثُ الأعْوَر: حدَّثني عِليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: كتاب اللّه فيه خبر ما قَبْلكم ونَبَأ ما بعدكم وحُكْم ما بَينكم وهو الفَصْل ليس بالهَزْل هو الذي لا تَزيغ به الأهواء ولا يَشْبع منه العُلماء ولا يَخْلَقُ على كَثْرة الردّ ولا تَنْقضي عجائبُه هو الذي مَن تَركه من جبّار قَصَمه اللّه ومَن ابتغى الهَدْى في غَيْره أضَلّه اللّه هو حَبْل الله المَتِين والذِّكْر العَظِيم والصرِّاط المُسْتقيم خَذْها إليك يا أَعْوَر.

وقيل للنبيّ صلى الله عليه وسلم عجّل عليك الشيبُ يا رسولَ اللّه قال: شَيّبتني هُود وأَخواتُها.

وقال عبد الله بن مَسْعود: الحَوامِيم ديباج القُرآن.

وقال: إذا رَتعتُ رَتعتُ في رياض دَمِثة أتأنّق فيهن.

وقالت عائشةُ رضي اللّه تعالى عنها: كانت تَنْزل علينا الآيةُ في عَهْد رسول الله صلى الله عليه وقال صلى الله عليه وسلم: سيكون في أمّتي قومٌ يَقرأون القرآن لا يجاوز تَراقِيَهم يَمْرقون من الدين كما يَمْرُقُ السهمُ من الرميّة هم شرُّ الخَلْقِ والخَلِيقة.

وقال: إن الرَّبانية لأسْرع إلى فُسّاق حَمَلة القرآن منهم إلى عَبَدَة الأوْثان فيَشْكون إلى ربّهم فيقول: ليس مَن عَلِمٍ كمَن لم يَعْلم.

وقال الحِسن: حَمَلة القرآن ثلاثة نفر: رجلٌ اتخذه بضاعةً يَنْقُله من مِصْر إلى مصر يَطْلُب به ما عند الناس ورجل حَفِظ حُروفه وضيّع حُدُوده واستدَرّ به الوُلاة واستطال به على أهل بلده وقد كثُر هذا الضَرب في حَملة القرآن لا كَثّرهم الله عزَّ وجلَّ ورجُل قرأ القرآن فوضع دواءه على داء قَلبه فسَهِر ليلَته وهَمَلت عَيْناه وتَسَرْبل الخُشوعَ وارتدى الوَقَار واستَشعر الحُزن ووالله لهذا الضَّرب من حملة القران أقلّ من الكِبْريت الأحمر بهم يَسْقي الله الغَيْث ويُنزِّل النَصر ويَدْفع البَلاء.

العقلِ وقال سَحْبان وائل: العَقْل بالتَّجارب لأنَّ عَقْل الغَرِيزة سُلَّم إلى عَقْل التجربة.

ولذلك قال عليُّ بن أبي طالب رِضْوانُ الله عليه: رأي الشيخ خير من مَشْهد الغُلام.

وقال الحسن البَصْريّ: لسانُ العاقل من وَراء قَلْبه فإذا أراد الكلامَ تفكّر فإن كان له قال وإن كان عليه سكت.

وقلب الأحمق من وراء لسانه فإذا أراد أن يقول قال " فإنَّ كان له سَكَت وإن كان عليه قال ".

وقال محمد بن الغاز: دخل رجل على سُليمان بن عبد الملك فتكلَم عنده بكلام أعجب سُليمانَ فأراد أن يخْتبره لينظر أعقلُه على قَدْر كلامه أم لا فوجده مَضْعوفاً فقال: فضل العَقل على المنطِق حِكمة وفَضْل المنطِق على العقْل هجنة وخير الأمور ما صدقت بعضها بعضاً وأنشد: وما المَرْءِ ألا الأصْغران لسانُه ومَعْقوله والجسْم خَلْق مُصورُ فإنْ تَمر منه ما يَرُوق فربّما أمر مَذاقُ العَود والعُودُ أخْضر ومن أحْسن ما قيل في هذا المعنى قولُ زهَير: وكائن تَرَى من صامتٍ لك مُعْجِب زيادتُه أو نَقْصُه في التكلُّم لسانُ الفَتى نِصْف فُؤاده فلم يَبْق إلاّ صورةُ اللحْم والدَّم وقال عليُ رضي الله عنه: العقْل في الدماغ والضحَك في الكَبد والرَّأفة في الطحال والصَّوت في الرئة.

وسئل المُغيرة بن شعْبة عن عُمَر بن الخطاب رضوان الله عليه فقال: كان واللّه أفضلَ من أن يَخدع وأعقلَ من أن يُخدع وهو القائل: لستُ بِخَبٍّ والِخَبُّ لا يَخدعني.

وقال زياد: ليس العاقلُ الذي إذا وَقَع في الأمْر احتال له ولكنّ العاقل يَحْتال للأمر حتى لا يقع فيه.

وقيل لعَمْرو بن العاص: ما العَقْل فقال: الإصابةُ بالظَّن ومَعْرفة ما يكون بما قد كان.

وقال عمرُ بن الخطّاب رضي الله عنه: مَنْ لم يَنْفعه ظنّه لم ينفعه يَقِينه.

وقال عليُ بن أبي طالب رضي الله عنه وذَكَر ابن عبّاس رضي الله عنهما فقال: لقد كَان ينظُر إلى الغَيْب من سترْ رقيق.

وقالوا: العاقل فَطِن مُتغافل.

وقال مُعاوية: العَقْل مِكيال ثُلُثه فِطْنة وثلثاه تغافل.

وقال المُغِيرة بن شُعْبة لعُمَر بن الخطاب رضي الله عنه إذ عَزَله عن كتابة أبي مُوسى: أعَن عَجْز عَزَلْتَني أم عن خِيانة فقال: لا عن واحدة منهما ولكني كرِهْت أن أحمل على العامة فَضْلَ عقلك.

وقال مُعاوية لعَمْرو بن العاص: ما بَلَغ من عَقْلك قال: ما دخلتُ في شيء قَط إلا خَرجتُ وقال الأصمعيُ: ما سَمِعتً الحسن بنَ سهل مُذْ صار في مَرْتبة الوزارة يتَمثّل إلاّ بهذين البيتين: وما بَقيتْ من اللّذّات إلا مَحادثةُ الرِّجال ذوي العُقول وقد كَانوا إذا ذُكِرُوا قليلاً فقد صارُوا أقلَّ من القَلِيل وقال محمدُ بنُ عبد الله بن طاهر " ويرْوي لمحمود الورّاق ": لَعَمْرك ما بالعَقْل يكتسب الغِنَى ولا باكتِسَاب المال يُكتَسَب العقلُ وكَمْ من قَليل المال

يُحمد فَضْله وآخرَ ذي مال وليس له فَضْل وما سَبقَت من جاهل قطُّ نِعْمَة إلى أحدٍ إلا أضّرَ بها الجَهْل وذو اللُّبّ إن لم يُعْطِ أحمدتَ عقلَه وإن هو أعطَى زانه القَوْلَ والفِعْلُ وقال محمد بنُ مُناذر: وتَرى الناسَ كثيراً فإذا عُدَّ أهل العَقْل قلّوا في العَدَدْ لا يقلُّ المَرْء في القَصْد ولا يَعدم القِلَة مَنْ لم يقتصد لا تعدْ شرّاً وعِد خيراً ولا تُخْلِف الوَعْدَ وعَجِّل ما تَعد يُعْرَف عَقْل المَرْءِ في أربَع مشيته أولها والحَرَكْ ودوْر عَيْنيه وألفاظه بعدُ عليهنّ يَدُور الفلكَ ورُبَّما أخْلفن إلاّ التي آخرُها منهنَ سُمين لك هَذِي دَليلات على عَقْله والعقلُ في أركانه كالْمَلِك إنْ صحَّ صحَ المرءُ من بعده ويهْلِك المرءُ إذا ما هَلك فانظرُ إلى مَخْرج تَدْبِيره وعِقْلِهِ ليس إلى ما ملك فرُّبما خَلّط أهلُ الحِجَا وقد يكون النَّوْك في ذي النُّسك فإنْ إمام سالَ عن فاضل فادلُل على العاقل لا أمَّ لك وكان هَوْذة بن عليّ الحَنفيّ يُجيز لَطِيمة كِسْرى في كلِّ عام - واللَّطِيمة عِير تَحْمِل الطِّيبَ والبَزّ - فوفَد على كِسرى فسأله عن بَنِيه فسمَّى له عدداً فقال: أيهم أحب إليك قال: الصَغير حتى يَكْبُر والغائبُ حتى يرْجِع والمَريض حتى يُفيق فقال له: ما غِذاؤك في بلدك قال: الخُبز فقال كسرى لجلسائه: هذا عَقْل الخبز يُفضِّله عَلَى عُقول أهل البَوادي الذين غِذَاؤهم اللَّبن والتمر.

وهوذة بن علي الحنفي هو الذي يقول فيه أعشى بكر: له أكاليلُ بالياقوت فَصَّلها صَوَاغُها لا تَرَى عيباً ولا طَبعا وقال أبو عُبَيدة عن أبي عمرو: لم يَتَتوّج مَعدِّيّ قطُّ وإنما كانت التِّيجان لليمن فسألتُه عن هوذة بن عليّ الحنفي فقال: إنما كانت خَرَزات تُنظم له.

وقد كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هَوْذة بن عليّ يدْعوه إلى الإسلام كما كتب إلى الملوك.

وفي بعض الحديث: إنَّ الله عزَّ وجلّ لما خلق العقل قال: أقْبِل فأقْبل ثم قال له: أدْبِر فأدبر.

فقال: وعزَّتي وجَلالي ما خلقتُ خَلْقاً أحبَّ إليَّ منك ولا وَضَعتُك إلا في أحَبِّ الْخَلْق إلي.

وبالعقل أَدْرك الناس معرفةَ الله عزَّ وجلّ ولا يشُكّ فيه أحدٌ من أهل العقول يقول الله عز وجلّ في جميع الأمم: " وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنّ اللّهُ ".

وقال أهلُ التفسير في قول الله " قسَم لِذِي حِجْر " قالوا: لذي عَقل.

وقالوا: ظنُّ العاقل كهانة.

وقال الحسنُ البَصْريّ: لو كان للناس كلِّهم عُقول خَرِبت الدنيا.

وقال الشاعر: يُعَد رفيع القَوم مَن كَان عاقلاً وإن لم يكُن في قَوْمه بحَسيبِ وإنْ حل أرضاً عاش فيها بعَقله وما عاقلٌ في بلده بغَريب وقال الأحْنف بن قيْس أنا للعاقل المدبر أرْجى منّي للأحْمق المقبل.

" قال: ولما أهْبط الله عز وجلّ آدمَ عليه السلام إلى الأرض أتاه جبْريل عليه السلامِ فقال له: يا آدم إنّ الله عزّ وجلّ قد حَبَاك بثلاث خصالٍ لتختارَ منها واحدة وتَتَخَلى عن اثنتين قال: وما هنَّ قال: الحياء والدِّين والعَقْل.

قال آدم: اللّهم إنَي اخترت العقلَ.

فقال جبريلُ عليه السلامُ للحياء والدين: ارتفِعَا قالا: لن نَرتفع قال جبريلُ عليه السلام: أعَصَيتُما قالا: لا ولكنا أمرْنا أن لا نُفارق العقلَ حيث كان.

وقال صلى الله عليه وسلم: لا تَقْتدوا بمن ليست له عُقْدة.

قال: وما خَلق الله خَلقاً أحبَّ إليه من العقل.

وكان يقال: العقل ضربان: عَقْل الطبيعة وعقل التَّجْربة وكلاهما يُحتاج إليه ويؤدَي إلى المنفعة.

وكَان يُقال: لا يكون أحدٌ أحب إليك من وَزِيرٍ صالح وافِرِ العقل كامِل الأدب حَنيك السن بَصير بالأمور فإذا ظَفِرْتَ به فلاَ تُباعِدْه فإنَّ العاقلَ ليس يمانِعك نَصِيحَته وإن جَفَتْ.

وكان يقال: غَرِيزة عقل لا يَضِيعِ معها عَمَل.

وكان يقال: أجَل الأشياء أصلاَ وأحْلاها ثمرةً صالحُ الأعمال وحُسن الأدب وعقل مُسْتَعمل.

وكان يقال: التجاربُ ليس لها غاية والعاقلُ منها في الزَيادة.

ومما يُؤكَد هذا قولُ الشاعر: ومكتوب في الْحِكمة: إنَّ العاقلَ لا يغترَّ بمودَّة الكَذوب ولا يثِق بنَصيحته ويُقال: مَن فاته العقلُ والفُتوَّة فرَأسُ مالِه الجَهْلُ.

ويُقال: من عَير الناسَ الشيءَ ورَضِيه لنفْسه فذاك الأحْمق نفسُه.

وكان يقال: العاقلِ دائمُ المودَة والأحمق سَريع القطِيعة.

وكان يقال: صَديق كل امرئ عقله وعدوُه جَهْله.

وكان يقال: المعْجبِ لَحُوح والعاقلُ منه في مَؤُونةَ.

وأمَا العُجْب فإنه الجَهْل والكِبر.

وقيل: أعلى الناس بالعَفْو أقدرُهم على العُقوبة وأنْقص الناس عقلاً مَن ظَلم من هو دونه.

ويقال: ما شيء بأحسنَ من عَقْل زانه حِلْم وحِلْم زانه عِلم وعِلم زانه صِدْق وصِدْق زانه عَمَل وعَمَل زانه رِفْق.

وكان عمر بن الخطّاب رضيَ الله عنه يقول: ليس العاقلُ من عَرف الخير من الشر بل العاقلُ مَن عرف " خَير " الشرّين ويقال: عدوٌ عاقل أحب إلي من صديقٍ جاهل.

وكان يقال: الزم ذا العقل وذا الكرم واسترسل إليه وإياك وفراقه إذا كان كريماً ولا عليك أن تصحب العاقل وإن كان غير محمود الكرم لكن احترس من شين أخلاقه وانتفع بعقله ولا تدع وكان يقال: قطيعة الأحمق مثل صلة العاقل.

وقال الحسن: ما أودع الله تعالى أمرأ عقلاً إلا استنقذه به يوماً ما.

وأتى رجلٌ من بني مجاشع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ألست أفضل قومي قال النبي صلى الله عليه وسلم: إن كان لك عقل فلك فضل وإن كان لك تقي فلك دينٌ وإن كان لك مالٌ فلك حسب وإن كان لك خلق فلك مروءة.

قال: تفاخر صفوان بن أمية مع رجل فقال صفوان: أنا صفوان بن أمية بخٍ بخٍ فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: ويلك! إن كان لك دين فإن لك حسباً وإن كان لك عقل فإن لك أصلاً وإن كان لك خلق فلك مروءة وإلا فأنت شرٌ من حمار.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: كرم الرجل دينه ومروءته عقله وحسبه خلقه.

وقال: وكل الله عز وجل الحرمان بالعقل ووكل الرزق بالجهل ليعتبر العاقل فيعلم أن ليس له في الرزق حيلة.

وقال بزرجمهر: لا ينبغي للعاقل أن ينزل بلداً ليس فيه خمسة: سلطان قاهر وقاضٍ عدل وسق قائمة ونهرٍ جارٍ وطبيب عالم.

وقال أيضاً: العاقل لا يرجو ما يعنف برجائه ولا يسأل ما يخاف منعه ولا يمتهن ما لا يستعين سئل أعرابي: أي الأسباب أعون على تذكية العقل وأيها أعون على صلاح السيرة فقال: أعونها على تذكية العقل التعلم وأعونها على صلاح السيرة القناعة.

وسُئل عن أجود المواطن أن يُخْتبر فيه العقل فقال: عند التّدْبير.

وسُئِل: هل يَعمل العاقلُ بغير الصَّواب فقال: ما كلّ ما عُمِل بإذن العقل فهو صواب.

وسُئل: أيُّ الأشياء أدلُّ على عَقل العاقل قال: حُسن التَّدْبير.

وسُئل: أي مَنافع العقل أعظم قال: اجتنابُ الذّنوب.

وقال بُزُرْجَمهِر: أفْره ما يكونُ من الدّوابّ لا غِنى بها عن السَّوْط وأَعفُّ مَن تكون منِ النساء لا غِنى بها عن الزَّوْج وأَعْقل من يكون من الرِّجال لا غِنى به عن مَشورة ذوِي الأَلباب.

سُئل أعرابيّ عن العقل متى يُعرف قال: إذا نَهاك عقلُك عمّا لا يَنْبغي فأنت عاقل.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: العَقْل نُور في القْلب نُفرِّق به بين الحقّ والباطل وبالعَقْل عُرِف الْحَلال والْحَرام وعُرِفَت شَرائع الإسلام ومَواقع الأحكام وجَعَله الله نُوراً في قُلوب عِبَاده يَهْديهم إلى هُدًى ويَصُدُّهم عن رَدى.

" ومن جَلالة قَدْرِ العَقْل أنَّ اللهّ تعالى لم يُخاطب إلا ذَوي العُقول فقال عزَّ وجلَّ: " إنما يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَاب ".

وقال: " لِتُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا ".

أي عاقلا وقال: " إِنّ في ذَلِكَ لَذِكْرَى لمَنْ كَانَ لهُ وقال النبي صلى الله عليه وسلم: العاقل يَحْلُم عمّن ظَلَم ويَتواضع لمن هو دُونه ويُسابق إلى البِرّ مَن فَوْقه.

وإذا رأى بابَ بِرٍّ أنتهزه وإذا عَرَضت له فِتْنة اعتَصم باللّه وتَنَكَّبَها.

وقال صلى الله عليه وسلم: قِوَام المَرْء عَقْلُه ولا دينَ لمن لا عَقْل له.

وإذا كان العَقْل أشرَفَ أَعلاق النَّفس وكان بقَدْر تمكُّنه فيها يكونُ سُمُوُّها لطَلَب الفضائل وعلوُّها لابتغاء المَنازل كانت قِيمةُ كلّ امرىء عقلَه وحِلْيَتُه التي يَحْسُن بها في أَعُين الناظرين فَضْلَه.

ولعَبْد اللهّ بن محمَّد: تأَمَّل بعَيْنَيْكَ هذا الأنام وكُنْ بعضَ مَن صانه نُبْلُهُ فحِليةُ كلَّ فتىً فَضْلُه وقِيمة كلَّ آمرىءٍ عقْله ولا تتكِل في طِلاب العُلا على نَسَب ثابتٍ أَصلُه فما من فتىً زانَه أَهلُه بشيءٍ وخالَفه فِعْلُه ويُقال: العَقْلُ إدْراك الأشياء على حَقائقها فَمَن أدرَك شيئاً على حقيقته فقد كَمُل عَقْله.

وقيل: العقْل مِرآه الرَّجُل.

أَخذه بعضُ الشعراء فقال: فإذا كانَ عليها صَدَأ فَهْوَ جَهالَه وإذا أَخْلَصه اللهِ صِقالاً وصَفَا له فَهْي تُعْطِي كُلَّ حيٍّ ناظرٍ فيها مِثَاله ولآخر: لا تَراني أبداً أُك رِمُ ذَا المالَ لمالهِ لا ولا تزْرِي بمَنْ يع قلَ عِنْدِي سُوءُ حالِهِ إنما أُقضي عَلَى ذَا كَ وهذا بِفِعَاله أنا كالْمِرآةِ أُلْقَى كل وجهٍ بِمثاله كيفما قَلَّبني الَدهرُ يَجدْني مِنْ رِجَاله ولبعضهم: إذا لم يَكُنْ لِلْمَرْءِ عَقْلٌ فإنَّه وإن كان ذا نُبْلٍ على النَّاس هَين وإن كان ذا عقْل أُجِلَّ لعَقْله وأَفضلُ عَقْل عقْلُ مَنْ يتَدَيَّن وقَال آخر: ويُقال: إنّ العَقْل عينْ القَلْب فإذا لم يَكُن للمرء عقْل كان قَلْبه أكمه.

وقال صالح بنُ جَنَاح: ألاَ إنَّ عقْل المرء عَيْنَا فُؤادِه وإنْ لم يكن عقْل فلا يُبْصِر القَلبُ وقال بعضُ الفلاسفة: الهَوَى مصاد العَقْل.

ولعبد الله بن ميحمد: ثلاث مَنْ كنَّ فيه حَوَى الفضلَ وإن كان راغباً عن سِواها: صِحَّة العَقْل والتَّمسُّك بالعَدْل وتَنزيه نَفسه عن هَوَاها.

ولمحمد بن الْحَسن بن دُريد: وآفةُ العقل الهَوَى فمنْ عَلا على هَوَاهُ عقلُه فَقد نَجَا وقال بعضُ الحُكماء: ما عبد الله بشيء أحبَّ إليه من العقل وما عُصي بشيءِ أحبَّ إليه من السَّنْر.

وقال مَسْلمة بن عبد الملك: ما قرأتُ كتاباً قطُّ لأحد إلا عرفتُ عقله منه.

وقال يحيى بن خالد: ثلاثةُ أشياء تدلُّ على عُقول أرْبابها: الكتاب يدُل على عقل كاتبه والرسولُ يَدُل على عقل مُرْسِله والهديَّةُ تدل على عقل مُهديها.

واستعمل عمرُ بن عبدِ العزيز رجلاً فقيل له: إنه حَدِيث السنّ ولا نراه يَضْبط عملَك فأخذ العهدَ منه وقال: ما أراك تَضبِط عملَك لحداثتك فقال الفَتى: وليس يَزيد المرءَ جهلاً ولا عَمىً إذا كان ذا عَقْل حداثةُ سِنَهِ فقال عمرُ: صدق ورَدَّ عليه عهدَه.

وقال جَثّامة بن قَيْس يَصِف عاقلاً: بَصِيرٌ بأَعْقاب الأمور كأنما تُخاطِبه من كلّ أمرٍ عواقبُهُ ولغيره في المعنى: بَصِير بأعقاب الأمُور كأنّما يَرَى بصَواب الرأي ما هو واقعُ وقال شَبِيبُ بن شَيْبة لخالد بن صَفْوان: إني لأَعْرف أمراً لا يتلاقى فيه اثنان إلا وَجب النُّجح بينهما قال له خالد: ما هو قال العقل فإن العاقل لا يسأل إلا ما يجوز ولا يردّ عما يُمكن.

فقال له خالد: نعَيتَ إليَّ نفسي إنّا أهل بَيْت لا يموتُ منّا أحدٌ حتى يرى خَلفه.

وقال عبدُ اللهّ بن الحُسن لابنه محمد يا بني احذَرِ الجاهل وإن كان لك ناصحاً كما تَحْذر العاقلَ إذا كان لك عدوًا ويُوشِك الجاهلُ أن توَرطَك مَشورته في بعض اغترارك فيَسْبِقَ إليك مكْر العاقل وإِيَّاكَ ومُعاداة الرّجال فإنك لا تَعْلَمَنّ منها مَكْرَ حَلِيم عاقل أو مُعاندة جاهل.

وقال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلواتُ الله عليه: لا مالَ أعودُ من عقل ولا فَقر أضرُّ من جَهل.

ويُقال: لا مرُوءة لمن لا عَقلَ له.

وقال بعضُ الحَكماء: لو استغنى أحدٌ عن الأدب لاستَغْنى عنه العاقل ولا يَنتَفع بالأدب مَن لا عَقل له كما لا ينتَفع بالرّياضة إلا النِّجيب.

وكان يُقال: بالعقل تُنَال لذَّة الدنيا لأنّ العاقل لا يَسْعَى إلا في ثلاث: مَزِية لمَعاش أو مَنْفعة لمَعاد أو لذة في غير مُحرم.

ولبعضهم: إذا أحببتَ أقواماً فلاصِقْ بأهْل العَقل منهم والحَيَاء فإنّ العقلَ ليس له إذا ما تفاضلت الفضائل من كفاء لمحمّد بن يزيد: وأفضَل قَسْم الله للمَرْء عقلَه وليس منَ الخَيراتِ شيءٌ يُقارِبهُ إذا أكمل الرحْمن للمرء عقلَه

فقد كَمُلت أخلاقُه ومآربُه يَعِيش الفتَى بالعقلِ في النَاس إنّه على العقل يَجْري عِلْمهُ وتجَاربهً فَزَينُ الفتَى في النَّاس صِحَّةُ عقله وإن كان مَحْصوراً عليه مَكاسِبه وشَين الفَتى في النَّاس قِلّة عقلهِ وإن كَرُمت أعراقهُ ومَناسِبهُ ولبَعْضهم: العقْلُ يأمر بالعَفاف وبالتُّقَى وإليه يَأوِي الحِلْمُ حين يؤولُ فإن استطعتَ فخُذْ بفَضلك فَضْلَه إنَّ العُقول يُرى لها تَفضيل ولبعضهم: إذا جمُع الآفاتُ فالبُخْل شَرها وشرَ منَ البُخل المواعيدُ والمَطلُ ولا خَيرَ في عقل إذا لم يَكُن غنىً ولا خَيْر في غِمْدٍ إذا لم يكُن نَصْل وإن كان للإنسان عقل فعَقْلُه هُو النَصْل والإنسانُ مِن بعده فَصْل ولبَعضهم: يُمَثَل ذو العقل في نَفْسه مصائبَه قبْل أن تنْزِلا فإن نزلت بَغْتةً لم ترعه لِما كان في نفسه مَثَلا رأى الهمَّ يُفْضي إلى آخِرٍ فَصيَّرَ آخرَه أوَّلا الحكمة قال النبي صلى الله عليه وسلم: ما أخلصَ عبدٌ العملَ لله أربعين يوماً إلا ظهرت يَنابيعُ الحِكْمة من قَلْبه على لسانه.

وقال عليه الصلاةُ والسلام: الحِكْمة ضالّة المُؤْمن يأخذها ممَن سَمِعها ولا يبالي من أيَ وعاء خَرجت.

وقال عليه الصلاةُ والسلام: لا تَضَعوا الحِكْمة عِنْدَ غير أهلها فتَظلِمُوها ولا تَمْنعوها أهلَها فَتَظْلِمُوهم.

وقال الحُكماء: لا يطلب الرجلُ حِكْمة إلا بحكمة عنده.

وقالوا: إذا وَجَدتم الحِكْمة مَطْرُوحة على السكك فخُذوها.

وفي الحديث: خُذوا الحِكْمة ولو من أَلْسِنة المُشْركين.

وقال زياد: أيها الناس لا يَمْنعكم سوءُ ما تَعْلمون منَّا أن تَنْتفعوا بأحْسَن ما تسمعون منّا فإنَّ الشاعر يقول: اعْمل بعِلْمي وإن قَصَّرْت في عَمَلي يَنْفَعْك قولِي ولا يَضْرُرْكَ تَقْصِيرِي قيل لقُس بن ساعدة: ما أفضلُ المَعْرِفة قال معْرفة الرجل نَفْسَه قِيلَ له: فما أفضلُ العِلْم قال: وقوف المرء عند عِلْمه قِيل له: فما أفضلُ المروءة قال: استبقاءُ الرجل ماء وَجْهه.

وقال الحسنُ: التّقْدِير نِصْف الكَسْب والتَّؤدة نِصف العقل وحُسْن طَلب الحاجة نِصْف العِلْم.

وقالوا: لا عقلَ كالتَّدبير ولا وَرَع كالكفّ ولا حَسَب كحُسْن الخُلق ولا غِنى كرِضا عن اللّه وأحقُّ ما صبر عليه ما ليس إلى تَغْييره سَبيل.

وقالوا: أفضلُ البرِّ الرّحمة ورَأْس المودّة الاسترسالُ ورَأس العُقوق مُكاتمة الأَدْنين ورَأس العَقْل الإصابة بالظنّ.

وقالوا: التفكّر نور والغَفلة ظُلْمة والجهالة ضَلالة والعِلم حَياة والأوّل سابق والآخِر لاحِق والسعِيد من وُعِظ بغَيْره.

حَدَّث أبو حاتم قالِ: حدّثني أبو عُبيدة قال: حدّثني غيرُ واحد من هَوازِنَ من أولي العِلم وبعضُهم قد أدرك أبوه الجاهلية " أو جدُّه " قالوا: اجتمع عامر بن

الظرِب العَدْواني وحُممَة بن رافع الدَّوْسيّ - ويَزعمُ النُّساب أنّ ليلى بنت الظَّرب أُمُّ دوس وزينبَ بنت الظَرب أُمُ ثقيف " وهو قَيْسي " - عند مَلك من مُلوك حِمْير فقال: تَساءَ لا حتى أَسْمع ما تقولان.

فقال عامر لحُممة: أين تُحِب أن تكون أياديك قال: عند ذي الرَّثْية العَدِيم وعند ذي الخلّة الكَريم والمُعْسِر الغَريم والمُسْتَضْعف الهضِيم.

قال: مَن أحقُّ الناس بالمقْت قال: الفَقِير المُختال والضعيف الصوال والعَييّ القوّال قال: فمَن أحق الناس بالمنّع قال: الحَرِيص الكاند والمُستميد الحاسد والمُلْحِف الواجِد.

قال: فمن أجدرُ الناس بالصَنيعة قال: من إذا أُعطى شَكر وإذا مُنِع عَذر وإذا مُطِل صَبر وإذا قدُم العهدُ ذكَر قال: من أكرمُ الناس عِشْرة قال: من إذا قَرُب مَنَح " وإذا بَعُد مدح " وإذا ظُلم صَفَح وإذا ضُويق سَمح قال: مَن ألأم الناس قال: مَن إذَا سأل خَضع وإذا سُئل مَنع وإذا مَلك كَنَع ظاهِره جَشع وباطنه طَبع.

قال: فمن أحْلم الناس قال: من عَفا إذا قَدَر وأجملَ إذا انتصر ولم تُطْغِه عِزَّة الظَّفر.

قال: فمن أحزمُ الناس قال: مَن لا أَخذ رقابَ الأمور بيدَيه وجَعل العواقبَ نُصْب عَيْنَيه ونَبذ التهيب دَبْر أُذنيه.

قال: فمن أَخرقُ الناس قال: مَن رَكِب الْخِطار واعتَسف العِثَار وأَسرعَ في البِدَار قبلَ الاقتِدار.

قال: مَن أَجوَدُ الناس قال: مَن بذل المجهود ولم يأس على المعهود.

قال: مَن أَبلغ الناس قال: مَن جَلَّى المعنى المزِيز باللّفظ الوجيز وطَبَّق المفْصل قبل التَّحزيز.

قال: من أنعم الناس عَيشاً قال: من تحلَّى بالعَفاف ورَضي بالكَفاف وتجاوز ما يَخاف إلى مالا يَخاف.

قال: فمن أشقى الناس قال: من حسد على النِّعم وسَخِط على القِسَم واستَشعر النَّدَم على فوْت ما لم يُحتم.

قال: من أغنى الناس قال: من آستَشعر الياس وأظْهر التَّجمُّل للناس واستكثر قليلَ النِّعم ولمِ يَسْخط على القِسَم.

قال: فمن أحكم الناس قال: من صَمت فادَّكر ونَظر فاعتبر وَوُعِظ فازْدَجر.

قال: مَن أَجْهل الناس قال: من رأى الخُرْق مَغْنما والتَّجاوزَ مَغْرما.

وقال أبو عُبيدة: الخَلة: الحاجة والخُلَّة: الصداقة.

والكاند: الذي يَكفر النِّعمة والكنود: الكفور والمُسْتَمِيد: مثل المُسْتَمِير وهو المُسْتعطِي.

ومنه اشتقاق المائدة.

لأنها تَمادُ.

وكَنع: تَقَبَّض يُقال منه: تَكَنَّع جِلْدُه إذا تَقَبَّض.

يريد أنه مُمْسك بخَيل.

والجَشَع: أسوأ الحِرْص.

والطَّبع " الدَنس.

والاعتساف: رُكوب الطريق على غير هِداية وركوبُ الأمر على غير مَعرفة.

والمَزيز: من قولهم: هذا أمزّ من هذا أي أفضل منه وأزيد.

والمُطبِّق من السيوف: الذي يُصيب المفاصل لا يجاوزها.

وقال عمرو بن العاص: ثلاثٌ لا أناة فيهنّ: المُبادرة بالعَمل الصالح ودَفْن الميِّت وتَزْويج الكُفْء.

وقالوا: ثلاثة لا يُندم على ما سَلف إليهم: الله عزَ وجَلّ فيما عُمل له والمَوْلى الشَّكُور فيما أُسْدى إليه والأرضُ الكَريمة فيما بُذر فيها.

وقالوا: ثلاثة لا بقاء لها: ظِلُّ الغَمام وصُحْبة الأشرْار والثَّناء الكاذب.

وقالوا: ثلاثة لا تكون إلاّ في ثلاثة: الغِنَى في النَّفس والشَّرف في التَّواضع والكرم في التَّقوى.

وقالوا ثلاثة لا تُعرف إلا عند ثلاثة ذو البَأس لا يُعرف إلاّ عند اللقاء وذو الأمانة لا يُعرف إلا عند الأخذ والعَطاء.

والإخوان لا يُعرفون إلا عند النَّوائب.

وقالوا: مَن طلب ثلاثة لم يَسْلم من ثلاثة: مَن طلب المالَ بالكيمياء لم يسلم من الإفلاس ومَن طلب الدِّين بالفَلْسفة لم يَسلم من الزَّندقة ومَن طلب الفِقه بغرائب الحديث لم يَسلم من الكَذِب.

وقالوا: عليكم بثلاث: جالِسوا الكبراء وخالطوا الحكماء وسائلوا العُلماء.

وقال عمرُ بن الخطّاب رضوان الله عليه: أخوفُ ما أخاف عليكم شُحٌّ مُطاع وهَوًى مُتَّبع وإعجاب المرء بنفسه.

واجتمعت عُلماء العَرب والعجم على أربع كلمات: لا تحمل على ظَنِّك ما لا تُطيق ولا تَعْمل عملاً لا يَنْفعك ولا تَغْترّ بامرأة ولا تَثِق بمال وإن كثر.

وقال الرِّياحي في خُطبته بالْمِرْبَد: يا بَني رِياح لا تَحْقِرُوا صغيراً تأخذون عنه فإني أخذتُ من الثعلب رَوَغانه ومن القِرْدَ حِكايته ومن السِّنَّوْر ضَرَعه ومن الكلب نُصرَته.

ومن ابن آوَى حذَره ولقد تعلَمت من القَمر سَيْرَ اللَّيل ومن الشَّمس ظهور الحِين بعد الحين.

وقالوا: ابن آدم هو العالَم الكَبير الذي جَمع الله فيه العالَم كلّه فكان فيه بَسالة اللَّيث وصَبْر الْحِمار وحِرْص الخنزير وحَذَر الغُراب ورَوَغان الثّعلب وضَرَع السِّنَّور وحِكاية القِرْد ولما قَتَل كِسْري بُزُرْجمهرَ وجد في مِنْطقتِهِ مكْتوباً: إذا كان الغدرْ في الناس طِبَاعاً فالثقة بالناس عَجْز وإذا كان القَدَر حقَّاً فالْحِرْص باطل وإذا كان المَوْت راصداً فالطمأنينة حُمق.

وقال أبو عمرو بن العلاء: خُذ الخَير من أَهْله ودَع الشرَّ لأهله.

وقال عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه: لا تَنْهَكوا وَجْه الأرض فإن شَحْمتها في وَجْهها.

وقال: بِع الحَيَوان أحسنَ ما يكون في عَيْنك.

وقال: فَرِّقوا بين المَنايا واجعلوا من الرأس رأسين ولا تَلبثوا بِدَرا مَعْجزة.

وقالوا: إذا قَدُمت المُصيبة تُرِكت التَّعزية وإذا قَدُم الإخاء سَمُجَ الثَّناء.

وفي كتاب للهند: يَنْبغي للعاقل أن يَدَع التماسَ ما لا سَبِيل إليه لئلاّ يُعدّ جاهلاً كرَجُل أراد أن يُجري السفنَ في البرّ والعَجلَ في البَحْر وذلك ما لا سَبيلَ إليه.

وقالوا: إحسان المُسيء أن يَكُفَّ عنك أذاه وإساءةُ المُحسن أن يَمْنعك جَدْواه.

وقال الحسنُ البَصْريّ: اقدَعوا هذه النفوسَ فإنها طُلعة وحادِثوها بالذِّكر فإنها سريعة الدُّثور فإنكم إلاّ تَقْدعوها تَنزع بكم إلى شرِّ غاية.

يقول: حادثوها بالحكمة كما يُحادث السَّيف بالصِّقال فإنها سَريعة الدُّثور يريد الصَّدأ الذي يَعْرض للسيف.

واقدَعوها: من قدعتَ أنف الجمل إذا دفعتَه.

فإنها طُلَعة يريد مُتَطلّعة إلى قال أرْدشير بن بابك: إن للآذان مَجَّة وللقلوب مَلَلا ففَرِّقوا بين الحكمتين يَكُنْ ذلك اسْتِجماماً.

البلاغة وصفتها

قيل لعمرو بن عُبيدٍ: ما البلاغة قال: ما بَلَّغك الجنَّة وعَدَل بِك عن النار قال السائل: ليس هذا أُريد قال: فما بَصَّرك مواضعَ رُشْدك وعواقبَ غَيِّك قال: ليس هذا أريد قال: مَن لم يحسن أن يسكت لم يُحسن أن يَسمع ومَن لم يُحسن أن يَسمع لم يحسن أن يسأل ومَن لم يُحسن أن يَسأل لم يُحسن أن يقول: قال: ليس هذا أُريد قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: إنّا معشر " النبيين " بِكَاء - أي قليلو الكلام وهو جمع بكىء - وكانوا يكرهون أن يَزيد مَنْطق الرجل على عَقْله قال السائل: ليس هذا أريد قال: فكأنك تُريد تَخَيُّر الألفاظ في حُسْن إفهام قال: نعم قال: إنك إن أردتَ تَقْرير حُجَّة اللّهّ في عُقول المُكَلَّفين وتخفيف المَؤونة على المُسْتمعين وتَزيين المعاني في قُلوب المستفهمين بالألفاظ الحَسنة رغبةً في سُرعة استجابتهم ونفْي الشواغل عن قلوبهم بالمَوْعظة الناطقة عن الكتَاب والسُّنَّة كُنت قد أُوتيت فَصْلَ الخِطاب.

وقيل لبعضهم: ما البلاغة قال: مَعْرفة الوَصْل من الفَصل.

وقيل لآخر: ما البلاغة قال: إيجاز الكلام وحَذْف الفُضُول وتَقْرِيب البعيد.

وقيل لبعضهم: ما البلاغة قال: أن لا يُؤتى القائل من سُوء فَهْم السامع ولا يُؤتى السّامع من وقال مُعاوية لصُحارٍ العَبْديّ: ما البلاغة قال: أن تُجيب فلا تُبطئ وتُصيب فلا تُخْطئ.

ثمّ قال: أَقِلْني يا أمير المؤمنين قال: قد أَقَلْتكَ.

قال: لا تُبْطئ ولا تُخطئ.

قال أبو حاتم: استطال الكلامَ الأوّل فاستقَال وتَكلّم بأوجزَ منه.

وسمع خالدُ بن صَفْوان رجلاً يتكلّم ويُكثْر فقال اعلم رحمك الله أن البلاغة ليست بحِفّة اللسان وكَثْرة الهَذَيان ولكنها بإصابَة المَعْنى والقَصْدِ إلى الحُجَّة.

فقال له: أبا صَفْوان ما من ذَنْب أعظم من اتْفاق الصَّنعة.

وتكلّم رَبيعة الرَّأي يوماً فأكثر " وأُعجب بالذي كان منه " وإلى جَنْبه أعرابيٌّ فالتفتَ إليه فقال: ما تَعُدّون البلاغةَ يا أعرابيّ قال: قِلّة الكلام وإيجاز الصواب قال: فما تَعُدّون العِيّ قال: ما كُنت فيه منذُ اليوم.

فكأنما أَلْقمه حَجراً.

ومن أمثالهم في البلاغة قولُهم: يُقِلّ الحزّ ويُطبِّق ٱلمِفْصل.

وذلك أنّهم شَبّهوا البَلِيغ المُوجز الذي يُقل الكلام ويُصيب الفُصول والمَعاني بالجزَّار الرَّفيق يَقل حَزّ اللّحم ويُصيب مَفاصله.

ومثله قولُهم: يَضع الهناء مواضع النُّقبِ أي لا يتكلّم إلا فيما يجب فيه الكلامُ مِثْل الَطالِي الرَّفيق الذي يضع ٱلهناء مواضع النُّقب.

وقولهم: قَرْطَس فلان فأصاب الثغرة وأصاب عَيْن القِرْطاس.

كل هذا مَثل للمُصيب في كلامه الموجز في لَفْظه.

" قيل للعَتّابي: ما البلاغة قال: إظهار ما غمَض من الحقّ وتَصْوير الباطل في صورة الحق.

وقيل لأعرابيّ: مَن أَبلغ الناس قال: أَسْهَلهم لَفظاً وأحسنهم بَدِيهة.

وقيل لآخر: ما البلاغة فقال: نشر الكلام بمعانيه إذا قَصُر وحُسْن التأليف له إذا طال.

وقيل لآخر: ما البلاغة فقال: قَرْع الحجَّةِ ودُنُوّ الحاجة.

وقيل لآخر: ما البلاغة قال: الإيجاز في غَيْر عَجْز والإطناب في غَيْر خَطَل.

وقيل لغيره: ما البلاغة قال: إقلال في إيجاز وصَواب مع سُرعة جواب.

قيل لليُونانيّ: ما البلاغة قال: تَصْحيح الأقسام واختيار الكلام.

وقيل لبعضهم: مَن أبلغ الناس قال: مَن ترك الفُضُول واقتصر على الإيجاز.

وكان يقال: رسولُ الرجل مكان رَأْيه وكِتَابه مكان عَقله.

وقال جَعفر بن محمد عليه السلام: سُمِّي البليغ بليغاً لأنه يَبلغ حاجتَه بأَهْون سعيه.

وسُئل بعضُ الحكماء عن البلاغة فقال: مَن أخذ مَعاني كثيرة فأدَاها بألفاظ قليلة وأخذ معاني قليلة فولّد منها لفظاً كثيراً فهوِ بَليغ.

وقالوا: البلاغة ما كان من الكلام حَسناً عند استماعه مُوجزاً عند بَدِيهته.

وقيل: البلاغة: لَمْحة دالّة على ما في الضَّمير.

وقال بعضُهم: إذا كفاك الإيجاز فالإكثار عِيّ وإنما يَحْسن الإيجاز إذا كان هو البَيان: ولبعضهم: خَيْر الكلام قَليلُ على كَثير دَلِيلُ والعِيُّ مَعنى قَصِيرُ يَحويه لفظٌ طَويلُ وقال بعضُ الكتَّاب: البلاغةُ مَعْرفة الفَصْل من الوَصْل.

وأَحْسن الكلام القَصْد وإصابة المعنى.

قال الشاعر: وإذا نَطقتَ فلا تكَن أَشِراً وآقصِدْ فخيرُ الناس مَن قصَدَا وقال آخر: وما أحدٌ يكون له مَقالٌ فيَسْلَم من مَلام أو أثام وقال: الدَّهرُ ينقص تارةً ويَطولُ والمَرْءُ يَصْمت مَرَّةً ويَقُول والقولُ مختلف إذَا حصَّلته بَعْضٌ يرَدّ وبعضُه مَقبول إذا وَضَح الصواب فلا تَدَعْه فإنّك كلّمكا ذُقْت الصَّولبَا وجدتَ له على اللّهوات بَرْداً كبَرْد الماء حين صَفا وطابا وقال آخر: ليس شَأْنُ البليغ إرسالَه القو لَ بطُول الإسهاب والإكثار إنما شأنُهُ التَّلطُّف لِلْمَع - نىَ بحُسْنِ

الإيراد والإصدْارِ وجوه البلاغة البلاغة تكون على أَرْبعة أَوْجه: تكون باللّفظ والخطّ والإشارة والدِّلالة وكلٌّ منها له حظٌ من البلاغة والبَيَان ومَوْضع لا يجوز فيه غيرُه ومنه قولُهم: لكل مَقام مَقال ولكل كلام جَواب ورُبّ إشارة أبلغَ من لفظ.

فأمّا الخطّ والإشارة فمفْهومان عند الخاصة أو أكثر العامة.

وأمّا الدِّلالة: فكل شيء دلَّك على شيء فقد أخبرك به كما قال الحكيم: أشهد أنّ السمواتِ والأرضَ آيات دالاّت وشَواهد قائمات كلٌّ يُؤدّي عنك الحجَّة ويَشهد لك بالرُّبوبية.

وقال آخر: سَل الأرض " فقُل ": مَن شَقَّ أنهارَكِ وغَرَس أشجارَكِ وجَنَى ثمارك فإن لم تُجِبك إخباراً أجابتك اعتباراً.

لقد جِئْتُ أبغِي لِنَفْسي مُجيراً فَجِئْت الْجبَالَ وجِئْتُ البُحُورَا فقال ليَ البحرُ إذ جِئْتُه وكيف يُجير ضريرٌ ضَريرا وقال آخر: نَطقتْ عَيْنُه بما في الصَّمير وقال نُصَيب بن رَباح: فَعاجُوا فأَثْنَوْا بالذي أنت أهلُه ولو سَكتُوا أثنت عليك الحَقَائِبُ يُرِيد: لو سكتوا لأثنت عليك حقائبُ الإبل التي يَحْتقبها الرَّكب من هِباتك.

وهذا الثَّناء إنما هو بالدَّلالة لا باللفظ.

وقال حَبِيب.

الدار ناطَقةٌ وليست تَنْطقُ بدُثورها أنَّ الجديد سَيخْلُقُ وهذا في قديم الشعرِ وحَديثه وطارفِ الكلام وتَليده أكثر من أن يُحيط به وَصْف أو يأتي من ورائه نعْت.

وقال رجل للعتّابي: ما البلاغة قال: كل من بلّغك حاجته وأَفهمك معناه بلا إعادة ولا حُبْسة ولا استعانة فهو بَليغ.

قالوا: قد فَهمنا الإعادة والحُبسة فما معنى الاستعانة قال.

أن يقول عند مَقاطع كلامه: اْسمع منِّي وافهم عنِّي أو يمسح عُثْنونه أو يَفْتِل أصابعه أو يُكْثر التفاته من غير مُوجب أو يتساءل من غير سُعلة أو يَنبهر في كلامه.

وقال الشاعر: مَليْء ببُهر والتفاتٍ وسُعْلة ومَسْحِة عُثْنون وفَتْل الأصابع وهذَا كلّه من العيّ.

وقال أبْرويز لكاتبه: اعلم أنَّ دعائم المَقالات أربع إن التُمس لها خامسة لم تُوجد وإن نَقصت منها واحدة لم تتمّ وهي: سُؤالك الشيء وسُؤالك عن الشيء وأمْركِ بالشيء وإخبارك عن الشيء.

فإذا طلبت فأسجح وإذا سألتَ فأَوْضح وإِذا أمرت فأحكم وإِذا أَخبرت فحقِّق.

وأجمع الكَثِير مما تريد في القَليل مما تقول.

يريد الكلام الذي تَقِل حروفه وتَكثر معانيه.

وقال ربيعة الرِّأي: إني لأسمع الحديثَ عُطْلاً فأَشنِّفه وأُقرّطه فيَحْسُن وما زِدْت فيه شيئاً ولا غيرت له معنى.

وقالوا: خيرُ الكلام ما لم يحْتج بعدَه إلى كلام.

" وقال يحيى: الكلامُ ذُو فنون وخيره ما وفق له القائل وانتفع به السامع وللحسن بن جَعفر: وفي الصمْتِ سَترٌ للعَيِّ وإنما صَحِيفة لُبِّ المرء أن يتكلما وصف أعرابي بليغاً فقال: كأنّ الألْسن رِيضَتْ فما تَنْعَقِد إلا على وُده ولا تَنطق إلا ببَيانه.

وَصف أبو الوَحِيه بلاغةَ رجل فقال: كان واللّه يَشُول بلسانه شولان البَرُوق ويتخلّل به تخلّل الحيّة ".

وللعرب من مُوجز اللّفظ ولَطِيف المعنى فَصول عَجيبة وبدائع غريبة وسنأتي على صَدْر منها إن شاء الله تعالى.

فصول من البلاغة

قدم قُتيبة بن مُسلم خُراسانَ والياً عليها فقال: مَن كان في يده شيء من مال عبد الله بن خازم فَلْيَنْبِذْه وإن كان في فيه فَليَلْفِظه وإن كان في صَدْره فَلْيَنْفُثْه.

فَعَجب الناس من حُسن ما فصّل.

وقيل لأبي السَّمَّال الأسديّ أيامَ مُعاوية: كيف تركتَ الناس قال: تركتُهم بين مظلوم لا يَنْتَصف وظالم لا يَنتهي.

وقيل لشَبيب بن شَيْبة عند باب الرَّشيد: كيف رأيتَ الناس قال: رأيت الداخلَ راجياً والخارج راضياً.

وقال حسّان بن ثابت في عبد الله بن عبّاس: إذا قال لم يَتْرك مَقالا لقائلٍ بمُلْتَقطات لا يَرَى بينها فَصْلا كَفي وَشَفي ما في النُّفوس ولم يَدَعْ لذي إرْبة في القَوْل جِدّاً ولا هَزْلا ولَقي الحُسين بن عليّ رضوان الله عليهما الفرزدقَ في مَسيره إلى العراق فسأله عن الناس فقال: القُلوب معك والسُّيوف عليك والنَّصر في السماء.

وقيل لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: كم بين المَشرق والمَغرب فقال: مَسيرة يوم للشمس قيل له: فكم بين السماء والأرض قال: مَسيرة ساعة لدَعْوة مُستجابة.

وقيل لأعْرابي: كم بين مَوْضع كذا وموضع كذا قال: بَياضُ يوم وسَواد ليلة.

وشكا قوم إلى المَسيح عليه السلام ذنوبهم فقال: اتركوها تُغفَر لكم.

وقال عليٌّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه: قِيمة كلِّ إنسان ما يحسن.

وقيل لخالد بن يَزيد بن مُعاوية: ما أقربُ شيء قال: الأجل قيل له: فما أبعدُ شيء قال: الأمل قيل له: فما أوْحش شيء قال: الميّت قيل له: فما آنس شيء قال: الصاحب المُواتي.

مَرّ عمرو بن عُبيد بسارق يُقْطع فقال: سارق السَّريرة يَقطع سارق العلانية.

وقيل للخليل بن أحمد: مالك تَرْوي الشِّعر ولا تَقُوله قال: لأني كالمِسَنّ أَشْحذ ولا أَقْطع.

وقيل لعَقِيل بن عَلَّفةَ: ما لَك لا تَّطيل الهجاء قال: يَكْفيك من القِلادة ما أَحاط بالعُنق.

ومَرِّ خالد بن صَفْوان برجل صَلَبه الخَلِيفة فقال: أَنْبتته الطاعة وحَصَدته المَعْصية.

ومرَّ أَعرابيّ برجل صَلبه السلطان فقال: مَن طَلّق الدنيا فالآخرة صاحبتُه ومن فارق الحق ومن النطق بالدِّلالة ما حدّث به العبَّاس بن الفرج الرِّياشي قال: نزل النعمان بن المنذر ومعه عديّ بن زيد العِبَاديّ في ظل شَجرة مُورقة ليلهوَ النعمان هناك فقال له عَدِيّ: أبيتَ اللعنَ أتدري ما تقول هذه الشجرة قال: ما تقول قال تقول: رب شَرْبٍ قد أناخُوا حولَنا يَمْزُجون الخمرَ بالماء الزُّلالْ ثم أضحَوْا عَصَف الدهرُ بهم وكَذاك الدهرُ حال بعد حال فتَنغّص على النعمان ما هو فيه.

" وقال ابن الأعرابي: قلت للفضل: ما الإيجاز عندك قال: حذف الفضول وتقريب البعيد ".

وقال رجلٌ لخالد بن صَفْوان: إنك لتَكْثر قال: أكثر لضَرْبين أحدهما فيما لا تُغني فيه القِلْة والآخر لتمرين اللّسان فإنَّ حَبْسه يُورِث العُقلة.

وكان خالدُ بن صَفْوان يقول: لا تكونُ بليغاً حتى تُكلِّم أمَتك السَّوداء في اللّيلة الظَّلماء في الحاجة المُهِمَة بما تَتكلَّم به في نادي قَومك.

وإنما اللّسان عُضو إذا مَرّنته مَرَن وإذا تَركته لَكِنَ كاليد تُخَشِّنها بِالمُمَارسة والبَدنِ الذي تُقوِّيه برَفّع الحجر وما أشبهه والرِّجْل إذا عُوِّدت المشي مشت.

وكان نوفلُ بن مُساحق إذا دخل على امرأته صَمت فإذا خرج عنها تكلّم فقالت له: إذا كنتَ وذكر شَبِيبُ بن شيبة خالدَ بن صَفْوان فقال: ليس له صَدِيق في السِّر ولا عدوٌّ في العَلانية.

وهذا كلام لا يَعرف قَدْره إلا أهلُ صناعته.

" وَوَصف رجلٌ آخرَ فقال: أتَيناه فأخرج لسانَه كأنّه مِخْراق لاعب.

ودَخل مَعن بن زائدة على المَنْصُور يُقارب خَطْوه فقال المنصور: لقد كَبرتْ سنّك قال: في طاعتك قال: وإنك لَجلْد قال: على أعدائك قال: أرى فيك بقية قال: هي لك.

وكان عبد الله بن عبَّاس بليغاً فقال فيه مُعاوية: إذا قال لم يَتْرك مقالاً ولم يَقِفْ لعِيّ ولم يَثْنِ اللسانَ على هُجْر يُصَرِّفُ بالقول اللسانَ إذا انتحَى ويَنظُر في أعْطافه نَظَر الصَّقر وتكلّم صَعْصَعَةُ بن صُوحان عند مُعاوية فَعَرِق فقال له مُعاوية: بَهرك القولُ قال: الجياد نَضَّاحة بالعَرَق.

وكتب ابن سَيَابة إلى عمرو بن بانة: إنَّ الدهر قد كَلَحَ فَجَرح وطَمحَ فجَمح وأفسد ما صَلَح فإن لم تُعِنْ عليه فَضَح.

ومَدح رجل من طَيئ كلامَ رجل فقال: هذا الكلامُ يُكْتَفي بأُولاه ويُشْتَفي بأُخْراه.

ووَصف أعرابيّ رجلاً فقال: إنَّ رِفْدَك لَنجيح وإن خيرك لصَرِيح وإن مَنْعك لمُرِيح.

ودخل إياسُ بنُ معاويةَ الشامَ وهو غلام فقدِّم خصماً له إلى قاضٍ لعبد الملك " وكان خَصْمه شيخاً كبيراً ".

فقال له القاضي: أتقدِّم شيخاً كبيراً فقَال له إياس: الحقُّ أكبرُ منه قال له: اسكت قال.

فمن يَنْطق بحُجَّتي قال: ما أظنّك تقُول حقّاً حتى تقُوم قال: أشهد أن لا إله إلا اللّه.

فقام القاضي فدخل على عبد الملك فأَخبره بالخبر فقال: اقض حاجتَه الساعة وأَخْرجه من الشام لا يُفْسِد عليّ الناسَ.

ومن الأسْجاع قولُ ابن القِرِّيّة وقد دُعي لكلام فاحتبَسٍ القولُ عليه فقال: قد طال السَّمر وسَقَط القَمر واشتَدّ المَطر فما أنتظر.

فأجابه فتى من عبد القيس: قد طال الأَرَق وسقَط الشَفق فَلْينطق من نَطَق.

قال أحمد بنُ يوسف الكاتب: دخلتُ على المأمون وبيده كتابٌ لعمرو بن مَسْعدة وهو يُصَعِّد في ذُراه ويقوم مَرَّة ويَقْعد أخرى ففعل ذلك مراراً ثم التفت إليَّ فقال: أَحْسَبك مُفكِّراً فيما رأيتَ قلتُ: نعم وَقَى الله عزّ وجلّ أميرَ المؤمنين المَكاره فقال: ليس بَمكْروه ولكن قرأتُ كلاما نَظِير خَبرٍ خَبّرني به الرشيدُ سمعتُه يقول: إنَّ البَلاغة لتَقاربٌ من المَعنى البَعيد وتَباعدٌ من حَشْو الكلام ودَلالة بالقَلِيل على الكثير.

فلم أتوَهّمِ أنّ هذا الكلامَ يَسْتَتِبّ على هذه الصِّفة حتى قرأتُ هذا الكتابَ فكان استعطافاً على الجُنْد وهو: كتابي إلى أمير المؤمنين أَيَّدَه اللّه ومَن قِبَلي من أجناده وقُوّاده في الطاعة والانقياد على أفضل ما تكون عليه طاعةُ جُنْد تأخّرت أرزاقُهم واختّلت أحوالُهم.

فأَمر بإعطائهم ثمانيةَ أشهر.

ووَقع جَعْفر البرمكيّ إلى كُتّابه: إن ٱستطعتُم أن تكون كُتُبكم تَوْقيعات فافعلوا.

وأمرهِ هارون الرشيد أن يَعْزل أخاه الفضلَ عن الخاتَم ويأخذَه إليه عَزْلاً لَطيفاً.

فكتب إليه: قد رَأَى أميرُ المؤمنين أن يَنْقُل خاتَم خِلافته من يمينك إلى شِمالك فكَتب إليه الفضلُ: ما انتقلتْ عني نِعمة صارت إليك ولا خَصَّتك دوني.

ووَقع جعفرٌ في رُقْعة رجل تنَصل إليه من ذَنب: تقدمت لك طاعة وظَهرت منك نَصيحة كانت بينهما نَبْوة ولن تَغْلِب سيَئة حسَنَتين.

قال الفضْل بن يحيى لأبيه: ما لنا نُسْدِي إلى الناس المَعروف فلا نرى من السُّرور في وُجوههم عند انصرافهم بِبِرنا ما نراه في وُجوههم عند ٱنصرافِهم بِبِرَ غيرنا فقال له يَحيى: إن آمال الناس فينا أطولُ منها في غيرنا وإنما يُسَر الإنسانُ بما بَلَغه أملَه.

قيل ليحيى: ما الكرمُ قال: مَلِك في زِيّ مِسكين قيل: فما الفَرْعنة قال: مِسكين في بَطْش عِفريت قيل: فما الجودُ قال: عَفْو بعد قُدرة.

أُتي المأمونُ برجل قد وَجَب عليه الحدُّ فقال وهو يُضرب: قَتَلتني يا أميرَ المؤمنين قال: الحقَّ قَتَلك قال: ارحَمني قال: لستُ أَرْحمَ بك ممن أوجبَ عليك الحدَ.

وسأل المأمون عبد الله بن طاهر في شيء فأسرع يفي ذلك فقال له المأمون: فإنّ الله عزّ وجلّ قد قَطع عُذْر العَجول بما مكّنه من التثبُّت وأَوْجب الْحُجَّة على القَلِق بما بَصَّره من فضْل الأناة.

قال: أتأذن لي يا أميرَ المؤمنين أن أكتُبه قال: نعم فكَتبه.

قال إبراهيمُ بن المهديّ قال لي المأمونُ: أنت الخليفة الأسْود قلت: يا أميرَ المؤمنين أنت مَنَنت عليّ بالعَفو وقد قال عبدُ بني الْحَسْحاس: أشعارُ عَبْد بني الْحَسْحاس قُمْنَ له عند الفَخار مَقامَ الأصل والوَرق إن كنتُ عبداً فنَفْسي حُرِّة كَرَماً أو أَسْودَ الْجلْد إني أَبْيضُ الخُلُقِ فقال المأمون: يا عمُّ خرّجك الهَزْل إلى الجد ثم أنشأ يقول: ليس يُزْرِي السواد بالرَّجلِ الشَّهم ولا بَالفتى الأديب الأريبِ إن يكُن للسّواد مِنك نصِيبٌ فبَيَاض الأخلاق منك نَصيبي

قال المأمون: أسْتحسن من قول الحُكماء: الجودُ بَذْل المَوْجود والبُخل بَطَر بالمَعْبود عزّ وجلّ.

قالت أُمُّ جعفر زُبيدة بنت جعفر للمأمون حين دَخلت عليه بعد قتْل ابنها: الحمد لله الذي ادّخرك لي لمَّا أثكَلني وَلَدي ما ثكِلت ولداً كنتَ لي عوضاً منه.

فلما خرجَت قال المأمون لأحمد بن أبي خالد: ما ظننتُ أن نِساءَ جُبلن على مِثل هذا الصَّبر".

وقال أبو جَعفر لعمرو بن عُبيد: أعنّي بأصحابك يا أبا عُثمان قال: ارفع عَلَم الحقّ يَتْبعك أهلُه.

آفات البلاغة

قال محمد بن منصور كاتبُ إبراهيم وكان شاعراً راوياً وطالباً للنحو عَلامة قال سمعتُ أبا دُواد " بن جرير الإيادي " وجَرى شيء من ذِكْر الخُطَب وتَمْييز الكلام فقال: تَلْخيصُ المَعاني رِفق والاستعانة بالغَريب عَجْز والتَّشادُق في غير أهل البادية نَقْص والنَّظر في عُيون الناس عِيّ ومَسُ اللِّحية هَلَع والخُروج عما بُني عليه الكلام إسْهاب.

قال: وسمعتهُ يقول: رَأْسُ الخَطابة الطبْع وعَمُودها الدربة " وجناحاها رواية الكلام " وحَلْيُها الإعراب وبَهاؤها تخيّر اللَفظ والمَحبَّة مَقرونة بقلّة الاستكراه.

وأنشدني بيتاً في خُطباء إياد: يَرْمُون بالخُطب الطِّوال وتارةً وَحْي المَلاَحظ خِيفَةَ الرُّقباءِ وقال ابن الأعرابيّ: قلتُ للفَضْل: ما الايجاز عندك قال: حَذْف الفُضول وتَقْريب البَعيد.

وتكلم ابن السمَّاك يوماً وجارية له تَسمع " كلامه " فلما دخل " إليها " قال لها: كيف سمعتِ كلامي " قالت: ما أحسنه! لولا أنك تُكْثِر ترْدادَه! قال: أردده حتى يَفهمه مَن لم يفهمه " قالت: إلى أن تَفَهِّمه من لم يَفْهمه يكون " قد " مَلَّه من فَهمِه.

باب الحلم ودفع السيئة بالحسنة

قال الله تبارك وتعالى: " وَلاَ تَسْتَوِي الحسنةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتي هِيَ أَحْسَن فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَة كَأَنَّهُ وَليٌّ حَمِيم.

وَمَا يُلَقَاهَا إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا ذو حظٍّ عَظِيم ".

وقال رجل لعمرو بن العاص: والله لأتفرَّغنَّ لك قال: هنالك وقعت في الشغل قال: كأنك تهددني والله لئن قلت لي كلمة لأقولنّ لك عشراً قال: وانت والله لئن قلت لي عشراً لم اقل لك واحدة وقال رجل لأبي بكر رضي الله عنه: واللهّ لأسُبَّنك سبًّا يَدْخل القبرَ معك قال: معك يَدْخل لا مَعي.

وقيل لعمرو بن عُبيد: لقد وَقع فيك اليومَ أيّوب السِّخْتِياني حتى رَحِمناك قال: إياه فارحموا.

وشَتم رجلٌ الشَعبَيّ فقال له: إن كنتَ صادقاً فغَفر اللهّ لي وإن كنتَ كاذباً فغفر الله لك.

وشَتم رجلٌ أبا ذَرَّ فقال: يا هذا لا تُغْرق في شَتْمنا ودَعْ للصُّلح مَوْضعاً فإنا لا نُكافيء مَن عمى الله فينا بأكثر من أن نُطيع الله فيه.

ومَرَّ المَسيح بن مَرْيم عليه الصلاةُ والسلام بقوم من اليهود فقالوا له شرًّا فقال خيراً فقيل له: وقال الشاعر: ثَالَبني عَمْرٌو وثَالبته فأثْم المَثْلوب والثَّالبُ قلتُ له خيراً وقال الخنى كل على صاحبِه كاذِب وقال آخر.

وذي رَحِمٍ قَلّمْت أَظفار ضغنه بِحِلْميَ عنه حين ليس له حِلْمُ إذا سُمْتهُ وَصْلَ القَرابة سَامَني قطيعَتها تلك السّفاهة والإِثم فداويتُه بالحِلْم والمَرْءُ قادرٌ على سَهْمه ما كان في كَفِّه السَّهم " وعن النبي صلى الله عليه وسلم: ما تجرّع عَبد في الدنيا جرْعةً أحب إلى اللهّ من جَرْعة غيظ رَدّها بحِلْم أو جَرْعة مُصيبة ردها بصَبْر " وكتب رجل إلى صديق له وبلَغه أنه وَقع فيه: لئن ساءَني أن نِلْتِني بمَساءةٍ لقد سَرَّني أَنِّي خَطّرْتُ ببالك وأنشد طاهرُ بن عبد العزيز: إذا ما خَليلي أساءَ مَرَّةً وقد كان فيما مضى مُجْمِلاً ذكرتُ المقدم من فِعْلهِ فلم يفسد الآخرُ الأوّلا قيل للأحنف بن قيس: ممن تعلَّمت الحِلْم قال: من قيس بن عاصم المِنْقريّ رأيتهُ قاعداً بفِناء داره مُحْتبياً بحمائل سَيْفه يُحَدِّث قَومه حتى أُتي برجُل مكتوف ورجُل مقتول فقيل له: هذا ابن أخيك قَتل ابنك فواللّهِ ما حَل حَبْوته ولا قطَع كلامه ثم التفت إلى ابن أخيه فقال له: يا بن أخي أَثِمت برّبك ورَمَيت نفسَك بسَهْمك وقتلتَ ابن عمك.

ثم قال لابن له آخر: قم يا بني فوارِ أخاك وحُلّ كِتاف ابن عمك وسُق إلى أُمِّه مائة ناقة ديةَ ابنها فإنها غَريبة ثم أنشأ يقول: إنِّي امرؤ لا شائنٌ حَسَبي دَنَس يهجنه ولا أفْنُ من مِنْقرٍ في بيت مكْرُمة والغُصن يَنْبُت حولَه الغُصْن خطباء حي يقول قائلُهم بيضُ الوُجوه أعفّه لُسْن لا يفطنون لعَيْب جارهمُ وهمُ لحفْظ جِواره فُطُنُ وقال رجل للأحنف بن قَيْس: علِّمني الحِلم يا أبا بَحْر قال: هو الذُّل يا بن أخي أفتصبر عليه وقال الأحنف: لستُ حليماً ولكنّي أتحالم.

وقيل " له ": مَن أَحلمُ: أنت أم معاوية قال: تا للّه ما رأيتُ أجهلَ منكم إنّ معاويةَ يَقْدِر فيَحْلُم وأنا أَحلُم ولا أقدِر فكيف أُقاس عليه أو أُدانيه! قال: إن شئتَ أخبرتُك بخَلّة وإن شئت بخَلّتين وإن شئت بثلاث قال: فما الخَلّة قال: كان أقوى الناس على نفسه قال: فما الخلتان قال: كان مُوَقّي الشر مُلَقّي الخَيْر قال: فما الثلاث قال: كان لا يجهل ولا يبْغي ولا يَبْخل.

وقيل لقَيْس بن عاصم: ما الْحِلم قال: أن تَصِل مَن قطَعك وتُعْطي مَن حرَمَك وتعفو عَمَّن ظلَمك.

وقالوا: ما قرن شيء إلى شيء أَزينُ من حِلْم إلى عِلْم ومن عَفْو إلى قُدْرة.

وقال لُقمانُ الحكيم: ثلاثة لا تَعْرفهم إلا في ثلاثة: لا تعرف الحليم إلا عند الغضب ولا الشجاع إلا عند الحَرْب ولا تَعْرف أخاك إلا إذا احتجت إليه.

وقال الشاعر: ليْست الأحلامُ في حي الرِّضا إنما الأحلامُ في حين الغَضَبْ وفي الحديث.

أقرب ما يكون المَرْء من غَضَب الله إذا غَضِب.

وقال الحسن: المؤْمن حَليم لا يَجهل وإن جُهل عليه وتلا قولَ الله عز وجلَّ: " وَإِذَا خاطَبَهُمْ الجاهلونَ قَالُوا سَلاماً ".

وقال معاوية: إني لأستحي من ربيِّ أن يكون ذَنْبٌ أعظمَ من عفوي أو جَهْل أكبرَ من حِلْمي وقال مُؤَرِّق العِجْليّ: ما تكلّمت في الغَضب بكلمة ندمتُ عليها في الرِّضا.

وقال يزيدُ بن أبي حَبيب: إنما غَضَبي في نَعْليّ فإذا سمعت ما أكره أخذتُهما ومَضيت.

وقالوا: إذا غَضِب الرجلُ فَلْيَسْتَلق على قفاه وإذا عَيِيَ فَليرَاوح بين رِجْلَيْهِ.

وقيل للأحنف: ما الحِلْم فقال: قوْل إن لم يكنِ فعل وصَمْت إن ضَرَّ قوْل.

وقال " أمير المؤمنين " عليٌ بن أبي طالب رضي الله عنه: مَن لانَتْ كلمته وجبت مَحبَّتهُ.

وقال: حِلْمك على السَّفيه يكثر أنصارك عليه.

وقال الأحنف: مَن لم يصبر على كلمة سَمِع كلمات.

وقال: رب غَيْظ تجرعته مخافةَ ما هو أشدُّ منه وأنشد: رَضيتُ بِبَعْض الذُّلِّ خوفَ جميعه كذلك بعضُ الشر أهونُ من بَعْض وأسمع رجلٌ عمر بن عبد العَزيز بعضَ ما يَكْره فقال لا عليك إنّما أردتَ أن يَسْتِفزَّني الشيطانُ بعزة السلطان فأنال منك اليوم ما تنالُه مني غداً انصرفْ إذا شئت.

وقال الشاعرُ في هذا المعنى: لَنْ يَّدْرِك المجدَ أقوامٌ وإن كَرُموا حتى يَذِلُوا وإن عَزُوا لأقوام ويُشْتَموا فترَى الألوانَ كَاسفةَ لا ذلَ عَجْزٍ ولكنْ ذُلِّ أحْلام إذا قِيلت العوراءُ أغضى كأنّه ذَلِيل بلا ذُلٍّ ولو شاء لانتصرْ وأحسن بيْت في الحِلْم قولُ كَعْب بنِ زُهير: إذا أنت لم تُعْرِض عن الجهل والخَنَى أصبتَ حَليماً أو أصابك جاهلُ وقال الأحنفُ آفةُ الحِلْم الذّلّ.

وقال لا حِلْم لمَن لا سَفِيه له.

وقال: ما قلَّ سُفهاء قَوْم إلا ذَلّوا.

وأنشد: لابدَّ للسَّودد من رِماح ومِن رِجالٍ مُصَّلَتي السِّلاح يُدَافعون دونه بالرَّاح ومِنْ سَفيهٍ دائم النباح وقال النَابغة الجعديّ: ولا خير في حِلْمٍ إذا لم

تَكُنْ له بَوادرُ تَحُمِي صَفْوَه أن يُكَدَرَا " ولا خَير في جَهْل إذا لم يَكُن له حَلِيم إذا ما أَوْرد الأمر أَصْدرا " ولمّا أنشدَ هذين البيتن للنبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يَفْضُض اللهّ فاك " قال ": فعاش مائة وثلاثين سنةً لم تَنْغَضْ له ثَنيَّة.

وقالوا: لا يَظهر الحِلْم إلاّ مع الانتصار كما لا يَظهر العَفو إلاّ مع الاقْتدار.

وقال الأصمعيّ: سمعتُ أعرابيَّاً يقول: كَان سِنانُ بن أبي حارثة أحلمَ من فَرْخ الطائر قلت: وما حِلْم فرخ الطائر قال: إنّه يخرج من بَيْضة في رأس نِيق ولا يتحوَل حتى يتوفَّر ريشه ويَقْوى على الطيران.

" وللأشْنَنْدانيّ: وفي اللّين ضَعْفٌ والشَّراسة هَيْبَةٌ ومَن لا يُهَب يُحْمَل على مَرْكب وَعْرِ وللفقر خيرٌ من غِنى في دَنَاءَةً وَلْلمَوتُ خيرٌ من حياة على صُغر وما كُلَّ حين يَنْفع الْحِلْمُ أَهْلَه ولا كُلَّ حالٍ يَقْبُح الْجَهلُ بالصَّبر وما بي عَلى مَن لان لي مِنْ فَظَاظَةٍ ولكنّني فَظٌّ أَبيٌّ على القَسرْ وقَال آخر في مَدح الحِلْم: إني أرى الحِلْم مَحْمُوداً عواقبُه والجَهْلُ أفنَى من الأقوام أقوامَا ولسَابق: ألمِ تَرَ أنّ الحِلْم زَيْنٌ مُسَوِّدٌ لصاحبه والجَهْلَ لِلْمرء شائِنُ فكن دافناً للجهل بالحِلْم تَسْتَرح من الجهل إنّ الحِلم للجَهْل دافِنُ ولغيره: فيا ربِّ هَبْ لي منك حَلماً فإنني أرى الحِلْم لم يندم عليه حليم وقال بعضً الحُكماء: ما حَلا عِنْدي أفضل من غَيْظ أتجرّعه.

وقال بعضهم: وفي الحِلم رَدْعٌ للسَّفِيه عن الأذى وفي الخُرْق إغراءٌ فَلا تَكُ أَخْرَقَا فَتَنْدَمَ إذ لا تَنْفَعَنْك ندامةٌ كما ندِم المَغْبُونُ لَمَا تَفَرَّقا وقال علي عليه السلام: أوّل عِوَض الحَليم عن حِلْمه أن الناسَ أنصارُه على الجاهل.

سُئل كِسْرى أنو شرِوان: ما قَدْر الحِلْم فقال: وكيف تَعْرِفُ قَدْر ما لم يَرَ كَمَالَه أحد.

وقال مُعاوية لخالد بن المُعَمَّر: كيف حُبُّك لعليّ بن أبي طالب عليه السلامُ قال: أُحِبّه لثلاثِ خِصال: على حِلمه إذا غَضِب وعلى صِدقة إذا قال وعلى وَفائه إذا وَعد.

وكان يُقال: ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه استَكْمل الإيمان: من إذا غَضِب لم يُخْرِجْه غَضَبُه عن الحقّ ومَن إذا رَضيَ لَم يُخرِجه رِضاهُ إلى الظلم والباطل ومن إذا قَدَر لم يَتَناول ما ليس له.

وقال عمرُ بن الخطّاب رضي الله عنه: إذا سَمعت الكلمةَ تُؤْذِيك فطَأْطِىء لها حتى تَتخطاك.

وقال الحسنُ: إنما يُعْرف الحِلم عند الغَضَب.

فإذا لم تَغْضب لم تَكن حَلِيماً وقال الشاعر: وليس يَتِمَّ الحِلْم لِلمَرْء راضِياً إذا هو عند السُّخط لم يَتَحِلَّم وقال بعضُ الحكماء: إنّ أفضلَ وادٍ تُرى به الحِلْمُ فإذا لم تكن حَلِيماً فتحلّم فإذا لم تكن عَلِيماً فتعلّم فقلّما تشبَّه رجلٌ بقَوْم إلا كان منهم.

وقال بعضُهم: الحِلم عُدَّة على السّفيه لأنك لا تُقابل سفيهاً بالإعراض عنه والاستخفاف بفِعْله إلا أَذْللتَه.

ويقال: ليس الحَلِيم مَن ظُلِم فَحَلُم حتى إذا قَدَر انْتَقم ولكنَّ الحَلِيم من ظُلِم فَحَلُم ثمّ قَدَر فَعَفا.

وللأحنف أو غيره: ولربما ضحِك الحَليمُ من الأذىَ وفؤادهُ من حَرِّه يَتأَوَّهُ ولرُبَّما شَكَلَ الحليمُ لسانَهَ حَذَرَ الجواب وَإنّه لمُفَوَّه وقيل: ما استَبَ اثنان إلا غَلب ألأمُهما.

وقال الأحنف: وجدتُ الحلم أنصرَ لي من اِلرِّجال.

وقال بعضهم: إيّاك وعِزَّةَ الغَضب فإنها تصَيرك إلى ذلّ الاعتذار.

وقيل: مَن حَلُم ساد ومَن تَفهَّم ازداد.

وقال الأحنف: ما نازعني أحد قط إلا أخذتُ أمري بإحدى ثلاث: إن كان فوقي عرفتُ قدرَه وإن كان دُوني أكرمتُ نفسي عنه وإن كانَ مثلي تفَضَّلت عليه.

ولقد أَحْسن الذي أخذ هذا المعنى فَنَظَمه فقال: إذا كان دُوني مَنْ بُليت بجَهْله أَبَيْتُ لِنَفْسي أن تُقَارع بالجَهْل وإن كان مثلي ثم جاء بِزَلَّة هَوِيتُ لصَفْحي أن يُضاف إلى العَدْل وان كنت أدنى منه قدراً ومَنْصِباً عَرفت له حَقَّ التقدم والفضل وفي مِثْله قال بعضُ الشعراء: سأُلزِم نَفسي الصَفحَ عن كل مُذْنبٍ وإن كَثُرت منه إليَّ الجرائمُ ولا الناسُ إلا واحدٌ من ثلاثةٍ شريفٌ ومشروفٌ ومثلٌ مُقاوم فأمَّا الذي فَوقي فأَعْرِف فضلَه وأتبع فيه الحقَّ والحقُّ قائم وأمّا الذي دوني فإن قال صُنت عن إجابته نَفْسي وإن لامَ لائِم وأمّا الذين مِثْلي فإنْ زلَّ أو هَفَا تفضلت إنّ الفَضل للحُرّ لازم ولأَصْرِم بن قَيْس ويُقال إنها لعليّ عليه السلامُ: أَصَمُّ عن الكَلِم المُحْفِظاتِ وأَحْلَمُ والحِلْمُ بي أَشْبَهُ فلا تَغْتِرر بِرُواء الرِّجال وما زَخْرَفوا لك أو مَوَّهوا فكم من فَتَى يُعْجِب الناظرين له أَلْسُنٌ وله أَوْجُه ينام إذا حَضَر المَكْرُمَاتِ وعند الدَّناءة يستنبه وللحَسن بن رجاء: أُحِبُّ مكارِم الأخلاق جَهْدِي وأَكْره أن أَعيب وأن أُعابَا وأَصْفَح عن سِباب النَّاس حِلْماً وشرُّ الناس مَن يَهْوَى السِّبابا ومَن هَاب الرِّجالَ تَهَيَّبُوه ومَن حَقَر الرِّجالَ فلن يُهَابا ومَن قَضَت الرجالُ له حُقوقاً ولم يَقْض الحُقوق فما أصابَا وقال محمد بن عليّ رضوان الله عنهما: مَن حَلُمَ وَقَى عِرْضه ومَن جادت كفُّه حَسُن ثناؤه ومَن أَصْلح مالَه استَغْنى ومَن احتمل المَكْروه كثرت مَحاسنه ومَن صَبر حُمِد أمرُه ومَن كظَم غيظَه فشا إحسانُه ومَن عَفا عن الذُّنوب كثُرت أياديه ومَن اتَّقى الله كفاه ما أهمَّه.

وسأل أميرُ المؤمنين عليٌّ عليه السلامُ كبيراً من كُبراء الفُرْس: أيُّ شيء لمُلوككم كان أحمدَ عندكم قال: كان لأرْدَشير فضل السَّبْق في المملكة غير أنّ أحمدَهم سيرة أنو شروان.

قال: فأيّ أخلاقِه كان أغلبَ عليه قال: الحلم والأناة.

قال: هما توأمان يُنتجهما عُلوّ الهمَّة.

إنّي وَهَبْت لظالِمي ظُلْمِي وغفَرْتُ ذاك له على عِلم ورأيتُه أسدَى إليَّ يداً لما أبان بجَهْله حِلْمي رَجَعَتْ إساءتُه عليه وإح ساني إليَّ مُضاعَف الغُنْم وغَدْوتُ ذا أَجْرٍ ومَحْمدةٍ وغداً بكَسْب الظلم والإثمْ وكأنما الإحسانُ كان له وأنا المُسيء إليه في الحُكْم ما زال يَظْلِمني وأَرْحَمه حتى رَثيتُ له من الظُّلم ولمحمد بن زياد يَصِف حُلماء: نَخالُهمُ في الناس صُمَّاً عن الْخَنَى وخُرْساً عن الفَحْشاء عند التَهاجُرِ ومَرضىَ إذا لُوقُوا حياءً وعِفّةَ وعند الحِفَاظ كاللُّيوث الخَوادِر كأن لهم وَصْماً يخافون عارَه وما ذاك إلاّ لاتّقاء المَعاير وله أيضاً: وأَرْفع نفسي عِنِ نَفوس وربما تَذلّلتُ في إكرامها لنُفوس وإنْ رامني يوماً خَسيسٌ بجَهْله أبى اللهُ أنْ أَرْضى بعِرْضٍ خَسيسٍ ولبعضهم: وإذا استشارك مَنْ تَوَدّ فُقل له أَطِع الحَلِيم إذا الحَلِيمُ نَهَاكَا واعلم بأنَك لن تَسُود ولن ترَى سُبل الرَّشادِ إذا أَطعتَ هَواكا وقال آخر: وكن مَعْدِناً للحِلم واصفَح عن الأذى فإنك راءٍ ما عملتَ وسامِعُ وأَحْبِب إذا أحببتَ حُثا مُقارِباً فإنك لا تَدْري متى أنْتَ نازع وأَبْغِض إذا أبغضتَ غيرَ مُباين فإنَك لا تَدْري متى أنت راجِع "

باب السودد

قيل لعَدِي بن حاتم: ما السودد قال: السيد الأحمق في مالِه الذَليل في عِرْضه المُطَّرِح لحِقده.

وقيل لقَيْس بن عاصم: بمَ سَوَدك قومُك قال: بكَفِّ الأذى وبَذْل النَّدى ونَصْر المَوْلى.

وقال رجلٌ للأحنف بم سوَدك قومُك وما أنت بأشرفهم بَيتاً ولا أُصْبحهم وَجهاً ولا أحسنهم خُلُقاً قال: بخِلاف ما فيكِ يا بنَ أخي قال: وما ذاك قال: بتركي من أَمْرك ما لا يَعْنِيني كما عناك من أَمْري ما لا يَعْنِيك.

وقال عمرُ بن الخطَاب رضي الله عنه لرجل: مَن سيِّد قَوْمك قال: أنا قال كذبت لو كنتَ كذلك لم تَقُلْه.

وقال ابن الكَلْبي: قَدِم أوسُ بنُ حارثة بن لأم الطائي وحاتم بنُ عبد الله الطّائي على النُّعمان بن المُنذر فقال لإياس بن قَبِيصة الطائيّ: أيهما أفْضل قال: أبيتَ اللعنَ أيها الملك.

إنّي من أحدهما ولكنْ سَلهما عن أَنْفسهما فإنهما يُخبرانك.

فدخل عليه أوسٌ فقال أنت أفضلُ أم حاتم فقال: أبيتَ اللعن إنّ أدنى ولد حاتم أفضلُ مني ولو كنتُ أنا وولدي ومالي لحاتم لأنْهبَنَا في غَداة واحدة.

ثم دخل عليه حاتم فقال له: أنت أفضلُ أم أَوس فقال: أبيت اللعن إنّ أدنى وسأل عبدُ الملك بن مَروانَ روح بن زِنْباع عن مالك بن مِسْمع فقال: لو غَضِب مالكٌ لغَضِب معه مائةُ ألف سيف لا يسأله واحدٌ منهم: لم غضبتَ فقال عبدُ الملك: هذا واللّه السودد.

أبو حاتم عن العُتبي قال: أهدى ملكُ اليمن سبعَ جزائر إلى مكة وأوصى أن يَنحرها أعزُ قرشيّ بها فأتت وأبو سفيان عَروس بهند فقالت له هِنْد: يا هذا لا تَشغلك النّساء عن هذه الأكرومة التي لعلّك أن تُسْبق إليها فقال لها: يا هذه ذرِي زَوْجك وما اختار لنفسه فواللّه لا نحرها أحدٌ إلا نحرتُه.

فكانت في عُقُلها حتى خرَج إليها بعد السابع فنَحرها.

ونظر رجلٌ إلى معاوية وهو غلام صغير فقال: إني أظنّ أنّ هذا الغلام سيسود قومَه فسمعته أمه هِنْد فقالت: ثكِلتُه إذاً إن لم يَسُد غيرَ قومه.

وقال الهيثم بن عَدِيّ: كانوا يقولون: إذا كان الصبيّ سابل الغُرّة طويل الغُرْلة مُلتاث الإزْرَة فذاك الذي لا يُشكّ في سُودده.

ودخل ضَمْرة بن ضمْرة على النعمان بن المُنْذر وكانت به دَمامة شديدة فالتفت النعمانُ إلى أصحابه وقال: تَسمع بالمُعيديّ خير من أن تراه.

فقال: أيها الملك إنما المرء بأصغريه قلبِه ولسانه فإن قال قال ببَيان وإن قاتل قاتل بجَنَان قَال: صدقت وبحَقّ سوّدك قومُك.

وقيل لعَرابة الأوسيّ: بم سوَّدكَ قومُك قال: بأربع خلال: أَنْخَدع لهم في مالي وأذِلّ لهم في عِرْضي ولا أحْقِر صغيرَهم ولا أحسُد كبيرَهم.

وفي عَرابة الأوْسيّ يقول الشَّمَّاخ وهو " ابن " ضرِار: رأيتُ عَرابة الأوْسي يَسمو إلى الخيْرَاتِ مُنقطع القَرينِ إذا ما رايةٌ رُفعت لمجْدٍ تلقاها عرَابة باليمين وقالوا: يَسود الرجل بأربعة أشياء: بالعَقل والأدب والعِلم والمال.

وكان سلم بنُ نوفل سيِّدَ بني كِنانة فوَثب رجلٌ على ابنه وابن أخيه فجَرَحهما فأُتي به فقال " له ": ما أمَنك من انتقامي قال: فلِم سَوَّدْناك إذاً إلا أن تكْظم الغَيظ وتَحْلُم عن الجاهل وتحتمل المكروه فخلّى سبيلَه فقال فيه الشاعر: يُسوَّد أقوام وليسوا بسادةٍ بل السيّد الصِّنديد سَلم بنُ نوفل وقال ابن الكلْبي: قال لي خالدٌ العَنْبري: ما تعُدُّون السُّودد قلت: أمّا في الجاهليَّة فالرِّياسة وأما في الإسلام فالوِلاية وخَيْر من ذا وذاك التقوَى قال: صدقت كان أبي يقول: لم يُدْرِك الأوّلُ الشرفَ إلا بالعقل ولم يُدْرِك الآخرُ إلاّ بما أَدْرَك به الأوّل قلتً له: صدق أبوك إنما ساد الأحنف بن قَيْس بحِلْمه ومالك بن مِسْمَع بحُبّ العشيرة له وقتُيبة بن مُسلم بدَهائه وساد المُهَلّب بهذه الْخِلال كلّها.

الأصمعي قال: قيل لأعرابيّ يقال له مُنْتَجع بن نَبْهان: ما السَّميدع قال: السيّد المُوَطَّأ الأكناف.

وكان عمر بن الخطاب " رضي الله عنه " يُفْرش له فِراش في بَيْته في وَقْت خلافته فلا يجلس عليه أحد إلا العبَّاس بن عبد المطّلب وأبو سُفيان بن حَرْب.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي سُفيان: كل الصيد في جَوْف الفَرأ.

والفرأ: الْحِمار الوَحْشي وهو مَهموز وجَمعه فِراء ومعناه: أنه في الناس مثل الحمار الوحشي في الوحش.

ودخل عمرو بنُ العاص مكة فرَأى قوماً مِن قُريش قد تحلّقوا حَلقة فلما رَأوه رَموا بأبصارهم إليه فعَدل إليهم فقال: أَحْسبَكم كنتم في شيء من ذِكْرِي قالوا: أجل كنا نُمَاثِل بينكَ وبن أخيكَ هِشام أيّكما أفضل.

فقال عمرو: إنّ لهشام عليَّ أربعةً: أمه ابنة هِشام بن المُغيرة وأُمي من قد عَرفتم وكان أحبَّ الناس إلى أبيه منِّي وقد عرفتم مَعْرفة الوالد وأَسْلَم قبلي واستُشْهِد وبقيتُ.

قال قيسُ بن عاصم لبَنِيه لما حضرته الوفاة: " يا بَنيَّ " احفَظوا عنّي فلا أحدَ أنصح لكم منّي أمَّا إذا أنامِتُّ فسَوِّدوا كِبَارَكم ولا تُسوِّدوا صغارَكم فيَحقر الناسُ كِبارَكم.

وقال الأحنفُ بن قيس: السُّودد مع السَّواد.

وهذا المعنى يحتمل وجهين من التفسير: أحدهما أن يكون أراد بالسواد سوادَ الشعر يقول: من لم يَسُد مع الحَداثة لم يَسُد مع الشيخوخة.

والوجه الآخر أن يكون أَراد بالسَّواد سوادَ الناس ودَهْماءهم يقول: من لم يَطِرْ له اسمٌ على ألسنة العامّة بالسُّودد لم يَنْفعه ما طار له في الخاصة.

وقال أَبانُ بن مَسْلمة: ولَسنا كقَوْم مُحُدَثين سِيادةً يُرَى ما لها ولا تُحَسّ فَعالُها مَساعِيهمُ مَقَصورَةٌ في بُيوتهم ومَسْعاتنا ذُبيانُ طُرّاً عِيالُها الهيْثم بن عَدِيّ قال: لما انفرد سَّفيان بن عُيينة ومات نُظراؤه من العُلماء تَكاثر الناسُ عليه فأنشأ يقول: خَلَت الدِّيارُ فَسُدت غَيْرَ مُسَوَّد ومِنَ الشَّقاء تَفَردي بالسُّوددِ سودد الرجل بنفسه قال النبي صلى الله عليه وسلم: مَن أَسْرع به عَمَلُه لم يُبْطِىء به حَسَبُه ومَن أبطأ به عملُه لم يسرع به حسبه وقال قس بن ساعدة: من فاته حسب نفسه لم ينفعه حسب أبيه.

وقال الشاعر: نفس عصام سودت عصاماً وعلمته الكر والإقداما وقال عبد الله بن معاوية: لسنا وإن كرمت أوائلنا يوماً على الأحساب نتكل نبني كما كانت أوائلنا تبني ونفعل مثل ما فعلوا وقال قس بن ساعدة: لأقضين بين العرب بقضية لم يقض بها أحدٌ قبلي ولا يردها أحدٌ بعدي أيما رجل رمى رجلاً بملامة دونها كرم فلا لوم عليه وأيما رجلٌ أدعى كرماً دونه لؤم فلا كرم له.

وقالت عائشة رضي الله عنها: كل كرم دونه لؤم فاللؤم أولى به وكل لوم دونه كرم فالكرم أولى به.

تريد أن أولى الأمور بالإنسان خصال نفسه فإن كان كريماً وآباؤه لئام لم يضره ذلك وإن كان لئيماً وآباؤه كرامٌ لم ينفعه ذلك.

وإني وإن كنت ابن سيد عامرٍ وفارسها المشهور في كل موكب فما سودتني عامرٌ عن وراثةٍ أبى الله أن أسمو بجدٍ ولا أب وتكلم رجل عند عبد الملك بن

مروان بكلام ذهب فيه كل مذهب فأعجب عبد الملك ما سمع من كلامه فقل له: ابن من أنت قال: أنا ابن نفسي يا أمير المؤمنين التي بها توصلت إليك قال: صدقت.

فأخذ الشاعر هذا المعنى فقال: ما لي عقلي وهمتي حسبي ما أنا مولى ولا أنا عربي إذا انتمى منتم إلى أحد فإنني منتمٍ إلى أدبي وقال بعض المحدثين: رأيت رجال بني دالق ملوكاً بفضل تجاراتهم وبربرنا عند حيطانهم يخوضون في ذكر أمواتهم وما الناس إلا بأبدانهم وأحسابهم في حر اماتهم المروءة قال النبي صلى الله عليه وسلم: لا دين إلا بمروءة.

وقال ربيعة الرأي: المروءة ست خصال: ثلاثة في الحضر وثلاثة في السفر فأما التي في السفر: فبذل الزاد وحسن الخلق ومداعبه الرفيق وأما التي في الحضر: فتلاوة القرآن ولزوم المساجد وعفاف الفرج.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: المروءة مروءتان: مروءة ظاهرة ومروءة باطنة فالمروءة الظاهرة الرياش والمروءة الباطنة العفاف.

وقدم وفد على معاوية فقال لهم: ما تعدون المروءة قالوا: العفاف وإصلاح المعيشة قال اسمع يا يزيد.

وقيل لأبي هريرة: ما المروءة قال: تقوى تالله وتفقد الضيعة.

وقيل للأحنف: ما المروءة قال: العفة والحرفة.

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: إنا معشر قريش لا نعد الحلم والجود سوداً ونعمد العفاف وإصلاح المال مروءة.

قال الأحنف: لا مروءة لكذوب ولا سودد لبخيل ولا ورع لسيء الخلق وقال النبي صلى الله عليه وسلم: تجاوزوا لذوي المروآت عن عثراتهم فوالذي نفسي بيده إن أحدهم ليعثر وإن يده لبيد الله.

وقال العتبي عن أبيه: لا تتم مروءة الرجل إلا بخمس: أن يكون عالماً صادقاً عاقلاً ذا بيان مستغيناً عن الناس.

وقال الشاعر: وما المرء إلا حيث يجعل نفسه ففي صالح الأخلاق نفسك فاجعل وقيل لعبد الملك بن مروان: أكان مصعب بن الزبير يشرب الطلاء فقال: لو علم مصعب أن الماء يفسد مروءته ما شر به.

وقالوا: من أخذ من الديك ثلاثة أشياء ومن الغراب ثلاثة أشياء تم بها أدبه ومُروءته: مَن أخذ من الدِّيك سَخاءه وشَجاعته وغَيْرته ومن الغُراب بُكوره لطَلَب الرِّزق وشدَّة حَذَره وسَتر سِفاده.

طبقات الرجال قال خالدُ بنُ صَفْوان: الناسُ ثلاثُ طبقات: طَبقة عُلماء وطَبقة خُطباء وطبقة أدباء ورِجْرِجة بين ذلك يغْلُون الأسعار ويُضَيِّقون الأسواق ويُكَدِّرون المِياه.

وقال الحسن: الرِّجال ثلاثة: فَرَجل كالغِذاء لا يُسْتغنى عنه ورَجُل كالدَّواء لا يحتاج إليه إلاَ حِيناً بعد حِين ورَجل كالدَّاء لا يحتاج إليه أبداً.

وقال مُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير: الناسُ ثَلاثة: ناسٌ ونَسْناس وناس غُمِسوا في ماء الناس.

وقال الخليل بن أحمد: الرجالُ أربعة: فَرَجل يَدْرِيَ ويَدْري أنه يَدْري فذلك عالم فَسَلُوه ورجُل يَدْري ولا يَدْري أنه يَدْري فذلك النَّاسي فذَكِّروه ورجُل لا يَدْري ويَدْري أنه لا يَدْري فذلك الجاهلُ فعلِّموه ورجُل لا يَدْري ولا يَدري أنه لا يَدري فذلك الأحمقُ فارفضوه.

وقال الشاعر: أَليس من البَلْوى بأنّك جاهِل وأنك لا تَدْري بأنك لا تَدْري إذا كنت لا تَدْري ولستَ كمن درَى فكيف إذاً تَدْرِي بأنك لا تَدْري ولآخر: وما الدَّاء إلا أن تُعلِّم جاهلاً ويَزْعُم جهلاً أنه منك أَعْلَمُ وقال علّيّ بن أبي طالب رضي الله عنه: الناس ثلاثة: عالمٌ ربَّاني ومُتعلِّم على سَبِيل نَجَاة ورَعَاع هَمَجٌ يميلون مع كل ريح.

وقالت الحُكماء: الإخوانُ ثَلاثة: فأخٌ يُخْلِص لك ودَّه ويَبْذُلُ لك رِفْدَه ويَستَفْرغ في مُهمِّك جُهْده وأخٌ ذو نِيّة يَقْتصر بك على حُسن نيَّته دون رِفْده ومَعُونته وأخٌ يتَملق لك بلِسانِه ويَتَشاغَل عنك بشانه ويُوسعكَ مِن كَذِبه وأيمانه.

وقال الشعبيّ.

مَرَّ رجُل بعبد الله بن مَسعُود فقال لأصحابه: هذا لا يَعْلم ولا يَعْلم أنه لا يَعْلم ولا يَتعلَّمِ ممن يَعْلم.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: كُنْ عالماَ أو مُتَعلماً ولا تكُن الثالثةَ فتَهْلِك.

الغوغاء الغوغاء: الدَّبا وهي صغار الجَراد وشُبِّه بها سَوَادُ الناس.

وذُكر الغَوْغاء عند عبد الله بن عباس فقال: ما اجتَمعوا قطُّ إلا ضَرُّوا ولا افترقوا إلا نفَعوا وقيل له: قد عَلِمْنا ما ضَرَّ اجتماعهم فما نَفع افتراقهم قال: يَذْهب الحجَّام إلى دكانه والحداد إلى أكياره وكل صانع إلى صِنَاعته.

ونظر عمرُ بن الخطّاب رضي الله عنه إلى قَوْم يَتبعون رجلاً أخذ في رِيبَة فقال: لا مَرْحباً بهذه الوُجوه التي لا تُرَى إلا في كلِّ شرَّ.

وقال حبيب بن أوس الطائي: إنْ شِئْتَ أن يَسْوَدَّ ظَنُّك كُلُّهُ فأَجِلْهُ في هذا السّوَادِ الأعْظم وقال دِعْبل: ما أكثر الناسَ لا بَلْ ما أقلَّهم الله يَعْلم أنِّي لم أَقُلْ فَنَدَا إنِّي لأفْتح عَيْني حِينَ أَفْتَحَها على كَثيرٍ ولكنْ لا أَرَى أحدا الثقلاء قالت عائشةُ أم المؤمنين رضي الله عنها: نزلتْ آيةٌ في الثُّقلاء: " فإذا طَعمتُمْ فانْتَشرَوا ولا مُسْتَأْنِسِين لِحَديث ".

وقال الشعبي: مَن فاتَتْه رَكْعتا الفَجْر فَلْيلعن الثقلاء.

وقيل لجالينوس: بِمَ صار الرجلُ الثقيلُ أثقلَ من الْحِمْل الثقيل فقال: لأنّ الرجلَ الثقيل إنما ثِقَلُه على القَلْب دون الجَوارح.

والحِمْل الثَّقيل يَسْتَعِين فيه المرء بالجَوَارح.

وكان أبو هُرَيرة إِذا استثَقل رجلاً قال: اللهم اغْفِر له وأرِحْنا منه.

وكان الأعمشُ إِذا حَضر مَجلسه ثقيلٌ يقول: فما الفِيلُ تَحْمِلُه مَيِّتاً بأثقلَ من بَعْض جُلاسِنَا وقَال أبو حَنِيفة للأعمش وأتاه عائِداً في مرضه: لَوْلا أن أثْقُل عليك أبا محمَد لعُدْتك واللّهِ في كلّ يوم مَرّتين فقال له الأعمش: والله يا بن أخي أنتَ ثَقِيل عليّ وأنتَ في بَيْتك فكيف لو جئتني في كلّ يوم مَرَّتين.

وذكر رجلٌ ثقيلاً كان يَجْلِس إليه فقال: واللّه إِني لُأبْغِضُ شِقِّي الذي يليه إذا جَلس إِلِيّ.

ونقَشَ رجل على خاتَمه: أَبْرَمْتَ فَقُم.

فكان إذا جَلس إليه ثقيلٌ ناوَله إِيَّاه وقال: اقرأ ما على هذا الخاتم.

وكان حَمّاد بن سَلمة إذا رأى من يَستَثقله قال: " رَبَّنَا اكشفْ عَنَا العَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنونَ ".

وقال بشّار العُقَيليّ في ثَقِيل يُكنى أبا عِمْران: رُبمَّا يَثْقُل الجَلِيسُ وإِنْ كا نَ حنيفاً في كِفّة الميزان ولقد قلتُ إِذْ أطل عَلَى القَوْ م ثَقِيل يُرْبي عَلَى ثَهْلان كيفَ لا تَحْمِل الأمانَةَ أَرْض حَمَلَتْ فوقَها أبا عُمْران أنتَ يا هذا ثَقِيلُ وثقيل وثقيل أنتَ في المَنْظَر إنْسا ن وفي الميزان فيل وقال الحَسَن بن هانئ في رجل ثَقِيل: ثَقِيل يُطَالِعُنا من أَمَمْ إِذا سره رغم أنفي ألم أقوله له إذا بَدَا لا بَدَا ولا حملته إلينا قدم فَقدتُ خيالَك لا مِن عَمي وصوت كلامك لا من صمم وله فيه: وما أظنَ القِلاَصَ مُنْجِيتي منك ولا الفلكَ أيها الرجل ولو رَكِبْت البرَاق أدْرَكني منك على نَأي دَارِك الثَقَل هل لك فيما ملكته هِبةً تَاخذه جُمْلة وتَرْتَحِل وله فيه: يا مَن على الجُلاس كالفَتْق كلامُك التَّخْديش في الحَلْق هل لك في مالي وما قد حَوَت يَدَاي من جِلٍّ ومن دق ألا يا جبل المَقْت ال ذي أرسىَ فما يَبْرحْ لقدٍ أكثرتُ تَفكِيري فما أدْرِي لما تَصْلُحْ فما تصلح أنْ تُهْجَىَ ولا تَصلحُ أن تُمْدَح أَهْدى رجلٌ من الثُقلاء إلَى رجل من الظُرفاء جَمَلاَ ثم نزَل عليه حتى أبْرمه فقال فيه: يا مبرماً أهدى جَمَلْ خُذْ وانصرف ألفيْ جَمَل قالَ وما أوْقارُها قلتُ زَبِيبٌ وعَسَلْ قال ومَن يَقُودها قلتُ له ألْفَا رَجُل قال ومَن يَسُوقها قلتُ له ألْفَا بَطَل قال وما لِباسُهم قلتُ حُلِيَّ وحُلَل قال وما سِلاحُهم قلتُ سُيوف وأسَل قال عَبِيد لي إذن قلتُ نَعم ثم خَوَل قال بهذا فاكتُبوا إذن عليكم لي سِجل قال وقد أثقلتكم قلتُ له فوق الثَقل قال فإني راحِلٌ قلتُ العَجَلِ ثم العَجَل يا كوكبَ الشُؤم ومَن أرْبَى على نحْس زُحَل يا جبلاً مِن جَبَلٍ في جَبَلٍ فوق جبَل وقال الحَمْدوني في رجل بَغِيض مَقِيت: أيابن البَغِيضة وابنِ البَغِيض ومَن هو في البُغض لا يُلْحَق سألتُك بالله إلا صَدَقْت وعِلْمي بأنكَ لا تَصدقَ أتبغضُ نَفسك مِن بُغضها وإلا فأنتَ إذن أحْمَقُ وله فيه: في حمير الناس إن كُنتَ من الناس تُعَدُّ ولقد أنبئت: إبليس إذا راك يَصُد ولحبيب الطائي في مثله أي في رجل مَقِيت: يا مَن تَبَرَّمت الدنيا بطلعته كما تَبَرَّمت

الأجفان بالرَّمدِ وللحسن بن هانئ في الفضل الرَّقاشيّ: رأيتُ الرقاشيِّ في مَوْضِع وكان إليَّ بغيضاً مقيتا فقال اقترح بعض ما تَشْتَهي فقلتُ اقترحتُ عليك السُّكوتا وأنشد الشَعبيُّ: إنّي بُلِيتُ بمَعشر نَوْكَى أخفهمُ ثقيلْ بُلْهٌ إذَا جالستهُم صَدِئَتْ لقُرْبهمُ العُقول لا يُفْهموني قولهم ويَدِقُّ عنهم ما أقول فَهُمُ كثِيرٌ بي كما أنيِّ بقُرْبهم قليل وقال العُتْبيّ: كتب الكِسائيّ إلى الرّقاشي: شَكَوْتَ إلينا مَجَانينَكم وأشْكُو إليك مَجَانيننا وأنشأتَ تَذْكر قُذّاركم فأنتِنْ وأَقْذِرْ بمَنْ عِنْدنا فلَوْلا السَّلامة كُنَّا كَهُم ولوْلا البَلاء لكانوا كَنَا وقال حبيب الطائي: وقال حبيب: يا مَن لهُ في وَجْهه إذ بَدَا كنُوز قارُون من البُغْض لو فر شيء قطُّ من شكله فرَّ إذاً بعضك من بَعْض كوْنُك في صُلْبِ أبينا الّذِي أهبطنا جمعاً إلى الأرْض وقال أبو حاتم: وأنشدني أبو زَيْدٍ الأنصاريّ النَّحوي صاحبُ النَّوادر: وَجْهُ يحيى يدْعو إلى البَصْق فيه غير أنّي أصون عنه بُصاقي قال أبو حاتم: وأنشدني العُتبيّ: له وَجْه يَحلّ البَصقُ فيه ويَجْرُم أن يُلقَّى بالتَّحيَّة قال وأنشدني: قميصُ أبي أميِّة ما عَلِمتم وأوْسَحُ منه جِلْدُ أبي أُمَيَّه التفاؤل بالأسماء سأل عُمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً أراد أن يَسْتعين به على عمل عن اسمه واسم أبيه.

فقال: ظالم بن سُراقة فقال: تَظْلم أنت ويَسْرِق أبوك ولم يَسْتَعِن به في شيء.

وأقبل رجلٌ إلى عُمَر بن الخطاب فقال له عمر: ما اسمك فقال: شِهاب ابن حُرْقة قال: ممَّن قال: من أهل حَرة النار قال: وأين مَسكنك قال: بذات لَظى قال: اذهب فإن أهلَك قد احترقوا.

فكان كما قال عمر رضي الله عنه.

ولقي عمرُ بن الخطّاب رضي الله عنه مَسْروق بن الأجْدع فقال له: من أنتَ قال: مَسْروق بن الأجدع.

قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: الأجدع شيطان.

وروى سُفيان عن هشام الدَسْتُوائيّ عن يحيى بن أبي كَثير قال: كَتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أمرائه: لا تُبْردوا بريداً إلا حَسَن الوجه حَسَنَ الاسم.

ولمَّا فرغ المُهلّب بن أبي صُفْرة من حرب الأزارقة وجه بالفتْح إلى الحجاج رجلاً يقال له مالك بن بَشِير فلما دخل على الحجّاج قال له: ما اسمك قال: مالك بن بَشِير محال: مُلْك وبِشارة.

وإذا تكُون كريهةٌ فَرَّجْتها أدعو بأسْلم مَرَّةً ورَباح يُريد التَّطيّر بأسْلم ورَباح للسَّلامة والرِّبح.

الرّياشي عن الأصمعيّ قال: لما قَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينه على رجل من الأنصار فصاح الرجلَ بغُلامَيه: يا سالم ويا يسار فقال رسول صلى الله عليه وسلم: سَلِمت لنا الدّار في يُسْر.

وقال سَعيد بن المسيِّب بن حَزْن بن أبي وَهب المَخْزومي: قَدِم جَدِّي حَزْن بن أبي وَهْب على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: كيف اسمُك قال: حَزْن قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: بل مَهْل قال: ما كنتُ لأدع اسماً سَمّتني به أُمِّي قال: سَعِيد: فإنا لَنَجد تلك الحزُونة في أخْلاقنا إلى اليوم.

وإنما تَطيّرت العرب من الغُراب للغُربة إذ كان اسمُه مُشْتَقًّا منها.

وقال أبو الشِّيص: أشاقَكَ والليلَ مُلْقِي الجرَانِ غُرابٌ يَنُوح على غُصْنِ بَانِ وفي نَعَبات الغُراب اغتراب وفي البَان بينٌ بَعيد التَّدَاني ولآخر في السَّفَرْجل: خَوْفَ الفِراق لأنّ شَطْر هِجَائه سَفَر وحَقّ له بأن يَتَطَيَّرَا ولآخر في السَّوْسن: ياذا الّذي أهدئ لنا السَّوْسَنا ما كنتَ في إهدائه مُحْسِنَا شَطْرُ اسمه سَوء فقد سُؤْتَني بالَيت أنّي لم أرَ السَّوسَنا ولآخرَ في الأتْرُج: أهْدَى إليه حبيبُه أتْرُجّة فَبَكَى وأشْفَق من عِيافة زَاجرِ خافَ التَّبدّل والتَّلوُّن إنّها لَوْنان باطنُها خلافُ الظّاهر وقال الطائي في الحَمام: هُنّ الحَمام فإن كَسَرتَ عِيافةً مِن حائِهنّ فإنهن حِمامُ وكان أشعبُ يَختلف إلى قَيْنة بالمَدينة فلمّا أرادِ الخُروج سألها أن تُعْطِيه خاتَم ذَهب في يَدِها ليَذكرها به قالت: إن ذَهب وأخاف أن تذْهب ولكن هذا العُود فلعلّك أن تعود.

باب الطيرة

قال النبي صلى الله عليه وسلم: ثلاثة لا يَكاد يَسْلم منهنّ أحد: الطِّيرة والظنّ والحَسد قيل: فما المَخْرج منهنّ يا رسولَ اللّه قال: إذا تَطيَّرت فلا تَرْجع وإذا ظَننت فلا تَحقِّق وإذا حَسَدت فلا تَبْغ.

وقال أبو حاتم: السانح ما وَلاك مَيامِنه والبارِح ما وَلاك ميَاسره والجابه ما استقبلك من تُجاهك والقَعِيد الذي يَأتيك من خَلْفك.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا عَدْوَى ولا طِيَرة.

وقال: ليس منا مَن تَطيّر.

وقال: إذا رَأَى أحدُكم الطِّيرة فقال: اللَهمّ لا طَير إلا طَيْرك ولا خَيْر إلا خيْرك ولا إله غَيْرك لم تَضره.

وقد كانت العَرب تتطيّر ويَأْتي ذلك في أشعارهم وقال بعضهم: وما صَدَقَتك الطير يوم لَقِيتَنا وما كان مَنْ دَلاك فينا بخَابِر وقال حسّان رضي الله تعالى عنه: لتَسمعنَّ وَشيكاً في ديارِهُم الله أكْبر يا ثاراتِ عُثْمانا وقال الحَسَن بن هانئ: قامَ الأمير بأمر الله في البَشَر واسْتَقْبل المُلْك في مَسْتَقبل الثمر فالطَير تُخْبرنا والطَّيْر صادقةٌ عن طِيبِ عَيْش وعن طَول من العُمر وقال الشَّيْباني: لما قَدِم قُتيبة بن مُسْلم والياً على خُراسان قام خَطِيباً فسَقطت المِخْصَرَة من يَدِه فتطيّر بها أهلَ خُراسان فقال: أيها الناس ليس كما ظَننتم ولكنه كما قال الشاعر: فألْقت عَصاها واستَقَرّت بها النَّوى كما قَر عَيْناً بالإيابِ المَسَافُر اتخاذ الإخوان وما يجب لهم رَوَى الأوزاعيّ عن يحيى بن أبي

كَثير أنّ داودٍ قال لابنه سُليمان عليهما السلام: يا بُنيّ لا تَستَقلّ عَدوَاً واحداَ ولا تَستَكْثِر أَلف صَديق ولا تَستبدل بأخٍ قديم أخاً مُستَحدثاً ما استَقام لك.

وفي الحديث المرفوع: المَرْء كَثير بأَخيه.

وقاد شَبيب بن شَيْبة إخوان الصَّفاء خير مكاسب الدُّنيا هم زِينةٌ في الرِّخَاء وعدَّة في البَلاء ومَعُونة على الأعداء.

لَعَمْرك ما مالُ الفَتَى بذَخيرة ولكن إخوانَ الصَّفاء الذَّخائرُ وقال الأحْنف بن قَيْس: خَيْرُ الإخوانِ إن استغنيت عنه لم يَزِدك في المَودَّة وإن احتَجْت إليه لم يَنْقُصك منها وإن كُوثِرت عَضدك وإن استرفدت رفَدَك وأنشد: أخوكَ الذي إن تَدْعُه لِمُلِمّة يُجِبْك وإنْ تَغْضب إلى السَّيف يَغْضب ولآخر: أخَاكَ أخَاكَ إنّ مَن لا أخاً له كَساعٍ إلى الهَيْجَا بغَيْر سِلاح وإنّ ابن عَمّ المَرْء فاعْلَم جَناحُه وهل يَنْهض البازِي بغَيْر جَنَاح ومما يَجب للصدِّيق على الصَّديق النصيحةُ جَهْده.

فقد قالوا: صدِيق الرجل مِرْآته تُريه حَسناتِه وسيّآته.

وقالوا الصَّدِيق من صَدَقك وُدّه وبَذَل لك رِفْدَه.

" وقالوا: أربعة لا تعرَف إلاّ عِنْد أربعة: لا يُعرف الشجاع إلا عند الحَرْب ولا الحَلِيم إلا عند الغَضب ولا الأمين إلا عند الأخذ والعَطاء ولا الأخوانُ إلا عَند النَّوائب ".

وقالوا: خير الإخوان مَن أقبل عليك إذا أدبر الزمان عنك.

وقال الشاعر: إن الكِرامَ إذا مَا أُسهَلوا ذَكَرُوا مَن كان يأَلَفَهُم في المنزل الخَشِن ولآخر: البرُّ من كَرَم الطبيعة والمَنّ مَفْسدة الصنيعة تَرْكُ التعهُّد للصَّدِي ق يكون داعيةَ القطيعة أنشد محمدُ بن يزيد المبرِّد لعبد الصَّمد بن المُعذَّل في الحَسْن بن إبراهيم.

يا من فَدَت نَفْسَه نَفْسي ومن جُعُلت له وِقَاءً لِمَا يخشى وأَخْشاهُ أبْلِغ أخاكَ وان شَط المَزَار به أنّي وإنْ كُنتُ لا ألقاه ألقاه وأنّ طَرْفيَ مَوْصول برؤيته وإنْ تَباعد عن مَثْواي مَثْواه اللّه يعْلَم أنّي لستُ أذْكُره وكيف يَذكره مَن ليس يَنْساه عَدُّوا فهل حَسَنٌ لم يَجْوِه حَسَن وهَلْ فتَى عَدَلت جَدْواه جَدْوَاه فالدهر يَفْنى ولا تَفْنى مَكارمه والقَطْر يُحْميَ ولا تُحْصىَ عَطَايَاه وقيل لبعض الوُلاة: كم صديقاً لك قال: لا أدْري الدُّنيا مُقْبِلة عليَّ والناس كلّهم أصدقائي وإنما أعرف ذلك إذا أدبرَتْ عنّي.

ونُرَى فنُعْرف بالعَدا وَة والبِعاد لمَن تُباعد ونبيت في شَفَق عَلَي - ك رَبيئةً والليلُ هاجِد أصناف الإخوان قال العَتّابي: الإخوانُ ثلاثة أصناف: فرْع بائنٌ من أصله وأصل مُتَّصل بفَرْعه وفَرْع ليس له أصل.

فأمّا الفرع البائن من أصله فإخاءٌ بُني على مودّة ثم انقطعت فحُفِظ على ذمام الصُّحبة وأمّا الأصل المتَّصل بفَرْعه فإخاءٌ أصله الكرم وأغصانه التَقوى وأمّا الفرع الذي لا أصل له فالمموه الظاهر الذي ليس له باطن.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: الصاحب رُقْعة في قميصك فانظر بم تُرَقِّعه.

ويقال: من علامة الصَّديق أن يكون لصَديق صديقه صديقاً ولعدوه عدوَّاً.

وقَدِم دِحْية الكَلْبيّ على أمير المؤمنين عليّ عليه السلامُ فما زال يَذْكر مُعاوية ويطْريه في مجلسه فقال عليٌّ عليه السلام: صَديقُ عَدُوِّي داخلٌ في عَدَاوَاتي وإنِّي لمَن وَدَّ الصّديقَ وَدودُ فلا تَقْرَباً منّي وأنت صَديقُه فإنّ الذي بين القُلوب بعيدُ تَودُّ عدوِّي ثم تَزْعُم أنني صديقُك إنّ الرَّأي عنك لعازِبُ وليس أخي مَن دوني رَأىَ عَيْنه ولكنْ أخي مَن دوني وهو غائبُ وقال آخر: ليس الصديقُ الذي إن زَلَّ صاحبُه يوماً رَأى الذنبَ منه غيرَ مغْفِورِ وإنْ أضاع له حَقَاً فعاتَبه فيه أتاه بتَزْوِيق المَعاذِير إنّ الصَّديق الذي ألقاه يَعذِر لي ما ليس صاحبُه فيه بمَعْذور وقال الآخر: كم مِن أخ لم يَلِدهْ أبُوكا وأخ أبوهُ أبوكَ قد يَجْفُوكا صافِ الكِرَامَ إذا أردتَ إخاءَهم واعْلَم بأنّ أخا الحِفاظ أخوكا والناسُ ما استغنيتَ كُنتَ أخاهُمُ وإذَا افتقرتَ إليهمُ رَفَضُوكا وقال بعضهم: أخوك الذي إن قمتَ بالسَّيْفِ عامِداً لتَضْرِبَه لم يَسْتغشَّك في الوُدِّ وإنْ جئتَ تَبْغي كفّه لتُبينَها لبادَر إشفاقاً عليك من الرَّدّ إنْ كنتَ مُتَّخذاً خَليلاً فتَنَقَّ وانتَقد الخَلِيلاَ مَن لم يكُن لك منصفًا في الوُدّ فابغ به بَدِيلا ولقَلَّما تَلْقى اللَّئيمَ عليك إلا مستطيلا وللعَطوِيّ: صُنِ الوَدَّ إلاّ عَنِ الاكرمين ومَن بمُؤَاخاتِه تَشْرُفُ ولا تغترِرْ مِن ذَوِي خلَة بما مَوّهوا لكَ أوْ زَخْرفوا وكم من أخ ظاهر ودَّه ضَمِيرُ مَودّته أحْيَف إذا أنت عاتبتَه في الإخا ءِ تنكر منه الذي تَعْرِف وكتب العباس بن حَرير إلى الحَسن بن مَخْلد: ارعَ الإخاءَ أبا مُحم د للّذي يصْفو وصُنْهُ وإذا رأيتَ مُنافِساً في نيل مكرمةٍ فكنه إنَ الصديقَ هو الذي يرعاك حيث تغيب عنه فإذا كشفت إخاءَهُ أحمدتَ ما كشفت منه وقال آخر: خَيْرُ إخوانِكَ المشارك في المر وأين الشريكُ في المرّ أيْنَا الّذِي إنْ شهدتَ زادَك في البرّ وإن غِبْتَ كان أذْناً وعَيْنا وقال آخر: ومِنَ البَلاء أخٌ جنايتُه عَلَق بنا ولغَيْرنا سَلَبُهْ ولآخر: إذا رأيتُ انحرافاً من أخِي ثِقةٍ ضاقتْ عليّ برُحب الأرض أوْطانِي فإن صددتُ بوَجْهي كَيْ أكافئَه فالعَين غَضْبَى وقَلْبي غيرِ غضبان وكتب بعضُهم إلى محمد بن بَشّار: مَن لم يُرِدْك فلا تردهُ لِتَكُنْ كَمَنْ لم تَسْتَفِدْه باعِدْ أخاكَ لبُعْده وإذا دَنا شِبْراً فزِده كم من أخٍ لكَ يا بنَ بَشّ ا رٍ وأُمُّك لم تَلِدْه وأخِي مُناسَبة يَسُو ءُك غَيْبُه لم تفتقده مَنْ يَأنس الإخْوان لَم يَبْدَ العِتابَ ولم يُعِدْه عاتِبْ أخاك إذا هَفا واعْطِفْ بودك واسْتَعِدْه وإذا أتاك بِعَيْبِهِ واشٍ فقُل لم تَعْتمده معاتبة الصديق واستبقاء مودته قالت الحكماء: مما يجب للصَّديق على الصديق الإغْضاء عن زلاّته والتَّجاوز عن سيّآته فإن رجع وأعتب وإلاّ عاتبتَه بلا إكثار فإنّ كثرَة العتاب مَدْرجة للقَطِيعة.

وقال عليّ بن أبي طالب رضي اللّه عنه: لا تَقْطع أخاك على ارتياب ولا تهجره دون استِعْتاب.

وقال أبو الدَّرداء: مَن لك بأَخيك كلّه.

وقالوا أيّ الرجال المُهذَّب.

وقال بشّار العُقَيْليّ: إذا أنتَ لم تَشْرب مِراراً على القَذَى ظَمِئْتَ وأيُ النَّاس تَصْفو مَشارِبُه وقالوا: مُعاتبة الأخ خَيرٌ من فَقْدِه.

إذا ذَهب العِتاب فليْسَ ودٌ ويَبْقَى الوُدُّ ما بَقِي العِتَابُ ولمحمد بن أَبان: إذا أتَا لم أَصْبِرْ على الذَّنب مِن أخٍ وكنتُ أُجازيه فأين التفاضلُ " إذا ما دهاني مِفْصلٌ فقطعتَهَ بَقيتُ وما لي للنُّهوص مَفاصل " ولكنْ أُدَاويه فإنْ صَحَّ سرَّني وإنْ هو أَعْيا كان فيه تحامل وقال الأحنف: مِن حَقّ الصَّديق أن يَتَحَمَل ثلاثاً: ظُلم الغضب وظُلم الدالّة وظُلم الهَفوة.

لعبد الله بن مُعاوية: ولستُ ببَادي صاحِبي بقَطِيعة ولستُ بمُفْشٍ سِرَّه حين يغْضبُ عَليك بإخوان الثِّقَات فإنهم قليلٌ فَصِلْهم دُون مَن كنت تَصْحَب وما الخِدْن إلا مَن صَفا لك وُدّه ومَن هو ذو نُصْح وأنت مُغَيَّب ما يستجلب الإخاء والمودة ولين الكلمة قال عليُّ بن أبي طالب عليه السلام: مَن لانت كَلِمته وَجَبت محبّتُه.

وأنشد: وعَلَى الصديقِ ألا يلقَى صديقه إلا بما يُحب ولا يَؤذِي جليسَه فيما هو عنه بمَعْزِل ولا يأتي ما يَعيب مِثْلَه ولا يَعيب ما يأتي شَكْلَه.

وقد قال المتوكّل اللّيثي: لا تنهَ عَن خُلُقٍ وَتأْتِيَ مِثْلَه عارٌ عليك إذا فعلتَ عَظِيمُ وقال عمرَ بن الخَطّاب رضي اللهَ عَنه: ثلاث تثبت لك الوَدَّ في صَدْرِ أخيك: أن تَبدأه بالسَّلام وتُوسع له في المَجْلس وتَدْعوه بأحبّ الأسماء إليه.

وقال: ليس شيءٌ أبلغَ في خَيْر ولا شَرّ من صاحب.

وقال الشاعر: إن كُنتَ تبغي الأَمْرَ أو أصلَه وشاهداً يُخْبر عن غائبِ فاعْتَبِر الأرضَ بأشْباهها واعْتَبِر الصّاحب بالصَّاحب لعَدِيّ بن زَيد: عَنِ المَرْءِ لا تَسَلْ وسَلْ عَن قَرِينه فكُلُّ قَرِين بالمُقارن يَقْتَدِي و لعمرو بن جَمِيل التَغْلَبي: سأصبر من صَديقي إنْ جَفَاني على كلّ الأذَى إلا الهَوَانَا فإنّ الحُرَّ يَأتَف في خَلاءٍ وإن حَضر الجماعةَ أن يُهانَا وقال رجلٌ لمُطِيع بن إياس: جِئْتُك خاطباً مَوَدَّتك قال: قد زَوَّجتكها على شرط أن تجعل صَداقها أن لا تَسمع فيَّ مقالَ الناس.

ويقال في المَثَل: مَن لم يَزْدَرِد الرّيق لم يَستكثر من الصديق.

وما أحسنَ ما قال إبراهيمُ بن العبَّاس: يا صديقي الذي بَذَلْت له الو دَّ وأنزلتُه على أحشائي إنّ عَيْناَ أقْذَيْتهَا لتراعي ك على ما بها مِن الإقذاءِ ما بها حاجةٌ إليك ولكنْ هي مَعْقودة بحَبْل الوَفاءِ ولابن أبي حازم: ارْضَ من المَرْءِ في مَوَدَّته بما يُؤدي إليكَ ظاهرُه مَن يَكْشِف الناسَ لا يَرى أحداً تَصِحّ منه له سَرائِرُه توشِك أن لا تتم وَصْل أخٍ في كلّ زَلاّته تُنافِره إنْ ساءَني صاحِبي احْتملْتُ وإن سرَّ فإني أخوه شاكِرُه أصفح عَنْ ذَنْبه وإن طَلَب ال عُذْرَ فإنّي عليه عَاذِرُه ولغيره: لقد أصبحتْ نَفْسي علي شَفِيقةً ومِثْلي على أهل الوَفاء شَفِيق أسرَّ بما فيه سُرُورك إنَّني جَدِير بمكنون الإخاء حَقِيق عدَوّ لمن عاديتَ سَلْم مُسالِمٌ لكل آمرئ يَهْوى هواكَ صَدِيق ولأبي عبد الله بن عُرْفة: هُمَومُ رجالٍ في أمورٍ كَثيرةٍ وهَمِّي من الدِّنيا صديق مُساعِدُ يكون كرُوح بين جِسْمين فُرِّقَا فَجِسْماهما جِسْمان والرُّوح واحِد قال بعض الحكماء: الإخاء جَوْهرة رقيقة وهي ما لم تُوَقِّها وتَحْرُسها مُعرَّضة للآفات فَرُض الإخاء بالحدّ له حتى تَصل إلى قُربه وبالكَظْم حتى يَعْتذِر إليك مَن ظَلَمك وبالرِّضى حتى لا تَسْتَكْثر من نَفْسك الفَضْل ولا من أخيك التَّقْصير.

لمحمود الوَرّاق: لا بِرَّ أعظمُ من مُساعدةٍ فاشكُر أخاك على مُساعَدَتِهْ وإذا هَفا فأَقِلْه هَفْوَته حتى يَعودَ أخاً كعادته فالصفح عن زَلَل الصّديق وإن أَعْياك خيرٌ من مُعاندته مَن لم يُدرِك ولم ترده لم يستفدك ولم تُفِدْه قَرِّبْ صدِيقَك ما نَأى وَزِدِ التقارُب واستزده وإذا وَهَتْ أركان ودٍّ من أخي ثِقَة فَشِدْهُ فضل الصداقة على القرابة قيل لبُزرجمهر: مَن أحب إليك: أخوك أم صديقك فقال: ما أحِبّ أخي إلا إذا كان لي صديقاً.

وقال أكثم بن صَيفيّ: القرابة تحتاج إلى مودَة والمودَة لا تحتاج إلى قرابة.

وقال عبد الله بن عبّاس: القرابة تقْطع والمعروف يُكْفر وما رأيتَ كتقارب القلوب.

وقالوا: إيَّاكم ومَن تكْرهه قلوُبكم فإن القُلوب تُجَارِي القلوب.

وقال عبد الله بنَ طاهر الخُراسانيّ: أميل مع الذِّمام على ابن أمِّي وأحْمِل للصديق على الشِّقِيقِ وإن ألفيتَني مَلِكاً مُطاعاً فإنك واجدِي عبدَ الصَّديق أفرِّق بين معروفي ومَنِّي وأجمع بين مالي والحُقوق ولقد سَبَرتُ الناس ثم خَبرتُهم ووصفتُ ما وَصفوا من الأسباب فإذا القرابةُ لا تُقَرِّب قاطعاً وإذا المودَة أقرب الأنساب وللمبرِّد: ما القرْبُ إلا لمن صحَت مَوَدَّته ولم يَخُنْك وليس القُرْبَ للنسَبِ كم مِن قَريب دَوِيّ الصَّدْر مُضْطَغِن ومن بَعيدٍ سَلِيم غير مقترب وقالت الحَكماء: رب أخ لك لم تَلِدْه أمك.

وقالوا: القَرِيب من قَرب نَفْعه.

وقالوا: رُبّ بعيدٍ أقرب من قَريب.

وقال آخر: رُب بعيدَ ناصحُ الجَيْب وابن أبِ مُتهم الْغَيب وقال آخر: أخُو ثِقةٍ يُسَر ببعض شانِي وإنْ لم تُدْنِه مني قَرَابةْ أحَبُّ إليَّ من ألْفي من قَريب لَبيبُ صُدورهم لي مُسْترابه وقال آخر: قد يَجمع المالَ غيرُ آكله ويأكل المالَ غيرُ من جَمَعه فارْض من الدهر ما أتاك به من قَرَّعَيْنَا بعَيْشِه نَفَعه وقال.

لكلِّ شيء من الهُموم سَعَةْ والليلُ والصُّبح لا بقَاءَ معهْ لا تَحْقِرَنّ الفقيرَ عَلَّكَ أن تركع يوماً والدَّهْرُ قد رفَعَه وقال ابن هَرْمة: للّه درُّك من فَتًى فَجعت به يومَ البَقيع حوادِثُ الأيام هَشّ إذا نزَل الوُفودُ ببابه سَهْل الحِجاب مُؤَدَّب الخُدّام وإذا رأيت صديقه وشَقيقه لم تَدْرِ أيّهما أخو الأرحام التحبب إلى الناس في الحديث المَرْفوع: أحبُّ الناس إلى الله أكثرهم تَحَبُّباً إلى الناس.

وفيه أيضاً: إذا أحبَّ الله عبداً حبَّبه إلى الناس.

ومن قولنا في هذا المعنى.

وجْهٌ عليه من الحَيَاء سَكينةٌ ومحبَّة تجري مع الأنفاس وإذا أحبّ الله يوماً عبدَه ألقى عليه محبَّة للنّاس وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى سعد بن أبي وقّاص: إن الله إذا أحَبَّ عبداً حبَّبه إلى خَلْقه فاعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس واعْلم أنّ مالك عند الله مثلُ ما للناس عندك.

وقال أبو دُهْمان لسَعيد بن مُسلم ووقف إلى بابه فحجَبَه حيناً ثم أذن له فمثل بين يديه وقال: إنَّ هذا الأمر الّذي صار إليك وفي يديك قد كان في يدَيْ غيرك فأمسى واللّه حديثاً إن خيراً فخير وإن شراً فشر فتحبَّب إلى عباد الله بحُسن البِشْر وتسهيل الحجاب ولين الجانب فإن حُبَّ عبادِ الله مَوْصولٌ بحُب اللّه وبُغضهم مَوْصول ببغض اللّه لأنهم شُهداء الله على خَلْقه ورُقباؤه على من أعوج عن سبيله.

وقال الجارود: سُوء الخُلق يُفْسِد العَمل كما يُفسد الخَلّ العَسل.

وقيل لمُعاوية: من أحبّ الناس إليك قال: مَن كانت له عِنْدي يد صالحة قيل له: ثم مَن قال: من كانت لي عِنْده يدٌ صالحة.

وقال محمدُ بن يزيد النَّحوي: أتيتُ الخليلَ فوجدته جالساً على طُنْفسة صَغِيرة فوسَّع لي وكَرِهتُ أن أُضيِّق عليه فانقبضتُ فأخذ بِعَضُدي وقَرَّبي إلى نَفْسه وقال: إنه لا يَضِيق سَمُّ الخياطَ بمُتحابين ولا تَسَع الدنيا مُتباغضين.

ومن قَولنا في هذا المَعنى.

صِل من هَوِيتَ وإن أبدى مُعاتبةً فأَطيبُ العَيْش وَصلٌ بين إلْفين واقْطَعْ حَبائل خِدْنٍ لا تُلائمه فربَّما ضاقتِ الدُّنيا بإثْنين صفة المحبة أبو بكر الورَّاق قال: سأل المأمونُ عبد الله بنَ طاهر ذا الرِّياستين عن الحبّ ما هو فقال: يا أمير المؤمنين إذا تقادحتْ جواهر النُّفوس المُتقاطعة بوَصْل المُشاكلة انبعثت منها لمْحَة نور تَسْتضيء بها بواطنُ الأعضاء فتحرّك لإشراقها طَبائع الحَياة فيتصوَّر من ذلك خَلْق حاضر للنَّفس مُتَّصِل بخَواطِرها يُسمى الحب.

وسُئل حمَّاد الراوية عن الحبّ فقال: شَجرة أصلُها الفِكْر وعُروقها الذِّكر وأغصانُها السَّهر وأوراقُها الأسقام وثمرتُها المنيّة.

وقال مُعاذ بن سَهْل: الحبُّ أصعبُ ما ركب وأسْكر ما شُرب وأَفْظع ما لُقِي وأحْلَى ما اشتُهي وأَوْجع ما بَطَن وأشهى ما عَلَن وهو كما قال الشاعر:
وللحُب آياتٌ إذا هي صَرّحت تَبَدَّت علاماتٌ لها غُرَرٌ صفْرُ فباطِنُه سُقْم وظاهِرُه جَوَى وأوَّلُه ذكر وآخره فكر وقالوا: لا يكن حُبّك كَلَفا ولا بغْضك سَرَفا.

وقال بشَّار العُقَيْليِّ.

هل تَعْلَمِينَ وَراء الحُبّ مَنزلةً تُدْني إليكِ فإنّ الحبَّ أقصَانِي وقال غيرُه: أُحِبّكِ حُبا لو تحبينَ مِثْلَه أصابك من وَجْدٍ عليّ جُنُونُ لَطِيفاً مع الأحْشاء أمّا نهارُه فدَمْعٌ وأمّا لَيْلُه فأنِين من حديث ابن أبي شَيْبة عن النبي صلى الله عليه وسلم: لا تَقْطع مَن كان يواصلُ أباك تُطفيء بذلك نُورَه فإنّ وُدَّك وُدُّ أبيك.

وقال عبدُ الله بن مَسعود: مِن بِرّ الحيِّ بالميِّت أن يَصِل مَن كان يصلُ أباه.

وقال أبو بكر: الحبُّ والبغضُ يُتوارثَان.

ومن أمثالهم في هذا المعنى: لا تقْتنِ من كلب سَوْء جِرْواً.

وقال الشاعر: تَرْجُو الوليدَ وقد أعياك والدُه وما رَجاؤُك بعد الوالدِ الوَلدَا
واجتمع عندَ مَلِك من ملوك العرب.

تميمُ بن مُرّ وبكر بن وائل فوقَعت بينهما مُنازعة ومُفاخرة فقالا: أيُّها الملك أعطِنا سَيْفين نتجالد بهما بين يَدَيك حتى تَعلم أيُّنا أجْلد.

فأمر الملكُ فنُحِت لهما سَيفان من عُودين فأعطاهما " إياهما " فجعلاَ يَضْطربان مَليًّا من النهار فقال بكرُ بن وائل: لو كانَ سيفانَا حديداً قَطَعا قال تميم بن مُرّ: أو نحتا من جَنْدل تَصَدّعا أساجِلك العَداوَةَ ما بَقِينا فقال له بكر: وإنْ مِتْنا نُوَرِّثها البَنِينا فيُقال إن عداوة بكر وتميم من أجل ذلك إلى اليوم.

أبو زيد: قال أبو عُبيدة: بُني دُكَان بسجستان بَنَتْه بكر بن وائل فهَدَّمته تميم ثم بنته تميم فهَدَّمته بكر فتواقعوَا في ذلك أربعةً وعشرين وَقعة.

فقال ابن حِلِّزة اليَشْكُري في ذلك: قَرَبي ياخَليُّ وَيحْكِ دِرْعي لَقِحَت حَرْبُنا وحربُ تميم إخْوة قرّشوا الذَّنوب علينا في حديث من دهرِهم وقَدِيم طَلَبُوا صُلْحنا ولاتَ أوَانٍ إنَّ ما يَطلبون فوق النُّجُوم الحسد قال علي رضي الله عنه: لا راحةَ لِحَسُود ولا إخَاء لمَلُول ولا مُحِبَّ لسَيِّء الخُلُق.

وقال الحسن: ما رَأيت ظالماً أشبهَ بمظلوم من حاسِد نَفَس دائم وحُزن لازم وغم لايَنْفد.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: كاد الحَسد يَغْلِب القَدَر.

وقال مُعاوية: كلُّ الناس أَقْدِر أُرْضِيهم إلا حاسدَ نِعْمة فإنه لا يرضيه إلا زوالها.

وقال الشاعر: كلُّ العَداوة قد تُرْجَى إماتتُها إلا عَدَاوَةَ مَن عاداكَ مِن حَسَدِ
وقال عبد الله بن مَسعود: لا تُعادُوا نِعَم الله قيل له: ومن يُعادي نِعَم اللّه قال: الذين يحْسُدون الناسَ على ما آتاهم الله من فِضله.

يقول الله في بعض الكتب: الحَسُود عدوُّ نِعْمَتي مُتَسخِّطٌ لقَضَائي غيرُ راض بِقسْمَتي.

ويقال: الحَسَد أوّل ذَنْب عصي الله به في الَسماء وأوّل ذَنْبِ عُصي الله به في الأرض فأمّا في السماء فحَسدُ إبليس لآدمَ وأما في الأرض فَحَسدَ قابيلَ هابيل.

وقال بعضُ أهل التفسير في قوله تعالى: " رَبنَا أَرِنَا اَّلذَيْنِ أَضلاَنَا مِنَ ٱلْجنِّ والإنْس نَجْعَلهما تحتَ أقدامِنا ليَكُونَا من الأسْفَلِين ".

إنه أراد بالذي من الجن إبليس والذي من الإنس قابيل وذلك أن إبليس أولُ من سَنَّ الكفر وقابيل أوّل من سَنَّ القتل وإنما كان أصل ذلك كله الحسد.

ولأبي العتاهية: فيا رَبِّ إنّ الناس لا يُنْصفونني وكيفَ ولَوْ أَنصفتُهم ظَلَمُوني وإنْ كانَ لي شيءٌ تَصدِّوْا لأخْذه وإن جئت أبْغِي سَيْبهم مَنَعُوني وإن نالَهُم بَذْلي فلا شُكْرَ عِنْدهم وإن أنا لم أبذل لهم شَتَمُوني وإن طَرَقتْني نِقْمَةٌ فَرِحُوا بها وإن صَحِبَتنِي نِعْمَةٌ حَسَدُوني سَأَمْنَع قلْبِي أن يَحنَّ إليهُم وأحْجُب عنهم ناظِري وجُفُوني أبو عُبيدةٍ مَعمر بن اَلمُثنّي قال: مَرّ قيس بن زُهير ببلاد غَطَفان فرأى ثَرْوَةً وعدداً فكَرِه ذلك فقيل له: أيسوؤك ما يَسرُّ الناس قال: إنك لا تَدْري أنّ مع النِّعمة والثروة التَّحاسدَ والتخاذلَ وأنَّ معِ القلّة التحاسد والتناصُر.

وكان يقال: ما أثْرَى قَوْم قطُّ إلا تَحاسدوا وتخاذلوا.

وقال بعضُ الحكماء: ألزَم الناس للكآبة أربعة: رجل حديد ورجل حَسُود وخَلِيط الأدباء عليّ بن بِشْر المَرُّوزيّ قال: كتب إليَّ ابن المبارك هذه الأبياتَ: كلّ العَدَاوة قد ترْجَى إماتَتُها إلا عَداوةَ مَنْ عاداك من حَسَدِ فإنّ في القَلْبِ منها عُقْدَةً عُقِدَتْ وليس يَفْتحها راقٍ إلى الأبدِ إلا الإله فإن يَرْحم تُحَلّ به وإنْ أباه فلا تَرْجُوه من أحد سُئِلَ بعضُ الحُكماء: أيّ أعدائك لا تُحِبّ أن يَعُود لك صديقاً قال ": الحاسِد الذي لا يَرُدّه إلى " مودتي " إلا زوالُ نِعْمتي.

وقال سُلَيمان التَّيْمِيّ: الحَسد يُضعِف اليَقِين ويُسْهِر العَينْ ويُثِيرُ الهمّ.

الأحنفُ بن قَيْس صَلَّى على حارثة بن قُدَامة السَّعْديّ فقال: رَحمك اللهّ كنتَ لا تحْسُد غَنياً ولا تحقر فقيراً.

وكان يُقال: لا يُوجَد الحُرُّ حَرِيصاً ولا الكَرِيم حَسُداً.

وقال بعضُ الحُكماء: أجهدُ البَلاء أن تَظْهَرَ الخَلَّة وتَطُول المُدَّة وتَعْجز الحِيلة ثم لا تعْدَم صَدِيقاً مُوَلِّيا وابن عمٍّ شامتاً وجاراً حاسِداً ووليًّا قد تَحَوَّل عدوًّا وزَوْجة مُخْتلِعة وجارية مُسْتَبِيعة وعَبداً يَحْقِرك وولداً يَنتهرك فانظُر أين مَوْضِع جَهْدك في الهرَب: لرجل من قُريش: وإذا ما الله أسْدَى نِعْمَةً لم يَضِرْها قولُ أعداءِ النِّعَم وقيل: إذا سرك أن تَسْلم من الحاسد فعَمِّ عليه أمْرَك.

وكانت عائشةُ رضي اللهّ عنها تتمثّل بهذين البيتين: إذا ما الدهر جَرَّ على أناس حوادثَه أناخَ بآخرِينَا فقُلْ للشَّامِتين بنا أفِيقُوا سيَلْقى الشامِتون كما لَقِينا ولبعضهم: إياك والحسدَ الذي هو آفةٌ فَتَوَقَّه وتَوَقَّ غِيرة مَنْ حَسد إنَّ الحَسُودَ إذا أرك مَوَدَّةً بالقَوْل فهو لك العَدُوُّ المُجْتَهِدْ الليثُ بن سَعْد قال: بَلَغني أنَّ إبليس لقي نُوحًا صلى الله عليه وسلم فقال له إبليس: اتّق الحَسْد والشح فإني حَسَدتُ آدمَ فخرجتُ من الجنة وشَحَّ آدم على شَجرة واحدة مُنِع منها حتى خَرج من الجنَّة.

وقال الحسنُ: أصول الشَّرِّ " ثلاثة " وفُروعه ستَّة فالأصول الثلاثة: الحَسَد والحِرْص وحُبَّ الدُّنيا.

والفُروع الستة: " حُبّ النوم وحُبّ الشِّبع وحُبُّ الراحة وحُبُّ الرئاسة وحُبُّ الثناء وحُبُّ الفَخْر.

وقال الحسن: يَحْسُد أحدُهم أخاه حتى يَقَعَ في سَرِيرته وما يَعْرِف علانِيَته ويَلُومه على ما لا يَعْلمه منه وَيتعلم منه في الصّداقة ما يُعَيِّره به إذا كانت العداوة واللّه ما أرى هذا بمُسْلِم.

ابن أبي الدُّنيا قال: بَلغني عن عُمر بن ذَرّ أنه قال: اللهم من أرادنا بشّرٍ فاكفِناه بأيِّ حُكمَيْك شِئت إمّا بتَوْبة وإمّا براحة.

قال ابن عباس: ما حسدتُ أحداً على هاتين " الكلمتين ".

وقال ابن عبَّاس: لا تَحْقِرَنَ كلمة الحكمة أن تَسْمعها من الفاجر فإنما مَثَلُه كما قال الأول: رُبَّ رَمْيَة من غير رام.

وقال بعضُ الحكماء: ما أمحقَ للإيمان ولا أهتكَ للستر من الحسد وذلك أنّ الحاسدَ مَّعاند لحكم الله.

باغٍ على عباده عاتٍ على ربه يَعْتَدّ نِعم اللهّ نِقَما ومَزِيده غِيَرا وعَدْل قضائة حَيْفا للناس حال ولَه حال ليس يهدأ ولا يَنام جَشَعه ولا ينْفعه عَيْشُه مُحْتقر لِنَعم الله عليه مُتسخِّط ما جرِت به أقدارُه لا يَبردُ غَليله ولا تُؤْمَن غوائله إن سالمتَه وَتَرَك وأن وَاصلتَه قَطَعك وإن صَرَمتْه سَبَقك.

ذُكِر حاسدٌ عند بعض الحكماء فقال: يا عَجَبا لرجل أسلكه الشيطانُ مهاوِي الضَّلالة وأورده قُحَم الهَلَكة فصار لنعم الله تعالى بالمرصاد إن أنالها من أحب مِن عِباده أشْعِر قلبُه الأسف على ما لم يُقْدَر له وأغاره الكَلَفُ بما لم يكن لِينالَه.

اصبر على حَاسَد الحَسو د فإنّ صَبْرَكَ قاتلُه النَّارُ تأكل بعضها إن لم تَجدْ ما تاكله وقال عبدُ الملك بن مَرْوان للحجاج: إنه ليس منَ أحدٍ إلا وهو يَعرف عَيب نفسه فصفْ لي عيوبك.

قال: أعفِنى يا أمير المؤمنين قال: لستُ أفعل قال: أنا لَجُوج لَدُود حَقُود حَسُود قال: ما في إبليس شرٌ من هذا.

وقال المنصور لسُليمان بنِ مُعاوية المُهلَبي: ما أسرع الناسَ إلى قومك! فقال: يا أمير المؤمنين: إنَ العَرَانين تَلْقَاها مُحَسِّدةً ولن تَرَى للئام الناس حُسَّادَا وأنشد أبو موسى لنَصرْ بن سيار: إنِّي نشأتُ وحُسَّادي ذَوُو عَدَدٍ يا ذا المَعارج لا تَنْقُص لهم عَدَدَا إنْ يَحْسُدُوني على حُسْنِ البَلاَء بهم فمِثْل حُسْن بَلاَئي جر لي حَسدا وقال آخر: إن يَحْسُدُوني فإنّي غَيرُ لائمهم قبْلي من الناس أهل الفضل قد حُسِدُوا فَدَام لي ولهم ما بي وما بهم وما أكثرْنا غَيظاً بما يَجِد إنَ الغُراب وكان يَمشي مِشْيَةً فيما مضى من سالف الأحْوَالِ حَسَد القطَاَة فَرَام يمشي مَشْيَها فأصابَه ضَرْبٌ من العُقَّال " فأضلّ مِشْيته وأخطأ مَشْيها فلذاك كنّوه أبا مِرْقال " وقال حبيب الطائي: وإذا أراد الله نَشرَ فَضيلةٍ طُوِيت أتاح لها لسانَ حَسُودِ لولا اشتعالُ النار فيما جاوَرَت ما كان يُعْرف طِيبُ عَرْف العُودِ وقال محمد بن مُناذر: بأيُها العَائبي وما بيَ من عَيْبِ ألا تَرْعَوِي وتَزْدَجِرُ هلْ لك عندي وِتْرٌ فتَطْلُبَه أم أنتَ مما أتيتَ مُعتَذِرُ إنْ يَكُ قَسْمُ الإله فَضّلني وأنت صَلْدٌ ما فيك مغْتَصر فالحمدُ والشُّكر والثَناء له

وَلِلْحَسود التراَبُ والْحَجَرُ فما الذي يَجتني جَليسُك أوْ يَبْدُو لهُ منك حين يَختبر اقرأ لنا سورة تُذَكرنا فإنّ خيْرَ المواعِظ السُوَرُ أو مِن أعاجيب جاهِليتنا فإنها حِكمةٌ ومُخْتَبر أو آرْوِ عن فارس لنا مثلاً فإن أمثالَها لنا عِبَرُ فإن تكن قد جَهِلت ذاك وذا ففيكَ للناظِرين مُعْتَبَر فغَنَّ صوتاً تُشْجَى النفوس به وبعضُ ما قد أتيت يُغتفر الأصمعيّ قال: كان رجلٌ من أهل البصرة بذيئاً شِرِّيراً يؤذي جيرانه ويَشتم أعراضهم فأتاهُ رجلٌ فوَعظه فقال له: ما بالُ جيرانك يَشكونك قال: إنهم يَحسدُونني قال له: على أيّ شيء يَحسدُونك قال: على الصَلْب قال: وكيف ذاك قال: أَقْبِلْ معي.

فأقبل معه إلى جيرانه فقعد مُتحازِناً فقالوا له: ما لَك قال: طَرَق الليلة كتاب مُعاوية أنا أصلب أنا ومالك بن المنذر وفلان وفلان - فذكر رجالاً من أشراف أهل البصْرَة - فوَثبوا عليه وقالوا: يا عدوّ اللهّ أنت تُصْلب مع هؤلاء ولا كرامةَ لك! فالتفت إلى الرجل فقال: أما تراهم قد حَسدوني على الصَّلب فكيف لو كان خيراً! وقيل لأبي عاصم النبيل: إنّ يحيى بن سَعيد يَحْسُدك وربما قَرَّضك فأنشأ يقول: فلستَ بحيٍّ ولا ميتٍ إذا لم تُعادَ ولم تُحْسَدِ كتب عُمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعريّ: مُر ذَوي القَرَابات أن يتزَاورُوا ولا يتجاورُوا.

وقال أكثم بن صَيْفيّ: تباعَدُوا في الدار تقاربُوا في المودَّة.

وقالوا: أَزْهدُ الناس في عالمٍ أهلُه.

فَرَج بن سلام قال: وَقف أميَّة بن الأسكر عِلى ابن عم له فقال: نَشَدْتُك بالبَيت الذي طافَ حولَه رجالٌ بَنوه من لؤَيّ بن غالبِ فإنك قد جَرَّبتني فوجدتني أعينك في الجُلّى وأكفيك جانبي وإن دبَّ من قومي إليك عداوةً عقاربهُم دبَّت إليهم عَقاربي قال أكذلك أنتَ قال: نعم قال: فما بالُ مِئبرك لا يزال إليَّ دسيسا قال: لا أعود قال: قد رضيتُ وعفا الله عما سلف وقال يحيى بن سعيد: من أراد أن يَبِين عملُه ويَظهر علمُه فَلْيَجلس في غير مَجْلس رهْطه.

وقالوا الأقارب هم العقارب.

وقيل لعطاء بن مصعب: كيف غلبتَ على البرامكة وكان عندهم من هو آدبُ منك قال: كنتُ بعيدَ الدار منهم غريب الاسم عظيمَ الكِبْر صغير الجرْم كثيرَ الالتواء فقرّبني إليهم وقال رجلٌ لخالد بن صَفْوان: إنّي أحبك قال: وما يَمنعك من ذلك ولستُ لك بجار ولا أخٍ ولا ابن عم.

يريد أن الحسد مُوكل بالأدنى فالأدنى.

الشّيباني قال: خَرج أبو العبَّاس أميرُ المؤمنين متنزِّها بالأنبار فأمعن في نزهتة وانتبذ من أصحابه فوافي خباءً لأعرَابيّ.

فقال له الأعرابيّ: ممن الرجل قال: مِن كِنانة قال: من أيّ كِنانة قال: من أبغض كِنانة إلى كِنانة قال: فأنت إذاً من قُريش قال: نعم قال: فمن أيّ قريش قال: من أبغض قريش إلى قُريش قال: فأنت إذاً من ولد عبد

المطلب قال: نعم قال: فمن أيّ وَلد عبد المطّلب أنت قال: من أبغض ولد عبد المطلب إلى ولد عبد المُطلب قال: فأنت إذاً أميرُ المؤمنين السلام عليك يا أميرَ المؤمنين ورحمةُ الله وبركاته.

فاستحسنَ ما رأى منه وأمر له بجائزة.

وقال ذو الإصبع العَدْوَانيّ.

ليَ ابن عمٍّ على ما كان من خُلُقٍ مُحاسِدٌ ليَ أقليه ويَقْلِيني أزْرَى بنا أنّنا شالتْ نعامَتُنا فخالني عُونهَ أو خِلْتُه دوني يا عمرو إلا تَدَعْ شَتْمي ومَنقصتي أضربْكَ حتى تقول الهامةُ اسقوني ماذا عَلَيّ وإن كنتم ذَوِي رَحَمِي أن لا أحبَّكُم إن لم تُحبوني وقال آخر: مهلاً بني عمِّنا مهلاً مَوالينا لاتَنْبِشُوا بيننا ما كان مَدْفوناً لا تَطمعوا أن تَهينونا ونُكْرِمكم وأن نَكُفَّ الأذى عنكم وتُؤذونا الله يعلم أنا لانحبَّكمُ ولا نَلومكُم إن لم تحِبُّونا وقال آخر: ولقد سَبرت الناسَ ثم خَبرتهم ووصفت ما وصفوا من الأسبابِ فإذا القرابة لا تقَرّب قاطعا وإذا المودة أقرب الأنساب المشاكلة ومعرفة الرجل لصاحبه قالوا: أقرب القرابة المُشاكلة وقالوا: الصاحب المُناسب.

وقال حبيب: وقُلت أخي قالوا أخٌ من قرابة فقلت لهم إنّ الشُكول أقاربُ وقال أيضاً: ذو الودّ منّي وذو القُرْبى بمنزلةٍ وإخْوَتي أسوةٌ عندي وإخواني وقال أيضاً: إنْ نَفْتَرِقْ نَسَبًا يُؤلِّفْ بيننا أدبٌ أقمناه مُقام الوالد أو نَخْتلف فالوَصْلُ منَّا ماؤه عَذب تَحدَّر من غَمَامٍ واحد وقال آخر: إنَّ النفوس لأجْنادٌ مُجَنَّدَة بالإذْن من رَبِّنا تَجْري وتَخْتلفُ فما تَعارفَ منها فهو مُؤتلِفٌ وما تَناكر منها فهو مُختلف وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الأنفس أجْناد مُجنَّدة وإنها لتتَشامّ في الهَوَى كما تتَشام الخَيْل فما تعارف منها ائتلف وما تَناكر منها اختلف.

وقال صلى الله عليه وسلم: الصاحبُ رُقْعة في الثَّوب فَلينظر الإنسان بم يَرْقع ثوبه.

وقال عليه الصلاة والسلام: امتحنوا الناس بإِخوانهم.

وقال الشاعر: فاعتبر الأرضَ بأشباهها واعتبر الصاحبَ بالصاحبِ وقيل: كلُ إلْف إلى إلْفه يَنزع وقال الشاعر: وقال امرؤ القيس: أجارتَنا إنا غَريبان هاهنا وكل غَريب للغريب نَسِيبُ وقال آخر: إذا كنت في قَوْم فصاحِبْ خِيارَهم ولا تَصْحب الأرْدى فتردىَ مع الرّدِي عن المرْء لا تَسأل وسَلْ عن قَرينه فكل قَرِين بالمُقارِن يَقْتدي وقال آخر: اصحبْ ذَوِي الفَضل وأهْل الدِّين فالمرْءُ مَنسوبٌ إلى القرين أيوب بن سُليمان قال: حدَّثنا أبان بن عيسى عن أبيه عن ابن القاسم قال: بينما سُليمان بن داود عليهما السلام تحمله الريح إذ مَرّ بنَسْر واقع على قَصْر فقال له: كم لك مذ وقعتَ هاهنا قال: سبعمائة سنة قال: فمن بَنى هذا القصر قال: لا أدري هكذا وجدتُه ثم نظر فإذا فيه كتاب مَنْقور بأبيات من شعر وهي: خرجنا من قُرَى اصطَخْرٍ إلى القصر فقلناهَ فمن يسأل عن القصر فمبنيا وَجَدناه فلا تصحب أخا السَّوْء وإِيَّاكَ وإياه يُقاس المرْءُ بالمرْء إذا ما المرْءُ ماشاه وفي الناس منٍ الناس مقاييسٌ وأشباه وفي

العيَن غِنى للعَين أن تَنطق أفواه السعاية والبغي قال اللهّ تعالى ذِكْرُه: " يَا أَيُّهَا النَاسُ إِنَمَا بَغْيُكُمْ على أَنْفُسِكم ".

وقال عزَ وجل: " ثَم بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ الله ".

وقال الشاعر: فلا تسبق إلى أحدٍ بِبَغْيٍ فإنَّ البَغْي مَصرعه وخيم وقال العتَّابي: بَغَيْت فلم تَقَع إلاَّ صَرِيعاً كذاكَ البَغْي يَصرع كلَّ باغِي وقال المأمون يوماَ لبعض وَلده: إياك وأن تُصْغي لاستماع قول السَّعاة فإنه ما سَعى رجلٌ برجل إلا انحطّ من قَدْرِه عندي ما لا يتلافاه أبداً.

ووقَّع في رُقعة ساعٍ: سننظر أصدقتَ أم كنت من الكاذبين.

ووقّع في رِقعة رجل سعَى إليه ببعض عُمَّاله: قد سَمِعنا ما ذكره الله عزَّ وجلَّ في كتابه فانصرفْ رَحمك اللّه.

فكان إذا ذُكر عند السُّعاة قال: ما ظَنُّكم بقوْمٍ يَلعنهم الله على الصِّدقِ ثم كشف عن ذلك فإذا هو لغير رِشْدَة فقال: أنا أبو عمرو وما كَذَبْتُ ولا كُذِبت.

حدثني أبي عن جدّي أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: السَّاعي لِغَيْر رِشْدة.

وسأل رجلٌ عبدَ الملك الخَلْوَة فقال لأصحابه: إذا شِئْتم فقُوموا.

فلما تَهَيَّأَ الرجل للكلام قال له: إيّاك أن تَمْدحني فأنا أعلم بنفسي منك أو تَكْذِبني فإنه لا رَأْي لكَذُوب أو تَسْعى إليَّ بأحد وإن شئتَ أقلتُك قال: أقِلْني.

ودخل رجلٌ على الوليد بن عبد الملك وهو والي دِمشق لأبيه فقال: للأمير عندي نصيحة فقال: إن كانت لنا فاذكُرْها وإن كانت لِغَيرنا فلا حاجةَ لنا فيها قال: جارٌ لي عَصىَ وفَرَّ مِنْ بَعْثه قال: أما أنت فتُخبِر أنَّك جارُ سَوْء وإن شئتَ أرْسلنا معك فإن كنتَ صادقاً أقصَيناك وإن كنتَ كاذباً عاقبناك وإن شئتَ تارَكناك قال: تَارِكْني.

وفي سِيَر العجم: أنّ رجلاً وَشىَ برجل إلى الإسكندر فقال: أتَحِب أن تَقْبل مِنه عليك ومِنك عليه قال: لا قال: فكُفَّ الشر يُكَفَّ عنك الشرُّ.

وقال الشاعر: إذا الواشي نَعَى يومًا صدِيقا فلا تَدَع الصديق لقَوْلِ واشي وقال ذو الرِّياستين: قَبول النَّمِيمة شَرٌ من النميمة لأنّ النميمة دِلالة والقَبُول إجازة وليس مَن ذُكِر السُّعاة عند المأمون فقال لرجل ممن حَضر: لو لم يكن من عَيْبهم إلا أنّهم أصدق ما يكونون أبغضُ ما يكونون إلى الله تعالى " لكَفَاهُم ".

وعاتب مُصْعبُ بن الزبير الأحنفَ في شيء فأنكره فقال: أَخْبَرني الثقةُ قال: كلا إنّ الثقة لا يُبلغِ.

وقد جَعل اللهّ السامع شريك القائل.

فقال: " سَمّاعُون للكَذِب أَكَّالُون للسُّحْتِ ".

وقيل: حَسْبك من شّرٍ سماعُه.

وقال الشاعر: لَعمركَ ما سبَّ الأمير عدوُّه ولكنَّما سَبَّ الأمير المُبَلغُ وقال آخر: لا تقبلنَّ نَميمةً بُلِّغتَها وتحفَظَنَّ مِن الذي أنباكَهَا إنّ الذي أنباك عنه نَميمةً سَيَدِبُّ عنك بمثلها قد حاكها لا تنقشنَّ برِجْل غيرك شَوْكةً فَتَفي برِجْلك رِجْلَ مَن قد شاكَها وقال دِعْبل: وقد قطَع الواشُون ما كان بَيننا ونحنُ إلى أن نُوصِلَ الحَبلَ أحْوَجُ وكانوا أناسا كنتُ آمنُ غيْبَهم فراحُوا على ما لا نُحبّ فأدْلجوا الغِيبَة قال النبي صلى الله عليه وسلم: إذا قلتَ في الرجل ما فيه فقد اغتَبْته وإذا قلتَ ما ليس فيه فقد بهَته: ومرَّ محمدُ سِيرين بقوم فقال إليه رجل منهم فقال: أبا بكر إنّا قد نِلْنا منك فحَلِّلنا فقال: " إني " لا أحِلّ لك ما حَرّم اللهّ عليك " فأمّا ما كان إليَّ فهو لك ".

وكان رَقَبة بن مَصْقلة جالساً مع أصحابه فذَكَروا رجلاً بشيء فاطْلعَ ذلك الرجلُ فقال " له " بعضُ أصحابه: ألا أخْبره بما قُلنا فيه لئلا تكون غِيبة قال: أخبره حتى تكون نميمة.

اغتاب رجلٌ رجلاً عند قُتيبة بن مُسلم فقال له " قُتَيبة ": أمْسك عليك أيها الرجل فواللّه لقد تلَمَّظت بمُضْغة طالما لَفَظها الكِرام.

محمد بن مُسلم الطائفيّ قال: جاء رجلٌ إلى ابن سِيرين فقال له: بَلغني أنك نِلْتَ منّي قال: نفسي أعزَّ " علي " من ذلك.

وقال رجل لبَكْر بن محمد بن عِصْمة: بلَغني أنَّك تقع فيّ قال: أنتَ إذًا عليَّ أكرمِ من نفسي.

وَوقع رجلٌ في طَلْحَة والزُبير عند سَعد بن أبي وَقّاص فقال له: اسكُتْ فإن الذي بيننا لم يَبْلُغ وعاب رجلٌ رجلاً عند بعض الأشراف فقال له: قد استدللتُ على كَثرة عُيوبك بما تكثر من عُيوب الناس لأن طالبَ العُيوب إنما يَطْلبها بقَدر ما فيه منها أما سمعتَ قولَ الشاعر: لا تَهْتِكَنْ من مَساوي الناس ما سترُوا فَيَهْتِكَ الله سِتْراً مِن مَساوِيكَا واذكُرْ محَاسِنَ ما فيهم إذا ذُكِروا ولا تَعِبْ أحداً منهم بما فِيكا وقال آخر: لا تنهَ عن خُلُقٍ وتأتيَ مثْلَه عارٌ عليكَ إذا فعلتَ عَظيمُ وابْدَأ بنفسك فانهَها عنَ غَيِّها فإذا انتهَت عنه فأنتَ حَكيمِ وقال محمد بن السماك: تَجَنَب القول في أخيكَ لخَلتين: أمَّا واحدة فعلَّك تعِيبه بشيءٍ هو فيك وأما الأخرى فإنْ يَكُن الله عافاك ممَّا ابتلاه به كان شُكْرك الله على العافية تعبيراً لأخيك على البَلاء.

وقيل لبعض الحُكماء: فلانٌ يَعِيبك قال: إنما يَقْرض الدَرهمَ الوازنُ.

" قيل لبُزَرْجَمُهر: هل تعلم أحداً لا عيبَ فيه قال: إن الذي لا عيب فيه لا يموت ".

وقيل لعمرو بن عُبيد: لقد وَقع فيك أيوب السِّخْتيانيّ حتى رَحمْناك قال: إياه فارحَمُوا.

" وقال ابن عبَّاس: اذكر أخاك إذا غاب عنك بما تحب أن يذكرك به ودَع منه ما تُحِبُّ أن يَدَع وقَدم العلاء بن الحَضرميّ على النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: هل تَرْوِي من الشعر شيئاً قال: نعم قال: فأنشِدني فأنشِده: تَحَببْ ذَوِي الأضغان تَسْب نفوسَهم تَحَببَك القُربَى فقد تُرْقع النَّعَلْ وإن دَحسوا بالكُرْه فاَعفُ تكرُّمًا وإن غَيَّبوا عنك الحديثَ فلا تَسَل فإن الذي يُؤْذيك منه سماعُه وإن الذي قالوا وراءك لم يُقل فقال النبي عليه السلام: إن من الشِّعر لَحِكْمة.

وقال الحسنُ البَصْرِي: لا غِيبةَ في ثَلاثة: فاسقٍ مُجاهر " بالفِسْقِ " وإمام جائر وصاحب بِدْعة لم يَدَع بِدْعته.

وكتب الكِسائي إلى الرَّقاشي: تركتَ المسجد آلْجَام عَ والتَرك له ريبَهْ فلا نافلةً تَقْضي ولا تَقضي لمَكْتوبَه وأخبارُكَ تَأْتينا على الأعْلام مَنْصوبَه قال النبي عليه الصلاة والسلام: شَرّ الناس من اتّقاه الناسُ لشَرّه.

وقال عليه الصلاة والسلام: إذا لقيتَ اللئيمَ فخالِفْه وإذا لقيتَ الكريمَ فخالِطْه.

وقال أبو الدِّرداء: إنا لنَكْشِرُ في وُجوه قوم وإنّ قلوبنا لتَلْعنهم وسُئل شَبيب بن شَيْبة عن خالد بن صَفْوان فقال: ليس له صديق في السرّ ولا عدوّ في العَلاَنية.

وقال الأحنف: رُبَّ رجل لا تَغيب فوائدُه وإن غابَ وآخرَ لا يسلم منه جليسهُ وإِن احتَرس.

وقال كثير بن هَرَاسة: إنّ من الناس ناسًا يَنْقصونك إذا زِدْتهم وتَهُون عندهم إذا خاصصْتَهم ليس لرضاهم مَوْضع تَعْرِفه ولا لسُخْطهم موضع تَحْذره فإذا عرفتَ أُولئك بأعْيانهم فابذُل لهم موضِعَ المودة واحرمهم موضعَ يَكُن ما بذلتَ لهم من المودة حائلاً دون شرِّهم وما حَرَمتهم من الخاصة قاطعاً لحرْمتهم.

وأنشد العُتْبيّ: لِي صديقٌ يَرَى حُقوقي عليه نافلاتٍ وحقَّه الدهرَ فَرْضَا لو قطعتُ البلادَ طُولاً إليه ثم من بَعْدِ طُولها سِرْتُ عَرْضا لرَأى ما فعلتُ غَيْر كَثِير وآشتَهى أن يَزيد في الأرْض أرْضا أسقِهم السُّمّ إن ظَفِرت بهم وآمزُجْ لهم من لِسانك العَسَلاَ كتب سهلُ بن هارون إلى مُوسى بن عِمْران في أبي الهُذَيل العَلاّف: إنّ الضَّمير إذا سألتَكَ حاجةً لأبي الهُذَيل خلافُ ما أبدِي " فأَلِن له كنفا ليحسن ظنُّه في غير منفعة ولا رِفد " حتى إذا طالتْ شَقاوةُ جَدِّه وعَنَاؤه فاجْبَهه بالردّ وقال صالحُ بن عبد القُدُوس: تجنب صدِيق السّوء وآصرِمْ حِبالَه وإن لم تَجدْ عنه مَحيصاً فَدَارِهِ ومَن يَطلب المعْروف من غير أهله يَجدْه ورَاءَ البحر أو في قَرارِه وللّه في عَرْضُ السمواتِ جَنَّةٌ ولكنّها مَحْفوفة بالمَكارِه وقال آخر: بَلاءٌ ليس يُشْبِهه بَلاءٌ عدَاوةُ غير ذي حَسَبٍ ودينِ يبيحك منه عِرْضاً لم يَصُنْه لِيرْتع منكَ في عِرْض مَصون عُرض على أبي مُسلم صاحب الدّعْوة فرسٌ جواد فقال لقُوّاده: لماذا يصلُح مثلُ هذا الفرس قالت الحُكماء: جُبل الناسُ على ذمّ زَمانهم وقلّة الرِّضا عن أهل عَصْرهم فمنه قولُهم: رضَا الناسُ غايةٌ لا تُدرك.

وقولهم: لا سبيلَ إلى السلامة من أَلْسنة العامّة.

وقولهم: الناسُ يعيّرون ولا يَغْفِرون واللّه يَغْفر ولا يُعيِّر.

وفي الحديث: لو أن المؤمن كالقِدْح المُقوّم لقال الناس: ليت ولو.

وقال الشاعر: مَن لابَس النَّاس لم يَسْلم من الناس وضَرَّسُوهُ بأَنْيَابِ
وأَصْرَاس هِشام بن عُروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت: رَحِمَ الله لَبِيداً كَان يقول: ذَهب الذين يُعاش في أكنافهم وبَقِيتُ في خَلَف كجِلْد الأَجْرَبِ فكيف لو أبصر زمانَنا هذا.

قال عُروة: ونحن نقول: رَحِم الله عائشة فكيف لو أدركت زمانَنا هذا.

وكان بعضهم يقول: ذهب الناسُ وبَقيَ النَسْناس فكيف لو أدْرك زماننا هذا.

دخل مُسلم بن يَزِيد بن وَهْب على عبد الملك بن مَرْوَان.

فقال له عبدُ الملك: أيُّ زمان أدركتَ أفضَل وأيُّ الملوك أكمل قال: أمّا المُلوك فلم أَرَ إلا حامداً أو ذامًّا وأما الزمان فيَرْفع أقواماً وكلّهم يَذُم زمانَه لأنه يُبْلِي جديدَهم ويُفرَق عديدهم ويهْرِم صغيرَهم ويهلك كَبيرَهم.

أيا دهرُ إن كنتَ عاديتَنا فَها قد صَنَعتَ بِنا ما كفَاكَا جَعلت الشرَارَ علينا خِياراً وولَيتنا بعد وَجْهٍ قفَاكا وقال آخر: إذا كان الزمانُ زمانَ تَيْمٍ وعكْلٍ فالسلامُ على الزّمانِ زمان صارَ فيه الصدرُ عَجْزا وصار الزُّجّ قُدّامَ السّنانِ لعلّ زمانَنا سَيعود يومًا كما عاد الزمانُ على بِطان أبو جعفر الشّيباني قال: أتانا يوماً أبو مَيَّاس الشاعر ونحن في جماعة فقال: ما أَنتم " فيه " وما تتذاكرون قلنا: نَذْكُر الزمان وفَساده قال: كلا إنما الزمانُ وِعاء وما أُلْقِي فيه مِن خَيْر أو شرّ كان على حاله ثم أنشأ يقول: أَرَى حُللاً تُصان على أناسٍ وأخلاقاً تُدَاسُ فَما تُصَان يَقولون الزمانُ به فَسادٌ وهُم فَسدوا وما فَسد الزمان أنشد فرج بن سلاّم: هذا الزمان الذي كنَّا نُحذَّرُه فيما يُحدِّث كعبٌ وابن مسعودِ إن دام ذا الدهرُ لم نحْزَن على أحدٍ يموتُ منَا ولم نَفْرح بِمَوْلود لم أَبكِ في زَمن لم أرضَ خَلَته إلا بكيتُ عليه حين يَنْصَرِمُ وقال آخر في طاهر بن الحسين: إذا كانت الدُنيا تَنال بِطاهرٍ تَجَنَّبت منها كلَّ ما فيه طاهرُ وأعرضتُ عنها عِفَةَ وتكَرُّماً وأرجأتُها حتى تَدورَ الدوائر وقال مُؤمن بن سَعيد في مَعْقل الصَّبيّ وابن أخيه عثمان: لقد ذلّت الدنيا وقد ذلّ أهلُها وقد مَلَّها أهلُ النَدى والتَّفضُّل إذا كانت الدُّنيا تَميل بخَيّرها إلى مِثل عُثمانٍ ومِثل المُحوّل ففي استِ ام دُنيانا وفي آست ام خَيّرها وفي آست آم عثمان وفي آست ام مَعقِل وقال محمد بن مُناذر: يا طالبَ الأشعار والنَّحوِ هذا زمانٌ فاسدُ الحَشْوِ نهارُه أَوْحشَ من لَيْله ونَشْوُه من أَحْبَث النّشْو فَدَع طِلاَبَ النَّحو لا تَبغِهِ ولا تقل شِعراً ولا تَرْو فَما يَجوز اليومَ إلا آمرؤٌ مُسْتَحكم العَزْف أو الشَّدْو رَجاءٌ دُون أَقْربه السَّحابُ وَوَعْدٌ مثلُ ما لمَع السَّرَابُ ودَهْر سادت العُبْدان فيه وعاثَتْ في جوانبه الذِّئاب وأيّام خلَتْ من كلِّ خَيْرٍ ودُنيا قد تَوَزّعها الكِلاب كلابٌ لو سألتَهم تُرَاباً لقالوا عندنا آنقطع التّراب يُعَاقَب مَن أساء القولَ فيهم وإنْ يُحْسِن فليس له ثَواب كتب عَمْرو بن بحر الجاحظ إلى بعض إِخوانه في ذمِّ

الزمان: بسم الله الرحمن الرحيم حَفِظك الله حفْظ مَن وَفّقه للقَناعة واستَعمله في الطاعة.

كتبتُ إليك وحالي حالُ من كَثُفت غمومه وأشْكلت عليه أموره واشتَبه عليه حالُ دهره ومَخْرج أمْره وقَلَّ عنده من يَثِق بوَفائه أو يَحمد مَغبة إخائه لاستحالة زمانِنا وفَساد أيّامنا ودَوْلة أنذالِنا.

وقِدْماً كان يقال مَن قَدَم الحياءَ على نَفْسه وحكَّم الصِّدْق في قوله وآثر الحقَّ في أموره ونَبَذ المُشتبِهات عليه من شئونه تَمُتْ له السلامة وفاز بوُفورِ حظّ العافية.

وحَمِد مَغبة مكْروه العاقِبة فنَظرنا إذ حال عِنْدنا حُكْمُه وتحوّلت دولتُه فَوَجَدْنا الحياء متَّصلاً بالحِرْمان والصِّدْق آفةً عِلى المال والقَصْدَ في الطّلَب برك استعمال القِحة وإخْلاقِ العِرض في طريق التوكّل دليلاَ على سَخافة الرأي إذا صارت الخُطوة السابقة والنِّعمة السابغة في لُؤم النِّيَّة وتناولُ الرِّزق من جهة محاشاة الوفاء ومُلابسة مَعرّة العار.

ثم نَظَرنا في تعقّب المُتعقّب لقولنا والكاسِر لحُجّتنا فأقَمنا له عَلَماً واضِحا وشاهِداً قائماً ومنارًا بيِّناً إذ وَجَدْنا مَن فيه السُّفولية الواضحة والمَثالب الفاضحة والكَذِب المُبرّح والخُلْفَ المُصَرّح والجَهالة المُفْرطة والرِّكاكة المُسْتَخِفّة وضَعْف اليقين والاستيثاب وسرْعة الغَضب والخِفّة قد استُكْمل سروره واعتدلت أمورُه وفاز بالسِّهْم الأغْلب والحظّ الأوْفر والقَدْر الرَّفيع وَالجَواب الطّائع والأمر النافِذ إن زلّ قيل حَكُم وإنْ أخطأ قيل أصاب وإن هَذَى في كَلامه وهو يَقْظان قيل رُؤْيا صادِقة في سِنَة مُباركة فهذه حُجّتنا " أبقاك اللّه " على مَن زَعم أنّ الجهْل يَخْفِضُ وأن الحُمق يَضَع وأنّ النَّوْك يُرْدي وأن الكَذِب يَضُر وأنّ الخُلفَ يُزْرِي.

ثم نَظَرْنا في الوَفاء والأمانة والنُّبْل والبَراعة وحُسْن المَذْهب وكماله المُروءَة وسَعة الصَّدْر وقلّة الغَضب وكَرِم الطبيعة والفائق في سَعة عِلْمه والحاكم على نَفْسه والغالِب لِهَواه فَوَجدنا فُلان بن فلان ثم وَجدنا الزَّمان لم يَنْصفه من حقّه ولا قامَ له بوَظائف فرْضه.

وَوَجَدْنا فضائلَه القائمة له قاعدةً به.

فهذا دليلٌ على أنّ الطَّلاح أجدَى من الصَّلاح وأنّ الفَضْل قد مَضى زمانُه وعَفَت آثارُه وصارت الدائرة عليه كما كانت الدائرة على ضدّه وَوَجدْنا العَقْلَ يَشْقى به قرينُه كما أن الجَهْل والحمْق يَحْظَى به خَدِينُه.

وَوَجدْنا الشعرَ ناطقاً على الزَّمان ومُعْرباً عن تَحَامَقْ مع الحَمْقَى إذا ما لَقيتَهم ولاقِهمُ بالجَهْل فعْلَ أخي الجَهْل وخَلِّط إذا لاقَتْ يوماً مُخَلِّطا يُخَلِّط في قَوْلٍ صَحيح وفي هَزْل فإنّي رأيتُ المَرْء يَشْقَى بعَقْلِه كما كان قبلَ اليوم يَسْعد بالعَقْل فبقيتُ أبقاك الله مثلَ مَن أصبح على أوْفاز ومن الثَّقلة على جهَاز لا تَسوغ له نِعْمة ولا يُطعم عَيْنيه غَمْضة في أهاويل يُباكره مكْرُوهها وتُراوحه عقابيلُها فلو أنّ الدُّعاءَ أجيب والتَضرَّع سُمع لكانت الهَدّة العُظمى والرَّجفة الكبرى فليتَ الذي يا أخي ما أستَبْطئه من النّفْخة ومن فَجْأة

الصَّيحة قُضي فحان وأذن به فكان فواللهّ ما عُذبت أُمةٌ برَجفة ولا ريح ولا سَخْطة عذابَ عَينيّ برُؤْية المُغايظة المُضْنية والأخبار المُهلكة كأنّ الزَّمان توكَّل بعَذَابي أو انتصب لإيلامي فما عَيْشُ مَن لا يُسَر بأخ شقيق " ولا خِدْن شفيق " ولا يَصْطبح في أوَّل نهاره إلا برُؤية من تُكْره " رؤيتُه " ونَغمة من تَغُمه طَلْعته فبدَّل الله " لي أي أخي بالمسكن مَسكنا وبالرَّبع رَبْعا فقد طالت الغُمة وواطنت الكُرْبة ادلهمتْ الظُّلمة وخَمد السِّراج وتَباطأ الانفِراج.

" والسلام ".

فساد الإخوان

قال أبو الدَّرداء: كان الناس وَرَقاً لا شَوْك فيه فصاروا شَوْكاً لا وَرَق فيه.

وقيل لعُرْوة بن الزُّبير: ألا تَنْتقل إلى المدينة قال: ما بَقِى بالمدينة إلا حاسدٌ على نِعْمة أو شامت بمُصِيبة.

الخُشني قال أنشدني الرِّياشيّ: إذا ذَهَب التكرُّم والوَفاء وباد رِجالُه وبَقِي الغُثَاءُ وأسْلَمني الزَّمانُ إلى رِجالٍ كأمْثال الذِّئاب لها عُواء صَديق كلَّما استَغْنيت عنهم وأعْداء إذا جَهَدَ البَلاء إذا ما جئتهم يَتدافَعوني كأنِّي أجربٌ آذاه داء أقولُ - ولا ألاَم على مَقال - على الإخوان كلِّهم العَفاء وقالت الحَكماء: لا شيءَ أضيع من مَوَدَةٍ من لا وَفاء له: واصطناع مَن لا شكر عِنده والكريمُ يَوَدُّ الكريم عن لُقْية واحدة واللّئيم لا يَصِل أحداً إلا عن رَغْبة أو رَهْبة.

وفي كتاب لِلْهند: إنّ الرَّجل السَّوْء لا يَتَغَيّر عن طبْعه كما أنَّ الشَّجرة المُرَّة لو طَلَيْتها بالعَسل لم وسَمِع رجلٌ أبا العتاهية يُنْشد: فارْم بِطَرْفك حيث شئ تَ فلا ترى إلا بَخيلاَ " فقال له: بَخلت الناس كلِّهم قال: فأكذبني بسَخِيّ واحد ".

وقال أيضا في هذا المعنى: للّه درُّ أَبيك أيّ زَمان أصبحتُ فيه وأيّ أهل زَمانِ كلّ يُوازنك المَودة جاهداً يُعْطِي ويأخُذ منك بالميزان فإذا رأى رُجْحانَ حَبَّة خَرْدلٍ مالتْ مَودَّتُه مع الرَّجحان وقال فيه أيضاً: أَرَى قوماً وُجُوهُهمُ حِسانٌ إذا كانَت حَوائجُهم إلينَا وإن كانت حَوائجُنا إليهم يُقبح حُسْن أوجههم عَلَينا فإن مَنع الأشحّةُ ما لَدَيهم فإنّا سوف نَمْنح ما لَدَينا وقال: مَوالينا إذا احتاجوا إلينا وليسَ لنا إذا احتجنا موالى للبَكريّ: كان في سِرِّي وجَهْري ثِقَتي لستُ عنه في مُهِمّ أحترس ستر البغض بألفاظ الهوى وادَّعي الوُدَّ بغِشٍ ودَلَس إنْ رآني قال لي خَيراً وإنْ غبت عنه الود بغش ودلس ثم لَمّا أمكَنَتهُ فُرْصةٌ حَمَل السيفَ على مَجْرَى النّفس وأرادَ الرُوح لكنْ خانَهُ قَدَرٌ أيقَظَ مَن كانَ نَعَس وأنشد العُتبي: إذا كنتَ تَغْضب من غير ذَنْب وتَعْتِب من غَير جُرْم عَلَيّا طَلبتُ رِضاكَ فإن عَزَّني عَدْدتُكَ مَيْتاً وإن كنتَ حَيّا فلا تعجبنّ بمَا في يَدَيْكا فأكثْر منه الذي في يَدَيّا وقال ابن أبي حازم: وصاحب كانَ لي وكنتُ لهُ أشفقَ من والدٍ عَلَى وَلَدِ كُنّا كَسَاقٍ تَسْعى بها قَدَمٌ أو كَذِراعٍ نيطتٍ إلى عَضد حتى إذا دَبَّت الحوادثُ في عَظْمِي وحَل الزّمانُ من عقَدي وخِلٍّ كان يَخْفِض لي جَناحًا أعادَ غِنًى فنابذَني جماحًا فقلتُ لهُ وَلِي نَفْس عَزُوف إذَا حَمُيت تَقحَمت الرَّماحا سأبدِل بالمَطامع فيك يأسًا وباليَأس آستَراح من استراحا وقال عبد الله بن مُعاوية بن " عبد الله بن " جعفر: وأنتَ أخي ما لم تكن ليَ حاجةٌ

فإنْ عَرَضت أيقنتُ أنْ لا أخا لِيَا فلا زاد ما بَيْني وبَيْنك بعدَ ما بَلَوْتُكَ في الحاجاتِ إلا تمَادِيا كِلاَنَا غنيٌّ عن أخِيه حياتَه ونحنُ إذا مِتْنا أشدُّ تَغانِيا وعينُ الرِّضَا عن كلِّ عَيْبٍ كليلةٌ كما أنّ عينَ السُّخط تُبدِي المَساوِيا وقال البُحتريّ: أشرِّق أم أغَرِّبَ يا سعيدُ وأنْقُص من ذِمامِي أو أزِيدُ عَدَتني عن نَصِيبين العَوادِي فبَخْتى أبلةٌ فيها بَلِيدُ وخَلَّفني الزّمانُ على رِجالٍ وجُوههمُ وأيديهمْ حَدِيدٍ لهم خُلَل فهُنَّ بِيضٌ وأخلاقٌ سَمُجن فهُنَّ سُود وقالُوا لو مَدحت فَتًى كَرِيماً فقلتُ وكيفَ لي بفتًى كَرِيم بُلِيتُ ومَرَّ بي خَمْسونَ حَولاً وحَسْبُك بالْمُجَرِّب من عَلِيم فلا أحدٌ يُعَدُّ ليومِ خيْرٍ ولا أحدٌ يَعود على عَدِيم وقال: قد بلوتُ النّاسَ طُرًّا لم أجِدْ في الناسِ حراً صار حُلْوُ الناسِ في العَي ن إذا ما ذيق مُرا وقال: مَن سَلاَ عنِّيَ أطْلَق ثُ حِبالِي من حِبالهْ أو أجَدّ الوَصل سارَع ت بجَهْدِي في وصاله إنَّما أحْذو على فع ل صَدِيقي بمثَاله غيرَ مُستجْدٍ إذا ازوَر ر كأني مِن عِيَاله لَنْ تراني أبداً أع ظِم ذا مالٍ لماله لا ولا أرْزَى بمَنْ يع قِل عندي سُوءُ حاله ومن قولنا في هذا المعنى: أبا صالحٍ جاءت على الناس غَفْلةٌ على غَفْلَةٍ بانت بكلِّ كَرِيم فَليتَ الآلي باتُوا يُفادونَ بالألى أقاموا فَيُفْدَى ظاعنٌ بمقيم ويالِيتَها الكُبْرَى فتُطْوى سماؤنا لها وتُمَدّ الأرضُ مَدَّ أديم فما الموتُ إلا عَيْش كلِّ مُبَجَّل وما العَيْش إلا موت كل ذَميم وأعذَرُ ما أدمى الجُفونَ من البُكا كَرِيمٌ رَأى الدَّنيا بكَفّ لَئيم ومثلُه في هذا المعنى: أبا صالحٍ أينَ الكِرامُ بأسْرِهم أفِدْني كريماً فالكريمُ رِضَاءُ أحقًّا يقول الناسُ في جود حاتمٍ وابن سِنان كان فيه سَخاء عَذِيريَ مِن خَلْق تَخَلَّق منهم غَباءٌ ولُؤْم فاضحٌ وجَفاء حِجارةُ بُخْلٍ ما تَجُود ورُبَّما تَفجَّر من صُمِّ الحجارة ماء ولو أنّ موسى جاَء يَضْربُ بالعَصا لما انبجَسَت من ضَرْبه البُخلاء بَقاءُ لِئام الناس مَوْتٌ عليهمُ كما أنّ موتَ الأكْرمين بَقاء ساقٌ تَرنّح يَشْدُو فوقَهُ ساقُ كأنّه لِحَنين الصَّوْتِ مُشْتاقُ يا ضَيْعَةَ الشَّعر في بُلْهٍ جَرامقةٍ تَشابهت منهُمُ في اللُّؤْم أخلاق " غُلَّت بأعناقِهم أيدٍ مُقَفَّعَةٌ لا بُوركت منهُمُ أيدٍ وأعنَاق كأنما بينهم في مَنْع سائلهم وحَبْس نائلهم عَهْد ومِيثاقُ كم سُقْتهم بأماديحي وقُدْتهم نحو المَعالي فما انقادوا ولا انساقوا وإن نَبا بيَ في ساحاتهم وَطنٌ فالأرض واسعة والناس أفراق ما كنتُ أوّلَ ظمآن بمَهمهة يَغرُّه من سراب القَفْر رَقراق رِزْقٌ من الله أرضاهم وأسخطَني اللّهُ للأنوك المَعْتوه رَزَّاق يا قابضَ الكف لا زالت مُقبَّضة فما أناملُها للناس أرزاق وغِبْ إذا شِئت حتى لا تُرى أبداً فما لفقدك في الأحشاء إقلاق ولا إليك سبيلُ الجود شارِعةٌ ولا عليكَ لنور المجد إشراق لم يَكتنفني رَجاء لا ولا أمل إلا تكنّفه ذُلّ وإملاق يَتحامَوْن لِقائي مثلَ ما يَتحامَوْن لِقاءَ الأسد طَلْعتي أثقلُ في أعينهم وعلى أنفسهم من أحُد لو رأوني وَسْط بحْرٍ لم يكن أحَدٌ يأخذ منهم بيَدِي "

باب في الكبر

قال النبي صلى الله عليه وسلم: يقول الله تبارك وتعالى: العَظمة إزاري والكِبْرياء ردائي فمن نازعني واحداً منهما قصمتُه وأهنته.

وقال عليه السلام: لا يدخل حَضْرة القدس مُتكبِّر.

وقال: فَضل الإزار في النار.

معناه: من سَحب ذيلَه في الخُيلاء قاده ذلك إلى النار.

و " نَظر الحسنُ إلى عبد الله بن الأهْتم يَخْطِر في المَسْجِد فقال: انظروا إلى هذا ليس منه عضو إلا ولله عليه نِعْمة وللشيطان في لَعْنة.

وقال سَعد بن أبي وَقّاص لابنه: يا بُني: إيّاك والكِبرَ ولْيكُنْ فيما تَسْتَعِين به على تَرْكه: عِلْمُك بالذي منه كنتَ والذي إليه تَصِير وكيف الكِبْر مع النُّطْفة التي منها خُلِقتَ والرحِم التي منها قُذِفْت والغِذَاء الذي به غُذِيت.

وقال يحيى بن حَيّان: الشريفُ إذا تَقَوى تواضَع والوَضيع إذا تقوَّى تَكَبَّر.

وقال بعضُ الحُكماء: كيف يَسْتقِرّ الكِبر فيمن خُلِق من ترَاب وطُوِي على القَذَر وجَرى مجرى البول.

وذكر الحسنُ المُتكبرين فقال: يُلْفي أحدُهم ينص " رَقَبَته " نصّا ينفَض مذرويه ويَضرب أصْدَريه يَمْلُخ في الباطل مَلْخا يقول: ها أناذا فاعرفُوني قد عَرَفناك يا أحمق مَقتك الله ومَقتك الصالحون.

ووَقف عُيينة بن حِصْن بباب عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه فقال: استأذِنُوا لي على أمير المؤمنين وقولُوا له: هذا ابن الأخيار بالباب.

فأذِن له فلما دَخل عليه قال له: أنتَ ابن الأخْيار قال نعم قال له: بل أنتَ ابن الأَشْرار وأما ابن الأخيار فهو يُوسف بن يَعْقوب بن إسحاق بن إبراهيم.

وقيل لعبيد اللهّ بن ظَبْيان: كثر الله في العَشِيرة أمثالك فقال: لقد سألتم الله شَططا.

وقيل لرجُل من بني عبد الدَّار عَظِيم الكِبْر: ألا تَأْتي الخَلِيفة قال: أخشى أَلا يَحمل الجسْرُ شرفي.

وقَيل له: ألا تَلبَس فإنَّ البَردَ شدِيد قال: حَسَبي يُدْفئني.

قيل للحجاج: كيف وجدت منزلَك بالعِرَاق أيها الأمِير قال: خَير مَنزِل لو أدركتُ بها أربعةَ نفر فَتقرَّبت إلى الله سُبحانه وتعالى بدمائهم قيلَ له: ومَن هم قال: مُقاتل بن مِسْمع وَلِي سِجِسْتان فأتاه الناسُ فأعْطاهم الأموال فلما قَدِم البصرة بسط له الناسُ أرديتهم فمشى عليها فقال: لمثْل هذا فليعمل العامِلُون.

وعبيد اللهّ بن ظَبيان خطَب خُطْبة أَوْجَز فيها فناداه الناسُ من أَعْراض المَسْجد.

كثَّر الله فينا أمثالك قال: لقد كلَّفتم ربكم شططا.

ومَعْبد بن زُرارة كان ذات يوم جالساً على طريق فمرَّت به امرأةٌ فقالت: يا عبد الله أين الطَّريق لِمَكان كَذا فقالَ لمِثْلي يُقال يا عبد الله! وَيلك! وأبو السَّمّال الحَنَفِيّ أضلَّ ناقَته فقال: واللهّ لئن لم تُرَدَّ عليَّ ناقتي لا صلّيتُ أبداً.

وقال ناقلُ الحديث: ونَسي الحجَّاج نفسَه وهو خامسُ هؤلاء الأربعة بل هو أشدُّهم كُفْراً وأعْظَمهم إلحاداً حين كتب إلى عبد الملك بن مروان في عَطْسة عَطسها فَشَمَّته أصحابُه ورَدَ عليهم: بَلغني ما كان من عُطاس أمير المؤمنين وتشْميت أصحابه له وردّه عليهم فيا ليتني كنتُ معهم فأفوز فوزاً عظيما.

وكتابُه إليه: إنّ خَليفة الرَّجل في أهلِه أكرمُ عليه من رَسوله إليهم وكذلك الخُلفاء يا أميرَ المؤمنين أعلَى منزِلةً من المُرسلين.

العُتْبيّ قال: رأيتُ مُحْرِزاً مولَى باهلة يَطوف على بَغْلة بين الصَّفا والمَرْوة ثم رأيتُه بعد ذلك على جِسْر بَغْداد راجلاً فقلتُ له: أراجلٌ أنتَ في مِثْل هذا المَوْضع قال: نعم إنّي ركبتُ في مَوْضع يمْشي الناسُ فيه فكان حقيقاً على الله أن يُرَجِّلني في مَوْضع يَرْكب الناس فيه.

وقال بعضُ الحكماء " لابنه: يا بُني عليك بالترحيب والبشر وإياك والتقطيبَ والكبر فأنَ الأحرار أحبُّ إليهم أن يَلْقَوْا بما يُحبون ويُحرَموا مِن أن يُلْقَوْا بما يكرهون ويَعْطَوْا.

فانظر إلى خَصْلة غَطّت على مِثْل اللؤم فالزمها وانظر إلى خَصلة عَفَّت على مثل الكرة فاجتنبها.

ألم تسمع قول حاتم الطائي: أضاحِك ضيفي قبل إنزال رَحْله ويُخصب عندي المَحَلُّ جديبُ وما الخِصب للأضياف أن يَكْثُرَ القِرَى ولكنما وجهُ الكريم خَصيب وقال محمود الوراق: التِّيه مَفسدة للدِّين منقصة للعَقل لمجلبة للذمّ والسخَطِ مَنْع العطاء وبَسْط الوجه أحسنُ من بَذْل العطاء بِوَجْه غير منبسط وقال أيضاً: بِشْرُ البخيلِ يكاد يصْلِح بُخلَه والتِّيهُ مَفْسدة لكلِّ جوادِ ونقيصة تبْقى على أيامه ومَسبَّة في الأهل والأولاد وقال آخر في الكِبر: مع الأرض يا بنَ الأرض في الطِّيران أتأمُل أن تَرْقَى إلى الدَبَرَانِ حَمَاهُ مكانُ البُعد مِن أن تَناله بسَهْم من البَلْوى يدُ الحَدثان التسامح مع النعمة والتذلل مع المصيبة قالوا: من عَزّ بإقبال الدَّهر ذَلّ بإدْباره.

وقالوا: مَن أَبْطره الغِنَى أذلّه الفقر.

وقالوا: مَن وَليَ وِلاية يَرى نفْسَه أكبر منها لم يتغيَّر لها ومَن وَليَ ولايةً يراها أكبر من نفسه تغير لها.

وقال يحيى بن حَيّان: الشرَّيف إذا تقوَّى تواضع والوضيعُ إذا تقوَّى تكبَّر.

وقال كِسرى: احذَرُوا صَوْلة الكريم إذا جاع واللئيم إذا شَبع.

وكتب عليَّ بن الجَهْم إلى ابن الزيّات: أبا جعفر عرج على خُلطائكَا وأَقصِر قليلاً من مَدى غُلوائكَا فإن كنتَ قد أُوتيت في اليوم رِفْعةً فإنّ رَجائي في غَدٍ كرجائكا وقال عبد العزيز بن زُرارة الكلابيّ: إذا نال لم يَفْرَح وليس لِنَكبة أَلمَت به بالخاشع المُتَضائل وقال الحسنُ بن هانئ: لقد حَزِنْتُ فلَم أَمُتْ تَرَحا ولقد فَرِحْتُ فلم أمُت فَرَحا كتب عقِيلُ بن أبي طالب إلى أخيه عليّ بن أبي

طالب عليه السلامُ يسأله عن حاله فكتب إليه عليٌّ رضي الله عنه: فإنْ تَسأَلِينيّ كيفَ أنتَ فإنني جَلِيدٌ على عَض الزَّمان صَلِيبُ عَزِيزٌ عليَّ أنْ تُرى بي كآبةٌ فيفرح واشٍ أو يُسَاء حَبِيب ما جاء في ذم الحمق والجهل قال النبي صلى الله عليه وسلم: " الجاهلُ يظلم مَن خالطه ويعتدي على مَن هو دونه ويتَطاول على مَن هو فَوْقه ويتَكلّم بغير تَمييز وإن رَأى كريمةً أعرض عنها وإن عَرَضت فتْنة أرْدَتْه وتهوَّر فيها.

وقال أبو الدَّرداء: عَلامة الجاهل ثلاث: العُجُب وكَثرة المَنطق وأن يَنْهَى عن شيء ويأتيه.

وقال أرْدشير: حَسْبُكم دَلالة على عَيْب الجهل أنَّ كل الناس تَنفر منه وتَغضب من أن تُنسب وكان يُقال: لا تَغْرُرْك من الجاهل قَرابة ولا أُخوَة ولا إِلْف فإنّ أحقَّ الناس بتَحريق النَّار أقربُهم منها.

وقيل: خَصْلتان تقَرِّبانك من الأحمق كثرةُ الالتفات وسرعة الجواب.

وقيل: لا تَصْطحب الجاهِلَ فإنّه يُريد أن يَنْفعك فيضُرّك.

ولبعضهم: لكلِّ دَاءٍ دواءٌ يستطب به إلا الحماقةَ أَعْيَتْ مَن يُدَاويها ولأبي العتاهية: احْذَرِ الأحمقَ أن تَصْحَبَه إنما الأحمقُ كالثَّوب الخَلَقْ كلَّما رَقَّعْتَه مِن جانبٍ زَعْزَعتْه الريحُ يوماً فَانخرق أو كصدعٍ في زُجاج فاحشٍ هل تَرَى صَدْع زُجاجٍ يَلْتصق فإذا عاتبتَه كي يَرْعَوِي زادَ شرًّا وتمادى في الخُمق

باب في التواضع

قال النبي صلى الله عليه وسلم: مَن تَوَاضَع للّه رَفعه الله.

وقال عبدُ الملك بن مَرْوان رَفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم: أفضَل الرجال مَن تَوَاضع عن رِفْعة وزَهِد عن قُدْرة وأنصف عن قوة.

وقال ابن السماك لعيسى بن موسى: تواضُعك في شَرَفك أكبرُ من شرَفك.

وأصبح النّجاشيّ يوماً جالساً على الأرض والتّاجُ عليه فأعظمت بَطارقتُه ذلك وسألُوه عن السَّبب الذي أوْجبه فقال: إني وَجدت فيما أنزل الله على المَسِيح: إذا أنعَمْتُ عَلَى عَبْدِي نِعمةً فَتَواضَع أتمَمتُها عليه وإنه وُلد لي هذه الليلةَ غلامٌ فتواضعتُ شكراً للّه.

خرج عمرُ بن الخطّاب رضي الله عنه ويدُه على المُعلَّى بن الجارود العَبْديِّ فَلقيَتْه امرأةٌ من قُرَيش فقالت له: يا عُمر فَوَقف لها فقالت: كنَا نَعْرفك مُدةً عُميراً ثم صِرْت من بعد عُمير عُمر ثم صِرْت من بعد عُمر أميرَ المؤمنين فاتق اللّهَ يا بن الخطّاب وانظُر في أمور الناس فإنه مَن خاف الوَعيد قَرُبَ عليه البَعيد ومَن خاف الموتَ خَشيَ الفَوْت.

فقال المُعلّى: إيهاً يا أمةَ الله فقد أبكيتِ أميرَ المؤمنين.

فقال له عُمر: اسكت أتَدْري مَن هذه " ويحك " هذه خَوْلة بنت حَكيم التي سمع الله قولَها من سمائه فعُمَر أحرى أن يَسمع قولَها ويَقْتدي به.

وقال أبو عَبّاد " الكاتب ": ما جَلس إليَّ رجل قَطَ إلا خيِّل إليَ أنّي سأجلس إليه.

وسُئل الحسنُ عن التواضع فقال: هو أن تخرج من بَيْتك فلا تلْقى أحداً إلا رأيتَ له الفضلَ وقال رجل لبَكر بن عبد الله: عَلِّمني التواضع فقال: إذا رأيتَ مَن هو أكبَرُ منك فقُل: سَبَقني إلى الإسلام والعَمل الصالح فهو خير مني وإذا رأيت " من هو " أصغرُ منك فقُل: سبقتُه إلى الذُّنوب والعمل السيئ فأنا شرٌّ منه.

وقال أبو العتاهية: يا مَن تشرَّف بالدُّنيا وزينتها ليسَ التشرُّف رَفْعَ الطّين بالطيّن إذا أردتَ شريفَ الناس كلِّهمُ فانظُرْ إلى مَلِك في زِيِّ مِسْكينَ " ذاك الذي عَظُمت في الناس هِمَّته وذاكَ يَصْلح للدُّنيا وللدِّين " الرفق والأناة قال النبي صلى الله عليه وسلم: مَن أوتِيَ حظَّه من الرِّفق فقد أوتي حظَّه من خَيْر الدُنيا والآخرة.

وقالت الحُكماء: يُدْرَك بالرِّفق ما لا يُدْرَك بالعَنْف ألاَ تَرى أنّ الماء على لِينه يَقْطع الْحَجَر على شِدَته وقال أشجعُ " بن عمرو " السُّلَميّ لجعفر بن يحيى بن خالد: وقال النابغة: الرِّفْقُ يُمْن والأناةُ سعادةٌ فاسْتَأنِ في رِفْق تُلاَق نَجَاحَا وقالوا: العَجل بَرِيدُ الزَّلل.

أخذ القَطامي التَّغلبيّ هذا المعنى فقال: قد يُدْرِك المُتَأنِّي بعض حاجتِه وقد يكونُ معَ المُستَعْجل الزَّللُ وقال عَدِيُّ بن زَيد: قد يُدْرِكُ المُبْطِىءُ مِن حظّه والْحَين قد يَسْبِقُ جُهْدَ الحَرِيصْ استراحة الرجل بمكنون سره إلى صديقة تقول العرب: أفْضَيْتُ إليك بشُقوري.

وأَطلَعْتُك على عَجَري وبُجَري.

لوكان في جَسدي بَرص ما كَتَمتُه.

وقال اللهّ تبارك وتعالى: " لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌ ".

وقالت الحكماء: لكلّ سِرّ مُستودع.

وقالوا: مكاتمة الأدْنين صرَيحُ العُقوق.

وأبثثتُ عَمراً بعضَ ما في جَوَانحي وجَرَّعتُه من مُرّ ما أتجرع " ولا بدَّ من شَكْوى إلى ذي حَفِيظةٍ إذَا جَعلتْ أسرارُ نفس تَطَلَّع " وقال حبيب: شكوت وما الشَّكْوَى لِمِثْلِيَ عادةٌ ولكنْ تَفِيضُ النفسُ عند امتلائها وأنشد أبو الحسن محمد البَصَريَّ: لَعِبَ الهَوَى بمَعالمي ورُسومي ودُفِنْتُ حيًّا تحت رَدْم هُمُومِي وشكوتُ هَمِّي حين ضِقْتُ ومَن شكا هَمَّا يضِيقُ به فغير ملوم وقال آخر: إذا لم أطِق صَبراً رَجعتُ إلى الشكوى وناديتُ تحت اللَّيل يا سامع النَّجْوَى وأمطَرْت صَحْن الخَدِّ غيثاً من البُكا على كَبِد حَرَّى لِتَرْوَى فما تَرْوَى

الاستدلال باللحظ على الضمير قالت الحكماء: العينُ باب القَلْب فما كان في القلب ظهَر في العين.

أبو حاتم عن الأصمعي عن يونس بن مُصْعب عن عثمان بن إبراهيم بن محمد قال: إني لأعرف في العين إذَا عَرفتْ وأعرِف فيها إذا أنكرتْ وأعرف فيها إذا لم تَعرف ولم تُنكر أما إذا عرفت فتخواصّ وأما إذا أنكرت فتَجْحظ وأما إذا لم تَعرف ولم تُنْكر فتَسْجُو.

وقال صريعُ الغَواني: جَلنا عَلامات ٱلمَوَدَّة بَيْننا مَصايِدَ لَحْظٍ هنَ أَخفي من السِّحْرِ فأعرفُ فيها الوَصْلَ في لِينِ طَرْفِها وأعرِف فيها الهَجْر في النَظر الشزْر وقال محمودٌ الورّاق: إنّ العُيون على القُلوب شَواهدٌ فبغيضُها لكَ بَينٌ وحبيبُها وإذا تَلاحظت العُيون تَفاوضت وتحدثت عما تجن قلوبها يَنْطِقْنَ والأَفْواهُ صامِتةٌ فما يَخْفي عليك بَرينُهَا ومُريبها وقال ابن أبي حازم: خِذْ مِن العَيْش ما كَفي ومِن الدَّهر ما صَفا عين من لا يُحِب وَصْلك تُبْدِي لكَ ٱلجَفَا ومن قولنا في هذا المعنى: صاحب في الحب مَكْذُوبُ دَمْعة للشَّوق مَسْكوب وقال الحسنُ بن هانئ: وإنّي لِطَيْر العيَنْ بالعَينْ زاجِر فقد كِدْتُ لا يَخْفي عَلَيَّ ضَمِيرُ الاستدلال بالضمير على الضمير كتب حَكيمٌ إلى حَكيم: إذا أردتَ معرفةً مالَك عِندي فضَع يَدَك على صدْرك فكما تَجدُني كذلكَ أجدُك.

وقالوا: إيَّاكم ومَن تُبغضه قلوبُكم فإنَ القُلوب تُجَازي القلوبَ.

وقال ذو الإصْبع: لا أسألُ الناسَ عمّا في ضَمائرهم ما في ضمِيري لهم مِن ذاك يَكْفِيني وقال محمود الورّاق: لا تسألنَّ المَرْء عمَّا عِنده واستَمْل ما في قَلبه من قَلْبكَا إنْ كان بُغْضاً كان عندك مِثْله أو كان حُبَا فاز منك بحَبِّكا الإصابة بالظن قيل لعمرو بن العاص: ما العَقْل قال الإصابة بالظَّن ومَعْرفة ما يكون بما قد كان.

وقال عليٌ بن أبي طالب رضي الله عنه: للهّ دَرُّ عباس إن كان لينظر إلى الغَيْب من سِترْ رَقيق.

وقال الشاعر: وقَلّما يَفْجأ المَكْرُوهُ صاحبَه حتى يَرى لوجوه الشَّرّ أسْبَاباً وإنّما رَكَّب الله العقلَ في الإنسان دون سائر الحَيوان ليستدلَ بالظاهر على الباطن ويَفْهم الكثيرَ بالقليل.

ومن قولِنا في هذا المعنى: يا غافلا ما يَرى إلا مَحاسِنَه ولو دَرَى ما رأى إلا مَساويهِ انظُر إلى باطنِ الدَّنيا فظاهِرُها كلُّ البهائم يَجْري طَرْفُها فيه تقديم القرابة وتفضيل المعارف قال الشَّيباني: أَوَّل مَن آثر القَرابة والأولياء عثمانُ بن عفّان رضي الله عنه وقال: كان عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه يمنع أقاربَه ابتغاءَ وجه اللهّ.

فلا يُرَى أفضل من عمر.

وقال لما آوَى طريدَ النبي صلى الله عليه وسلم: ما نَقِم الناسُ عَلَيَّ أن وصلتُ رحماً وقَرَّبت وقيل لمُعَاوية بن أبي سُفيان: إنَّ آذِنَك يُقدِّم معارفَه وأصدقاءَه في الإذْن على أشرافِ الناس ووُجوههم فقال: وَيْلكم! إنَّ المَعْرفة

لتَنْفع في الكلْب العَقور والجَمَل الصَّؤول فكيف في رَجُل حَسيب ذي كرم ودين.

وقال رجلٌ لزياد: أصلح اللهّ الأميرَ إنَ هذا يُدِلّ بمَكانةٍ يَدَّعيها منك قال: نعم وأخبرك بما يَنْفعه من ذلك إنْ كان الحق له عليك أخذتُكَ به أخذاً شديداً وإن كان لك عليه قَضيته عنه.

وقال الشاعر: أقولُ لجاريِ إنْ أتاني مُخاصماً يُدِلُ بحقٍّ أو يُدِلُّ بباطل إذا لم يَصِلْ خيْري وأنتَ مُجاوِري إليك فما شَرِّي إليك بواصِل العُتْبيّ قال: وَلَي عبدَ اللهّ بنُ خالد بن عبد الله القَسْرِي " قَضاء " البَصرة فكان يُحابى أهل مودَّتِه فقيلَ له: أيّ رجلٍ أنت لولا أنك تُحَابي! قال: وما خَيْر الصَّديق إذا لم يَقْطع لصديقه قِطْعة من دينه.

ووَلِي ابن شُبرمة قَضَاء البَصرة وهو كاره فأحسن السِّيرة.

فلما عُزِلَ اجتمع إليه أهلُ خاصَّته ومَودَّته فقال لهم: والله لقد وَليتُ هذه الولِاية وأنا كارهٌ وعُزلت عنها وأنا كاره وما بي من ذلك إلا مخافَة أن يلي هذه الوُجوهَ من لا يَعرف حقّها.

ثم تمثَل بقول الشاعر: بَلَى إنَّ أقواماً أخافُ عليهمُ إذا مِتُّ أن يُعطوا الذي كنتُ أمنع " وتقول العامَّة: مَحَبَّة السلطان أردّ عليك من شُهودك " وقال الشاعر: إذا كان الأمير عليك خَصما فَلَيس بقابلٍ منك الشّهودَا وقال زياد: أحب الولايةَ لثلاث وأكرهها لثلاث: أحبها لِنَفْعِ الأَوْلياء وضرَّ الأَعْداء واسترخاص الأشياء وأكرهها لِرَوْعة البريد وقُرْب العزْل وشَماتة العدوّ.

ويقول الحُكماء: أَحقُّ مَن شاركك في النِّعمة شرُكاؤك في المُصِيبة.

أَخذه الشاعر فقال: وإنَ أوْلى الموالي أن تُوَاسِيه عند السُّرُور لمن آساك في الحزَن إنّ الكِرام إذا ما أسْهلُوا ذَكَروا مَن كان يَألَفهم في المَنْزِل الخَشِن وقال حَبِيب: قَبَح الإلهُ عداوةً لا تُتّقى ومَودَّةً يُدْلَى بها لا تَنْفَعُ فضل العشيرة قال عليّ بنُ أبي طالب رضي اللهّ عنه: عشيرةُ الرجل خيرٌ للرجل من الرجل للعَشِيرة إن كَفَّ عنهم يداً واحدة كَفُّوا عنه أيدياً كثيرة مع مودَّتهم وحِفَاظهم ونُصْرتهم.

إنِّ الرجل لَيَغْضَب للرجل لا يَعْرفه إلا بِنسَبه وسأتْلُو عليكم في ذلك آياتٍ من كِتاب اللهّ " تعالى " قال اللهّ عزّ وجلّ فيما حكاه عن لُوطَ: " لَوْ أَنَّ لِي بِكُم قُوَّة أَوْ آوِي إلى رُكْن شَدِيد "! يعني العشيرة ولم يكن للوط عَشيرة: فوالذي نفسي بيده ما بعث الله نبيًّا من بعده إلا في ثَرْوَة من قومه ومَنعة من عَشِيرته ثم ذكر شُعيباَ إذ قال له قومُه: " إنَّا لَنَرَاكَ فِينا ضعِيفاً ولَوْلا رَهطك لَرَجَمْناكَ " وكان مَكْفوفاً واللّه ما هابُوا " الله ولا هابوا " إلا عشيرتَه.

وقبل لِبُزُرْجمْهِر: ما تقول في ابن العم قال: هو عدوُّك وعدوُّ عدوّك.

الدَّين مِن حَدِيث عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: الدَّيْنُ يَنْقُص ذا الحَسب.

وقال عمر " ألا إنّ " لأسَيْفع أُسَيْفِع جُهينة رَضي مِن دِينه وأمانته أن يُقال: سَبق الحاج ألا وإنه قد أدان مُعرِضاً وأصبح قدرِين به فمن كان له عِنْده شيء فلْيأتنا بالغداة وقال مولَى قُضاعة: فلو كنتُ مولِيَ قَيْس غَيْلانَ لم تَجد علي لإنْسان من الناس دِرْهَما ولكنَّني مولَى قُضاعة كُلِّها فلستُ أبالي أن أدينَ وتَغرَما وقال آخر: إذا ما قضيْتَ الدَّينَ بالدَين لم يكُن قَضاءَ ولكِن كان غَرْماً على غُرْم وقال سُفيان الثوريّ: الدَّين هَمٌ باللَيل وذُلٌ بالنهار فإذا أراد الله أن يُذِلَ عَبداً جَعله قِلادة في عُنقه.

ورأى عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه رجلاً مُتقنِّعاً فقال له: كان لقمان الحكيم يقول: القِنَاع رِيبةٌ بالليل ذُلٌّ بالنهار فقال الرجلُ: إنّ لُقمان الحكيم لم يكن عليه دين.

وقال المقنع الكِنْديّ: يَعِيبونني بالدَين قَومي وإنما تَداينتُ في أشياء تُكْسِبهم حَمْدا إذا أكلوا لَحْمي وَفَرتُ لحومهم وإن هدَمُوا مَجْدِي بنيتُ لهم مَجْدَا وقالت الحكماء: لَيس لكَذّاب مُرُوءة.

وقالوا: مَن عُرف بالكَذِب لم يَجُزْ صِدْقه.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا يجوز الكَذِب في جِدّ ولا هَزْل.

وقال: لا يكون المؤمن كَذّاباً.

وقال عبد الله بن عُمر: خُلْف الوَعْدِ ثُلُث النِّفاق.

وقال حبيب الطائيِّ في عَيّاش: يا أكثر الناس وَعْداً حَشْوُه خُلْفٌ وأكثر الناس قولاً حَشْوُه كَذِبُ ومن قولنا في هذا المعنى: صَحِيفةٌ أفنيتْ ليتٌ بها وعسى عُنْوانها راحةُ الرّاجي إذا يَئسَا وَعْدٌ له هاجسٌ في القَلْب قد بَرِمتْ أحشاءُ صَدْري به من طول ما آنحبسا مواعدٌ غَرَّني منها وَمِيضُ سَنَى حتى مَدَدْتُ أيها الكفّ مقْتَبِسا فَصادفتْ حجَراً لو كنتَ تَضْرِبه مِن لُؤْمه بعَصَا مُوسى لما آنْبَجَسا كأنما صِيغ من بُخل ومن كَذِب فكان ذاكَ له رُوحا وذا نَفَسا والقول به اعلم أنّ السامع شريك القائل في الشَر.

قال الله " تعالى ": " سماعُونَ لِلْكَذِب ".

وقال العُتبي: حَدّثني أبي عن سَعد القصير قال: نَظر إليَّ عمرو بن عُتبة ورجل يَشْتُم رجلاً بين يديّ فقال لي ويلك - وما قال لي ويلك قبْلها - نَزِّه سَمْعك عن استماع الخَنا كما تُنزِّه لِسانَك عن الكلام به فإنّ السامعَ شريكُ القائل وإنه عَمد إلى شرِّ ما في وعائه فأفرغه في وِعائك ولو رُدَّت كلمة جاهل في فِيهِ لَسَعِدَ رادُّها كما شَقي قائلُها.

باب الأدب في العيادة مَرِض

أبو عمرو بن العَلاء فدَخَل عليه رجلٌ من أصحابه فقال له: أَريد أن أُساهرَك الليلةَ قال له: أنت مُعافي وأنا مَبْتَلي فالعافية لا تَدَعك أن تَسهر والبلاءُ لا يَدَعني أن أنامِ وأسأل الله أن يَهب لأهل العافية الشُّكر ولأهل البلاء الصَّبر.

ودَخل كُثير عَزَّة على عبد العزيز بن مَرْوان وهو مريض فقال: لو أنّ سُرورك لا يتمّ إلا بأن تَسْلم وأَسْقَم لدعوتُ رِبَي أن يَصرف ما بك إليّ ولكن أسأل الله لك أيها الأمير العافية ولي في كَنفك النِّعمة.

فضحِك وأَمر له بجائزة فخرج وهو يقول: ونعودُ سيِّدَنا وسيِّدَ غَيْرنا ليتَ التشكّي كان بالعوادِ لو كان يُقْبَل فِدْيةٌ لفَدَيْتُه بالمُصْطفي مِن طارِفي وتلاَدِي وكتب رجلٌ من أهل الأدب إلى عَليل: نُبِّئت أنّكَ مُعْتَلّ فقلتُ لهم نَفسي الفِداء لهُ من كلّ مَحْذورِ يا ليتَ عِلّته بي ثَمَّ كان له أجرُ العَليل وأنّي غيرُ مأجورِ وكتب آخر إلى عَليل: وَقَيْتَاك لو نُعْطَى الهوى فيك والمُنَى لكان بنا الشَّكْوى وكان لك الأجْرُ وكان شاعرٌ يختلف إلى يَحيى بن خالد بن بَرمك ويمتدحه فغاب عنه أيّاماً لعلّة عرضت له أيهذا الأمير أكرمك الل ه وأبقاك لي بَقاءً طَويلاً أجَميلاً تراه أصلحك الله لكَيما أراه أيضاً جَميلاً أنّني قد أقمتُ عَنْك قَلِيلاً لا تُرَى مُنْفذاً إليَّ رَسُولا ألذنب فما عَلِمْتُ سوى الشّك ر لما قد أوْليتنيه جَزيلا أم مَلالاً فما عَلِمْتَك للحا فظ مِثْلي على الزَمان مَلولا قد أتى الله بالصَّلاَحِ فما أن كرت مما عَهدْتُ إلاّ قَليلا وأكلتُ الدَّرَّاج وهو غِذاء أفَلت عِلّتي عليه أفولا وكأنّي قَدِمْتُ قُبْلَك آتي ك غداً إن أَجِدْ إليك سَبيلا فكتب إليه الوزير يعتذر: دَفَعَ الله عنكَ نائبةَ الده رِ وحاشاك أن تكون عَليلاَ أشْهدُ الله ما علمتُ وما ذَا كَ من العذر جائزاً مَقْبولاَ ولَعَلّي لو قد عَلِمْتُ لعاوَدْ تُكَ شَهراً وكان ذاك قَلِيلا أعْزِزْ على بأن أراك عَليلا أو أن يكون بك السَّقامُ نزيلاَ فَوَدِدْتُ أنّي مالكٌ لَسَلامَتِي فأعيرَها لك بُكرةً وأصيلا فتكونَ تَبقى سالماً بسلامتي وأكونَ مما قد عَرَاكَ بَدِيلا هذا أخٌ لك يَشْتكي ما تشتكي وكذا الخليل إذا أَحَبَّ خَليلا ومَرِض يحيى بن خالد فكان إسماعيل بن صُبيح الكاتب إذا دَخَل عليه يَعوده وقف عند رأسه ودَعا له ثم يَخْرُج فيسأل الحاجبَ عن مَنامه وشرابه وطعامه فلمّا أفاق قال يحيى بنُ خالد: ما عادني في مرضي هذا إلا إسماعيلُ ابن صُبيح.

وقال الشاعر: عِيادة المَرْء يومٌ بين يَوْمين وجَلسةٌ لك مِثْل اللَّحظ بالعين لا تُبْرِمَنَّ مَريضاً في مُساءلة يكفيك من ذاكَ تَسْآل بحرفين وقال بكر بنُ عبد الله لقوم عادوه في مرضه فأطالوا الجلوسَ عنده: المريض يُعاد والصحيح يُزار.

وقال سفُيان الثّوْريّ: حُمْق العُوّاد أشدُّ على المَرضى من أمراضهم يجيئون في غير وقت ويطيلون الجلوس.

ودخل رجلٌ على عمر بن عبد العزيز يَعوده في مرضه فسأله عن علّته فلمّا أخبره قال: من هذه العلة مات فلان ومات فلان.

فقال له عمر: إذا عُدت المَرْضى فلا تَنْعَ إليهم الموْتى وإذا خرجتَ عَنَّا فلا تَعُد إلينا.

وقال ابن عبّاس: إذا دخلتم على الرَّجل وهو في الموت فبشرُوه ليلقى ربَّه وهو حَسن الظن ولقّنُوه الشهادة ولا تُضْجروه.

ومَرِض الأعمش فأبرمه الناس بالسُّؤال عن حاله فكَتب قصَّته في كِتاب وجعله عند رأسه فإذا سأله أحدٌ قال: عندك القِصَّة في الكتاب فاقرأها.

ولبعضهم: مَرِض الحبيبُ فعُدْتُه فمَرِضتُ من حَذَري عليه وأَتىَ إليَّ يَعُودني فبرِئْتُ من نظري إليه ومَرِض محمدُ بن عبد الله بن طاهر فكتبَ إلى أخيه عبيد اللّه بن عبد الله: إنّي وجدتُ عَلَى جَفَا ئك من فِعالكَ شاهِدَا إني اعتللت في فَقَدْ تُ سِوى رَسولك عائدا ولو اعتللتَ فلم أَجِدْ سبباً إليك مُساعداً فأجابه: كُحِلت مُقْلتي بشَوك القَتاد لم أذق مُذْ حُمِمْتَ طَعْم الرُّقادِ يا أخي الباذل المودّة والنا زلَ من مقلتي مكانَ السواد مِنَعَتْني عليك رِقَّةُ قلبي من دُخولي إليك في العُوّاد لوْ بأُذْني سمعتُ منك أنيناً لتَفَرَّى مع الأنين فؤادي ولمحمد بن يزيد: يا عَلِيلاً أَفْدِيك من ألم العِل ة هل لي إلى اللقاء سبيلُ إن يَحُل! دونك الحجابُ فما يح جَب عني بك الضَّنَى والعَويل وأنشد محمدُ بنُ يزيد قال أنشدني أبو دُهْمان لنفسه وقد دَخل على بعض الأمراء يعوده: بأَنْفُسنا لا بالطَوارف والتُلْدِ نَقِيك الذي تُخْفِي من السُّقم أو تُبدِي بنا مَعْشرَ العُوّاد ما بك من أذى فإن أشفقوا مما أقول فَبِي وَحْدِي وكتب أبو تمام الطائي إلى مالك بن طَوْق في شَكاة له: كم لَوْعةٍ للنَّدَى وكم قَلق للمجد والمَكْرمات في قَلَقِكْ ودخل محمد بن عبد الله على المتوكل في شَكاة له يعوده فقال: اللّه يَدفعْ عن نَفْس الإمام لنا وكلّنا للمنايا دُونه غَرَض فليتَ أنّ الذي يَعروه من مرض العائدين جميعاً لا به المَرَض فبالإمام لنا من غيرنا عِوَض وليس في غيره منه لنا عِوَض فما أبالي إذا ما نَفْسه سَلِمَتْ لو باد كلُّ عباد الله وانقرضوا وقال آخر في بعض الأمراء: واعتلّ فاعتلت الدنيا لعِلّته واعتلّ فاعتلَّ فيه البأسُ والكرمُ لما استقَلَّ أنار المَجد وانقشعت عنه الصَّبابة والأحْزان والسَّقم وبلغ قيساً مجنونَ بني عامر أن ليلى بالعراق مريضة فقال: يقولون ليلى بالعِراق مريضةٌ فما لك تَجْفوها وأنت صديقُ شَفي الله مرْضى بالعِراق فإنني على كلِّ شاكٍ بالعِراق شفِيق ولمحمد بن عبد الله بن طاهر: أَلْبسك اللَهُ منه عافيةً تُغْنيك عن دَعْوتي وعن جَلَدكْ وقال غيره: يا أملي كيف أنتَ من ألمِكْ وكيف ما تَشْتكيه من سَقَمكْ هذان يومان لي أعدُّهما مُذ لم تَلُح لي بُرُوق مُبْتسمك حسدتُ حُمّاك حين قِيل لنا بأنها قَبَّلَتك فوق فَمك ولسُحَيم عَبد بني الحَسحاس: تَجَمّعن شتى من ثلاث وأرْبع ووَاحدةٍ حتى كَمُلنَ ثمانيَا وأقْبلن من أقصى الْخِيام يَعُدْنني ألا إنما بعضُ العوائد دَائيا وللعباس بن الأحف: قالت مَرِضْت فعُدْتها فتبرَّمت وهي الصحيحة والمريضُ العائدُ والله لو قَسَت القلوبُ كقَلبها ما رَقّ للوَلد الضعيف الوَالدُ وقال الواثق: لا بك السُقْم ولكنْ كان بي وبنَفْسي وبأُمّي وأبي قيل لي إنك صُدِّعتَ فما خالطت سمعيَ حتى دير بي وقَوْلُكِ للعُوّاد كيف تَرَوْنه فقالوا قَتيلاً قلتِ أهونُ هالكِ لئن سَاءَني أن نِلتني بمَساءَةٍ لقد سَرَني أني خَطرت ببالكِ ومن قولنا في هذا المعنى: رُوح النَّدى بين أثواب العُلا وَصب يَعْتنُّ في جَسد للمجْد مَوْصوب ما أنتَ وحدَك مكْسُوًّا شُحوبَ ضَنى بل كلنا بك من مُضنى ومشحوب يا مَن عليه حِجَابٌ من جَلالته وإن بدا لك يوماً غير محجوب أَلْقَى عليك يداً للضرُّ كاشفةً كَشَّافُ ضرُّ نبيّ اللَه أيُوب ومثله من قولنا: لا غَرْو إن نال منك السُّقْمُ والضررُ قد تُكْسف الشمسُ لا بل يُخْسَف القمرُ يا غُرّة القمر الذّاوي غَضارتُها فِداً لنُورك منّي السمعُ والبَصر إن يُمس جسمك موعوكا بصالية فهكذا يُوعَكُ الضَّرغامة الهَصر أنتَ الحُسام فإن تُقْلَل مضاربُه فقبلَه ما يُفَلّ الصّارِم الذّكَر رُوح من المَجْد في جُثمان مَكْرُمةَ كأنما الصُّبح من خَدَّيه يَنْفجر لا غَرو إن نال منك السقْمُ ما سألاَ قد يُكْسَفُ البدر أحياناً إذا كَمُلا ما تَشْتَكي عِلّةً في الدهر واحدةً إلا اشتكي الجُود من وَجْدٍ بها عِلَلا الأدب في الاعتناق أبو بكر بن محمد قال: حدّثنا سعيد بن " إسحاق عن عليّ بن يونس المَدينيّ " قال: كنتُ جالساً عند مالك " بن أنس " فإذا سُفيان بن

عُيينة يَستأذن بالباب فقال مالك: رجلٌ صالح صاحب سُنَة أدخِلوه فدخل فقال: السلامُ عليكم ورحمةُ اللهّ وبركاته فردَ السلام فقال: سلامٌ خاصّ وعامّ عليك يا أبا عبد الله ورحمةُ الله فقال مالك: وعليك السلامُ يا أبا محمد ورحمةُ اللهّ فصافَحه مالك وقال: يا أبا محمد لولا أنها بِدْعة لعانَقْناك فقال سُفيان: قد عانق مَن هو خيرٌ منَّا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك: جعفراً قال: نعم فقال مالك: ذاك حديثٌ خاصّ يا أبا محمد ليس بعامّ فقال سفيان: ما عمَّ جعفراً يَعُمّنا وما خصَّه يخُصّنا إذا كنَّا صالحين أفتأذن لي أن أحدَّث في مجلسك قال: نعم يا أبا محمد فقال: حدّثني عبد الله بن طاوس عن أبيه عن عبد الله بن عباس أنه لما قَدِم جعفرٌ من أرض الحبشة اعتنقه النبي صلى الله عليه وسلم وقبل بين عينيه وقال: جعفر أشبه الناس بي خَلْقَاَ

باب الأدب في إصلاح المعيشة

قالوا: مَن أشبع أرضَه عملاً أشبعت " بيته " خُبزاً.

وقالوا: يقول الثّوب لصاحبه: أكرمني داخَلاَ أُكْرِمْك خارجاً.

وقالت عائشة: المَغزَل بيد المرأة أحسنُ من الرُّمح بيد المُجَاهد في سبيل اللّه.

وقال عمرُ بن الخطاب: لا تَنْهَكوا وجهَ الأرض فإن شَحمها في وَجْهها.

وقال: فَرِّقوا بين المَنايا واجعلوا من الرأْس رَأْسين.

وقال: أملكوا العَجِين فإنه أحد الرَّيعين.

وقال أبو بكر لغُلام له كان يتَّجر بالثياب: إذا كان الثوبُ سابغاً فانشرهُ وأنت قائم وإذا كان قَصيراً فانشُره وأنت جالس وإنما البيْع مِكَاس.

وقال عبد الملك بن مَرْوَان: مَن كان في يده شيءٌ فلْيُصْلحه فإنه في زمان إن احتاج فيه فأوّل ما يَبْذُل دينهُ.

باب الأدب في المؤاكلة

قال النبي صلى الله عليه وسلم: إذا أَكل أحدُكم فليأكل بيمينه ولْيَشْرَب بيمينه فإنّ الشيطان محمد بن سلاّم الجُمحي قال: قال بلال بن أبي بُردة وهو أمير على البَصرة للجارود بن أبي سَتْرة الهُذليّ: أتحضُر طعامَ هذا الشيخ - يعني عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر - قال: نعم قال: فصِفه لي قال: نأتيه فنجده مُنْبطحاً - يعني نائماً - فنجلس حتى يستيقظ فيأذن فنُساقطه الحديث فإن حدَّثناه أحسنَ الاستماع وإن حدَّثنا أحسنَ الحديث ثم يدعو بمائدته وقد تقدّم إلى جواريه وأُمهات أولاده أن لا تُلطِفه واحدةٌ منهن " إلا " إذا وُضعت مائدته ثم يُقبل خَبْازه فيمْثُل بين يديه قائماً فيقول له: ما عِنْدك فيقول: عِندي كذا وكذا فيعدِّد ما عنده - يريد بذلك أن يَحْبس كلُّ رجل نفسَه وشهوتَه على ما يَريد من الطعام وتُقْبِل الألوان من هاهنا ومن هاهنا

فتوضع على المائدة ثم يُؤتى بثريدة شَهباءَ من الفُلفل رَقْطَاء من الْحِمَّص ذاتِ حِفافينْ من العُرَاق فيأكل مُعذِراً حتى إذا ظنّ أن القوم قد كادوا يمتلئون جثَا على رُكْبتيه ثم استأنف الأكل معهم.

قال ابن أبي بُردة: للّه ذرُّ عبد الأعلى ما أربطَ جأشَه على وقع الأضراس.

حضر أعرابيٌّ سُفرةَ هشام بن عبد الملك فبَينا هو يأكل معه إذ تعلّقتَ شَعرةٌ في لُقمة الأعرابيّ.

فقال له هشام: عندك شعرة في لُقمتك يا أعرابيّ فقال: وإنك لتُلاحظني مُلاحظة من يَرى الشَّعرة في لُقمتي واللّه لا أكلت عندك أبداً.

ثم خرج وهو يقول: وللَموتُ خيرٌ من زيارة باخل يُلاحظ أطرافَ الأكِيل على عَمْدِ محمد بن يزيد قال: أكل قائدٌ لأبي جعفر المنصور معه يوماً وكان على المائدة محمدٌ المهديّ وصالحٌ ابناه فبينا الرجلُ يأكل من ثَريدة بين أيديهم إذ سَقط بعضُ الطعام من فيه في الغَضَّارة وكان المهديّ وأخاه عافَا الأكل معه فأخذ أبو جعفر الطّعام الذي سَقط من فم الرجل فأكله.

فالتفتَ إليه الرجلُ فقال: يا أميرَ المؤمنين أمّا الدُّنيا فهي أقلُّ وأيسر من أن أتركها لك لكن واللّه لأتركن في مرضاتك الدُّنيا والآخرة.

وحدّث إبراهيمُ بن السِّنديّ قال: كان فتىً من بني هاشم يَدْخل على المنصور كثيراً " يُسلم من بعيد ويَنْصرف ".

فأتاه يوماً فأدناه ثم دعاه إلى الغَداء فقال: قد تغذيتُ.

فأمهله الربيعُ حاجبُ المنصور حتى ظَنّ أنه لم يفهم الخطيئة فلما انصرف وصار وراء السِّتر دَفع في قَفاه.

فلما رأى من الحاجب دَفعه في قَفاه شَكا الفتى حالتَه وما ناله إلى عُمومته فأقبلوا من غد إلى أبي جعفر وقالوا: إنَ الربيع نال من هذا الفتى كذا وكذا فقال لهم أبو جعفر: إنَ الرّبيع لا يقدم على مثل هذا إلا وفي يده حُجَّة فإن شئتم أمْسكنا عن ذلك وأغضينا وإن شِئتم سألتُه وأسمعتكم قالوا: بل يسأله أميرُ المؤمنين ونسمع.

فدعاه فسأله فقال: إنّ هذا الفتى كان يأتي فيُسلِّم ويَنصرف من بعيد فلما كان أمس أدناه أميرُ المؤمنين حتى سلَم من قُرْب وتبذل بين يديه ودعاه إلى غدائه فبلغ من جهله بحق المَرْتبة التي أحلّه فيها أن قال: قد تغدّيتُ وإذا هو ليس عنده لمن أكل مع أمير المؤمنين وشاركه في يده إلا سدَّ خَلّة الجوع ومثل هذا لا يُقوِّمه القولُ دون الفعل.

فسكت القومُ وانصرفوا.

وقال بكرُ بن عبيد الله: أحق الناس بلَطْمة مَن أني طعاماً لم يُدْعَ إليه وأحقُّ الناس بلَطْمتين من يقول له صاحب البيت اجلس ها هنا فيقول: لا ها هنا

وأحقُّ الناس بثلاث لطمات من دُعي إلى طعام فقال لصاحب المنزل: ادعُ رَبّةَ البيت تأكل معنا.

وقال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: لا ينبغي للفتى أن يكون مُكْحلاً ولا مُقبِّباً ولا مُكوكباً ولا شُكامداً ولا حرامداً ولا نُقامداً ثم فسّره فقال: أما المُكحل فالذي يتعرّق العظم حتى يَدَعه كأنه مُكْحُلة عاج والمَقَبِّب فالذي يُركِّب اللحم بين يديه حتى يجعله كأنه قُبّة.

والمُكَوكب: الذي يَبْصق في الطِّست ويتَنخّم فيها حتى يصير بُصَاقه كأنه الكواكب في الطِّست.

والحرَامد: الذي يأتي في وقت الغَداء والعَشاء فيقول: ما تأكلون فيقولون من بُغْضه: سُمًّا فيُدخل يده ويقول في حِرامّ العيش بعدكم.

والشُّكامد: الذي يُتْبع اللقمة بأُخرى قبل أن يُسيغها فيَخْتنق كأنه ديك قد ابتلع فأرة.

والنُّقامد: الذي يضع الطعامَ بين يديه ويأكل من بين يدي غيره.

ومن الأدب: أن يبدأ صاحبُ الطعام بغَسْل يده قبل الطعام ثم يقول لجلسائه: من شاء منكم فليغسل فإذا غُسلَ بعد الطعام فَلْيُقَدَمْهم ويتأخر.

وقال العلماء: لا يُؤم ذو سُلطان في لسُطانه ولا يُجلس على تَكْرِمته إلا بإذنه.

وقال زِياد: لا يُسَلَّمُ على قادمٍ بين يَدي أمير المؤمنين: ودخل عبد الله بن عبّاس على مُعاوية وعنده زَيادٌ فرحَّب به مُعاوية ووسَّع له إلى جَنْبه وأقبل عليه يُسائله ويُحادثه وزِياد ساكِت فقال له ابن عبّاس: كيف حالُك أبا المُغيرة كأنك أردت أن تُحْدث بيننا وبينك هِجْرة فقال: لا ولكنه لا يُسلَّم على قادم بين يدي أمير المؤمنين.

قال ابن عبّاس: ما أُدركْت الناس إلا وهم يُسلمون على إخوانهم بين يدي أمرائهم.

فقال له مُعاوية: كُفَّ عنه يابن عبّاس فإنك لا تَشاء أن تَغْلِبَ إلا غُلبت.

الشّيبانيّ قال: بَصق ابن مَرْوان فقَصر في بَصْقته فوقعت في طَرف البِساط فقام رجلٌ من المجلس فمسَحه بكُمّه.

فقال عبدُ الملك بن مَرْوان: أَرْبعة لا يُسْتحي من خِدْمتهم: الإمام والعالِم والوالد والضيف.

وقال يحيى بن خالد: مُساءَلة المُلوكِ عن حالها من تَحيَّة النَّوْكَى فإذا أردتَ أن تقول: كيف أصبح الأمير فقُل: صَبَّح الله الأميرَ بالنِّعمة والكرامة وإن كان عليلاً فأردتَ أن تَسأله عن حاله فقُل: أنزل الله علِى الأمير الشِّفاء والرِّحمة.

وقالوا: إذا زادك المَلِك إكراماً فزِدْه إعظاماَ ماذا جَعلك عَبْداَ فاجعله ربًّا ولا تُدِيمن النظر إليه ولا تُكثر من الدُّعاء له في كلِّ كلمةٍ.

ولا تتغير له إذا سَخِط ولا تَغتر به إذا رَضيَ ولا تُلْحِف في مسألته.

وقالوا: الملوك لا تُسْال ولا تُشمَّت ولا تُكَيف.

وقال الشاعر: إنَّ المُلوكَ لا يُخَاطَبُونَا ولا إذَا مَلُوا يُعَاتَبُونَا وفي المَقَال لا يُنَازَعُونَا وفي العَطاس لا يُشَمَّتونَا وفي الخطاب لا يُكَيَّفُونَا يُثنى عليهم ويُبَجَّلونَا فافْهَم وَصاتي لا تكُن مَجْنُونا وقالوا: من تمام خِدْمة الملوك أن يُقَرِّب الخادمَ إليه نَعْلَيْه ولا يَدَعه يَمشي إليهما ويَجعل النعلَ اليُمنى قُبالة الرِّجل اليمنى واليُسرى قُبالة الرجل اليُسرى وإذا رأى مُتَّكأ يَحتاج إلى إصلاح أصْلَحَه ولا يَنْتظر فيه أمرَه ويَتفقد الدَواة قبلَ أن يَأمره ويَنْفُضِ عنها الغبار إذا قَربها إليه وإن رأى بين يديه قِرْطاساً قد تباعد عنه قَرّبه إليه وَوَضعه بي يديه على كِسْره.

وقال أصحابُ معاوية لمُعاوية: إنّا ربما جَلَسنا عندك فوقَ مِقْدار شَهْوتك فأنتْ تَكْره أن تَسْتَخِفَّنا فتأمر بالقيام ونحن نكرْه أن نُثْقِل عليك في الجُلوس فلو جعلتَ لنا علامةً نَعْرِف بها ذلك فقال: علامةُ ذلك أن أقولَ: إذا شِئتم.

وقيل مثلُ ذلك لعبد الملك بن مروان فقال.

إذا وضعتُ الخَيْزُرانة.

وما سمعتُ بألطف مَعنى ولا أكملَ أَدَباً ولا أحسنَ مَذْهباً في مُساءلة الملوك من شَبِيب بن شَيْبة وقوله لأبي جَعْفَر: أَصْلَحَكَ الله إني أُحِبُ المعرفة وأجِلُّك عن السُّؤال.

فقال له: فلان بن فُلان.

باب الكناية والتعريض

ومن أَحْسن الكِناية اللَطيفة عن المعنى الذي يَقْبحُ ظاهرهُ: قيل لعُمَر بن عبد العزيز وقد نَبتَ له حبنٌ تحت أُنْثَيَيْه: أين نبَتَ بك هذا الحِبْن قال بين الرانفة والصَّفْن.

وقال آخر ونَبتَ به حِبْن في إبطه: أين نبت بك هذا الحِبْن قال: تحت مَنْكِبيّ.

وقد كَنَى اللهّ تعالى في كِتابة عن الجماع بالمُلامَسة وعن الحَدَث بالغائط فقال: " أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِن الغَائِطِ " والغائطَ: الفَحْص " وهو المُطْمئن من الأرض " وجَمْعه: غِيطان.

" وقالُوا مَا لِهَذا الرّسُول يأكَلُ الطَّعامَ ".

وإنما كنّى " به " عن الحَدث.

وقال تعالى: " واضْمُمْ يَدَكَ إلى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سَوءٍ ".

فكنّى " بالسوء " عن البرص.

ودخل الرّبيع بن زياد على النُّعمان بن المُنذر وبه وَضح فقال: ما هذا البَياض بك فقال: سيف اللهّ جلاه.

ودخل حارثةُ بن بدر على زياد وفي وَجهه أثر فقال له زياد: ما هذا الأثر الذي في وَجْهِك قال: رَكِبت فَرَسي الأشقر فجمح بي فقال: أما إنك لو رَكِبْت الأشهبَ لما فعل ذلك.

فكنّى حارثة بالأشقر عن النبيذ وكنّى زياد بالأشهب عن اللبن.

إذَا ما مات مَيْتٌ من تميم وسرك أن يَعيش فجِيءْ بزادِ بخُبز أو بتَمْرٍ أو بِسَمْنٍ أو الشيءِ المُلَفَفِ في البِجَاد تراه يَطُوف في الافاقْ حِرْصاً لَيأكل رأس لُقمان بن عاد ما هذا الشيء الملفّف في البِجاد قال الأحنف: السّخينة يا أميرَ المؤمنين.

قال معاوية: واحدةٌ بأخرى والبادي أظلم - والسّخينة طعام كانت تعمله قريش من دقيق وهو الخَريزة فكانت تُسَب به وفيه يقول حسَّان بن ثابت: زَعمْت سَخينة أن ستَغْلِب رَبّها وليُغْلِبنّ مُغالِب الغلابِ وقال آخر: تَعشوا من خَزيرتهم فناموا ولمّا عَزل عثمانُ بن عفان عمرو بن العاص عن مِصر وولاها ابن أبي سَرْح دخل عمرو على عُثمان وعليه جُبّة محشوّة فقال له عُثمان: ما حَشْو جُبّتك يا عمرو قال: أنا قال: قد علمتُ أنك فيها.

ثم قال له يا عمرو: أشعرتَ أن اللِّقاح درّت بعدك ألبانُها فقال: لأنكم أعجفتم أولادَها.

فكنّى عثمان عن خَراج مصر باللّقاح وكنّى عمرو عن جَوْر الوالي بعده وأنه حَرم الرزق أهلَ العطاء ووفّره على السلطان.

وكان في المَدِينةِ رجلٌ يُسَّمى جَعْدة يُرجِّل شعره ويتعرَّض للنساء المِعْزَبات فكتب رجلٌ من أَلاَ أَبلغ أبا حَفْص رسولاً فدًى لك من أخي ثِقَةٍ إزَارِي قَلائِصُنا هدَاكَ اللهّ إنّا شُغِلنا عنكُم زمنَ الحصارِ يُعَقِّلُهن جَعْد شيظمي وبِئْسَ مُعَقّلُ الذَّوْد الظُّؤار فكنَى بالقلائص عن النّساء.

وعَرض برجل يقال له جَعْدَة.

فسأل عنه عمرُ فَدُل عليه فجزّ شَعره ونَفَاه عن المدينة.

وسمع عمرُ بن الخطاب امرأة في الطّواف تقول: فَمِنْهُنَّ من تُسْقَى بعَذْب مُبرد ثَقاخ فتِلْكم عند ذلك قرَتِ ومنهنّ مَن تُسْقَى بأخضرَآجن أجاجٌ ولولا خشيةُ الله قَرَّت ففهم شكواها فبَعث إلى زَوْجها فوجده متغيِّر الفم.

فخيَّره بين خمسمائة من الدراهم وطلاقِها.

فاختار الدَّراهم فأعطاه وطَلّقها.

ودخل على زياد رجلٌ من أشراف البصرة فقال له زياد: أين مَسكنك من البَصرة قال: في وَسطها قال له: كم لك من الولد قال: تِسْعة فلما خرج من عنده قيل له: إنه ليس كذلك في كل ما سألته وليس له من الوَلد إلاّ واحدٌ وهو ساكن في طَرف البَصرْة.

فلمّا عاد إليه سأله زياد عن ذلك فقال له: ما كذبتُك لي تسعة من الولد قَدَمْت منهم ثمانية فهم لي وبقي معي واحد فلا أدري إليَ يكون أم عليَّ ومنزلي بين المدينة والجَبانة فأنا بين الأحياء والأموات فمنزِلَي في وَسط البَصرة قال: صدقت.

الكناية يورى بها عن الكذب والكفر لما هَزم الحجاجُ عبدَ الرحمن بن الأشعث وقتَل أصحابَه وأسرَ بعضهم كتب إليه عبدُ الملك بن مَرْوان أن يَعْرِض الأسرى على السيف فمَن أقرَّ منهم بالكفر خلِّى سبيلَه ومَن أبَى يَقْتله فأُتي منهم بعامر الشَّعبي ومطرِّف ابن عبد الله بن الشّخّير وسعيد بن جُبَير فأمّا الشعبي ومطرِّف فذَهبا إلى التعريض والكناية ولم يُصرِّحا بالكفر فَقبِل كلامهما وعفا عنهما وأمّا سعيد ابن جُبير فأبى ذلك فقتل.

وكان مما عرَّض به الشعبي فقال أَصلح الله الأمير نَبا المنزل وأَحْزَن بنا الجَناب واستَحلَسْنا الخوفَ واكتَحلنا السهرَ وخَبطتنا فتنةٌ لم نكن فيها برَرَة أتقياء ولا فَجَرة أقوياء.

قال صدقَ والله ما بَرُّوا بخروجهم علينا ولا قَوُوا خَلّيا عنه ثم قُدِّم " إليه " مُطرِّف بن عبد الله فقال له الحجّاج: أتُقِرّ على نفسِك بالكفر قال: إنّ مَن شق العصا وسَفَك الدماء ونكث البَيْعة وأَخاف المسلمين لجديرٌ بالكفر قال: خليا عنه.

ثمّ قُدّم إليه سعيد بن جُبير فقال له: أتقِر على ولما وَلي الواثقُ وأَقعد للناس أحمدَ بن أبي دُوَاد للمحنة في القُرآن ودعا إليه الفُقهاء أتي فيهم بالحارث بن مِسْكين فقيل له: أتَشهد أنّ القرآن مخلوق قال: أشهدُ أنّ التوراة والإنجيل والزَّبور والقرآن هذه الأربعة مخلوقة ومَدّ أصابعه الأربع فعرض بها وكنَى عن خلق القرآن وخلِّص مُهْجَته من القَتل: وعَجز أحمدُ بن نَصر فقيهُ بغداد عن الكِناية فأباها فقُتِل وَصلِب.

ودَخل بعضُ النسّاك على بعضِ الخُلفاء فدعاه إلى طَعامه فقال له: الصائم لا يأكل يا أميرَ المؤمنين وما أذكّي نفسي بل الله يُزَكّي مَن يشاء وإنما كره طعامه.

الأصمعيُّ عن عيسى بن عمر قال بينما ابن عِرْباض يَمشي مُقْدِماً لِطيَّتِه إذ استقبلته الخوارج يَجرُّون الناسَ بسيوفهم فقال لهم: هل خَرج إليكم في اليهود شيء قالوا: لا قال: فامضُوا راشِدين فمضَوْا وتركوه.

ولقي شيطانُ الطاق رجلاً من الخوارج وبيده سيفٌ فقال له الخارجي: واللهّ لأقتلنّك أو تبرأ من عليّ فقال له: أنا من عليّ ومن عثمان بريء " يريد أنه

من عليّ وبريء من عثمان "ِ0 أبو بكر بن أبي شَيْبة قال: قال الوليد " بن عُقْبة " على المِنْبر بالكوفة: أقسمُ على مَن سمّاني أشعرَ بَرْكاً إلا قام " فخرج عنّي " فقام إليه رجل من أهل الكوفة فقال له: ومَن هذا الذي يقوم " وقال معاويةُ لصعْصعة بن صوحان: اصْعَد المنبر فالْعَن عليًّا " فامتنع من ذلك وقال: أو تُعْفيني قال: لا.

فَصَعد المنبر فَحَمِد اللهّ وأثنى عليه ثم قال: معاشر الناس إنّ معاوية أمرني أن ألعن عليّاً فالعَنُوه لعنه الله ".

الكناية عن الكذب في طريق المدح

المدائنيّ قال: أتي العُرْيان بن الهَيْثم بغلام سكران فقال له: مَن أنت فقال: أنا ابن الذي لا يَنْزلُ الدَّهرِ قدرُه وإن نزلت يوماً فسوف تَعودُ ترى الناسَ أفواجاً إلى ضوْء ناره فمنهم قِيامٌ حولها وقُعود فظنّه ولداً لبعض الأشراف فأمر بتخليته.

فلمّا كُشف عنه قيل له: إنّه ابن باقلاني.

ودخل رجل على عيسى بن موسى وعنده ابن شُبْرمة " القاضي " فقال له: أتعرف هذا الرجل - وكان رُمي عنده بريبة - فقال " نعم " إن له بيتاً وقَدماً وشرَفاً فخلّى سبيلَه.

فلمّا انصرف ابن شبرمة قال له " أصحابُه ": أكنت تعرف هذا الرجل قال: لا ولكني عرفُ أنّ له بيتاً يأوي إليه وقدماً يمشي عليها وشرفُه أذناه ومَنْكباه.

وخطب رجل لرجل إلى قوم فسألوه: ما حِرْفته فقال: هو نخَّاس الدوَاب فزوّجوه فلمّا كُشف عنه وجدوه يبيع السَّنانير فلمّا عنَّفوه في ذلك قال: أوَ ما السنانير دواب ما كذبتكم في شيء.

ودخل مُعلَى الطائي على ابن السَّرِيّ يعوده في مرضه فأنشده شعراً يقول فيه: فأُقسم إن منَّ الإله بصحَة ونَالَ السَّرِيُ بنُ السرِيِّ شفَاءَ لأرتَحِلَّن العِيسَ شهراً بحِجة وأعتق شُكراً سالماً وصَفَاء فلمّا خرج من عنده قال له أصحابُه: واللّه ما نعلم عبدَك سالماً ولا عبدك صَفاء فمَن أردت أن تُعتق قال هما هرّتان عندي والحجّ فريضة واجبة فما عَلَيِّ في قولي شيءإن شاء الله تعالى.

باب في الكناية والتعريض في طريق الدعابة

سُئل ابن سيرين عن رجل فقال: تُوفّي البارحة.

فلما رأى جَزَع السائل قال: " الله يَتوفَى الأنفسَ حين مَوْتها والتي لم تمُتْ في مَنامها " وإنما أردتُ بالوَفاة النوم.

ومَرِض زيادٌ فدخَل عليه شُريح القاضي يَعوده.

فلمّا خَرج بعث إليه مَسْرُوقُ بنِ الأجْدَع يسأله: كيف تركتَ الأمير قال: تركتُه يأمر وينهى فقال مَسروق: إن شُرَيحاً صاحبُ تَعرِيض " عَوِيص " وكان سِنان بن مُكمِّل النُميريّ يُساير عُمر بن هبيرة الفَزاريّ يوماً على بَغلة فقال له ابن هُبيرة: غُضَّ من عِنان بَغلتك فقال: إنها مكتوبة أصلح الله الأمير.

أراد ابن هُبيرة قول جرير: فغُضَّ الطَّرْفَ إنك من نُمير فلا كَعْباً بلغتَ ولا كلابَا وأراد سِنَان قولَ الشاعر: لا تَأمننَ فَزاريّاً خَلوتَ به على قَلُوصك واكتُبْها بأسْيارِ ومرّ رجلٌ من بني تَميم برجل من بني نُمير على يده بازي فقال التَّميميُ للنّميريّ: هذا البازي لك فقال له النُّميري: نعم وهو أهدَى من القَطا.

أراد التميميُّ قولَ جرير: أنا البازي المُطِلّ على نُمَيْرٍ أُتِحْتُ لها من الجوِّ انصبابَا وأراد النميري قول الطِّرِمّاح: تَميم بطُرْق اللُّؤم أهدَى من القَطَا ولو سَلكت سُبْل المكارِم ضَلَّتِ ودخل رجلٌ من مُحارب على عبد الله بن يَزيد الهلاليّ وهو والي أرْمِينية وقَريبٌ منه غَدير فيه ضفادع فقال عبد الله بن يزيد: ما تركتنا شيوخ مُحارب نَنام الليلة فقال له المُحاربيّ: أصلح الله الأمير أو تدْري لمَ ذلك قال: ولم قال: لأنها أضفَت بُرْقُعاً لها قال: قَبّحك اللهّ تَنِقّ بلا شيء شُيوخُ مُحَارِبِ وما خِلتُها كانت تَريش ولا تَبْري ضَفادع في ظَلماءِ ليلٍ تَجاوبتْ فدلَّ عليها صوتُها حَيَّةَ البَحَر وأراد المُحاربيُّ قولَ الشاعر: لكلّ هِلاَليّ من اللُّؤم بُرْقُع ولابن يزيد بُرقعٌ وقميصُ وقال مُعاوية لعبد الرحمن بن الحَكم: استعْرِض لي هذين الفَرسين فقال: أحدُهما أجَشُّ والآخر هَزِيم يعني قولَ النَّجاشيّ: ونَجَّى ابن هِنْد سابحٌ ذو عُلالةٍ أجشُّ هَزيم والرِّماح دواني فقال مُعاوية: أما إنَ صاحبَهما على ما فيه " لا " يُشئب بكَنائنه.

وكان عبدُ الرحمن يُرْمى بكنَّتِه.

وشاور زيادٌ رجلا من ثِقاته في آمرأة يتزوَّجها فقال: لا خير لك فيها إني رأيتُ رجلاً يُقبِّلها فتركها وخالَفه الرجل إليها وتزوَّجها.

فلما بلغ زياداً خبرهُ أرسل إليه وقال له: أما قلتَ لي إنك رأيتَ رجلاً يُقبِّلها قال: نعم رأيتُ أباها يُقبِّلها.

وقال أعرابيُ لعمرَ بن الخطّاب رضي الله عنه: يا أميرَ المؤمنين احمِلْني وسُحَيما على جمل فقال: نَشدتك الله يا أعرابيّ أسُحيم هذازِق قال: نعم ثم قال: مَن لم يَنْفعه ظنه لم يَنْفعه وودَّع رجلٌ رجلاً كان يُبْغِضُه فقال: امض في سّرٍ مِن حِفْظ الله وحِجاب من كلاءته.

فَفطِن له الرجل فقال: رَفع الله مكانك وشَدِّ ظهرك وجَعلك مَنظوراً إليك.

والشَّيباني قال: كان ابن أبي عَتيق صاحبَ هَزْل ولهو واسمُه عبد الله بن محمد بن أبي بَكر " الصدِّيق رضي الله عنهم " وكانت له آمرأة من أشراف قَريش وكان لها فتياتٌ يُغنين في الأعراس والمآتم فأمرت جاريةً منهن أن تغنِّي بشعر لها قالتْه في زَوْجها فتغنّت الجاريةُ وهو يسمع: ذَهب الإله بما تَعيش به وقمرتَ لُبك أيما قَمْرِ أنفقت مالك غير مُحْتشم في كلِّ زانية وفي الخمر فقال للجارية: لمن هذا الشَّعر قالت: لمؤلاتي.

فأخذ قرْطاساً فكتبه وخرج به فإذا هو بعبد الله بن عُمر بن الخطاب فقال: يا أبا عبد الرحمن قف قليلا أكلمك فوقف عبد الله بن عمر فقال: ما تَرى فيمن هجاني بهذا الشعر وأنشد البيتين قال: أرى أن تَعفو وتَصفح قال: أما وإللهّ لئن لقيتُه لأنيكنَه فأخذ ابن عُمر ينَكُله ويَزْجره وقال: قبّحك اللهّ.

ثم لَقيه بعد ذلك بأيام فلما أبصره ابن عُمر أعرض عنه بوَجْهه فاستقبله ابن أبي عَتيق فقال له: سألتُك بالقبر ومَن فيه إلا سمعتَ مني حرفين فولاه قفاه وأنصت له قال: علِمتَ أبا عبد الرحمن أني لقيتُ قائل ذلك الشعر ونِكْته فصعِق عبد الله ولُبِط به فلما رأى ما نَزَل به دنا من أذنه وقال: أصلحك اللّه إنها امرأتي " فلانة ".

فقام ابن عمر وقَبل ما بي عَيْنيه " وتبسَّم ضاحكاً ".

باب في الصمت

كان لُقمان الحكيم يجلس إلى داود صلى اله عليه وسلم " مُقْتَبسا " وكان عبداً أسود فوجده وهو يَعمل دِرْعاً من حديد فعجب منه ولم يَرَ درْعاً قبل ذلك فلم يسأله لُقمان عما يَعمل ولم يُخبره داود حتى تمَّت الدِّرع بعد سنة فقاسها داودُ على نفسه وقال: زِرْد طافا ليوم قِرَافا.

تفسيره: درع حَصينة ليوم قِتال.

فقال لُقمان: الصمت حُكم وقَليل فاعله.

وقال أبو عبيد الله كاتبُ المهديّ: كُن على التماس الحظ بالسكوتِ أحرصَ منك على التماسه بالكلام إنّ البلاء موَكَلٌ بالمنطق.

وقال أبو الدَّرداء: أنْصف أُذنيك مِن فيك فإنما جُعل لك أُذنان اثنان وفَم واحد لِتسمع أكثر مما تقوله ابن عَوْف عن الحسن قال: جلسوا عند مُعاوية فتكلّموا وسكت الأحنف فقال مُعاوية: مالك لا تتكلّم أبا بَحْر قال: أخافُك إن صدقتُ وأخاف الله إن كذبت.

وقال المُهلَّب بن أَبي صُفْرة: لأن أرى لعقل الرجل فضلاً على لسانه أحبُّ إليَّ من أن أرى للسانه فضلا على عقله.

وقالوا: مَن ضاق صدرُه اتسع لسانُه ومَن كثُر كلامُه كثُر سَقَطه ومَن ساء خُلقه قلَّ صديقُه.

وقال هَرم ابن حيّان: صاحبُ الكلام بين إحدى مَنْزلتين إن قصَّرَ فيه خصم وإن أَغْرق فيه أَثِم.

وقال شَبيب بن شَيبة: مَن سمع الكلمة يَكرهها فسكتَ عنها انقطع ضرُّها عنه.

وقال أكثمُ بن صَيْفيّ: مَقْتل الرجل بين فَكَّيه.

وقال جعفر بن محمد بن عليِّ بن الحُسين بن عليّ بن أبي طالب رضي اللهّ عنهم: يَموت الفتَى من عَثْرة بلِسانِه وليس يموتُ المرءُ من عَثْرة الرِّجْل فعثرته مِن فِيه تَرْمِي برأسه وعثرتُه بالرِّجْل تَبِرا على مَهْل وقال الشاعر: الْحِلم زَيْنٌ والسكُوتُ سلامةٌ فإذا نَطقتَ فلا تَكُنْ مكثَارَا ما إن نَدِمْتُ على سُكُوتي مَرّةً لكن نَدِمْتُ على الكلام مِرَارا وقال لحسن بن هانيء: خَلّ جنبيكَ لِرَامِي وامض عنه بسَلاَم ربَّ لفظ ساق آجا ل فِنَام وفئام إنما السالِمُ من أَلْ جَم فاهُ بِلِجَام وقال بعض الحكماء: حَظّي من الصّمت لي ونَفْعُه مَقْصور عَلَيَّ وحظّي من الكلام لغيري وَوَباله راجع عَليَّ.

وقالوا: إذا أعجبك الكلامُ فاصمُت.

وقال رجلٌ لعمر بن عبد العزيز: متى أتكلم قال: إذا اشتهيتَ أن تَصْمُت قال: فمتى أصمُتَ قال: إذا اشتهيتَ أن تتكلّم.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما أعْطيَ العبدُ شرّا مِن طَلاقة اللّسان.

وسَمِع عبد الله بن الأهتم رجلا يتكلم فيُخْطىء فقال: بكلامك رُزِق الصمتُ المحبة.

باب في المنطق

قال الذين فَضلوا المنطقَ: إنما بُعثَت الأنبياء بالكلام ولم يُبْعثوا بالسُّكوت.

وبالكلام وُصِف فَضْل الصَّمت ولم يُوصف القولُ بالصمت وبالكلام يُؤْمر بالمعروف وينْهى عن المُنْكر ويُعظَّم اللهّ ويُسبَّح بحمده " والبيان من الكلام هو الذي مَنَّ الله به على عِباده فقال: " خَلَقَ الإنْسَان عَلَّمَهُ البَيَان ".

والعِلْم كلُّه لا يُؤدِّيه إلى أَوْعية القُلوب إلا اللسان فنَفْع المنطق عام لقائله وسامعه " ومن بلّغه " ونَفْع الصمتِ خاص بفاعله.

وأَعْدلُ شيء قِيل في الصمت والمَنْطق قولهم: الكلامُ في الخير كلِّه أفضلُ من الصمت والصمت في الشرِّ كلّه أفضلُ من الكلام.

وقال عبد الله المُبارك صاحبُ الرقائق يَرْثي مالكَ بن أَنس المَدَنيّ: صَمُوتٌ إذا ما الصمتُ زَيَّنَ أَهلَه وفَتّاق أبكار الكلام المُخَتَّم وَعَى ما وَعَى القرآنُ من كلِّ حِكْمَة وسِيطَت له الآدابُ باللحم والدَّم وقال عمرُ بن الخطّاب: ترْك الحركة غَفْلة.

وقال بكرُ بن عبد الله المُزنيّ: طُول الصمت حبُسْة.

وقالوا: الصمتُ نَوْم والكلام يَقَظة.

وقالوا: ما شيء ثَّني إلا قَصرُ إلا الكلام فإنه كلما ثُني طال.

" وقال الشاعر: الصمتُ شيمته فإنْ أبْدَى مَقالاً كان فَصْلاَ أَبدَى السكوتَ فإن تك - لم لم يَدَعْ في القول فَضْلا " محمدُ بن سِيرين قال: ما رأيتُ عَلَى آمرأة أجملَ من شَحم ولا رأيتُ عَلَى رَجُل أجمل من فصاحة.

وقال اللهّ تبارك وٍ تعالى فيما حكاه عن نبيّه موسى صلى الله عليه وسلم وآستيحاشه بعدم الفصاحة: " وَأخي هرُون هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءَا يُصَدِّقُني ".

آفات المنطق تكلّمَ ابن السماك يوماً وجارية له تسمع كلامه فلما دخل قال لها: كيف سمعت كلامي قالت: ما أحسنه لولا أنك تردده قال: أردّده ليفهمه من لم يفهمه قالت: إلى أن يفهمه من لم يفهمه يملّه من فَهِمَه.

" الأصمعي قال ": قال مُعاوية يوماً لجلسائه: أيّ الناس أفصح فقال رجلٌ من السِّماط: يا أميرَ المؤمنين قوم قد ارتفعوا عن رُتَّة العراق وتياسَرُوا عن كَشْكشة بكر وتيامَنُوا عن: شَنْشَنة تَغْلب ليس فيهم غَمْغمة قُضاعة ولا طمطمانيّة حِمْير.

قال: مَن هم قال: قومُك يا أميرَ المؤمنين قُريش قال: صدقتَ فمن أنت قال: مِن جَرْم قال الأصمعيّ: جَرْم فُصْحَى الناس.

قال أبو العباس محمد بن يزيد النَحويّ.

التَمتمة في المنطق

التردُّد في التاء والعُقْلة: هي التواء اللسان عند إرادة الكلام والحُبْسة: تعذُر الكلام عند إرادته واللفف: إدخالُ حَرْف في حَرْف والرُّتة: كالرتَج تمنُع أول الكلام فإذا جاء منه شيء اتصل به".

والغَمْغمة: أن تسمع الصوت ولا يَبِين لك تقطيعُ الحروف.

وأما الرَتة: فإنها تكون غريزية وقال الراجز: يأيُها المُخلّط الأرَتّ ويقال إنها تكثر في الأشراف.

وأما الغَمْغمة: فإنها قد تكون من الكلام وغيره.

لأنها صَوتُ من لا يُفهم تقطيع حرُوفه.

قال عنترة: " وصاحبِ ناديته فغَمْغما يُريدُ لَبيك وما تكلَّما قد صار من خوف الكلام أعْجما " والطمْطمة: أن يكون الكلام مُشْبِهاً لكلام العجم واللّلكنة: أن تَعْترض في الكلام اللغةُ الأعجمية - وسنفسِّر هذا حرفاً حرفاً وما قيل فيه إن شاء اللّه - واللّثغة: أن يُعدَل بحَرْف إلى حَرْف والغُنّة: أن يُشرب الحرفُ صوتَ الخَيْشوم والخُنَة: أشد منها والزخيم: حَذْف الكلام والفأفأة: التردد في الفاء: يقال: رجل فأفاء تقديره فاعال ونظيره من الكلام ساباط وخاتام يامَيُّ ذات الجَوْرب المنشَقّ أخذتِ خاتامِي بغَير حَقٍّ وقال آخر: ليس بفأفاء ولا تَمتّام ولا مُحبٍّ سَقَطَ الكلام وأما كَشْكشة تميم: فإن بني عمرو بن تميم إذا

ذَكرتْ كاف المؤنّث فوقفتْ عليها أبدلت منها شينا لقُرب الشين من الكاف في المخرج وقال راجزُهم: هل لكِ أن تَنْتفعي وأنفعش فتُدْخلين اَللذْ معي في اللّذْ مَعَش وأما كسكسة بكر.

فقوم منهم يُبدلون من الكاف سينا كما فعل التميميون في الشين.

وأما طمطمانية حِمْير: ففيها يقول عَنترة: تَأوي له قُلُص النَّعام كما أوَتْ حِزَقٌ يمانِيَةٌ لأعجمَ طِمْطِم وكان صُهيب أبو يحيى رحمه الله يَرْتضخ لُكْنة روميّة.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: صُهيب سابق الروم.

وكان عبيد الله بن زياد يرتضخُ لكنة فارسية مِن قِبل زوج أُمه شيرويه الأسواريّ.

وكان زياد الأعجم وهو رجل من بني عبد القيس.

يَرْتضخ لكنة أعجمية وأنشد المُهلّبَ في مَدْحه إياه: بريد السلطان - وذلك أن بين التاء والطاء نسباً لأن التاء من مخرج الطاء.

وأما الغُنة فتُستحسن من الجارية الحديثة السن.

قال ابن الرّقاع " في الظبية ": تُزْجِي أَغَنّ كأن إبرةَ رَوْقه قلمٌ أصابَ من الدَّواة مِدَادها وقال ابن المُقَفّع: إذا كثر تَقْلِيب اللِّسان رقّت حواشيه ولانت عَذَبته.

وقال العتّابي: إذا حُبس اللسانُ عن الاستعمال اشتدَّت عليه مخارج الحروف.

وقال الراجز: كأن فيه لفَفَا إذا نطق من طُول تَحْبِيس وهمّ وأرَقْ

باب في الإعراب واللحن

أبو عُبَيدة قال: مَرَّ الشِّعبيُّ بقَوْم من المَوالي يَتذاكرون النحوَ فقال لهم: لئن أصْلحتموه إنكم لأوَّل من أفسده.

قال أبو عُبيدة: ليته سَمِع لحنَ صَفْوان وخالد بن صَفْوان وخاقان والفتح بن خاقان والوليدِ بن عبد الملك.

وقال عبد الملك بن مروان: اللحنُ في الكلام أقبح من التَّفتيق في الثوب والجُدَريّ في الوجه.

وقيل له: لقد عَجِل عليك الشيبُ يا أميرَ المؤمنين قال: شَيَّبنى ارتقاءُ المنابر وتوقع اللحن.

وقال الحجَّاج لابن يَعْمَر: أتَسمعني ألحن قال: لا إلاّ أنه ربما سَبَقكَ لسانُك ببعضه في آن وآن قال: فإذا كان ذلك فعَرِّفني.

وقال المأمون لأبي عليّ المعروف بأبي يَعْلى المِنْقريّ: بلغني أنك أُمِّيّ وأنك لا تقيم الشِّعر وأنك تَلحن في كلامك فقال: يا أميرَ المؤمنين أمّا اللّحن فربما سَبَقني لساني بالشيء منه وأما الأمِّيَّة وكَسْر الشعر فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أمّياً وكان لا يُنشد الشعر قال المأمون: سألتُك عن ثلاثة عيوب فيك فزدْتني عَيباً رابعاً وهو الجهل ياجاهل إنّ ذلك في النبي صلى الله عليه وسلم فضيلة وفيك وفي أمثالك نَقيصة وإنما مُنع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم لنَفْي الظِّنَّة عنه لا لِعَيب في الشِّعر والكتاب وقد قال تبارك وتعالى: " وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ".

وقال عبدُ الملك بن مروانَ: الإعراب جمالٌ للوَضِيع واللحن هُجْنة على الشَّرِيف.

وقال: تَعلَّموا النحوَ كما تتعلّمون السَّنن والفرائض.

وقال رجلٌ للحسن: إنَّ لنا إماماً يلحن قال: أمِيطوه " عنكم فإن الإعراب حِلْية الكلام ".

وقال الشاعر: النَّحوُ يَبْسُط من لسان الأَلْكن والمرءُ تُكْرِمه إذا لم يَلْحَنِ فإذا طلبتَ من العُلوم أجلَّها فأجلّها منها مُقِيم الألسن وقال آخر: النَّحو صَعْب وطويل سُلَّمه إذا ارتقى فيه الذي لا يَعْلمُهْ زَلّتْ به إلى الحَضِيض قَدَمُه يُريدُ أن يُعْربه فَيُعْجِمه وقال رجل للحسن: يا أبو سَعِيد فقال: أحْسَبُ أنّ الدَّوانِق شَغَلتْك عن أن تقول: يا أبا سعيد.

وكان عمرُ بنُ عبد العزيز جالساً عند الوليد بن عبد الملك وكان الوليد لَحَّاناً فقال: ياغلام ادعُ لي صالح فقال الغلام: ياصالحا قال له الوليد: انُقص ألفاً فقال عمر: وأنت يا أميرَ المؤمنين فزِدْ ألفاً.

ودخل على الوليد بن عبد الملك رجلٌ من أشراف قُريش فقال له الوليد: من خَتَنَك قال له: فلانٌ اليهودي فقال: ما تقول ويحك! قال: لعلّك إنما تَسْأل عن خَتَني يا أمير المؤمنين هو فلان بن فلان.

وقال عبدُ الملك بن مروان: أضرّ بنا في الوليد حُبُّنا له فلم نُلْزمه البادية.

وقد يَستثقل الإعرابُ في بعض المواضع كما يستخفّ اللحنُ في بعضها.

وقال مالك بن أسماء بن خارجة الفَزاريّ: منطقٌ بارعٌ وتَلحنُ أحيا ناً وخير الحديث ما كان لحنا وذلك أنه من حَكى نادرةً مُضحكة وأراد أن يُوفِّي حروفها حظَّها من الإعراب طَمس حُسنها وأخرجها عن مِقدارها ألا ترى أن مُزَبِّدا المَدِينيّ أكل طَعاماَ فكظَّه فقيل له: ألا تَقِي قال: وما أقي خبز نقي ولحم طَرِي مَرَتي طالق لو وَجدت هذا فيئاً لأكلته.

قال: وكذلك يُستقبح الإعراب في غير موضعه كما استُقبح من عيسى بن عمر إذ قال وابن هُبيرة وحُكي عن بعض المغربين في اللّحن أن جارية له

غنّته: إذا ما سَمعتُ اللومَ فيها رفضته فَيَدْخل من أُذْنٍ ويَخرج مِن أُخرَى فقال لها: مِن أُخرِى يا فاعلة أما علّمتِكِ أن " من " تَخفض.

وقال رجل لشُرَيح: ما تقول في رجل توفي وترك أباه وأخيه فقال له: أباه وأخاه فقال: كم لأباه وأخاه قال لأبيه وأخيه قال: أنت علّمتني فما أصْنَع وقال بعضُ الشعراء وأدرك عليه رجل من المُتفصّحين يقال له حَفْص لحناً في شِعْره وكان حَفْص به اختلاف في عَينيه وتَشويه في وجهه فقال فيه: لقد كان في عَينيك يا حَفْصَ شاغلٌ وأنفٌ كمِثْل الطَّود عما تَتَبَّع تَتَبّع لحناً من كلام مُرَقَّش وخَلْقُك مبْنيّ من اللَّحْن أجمع فعينك إقواء وأنفك مكفأ ووجهك إبطاءً فما فيك مرقع

باب في اللحن والتصحيف

وكان أبو حَنيفة لَحَّاناً على أنه كان في الفُتيا ولُطف النَظر واحدَ زمانه.

وسأله رجل يوماً فقال له: ما تقول في رجل تناول صَخْرة فضرب بها رأسَ رجل فقَتله أتُقيده به قال: لا ولو وكان بِشْر المَرِيسيّ يقول لجلسائه: قَضى الله لكم الحوائج على أحسن الوجُوه وأهنؤها فسمع قاسم التَّمّار قوماً يَضْحكون فقال: هذا كما قال الشاعر: إنّ سليمى واللّهُ يَكْلؤها ضنَّت بشيء ما كان يَرْزَؤها وبشر المَرِيسيّ رأس في الرأي وقاسم التَّمّار مُتقدم في أصحاب الكلام واحتجاجُه لِبشر أعجبُ من لَحْن بِشر.

ودخل شَبِيب بن شَيبة على إسحاق بن عيسى يُعزِّيه عن طِفْل أُصِيب به فقال في بعض كلامه: أَصْلح الله الأمير إنّ الطفل لا يزال مُحْبنظيا على باب الجنة يقول: لا أدْخل حتى يَدخل أبواي قال إسحاق بن عيسى: سبحان اللّه! ماذا جئتَ به إنما هو مُحْبنطي أما سمعتَ قول الراجز: إني إذا أنشدتُ لا أحبنطي ولا أُحِبُّ كثرةَ التمطّي قال شَبيب: ألي يقال مثل هذا وما بين لا بتَيها أعلم مني بها فقال له إسحاق: وهذه أيضاً للبصرةَ لابتان يالُكع فأبان بتَقريعه عَوَاره فأخجله فسكت.

قوله المُحبنطي: المُمتنع امتناع طلب لا امتناع إباء وهو بالطاء غير معجمة ورواه شبيب بالظاء المعجمة.

وقوله ما بين لا بتَيْها خطأ إذ ليس للبصرة لابتان وإنما اللابة للمدينة نوادر من الكلام يقال: ماء نُقاخ للماء العذب وماء فُرات وهو أعذب العذب وماء قُعَاع وهو شديد المُلوحة وماء حُراق وهو الذي يَحرق من مُلوحته وماء شرُوب وهو دون العَذب قليلاً وماء مَسُوس وهو دون الشَرُوب وماء شَريب وهو العذب.

اجتمع المُفضَّل الضّبي وعبدُ الملك بن قرَيب الأصمعي فأنشد المُفضل: نُصْمت بالملك تَوْلباً جَذَعا فقال له الأسمعي: تولباً جَدِعاً والجَدِع: السيء الغذاء.

فضَجَّ المفَضّل وأَكثر فقال له الأصمعي: لو نَفخت في الشَّبُّور ما نفعك تكلّم بكلام الئمل وأصِب.

وقال مروان بن أبي حَفْصة في قوم من رُواة الشعر لا يعَلمون ما هو على كثرة استكثارهم من روايته: زَوامل للأشعار لا عِلْم عندهم بجيِّدها إلاَّ كعِلْم الأباعرِ لَعمرك ما يَدْري البَعير إذا غدا بأوْساقه أو راح ما في الغرائر

باب نوادر من النحو

وإنَّ كِلاباً هذه عَشْرِ أَبطُنٍ وأنت بَرِيء من قَبائلها العَشْرِ قال: فجعلتُ أعجب من قوله عَشْرَ أبطُن " حيث أنث لأنه عَنَى القبيلة " فلما رأى عَجبي قال: أليس هكذا قولُ الآخر: وكان مِجَنّي دون من كنتُ أَتَّقي ثلاثُ شُخوص كاعبان ومُعْصرُ وقال أبو زيد قلتُ للخليل: لم قالوا في تَصْغير واصل: أو يصل ولم يقولوا وُوَيصل قال: كرهوا أن يُشبه كلامُهم بنبح الكلاب.

وقال أبو الأسود الدُّؤَلي: من العرب من يقول: لولاى لكان كذا وكذا.

وقال الشاعر: وكم مَوطنٍ لولاي طِحْتَ كما هَوي بأَجْرامه من قنّة النِّيق مُنْهوِي وكذلكَ لولا أنتم ولَولاكم ابتداءٌ وخبره محذوف.

وقال أبو زيد: وراء وقُدَّام لا يصرفان لأنهما مؤنثان وتَصغير قدَّام قُدَّيْدمة وتصغير وراء وُرَيِّئة وقدَّام خمسة أحرف لأن الدال مشدَّدة: فأسقطوا الألف لأنها زائدة ولئلا يُصغر اسم على خمسة أحرف.

أبو حاتم قال: يقال أمٌّ بيِّنة الأمومة: وعمٌّ بين العُمومة.

ويقال: مَأموم إذ شُج أم رأسه.

ورجل مَمُوم: إذا أصابه المُوم.

وقال المازنيّ.

يقال في حَسب الرجل أُرْفة ووَصمة وابنة وكذلك يقال للعصا إذا كان فيها عيب.

ويقال: قذِيَت عينهُ إذا أصاجها الرَّمد.

وقد يقال في التقديم والتأخير مثلُ قول الشاعر: شَرَّ يوميها وأغواه لها رَكِبتْ عَنْز بحِدْج حَملاَ يريد: ركبت عَنْز " بحِدْج جملا في شرِّ يوميها: نصب لأنه ظرف.

وقد يُسمى الشيء باسم الشيء إذا جاوره.

قال الفرزدق: أخذنا بآفاق السماء عليكم لنا قَمراها والنجومُ الطَّوالعُ قوله: لنا قَمراها: يريد الشمس والقمر.

وكذلك قولُ الناس في العُمرين: أبي بكر وعمر.

الرِّياشي: يقال أخذ قِضَّتها وكُعْبتها إذا أخذ عُذرتها.

قال أبو عُبيدة: المَعيون الذي ليس له منظر ولا مخبر والمَعين - الذي قد أصيب بالعين.

والمعين: الماء الظاهر.

أبو عُبيدة قال: سمعت رُؤبة يقول: أباريق يريد على الريق.

الأصمعي قال: لقي أبو عمرو بن العلاء عيسى بن عمر.

فقال له: كيف رَحْلك قال: ما تزداد إلا مثَالة قال: فما هذه المَعيوراء التي تَرْكض يريد ما هذه الحمير التي تَركب.

قال الأصمعي: إنما يُقال: اقرأ عليه السلام.

وأنشد: اقرأ على عَصْر الشَّباب تحية وإذا لقيتَ دداً فَقطْنى من دَدِ وقال الفرزدق: وما سبق القيسيُّ من ضَعف عَقله ولكن طَفَت عَلْماء قُلْفة خالدِ " أراد: على الماء فحذف ".

وهذا آخر كتاب سيبويه.

وقال بعض الورَّاقين: رأيتُ يا حمَّاد في الصَّيد أرانباً تؤخذ بالأيْدِي إن ذَوي النَّحو لهم أنفسٌ مَعروفة بالمَكْر والكيد يَضرب عبد الله زيداً وما يُريد عبد الله من زيد وأنشد أبو زيد الأنصاري: يا قرطَ قُرْطَ حُيَيّ لا أبالكمُ يافُرطُ إنّي عليكم خائفٌ حَذرُ قُلتُم له اهجُ تَميماً لا أبا لكم في فَم قائِل هذا التُّرابُ والحَجَر فإن بيتَ تميم ذو سمعتَ به بيتٌ به رَأست في عِزِّها مُضر ذو هنا في مكان الذي لا يتغيّر عن حاله في جميع الإعراب.

وهذه لغة طيء تجعل ذو في مكان الذي.

حُبَّ المُدَامة ذو سمعتَ به لم يُبق فيّ لغيرها فَضلاَ وبعضُ العرب يقول: لا أباك في مكان لا أبا لك " ولأن أبا لك " مضاف.

لذلك بقيت الألف ولو كانت غير مُعربة لقلت: لا أبَ لك بغير ألف: وليس في الإضافة شيء يُشبه هذا لأنه حالَ بين المُضاف والمضاف إليه وقال الشاعر: أبالموت الذي لا بدُ أني مَلاقٍ لا أباكِ تُخَوِّفينِي وقال آخر: وقد مات شَمَّاح ومات مُزَرِّد وأيّ كريمٍ لا أباكَ يُخلَّدُ وأنشد الفرَّاء لابن مالك العُقيليّ: إذا أنا لم أُومَن عليك ولم يَكُن لقاؤُك إلا من وراءُ وراءُ هذا مثل قولهم: بين بين.

وقال محمود الوراق: مزَج للصدودُ وصالهنّ فكان أمراً بَيْنَ بَيْنَ وقال الفرزدق: وإذا الرّجال رأوا يزيدَ رأيتهم خُضُعَ الرِّقاب نواكسَ الأبصارِ قال أبو العبّاس محمد بن يزيد النَّحويّ: في هذا البيت شيء مُسْتطرف عند أهل النَّحو.

وذلك أنه جمع فاعل على فواعل وإذا كان هكَذا لم يكن بين المُذكر والمُؤنث فَرْق لأنك تقول: ضاربة وضوارب ولا يقال في المذكر فواعل إلا في

موضعين وذلك قولهم: فوارس وهوالك ولكنّه اضطر في الشّعر فأخرجه عن الأصل ولولا الضرورة ما جاز له.

وقال أبو غَسَّان " رَفيع بن سَلَمة " تلميذ أبي عُبيدة " المعروف بدَمَاذ يخاطب أبا عثمان النحويَّ المازنيّ ": تَفكَّرْتُ في النَّحو حتى مَلِل تُ وأَتعبتُ نفسي له والبَدنْ وأتعبْت بَكْراً وأصحابَه بكلّ المَسائل في كلّ فَن سِوَى أنَّ باباً عليه العَفا ءُ لِلْفاء يالينَتَهُ لم يَكُن فكنتُ بظاهره عالماً وكنتُ بباطِنه ذا فَطَن وللواو بابٌ إلى جَنْبه من المَقْت أحسبُهُ قد لُعن إذا قلتُ هاتُوا لما يُقا ل لستُ بآتيك أو تَأتين " أَجِيبُوا لما قِيلَ هذا كذا على النَّصب قالُوا لإضمارِ أن وما إنْ رأيتُ لها مَوْضعاً فأَعْرفَ ما قِيلَ إلاّ بفن

باب في الغريب والتقعيب

دخل أبو عَلْقمة على أَعْيَنَ الطبيب فقال: أصلحك الله أَكلتُ من لحوم هذه الجَوازل وطَسِئْت طَسْأَة فأصابني وَجَعٌ بين الوابلة ودأية العُنق فلم يزل يَنْمو ويَرْبُو حتى خالَطَ الخِلْب والشَّراسيف فهل عندك دواء قال: نعم خذ خَرْبَقاً وسلفقاً وشِبْرقاً فزَهْزِقه " وزَقْزقه " و اغسله بماء ذَوْب واشربه فقال له أبو عَلقمة: لم أفهمكَ فقال: ما أفهمتُك إلاَّ كما أفهمتني.

وقال له مرّة أُخرى: إني أجد مَعْمعة وقَرْقرة فقال: أمّا معمعة فلا أعرفها وأما القرقرة: فضُراط لم يَنْضَج.

وقال أبو الأسوَد الدّؤلي لأبي عَلْقمة: ما حال ابنك قال: أخذته الحمَّى فطَبَخْتْه طبخاً ورَضَخته رَضْخاً " وفَتَخته فَتْخاً " فتركته فَرْخاً قال: فما فعلت زوجتُه التي كانت تُشارّه وتُهارّه وُتمارّه وتزارّه قال: طَلَّقها.

فتزوَّجت بعده فَحَظِيت وبظَيت فقال له: قد عَرفنا " حَظِيت " فما " بظَيت " قال: حرف من الغريب لم يَبْلغك فقال: يابن أخي كل حَرْف لا يعرفه عمُّك فاستره كما تَستر السِّنور خُرْأها.

ودعا أبو عَلْقمة بحَجَّام يَحْجِمهُ فقال له: أنْقِ غَسْلَ المحاجم وإشدُد قصب المَلازم وأرْهف ظُبات المشَارِط وأسْرع الوضْع وَعجِّل النَّزع ولْيكُن شَرْطُكم وَخْزا ومَصَّك نَهْزا ولا تَرُدَّن آتياً ولا تُكْرِهن آبياً.

فوضع الحجّام مَحاجمه في جُونته ومضى عنه.

وسَمِع أعرابيّ أبا المَكْنون النَّحوي " في حَلْقته " وهو يقول في دعاء الاستسقاء: اللهم ربنا وإلهنا ومولانا فصلِّ على محمد نبيّنا " اللهم " ومن أراد بنا سُوءا فأحِطْ ذلك السوء به كإحاطة القلائد بأعناق الولائد ثم أرْسخه على هامَتِه كرسُوخ السِّجِّيل على هام أصحاب الفيل اللهم اسقنا غَيْثاً مُغيثا " مَرِيئا " مَرِيعا مُجلْجلا مُسْحَنفرا " هَزِجا " سَحَّا سفُوحا طَبَقا غَدقا مُثْعَنْجرا ناقِعا لعامَّتنا وغيرَ ضار لخاصَّتنا.

فقال الأعرابيّ: يا خليفة نوح هذا الطَّوفان وربِّ الكعبة دعني حتى آوي إلى جَبَل يَعْصمني من الماء.

وسَمعه مرة أخرى يقول في يوم برد: إن هذا يوم بلّة عَصبْصب بارد هِلَّوْف فارتعد الأعرابي وقال: واللّه هذا مما يَزيدني بردا.

وخطب أبو بكر المَنْكور فأغرب في خُطبته وتقَعَّر في كلامه وعند أصل المِنبر رجلٌ من أهل الكوفة يقال له حَنش فقال لرجل إلى جَنبه: إني لأبغض الخطيب يكون فَصيحاً بليغاً مُتَقعِّراً.

وسمعه أبو بكر المنكور الخطيبُ.

فقال له: ما أحوجك يا حنش إلى مُدَحْرج مَفْتول لي الجلاز لَدْن المَهزّة عظيم الثّمرة تُؤخذ به من مَغْرِز العنق إلى عَجْب الذَّنب " فتُعلَى به " فتَكْثُر له وقال حبيب الطائي: فما لكَ بالغريب يدٌ ولكن تَعاطيكَ الغَرِيبَ من الغَرِيبِ أمَا لو أن جهلك عاد عِلْما إذاً لرسختَ في عِلْم الغُيوب ومن قولنا نَمدح رجلاً باستسهال اللفظ وحُسن الكلام: قَولٌ كأن قَرِيدَه لسِحْر على ذهن اللّبيب لا يَشمئز على اللّسا نِ ولا يَشِذّ عن القُلوب لم يَغْلُ في شَنِع اللّغا تِ ولا توَحّش بالغريب سَيف تَقَلَّد مثْلَهُ عَطْفَ القَضيب على القَضيب هذا تُجَذّ بهِ الرِّقَا بُ وَذا تُجَذّ به الخُطُوب

باب في تكليف الرجل ما ليس من طبعه

قالوا: ليس الفِقْه بالتفقُّه ولا الفَصاحة بالتفصُّح لأنه لا يَزيد مُتَزيّد في كلامه إلا لنَقْص يَجده في نَفْسه.

ومما اتفقت عليه العربُ والعجمُ قولهم: الطَّبع أمْلك.

وقال حَفْص بنُ النُّعمان: المَرْء يَصْنع نَفْسه فمتى ما تَبْلَهُ يَنْزع إلى العِرْق.

يأيها المُتحلَي غيرَ شيمته ومِن شَمَائله التَّبديلُ والمَلَقُ ارْجع إلى خِيمك المَعروف دَيْدَنُه إنَّ التخلّق يأتي دُونه الخُلُق وقال آخر: وَمَن يَبتدع ما ليس مِن خِيم نَفْسه يَدَعْه ويَغْلِبه على النَّفس خِيمُها وقال آخر: كلُّ امرىءٍ راجِعٌ يوماً لِشِيمَته وإنْ تَخَلَّقَ أخلاقاً إلى حِين وقال الخرَيمي: يُلاَم أبو الفَضل في جُوده وهَلْ يَمْلِك البَحرُ ألاّ يَفِيضَا وقال أبو الأسود الدُّؤلي: ولائمةٍ لامَتكَ يا فَيْضُ في النَّدَى ففُلْتُ لها هل يَقْدَح اللَّوْمُ في البَحْرِ أرَادَتْ لتَثْني الفَيْضَ عن عادة النَّدَى ومَن ذا الذي يَثْنى السحابَ عن القَطْرِ وقالَ حَبيب: تَعَوَّد بَسْط الكفِّ حتى لَوَ انه ثَناها لِقَبْضٍ لم تُجبْه أنامِلُه وقال آخر: وقالوا: إن مَلِكاً من ملوك فارس كان له وزير حازم مُجرِّب فكان يُصْدِر عن رأيه ويَتعرف اليُمْن في مَشُورته ثم إنّه هَلَكَ ذلك الملكُ وقام بعده ولدٌ له مُعجَب بنفسه مَستبدٌّ برأيه " فلم يُنزل ذلك الوزيرَ منزلته ولا اهْتَبل رأيَه " ومَشورته فَقيل له: إن أباك كان لا يَقِطع أمراً دونه فقال: كان يَغْلَط فيه وسأمتحنه بنَفْسي.

فأرسل إليه فقال له: أيّهما أغْلبُ على الرجل: الأدبُ أو الطبيعة فقال له الوزير: الطبيعةَ أغلبُ لأنها أصلٌ والأدب فَرْعٌ وكلّ فَرْع يَرْجع إلى أصله.

فدعا " الملكُ " بسُفرته فلما وُضعت أقبلت سَنانيرُ بأَيديها الشَّمعُ فوقفت حول السُّفرة فقال للوزير: اعتبر خَطَأَكَ وضَعْفَ مَذْهبك متى كان أبو هذه السنانير شَمَّاعاً.

فسكت عنه الوزير وقال: أَمْهلني في الجواب إلى الليلة المُقبلة فقال: ذلك لك.

فخَرج الوزيرُ فدعا بغُلام له فقال: التمسْ لي فأْراً واربطه في خَيط وجئْني به فأتاه به الغلامُ فعقده في سَبَنِيَّة وطرحه في كُمّه ثم راح من الغد إلى الملك فلما حضرت سُفرته أقبلت السنانير بالشَّمع حتى حَفّت بها فحلّ الوزيرُ الفأرَ من سَبنيَّته ثم ألقاه إليها فاستبقت السنانيرُ إليه ورَمت الشمعَ حتى كاد البيتُ يضطرم عليهم ناراً.

فقال الوزيرُ: كيف رأيتَ غَلَبة الطَّبيعة على الأدب ورُجوعَ الفَرْع إلى أصله قال: صدقتَ ورجع إلى ما كان أبوه عليه معه فإنما مَدار كل شيء على طبعه والتكلُّف مَذْموم من كل وجه.

قال الله " تبارك وتعالى " لنبيّه صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد: " ومَا أَنَا مِنَ المُتَكلِّفين ".

وقالوا: من تَطبّع بغير طبعه نَزَعَتْه العادةُ حتى تردَّه إلى طَبْعه كما أنّ الماءَ إذا أَسْخَنته ثم تركته " ساعة " عاد إلى طَبعه من البرودة والشجرةَ المُرّة لو طليتها بالعسل لا تُثمر إلا مُرًّا.

باب في ترك المشاراة والمماراة

دخل السّائبِ بن صَيْفيّ على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أَتعرفني يا رسول اللهّ قال: وكيف لا أعرف شريكي في الجاهليَّة الذي كان لا يُشارى ولا يُمارى.

وقال ابن المُقفَّع: المُشاراة والمُماراة يُفْسدان الصَّداقة القديمة ويَحُلان العقدة الوثيقة وأيسر ما فيها أنهما ذَرِيعة إلى المُنافسة والمُغالبة.

وقال عبدُ الرحمن بنُ أبي ليْلى: لا تُمارِ أخاك فإمّا أن تُغْضِبه وإما أن تَكْذِبه.

وقال الشاعر: فإيَّاك إيَّاك المِرَاءَ فإنه إلى السَّبّ دَعّاءٌ وللصَّرْم جالبُ وقال عبد الله بن عَبّاس: لا تُمار فقيهاً ولا سَفيهاً فإنّ الفقيهَ يَغلبك والسفيه يُؤذيك.

وقال صلى الله عليه وسلم: سِبَاب المُؤمن فُسوق وقِتاله كُفْر.

باب في سوء الأدب

دخل عُرْوة بن مَسعود الثَقفيّ على النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يُحدَثه ويُشير بيده إليه حتى تَمسّ لحيته والمُغيرة بن شُعبة واقفٌ على رأس رسول

الله صلى الله عليه وسلم بيده السيفُ فقال له: اقبض يدك عن لِحْيَة رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن لا ترجع إليك.

فَقبض عُروة يده.

وعُروة هذا " هو " عظيم القريتين الذي قالت " فيه " قريش: لَولا نُزِّل هذا القرآنُ على رجُل من القَرْيتين عظيم.

ويقال إنه الوليد بن المغيرة المخزوميّ.

ولما قَدِم وفدُ تميم على النبي صلى الله عليه وسلم ناداه رجل " منهم " من وراء الجدار: يا محمد اخرج إلينا.

فأنزل الله تعالى: " إنّ الذينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاء الحُجُراتِ أكثرُهم لا يَعْقِلُون ".

وفي قراءة ابن مسعود: " بنو تميمٍ أكثرُهم لا يَعْقلون ".

وأنزل الله في ذلك: " لا تَجْعَلوا دُعاءَ الرَّسُولِ بَينَكم كدُعاء بَعْضكم بَعْضاً ".

ونظر أبو بكر " الصدِّيق رضي الله عنه إلى " رجل يَبيع ثَوْباً فقال له: أتبيع الثوبَ قال: لا عافاك اللّه قال: لقد علمتم لو تتعلّمون! قل: لا وعافاك اللّه.

وخطب الحسن في دَم.

فأجابه صاحب الدم فقال: قد وضعتُ ذلك الدم للّه ولوُجوهكم.

قال له الحسن: ألا قلت: قد وضعتُ ذلك للّه خالصاً وذكر إعرابيّ رجلاً بسوء الأدب فقال: إن حدّثتَه سابقَك إلى ذلك الحديث وإن تركتَه أخذ في لمن الدِّيار بقُنَة الحِجْرِ فأنشدها حتى أتى على آخرها.

فقال له المهديُّ: ذَهب واللّه مَن كان يقول هذا فقال له: كما ذَهب واللّه من يُقال فيه.

فاستجهله واستَحمقَه.

ولما رَفع قُطْرُبٌ النحوي كتابه في القران إلى المأمون أمرَ له بجائزة وأذن له.

فلما دخل عليه قال: قد كانت عِدَةُ أمير المؤمنين أرفع من جائزته.

فغَضب المأمون وهَمَّ به.

فقال له سهل بن هارون: يا أمير المؤمنين: إنه لم يَقُل بذات نَفْسه وإنما غَلب عليه الحَصرَ.

ألا تراه كيف يَرْشَح جبينُه ويكْسِر أصابعه فَسَكَن غضبُ المأمون واستجهله واستحمقه وكان الحسنُ اللؤلئيّ ليلةً عند المؤمون بالرقَّة وهو يُسامره إذ نَعَس المأمونً والحسن يُحَدِّثه فقال له: نَعَست يا أمير المؤمنين.

فانتبه فقال: سُوقيٌ وربِّ الكعبة يا غلام خُذ بيده.

ودخل أبو النَّجْم على هشام بن عبد الملك بأرْجوزته التي أوّلها: الحمد للّه الوَهُوب المُجْزِل وهي من أجود شِعْره.

" فاستحسنها هشام وأصغى إليها " فلما أتى على قوله: والشمسُ في الجوِّ كعَيْن الأحْول غَضب هشام وكان أحولَ فأمر بصفْع قَفاه وإخراجه.

ودخل كُثَيِّر عَزّة على يَزيد بن عبد الملك فبينا هو يُحدِّثه إذ قال: يا أمير المؤمنين ما معنى قول إذا الأرْطَى تَوَسَّد أبرديْه خُدُودُ جوازيء بالرمْل عِينِ فقال له يزيد: وماذا على أمير المؤمنين ألا يعرفَ ما قال هذا الإعرابيّ الجِلْف مثلُك واستحمقه وأمر بإخْراجه.

ودخل كُثَيِّر عَزّة على عبد العزيز بن مَرْوَان فأنشده مِدحَته التي يقول فيها: وأنتَ فلا تُفْقَدْ ولا زال مِنْكَم إمامٌ يُحيَّا في حِجَاب مُسَدَّنٍ أشَمُّ منَ الغادين في كُلِّ حُلَّة يَميسون في صَبْغ من العَصب مُتْقن لهم أزُرٌ حُمْرُ الحَواشي يَطؤنَها بأقدامِهم في الحَضرميّ المُلَسَّن فاستَحْسنَها وقال له: سَلْ حاجَتك فقال: تُولَيني مكانَ ابن رُمَّانة كاتبك فقال له: ويلك! ذا كاتبٌ وأنت شاعر فكيف تَقوم مَقامه وتَسُد مَسدَّه فلما خرج من عنده ندم وقال: عَجِبتُ لأخذِي خَطلَة العَجْز بعدما تَبَينَّ من عبد العزيز قَبُولُها لئن عاد عبدُ العزيز بمثْلها وأمْكنني منها إذاً لا أقولها ووقف الأحنف بنُ قيس ومحمدٌ بن الأشعث بباب معاوية فأذِن للأحنف ثم لمحمد بن الأشعث فأسرع محمدٌ في مشْيته حتى دَخل قبل الأحنف.

فلما رآه مُعاوية قال له: والله إنِّي ما أذنتُ له قبلَك وأنا أريد أن تَدْخل قبلَه وإنّا كما نَلى أمورَكم كذلك نلى أدبكم ولا يزيد مُتَزَيِّد في أمره إلا لنقْص يجده في نَفْسِه.

وقال عبدُ الملك بن مروان: ثلاثة لا يَنبغي للعاقل أن يَستخِفَّ بهم: العُلماء والسُّلطان والإخْوان.

فمن اْستخفَّ بالعُلماء أفْسد دينَه ومَن استخفَّ بالسُّلطان أفسد دُنياه ومن استخفَّ بالإخوان أفسد مرُوءته.

وقال أبو الزِّناد: كنتُ كاتباً لعُمر بن عبد العزيز فكان يكتب إلى عبد الحميد عامله على المدينة في المَظالم فيُراجعه فيها فكتَب " إليه ": إنه يُخيَّل إلي أنِّي لو كتبتُ إليك أن تُعطِي رجلاً شاةٍ لكتبتَ إليّ: أضأنا أم مَعزاً ولو كتبتُ إليك بأحدهما لكتبتَ إليَّ: أذكراً أم أنثى ولو كتبتُ إليك بأحدهما لكتبت: أصغيراً أم كبيراً فإذا كتبتُ إليك في مَظْلمة " فنَفِّذ أمري " ولا تراجعني فيها.

وكتب أبو جعفر إلى سَلْم بن قُتيبة يأمره بهَدْم دور مَن خَرج مع إبراهيم " بن عبد الله " وعَقْر نخلهم فكتب إليه: بأيّ ذلك تَبدأ بالدُّور أو بالنّخل فكتب إليه أبو جعفر: إنّي لو أمرتك بإفساد تَمرهم لكتبتَ: بأيّ ذلك نبدأ بالصَّيْحاني أم بالبَرْنِيّ وعَزله وولّى محمد بن سليمان.

" ولمحمود الورّاق: كم قد رأيتَ مَساءةً من حيثُ تَطْمع أن تُسَرّا ولربما طَلب الفَتى لأخيه مَنْفعة فَضَرا " ودخل عَدِيّ بن أرْطأة على شرَيح القاضي فقال له: أين أنت أصلحك اللّه قال: بينك وبين الحائط قال: اسمع منّي قال: قُلْ نَسمع قال: إني رَجل من أهل الشام قال: مكان سَحيق قال: وتزوّجتُ عندكم قال: بالرِّفاء والبَنين قال: وأردتُ أن أرحِّلها قال: الرَّجلُ أحقُّ بأهله قال: وشرَطتُ لها دارها قال: الشَرْط أمْلك قال: فاحكم الآن بيننا قال: قد فعلتُ قال: فعلى مَن حكمتَ قال: على ابن أمّك قال: بشهادة من قال بشهادة ابن أخت خالتك - أراد شُريح إقرارَه على نفسه بالشَّرْطِ - وكان شِريح صاحب تعريض عويص.

ودخل شريك بنُ عبد الله على إسماعيل وهو يتَبخَر بعود فقال للخادم: جئنا بعود لأبي عبد الله.

فجاء بِبَربط فقال له إسماعيل: اكْسِرْه " ويلك "! وقال لشَريك: أخَذُوا البارحةَ في الحرس رجلاً ومعه هذا البَرْبط.

وقال بعض الشعراء في عيّ الخادم: وَمَتَى أدْعها بكأْسٍ من الما ء أتَتْني بصَحْفَة وزِبيبِ وقال حَبيبٌ في بني تَغْلِب من أهل الجَزِيرة يَصفُهم بالجفاء وقِلَةِ الأدب مع كرم النُّفوس: لا رِقَّةُ الحَضَرِ اللَّطيف غَذَتْهمُ وتَباعدُوا عن فِطْنة الأعْراب فإذا كشفتَهمُ وجدتَ لديهمُ كَرَم النُّفوس وقِلَّة الآدابَ وكان فَتًى يُجالسُ الشَّعْبِيّ وكان كثيرَ الصَّمت فالتفت إلى الشَّعبيّ فقال له: إني لأجد في قَفاي حِكّة أفتأمُرني بالحِجامة فقال الشَعبِيُّ: الحمدُ لله الذي حوَلنا من الفِقْه إلى الحِجامة.

" قال: وأتى أحمدَ بن الخَصيب بعضُ المتظلّمين يوماً فأخرج رِجْلَه من الرِّكاب فَركله بها.

فقال فيه قلْ للخليفَةِ يابن عَمِّ محمدٍ اشْكُل وزيرَك إنَّه رَكَّالُ " وبعثَ رجلٌ من التّجار وكيلاً له إلى رَجل من الأشراف يَقْتضيه مالاً عليه فَرَجَع إليه مَضروباً فقال له: ويلك! مالك قال: سَبك فسببته فضَرَبَني.

قال: وما قال لك قال قال: أدخَل الله هَنَ الحِمار في حِرِ أمَ مَن أرسلك قال: دَعْني مِن افترائه عليّ وسَبّه لي وأخبرني كيف جعلتَ أنتَ لأيْرِ الحِمار من الحُرْمة ما لمِ تجعله لِحِر أمّ مَن أرسلك هلا قلتَ: أيْر الحِمار في هَنِ أم مَن أرْسلك

باب في تحنك الفتى

قِيلَ لعُمَر بن الخطَّاب: إن فُلاناً لا يَعْرِف الشَر.

قال: ذلك أحْرَى أن يَقَع فيه.

وقال سُفْيان الثَورِيّ: مَن لم يُحْسن أن يَتفتَى لم يُحسن أن يَتَقَرَّى.

وقال عمرو بن العاص: ليس العاقلُ الذي يعرف الخيرَ من الشر إنما العاقلُ الذي يَعرف خيَر الشرَّين.

ومثل ذلك قول الشاعر: رَضِيتُ ببعض الذل خوفَ جَمِيعه كذلك بعضُ الشَر أهونُ من بعض وسُئِل المُغيرة بن شُعبة عن عُمَر بن الخَطّاب " رضي الله عنه " فقال: كان واللّه له فَضْلٌ يمنعه من أن يَخدع وعَقل يَمنعه من أن يَنخدع.

قال إياس: لستُ بِخَبّ والخب لا يَخْدعني.

وتَجادَل إياس والحَسنُ - وكان الحَسنُ يَرى كلَّ مُسْلم جائزَ الشهادة حتى تَظْهر عليه سَقْطةٌ أو يُجَرِّحه المشهود عليه وكان إِياسٌ لا يَرى ذلك - فأقبلَ رجلٌ إلى الحَسن فقال: إنّ إياساَ رَدّ شهادتي.

فقام معه الحسنُ إليه فقال: أبا وائلة لمَ رددت شهادة هذا المُسلم فقد قال صلى الله عليه وسلم: من صلى إلى قبلتنا فهو المُسلم له مالنا وعليه ما علينا فقال له إياسٌ: يا أبا سَعيد يقولُ الله تعالى: " مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَداء " وهذا ممن لا تَرْضاه.

وكان عامرُ بنُ عبد الله بن الزَّبَير في غاية الفَضْل والدِّين وكان لا يَعْرف الشرَّ فبينا هو جالسٌ في المَسْجِد إذ أتي بعَطائه فقام إلى مَنْزله فَنَسيه.

فلما صار في بَيْته ذَكَره فقال لخادمه: اذهبْ إلى المَسْجد فائْتني بعَطائي فقال له: وأين نجِده قال سُبحان اللّه! أو بَقي أحدٌ يَأخذ ما ليس له وقال أيُّوب: مِن أصحابي مَن ارتجى بركةَ دُعائِه ولا أقْبل شهادَته.

وذُكِرت فاطمةُ بنتُ الحُسين عليهما السلامُ عند عُمَر بن عبد العَزيز وكان لها مُعظِّماً فقيل إنها لا تَعْرِف الشَّرَّ فقال عُمر: عَدمُ مَعْرِفتها بالشرِّ جَنَبها الشَّرَّ.

وكانوا يَسْتَحْسِنُون الحُنْكة للفَتى والصَّبْوة للحَدَث ويَكرهون الشَّيب قبل أوانه وُيشَبِّهون ذلك بيُبوسِ الثَّمرة قبل نُضْجها وأنّ ذلك لا يَكُون إلا مِن ضرَر فيها.

فأنفع الإخوانِ مجلساَ وأكرمُهم عِشْرةً وأشدُهم حِذقاً وأنبَهُهم نَفْساَ مَن لم يكن بالشاطِرِ المُتَفَتِّك ولا الزَّاهِد المتنَسِّك ولا الماجن المتَظَرِّف ولا العابد المتقَشِّف ولكن كما قال الشاعر: يا هِنْدَ هَلْ لك في شَيْخٍ فَتًى أبداً وقد يكونُ شبابٌ غير فِتْيانٍ وقال آخر: وفتًى وهْوَ قد أَنافَ عَلَى الْخم سِينَ يَلْقالك في ثيابِ غلام وقال آخر: فَلِلنُّسْكِ مني جانبٌ لا أُضِيعُه وللَهْو مني والبَطالة جانبُ كَهْلُ الأناةِ فَتى الشَّذاة إذا عَدا للرَّوْع كان القَشْعَمَ الغِطْرِيفَا ومن قولنا " في هذا المعنى ": إذا جالسَ الفِتْيانَ ألفيتَه فتًى وجالسَ كَهْلَ الناس ألفيتَه كهْلاَ ونظيرُه قول ابن حِطّان: يوماً يَمانٍ إذا لاقيتَ ذا يَمن وإن لَهقيت مَعديا فَعَدْناني وقولُ عمران بن حِطّان هذا هذًا يَحتمل غيرَ هذا المعنى إلا أنّ هذا

أقربُ إليه وأشبهُ به لأنّه أراد أنه مع اليَمانيّ يمانيّ ومَع العَدناني عدناني فيُحتمل أنّ ذلك لخوف منه أو مُساعدة وكل ذلك داخلٌ في

باب الحُنْكة والحِذْق والتَجْربة.

وقالوا: اصحبْ البَرَّ لتتأسَى به والفاجرَ لتتحنَك به.

وقالوا: مَن لم يَصْحب البر والفاجرَ " ولم " يؤدّبه الرَّخاءُ والشِّدة مَرة ولم يَخْرج منِ الظِّل إلى الشَمس مَرة فلا تَرْجُه.

ومن هذا قولهم: حَلب فلانٌ الدهرَ أشْطُره وشرِبَ أفاويقَه إذ فَهِمَ خيرَه وشرَّه فإذا نَزَلَ به الغِنى عَرَفه " ولم يُبْطره " وإذا نَزَل به البَلاءَ " صَبر له و " لم يُنكرِه.

وقال هُدْبة العُذْريّ: ولستُ بِمفراحَ إذا الدهرُ سرَّني ولا جازع و مِنْ صرفه المُتَقَلِّبِ وقال عبدُ العزيز بن زرارةَ في هذا المعنيِ.

قَد عِشْتُ في الدَّهر أطواراً على طُرُقٍ شتَى فصادفتُ منه اللِّينَ والفَظَعَا كُلا بَلوتُ فلا النَّعماءُ تُبْطِرني ولا تَخشَعتُ مِن لأوائِه جَزَعا لا يملأ الأمر صَدْرِي قبل وَقعته ولا أضِيقُ به ذَرْعاً إذا وَقَعا وقال آخر: فإن تَهْدِمُوا بالغَدْرِ داري فإنّها تُراثُ كَرِيمٍ لا يخافُ العَوَاقِبَا إذا هَمَّ ألقَى بين عَيْنيه عَزْمه وأضرب عن ذِكْرِ العَواقب جانِبا ولم يَسْتشر في أمره غيرَ نَفْسه ولم يرْضَ إلا قائمَ السَّيف صاحِبا سأغسِلُ عنَي العارَ بالسيف جالباً عليّ قضاءُ الله ما كان جالباً وسئِلت هِنْدُ عن مُعاوية فقالت: والله لو جُمعت قريشٌ من أقطارها ثم رُمِي به فِي وسَطها لخرَج من أي أعْراضها شاء.

وهذا نظَير " قول الشاعر ": برِئت إلى الرَّحمن من كلِّ صاحبٍ أصاحبهُ إلا عِراكَ بن نائل وعِلْمي به بين السِّماطين أنَهَ سَيَنْجو بحقٍّ أوسينْجو بباطل وما كنتُ أرضىَ الجهلَ خِدْناً وصاحباً ولكنني أرضى به حين أحرج فإن قال قومٌ إنّ فيه سماجةً فقد صَدَقوا والذُّلِّ بالحُرِّ أسْمج وِلى فَرَسٌ لِلحلْم بالحم مُلْجَمٌ ولي فَرس للجَهْل بالجهْل مُسْرج فمنْ شاء تقويمي فإني مُقوَّمٌ ومَن شاء تَعْويجي فإني مُعَوَّج وقال مُعاوية في سُفيان بن عَوف الغامديّ: هذا الذي لا يكَفكف من عَجَلة ولا يُدْفع في ظَهْره من بُطْء ولا يُضرب على الأمور ضرْب الجَمل الثَّفَال.

وقال الحسنُ بن هانئ: مَن لِلجذَاع إذا المَيدانُ ماطَلَها بشَأو مُطلع الغايات قد قَرَحَا من لا يُغَضغض منه البُؤسُ أنملةً ولا يُصعِّد أطرافَ الربىَ فَرَحَا وقال جرير: وابنُ اللَبونِ إذا ما لُزَّ في قَرَن لم يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ البُزْل القَنَاعِيس

باب في الرجل النفاع الضرار

يقال إنه لخرَّاج وَلاّج وإنه لحَوَّل قُلّب إذا كان مُتصرِّفاً في أُموره نَفّاعاً لأوليائه ضرَّاراً لأعدائه.

وإذِا كان على غير ذلك قيل: ما يُحْلِي ولا يُمرِّ ولا يُعدّ في العِير ولا في النَّفير وما فيه خير يُرْجَى ولا شرّ يُتَّقى.

وقال بعضُهم: لاَ يرضى العاقلُ أن يكون إلا إماماً في الخير والشرّ.

وقال الشاعر: إذا أنت لم تَنْفع فضرّ فإنما يُرَجَّى الفَتى كيما يُضرَّ وَيَنْفَعا وقال حبيب: ولم أرَ نَفْعاً عِند من ليس ضائراً ولم أرَ ضرًّا عند مَن ليس يَنفعُ وسمع إعرابيٌّ رجلاً يقول: ما أتى فلانٌ بيوم خيرٍ قطُّ فقال: إن لا يكُن أتى بيوم خير فقد أتى بيوم شر.

وقال الشاعر: وما فعلت بنو ذُبيانَ خيراً ولا فعلتْ بنو ذُبيان شرًّا وقال آخر: قَبَح الإلهُ عداوةَ لا تُتَّقى وقَرابةً يُدْلَى بها لا تَنفَعُ وفخر رجال فقال: أبي الذي قَتل الملوك وغَصَب المنابر وفعل وفعل.

فقال له رجل: لكنه أسِر وقتل وصُلب.

فقال: دَعْني من أسره وقَتْله وصَلْبه أبوك " هل " حدّث نفسَه بشيء من هذا قطّ.

وقال رجل " من العرب " يذُمّ قومه وأغارت بنو شَيبان على إبله فاستنجدهم فلم لو كنتُ من مارنٍ لم تَسْتَبح إبلي بنو اللّقيطة من ذهل بن شَيْباناً إذاً لقام بنَصْري مَعْشَرٌ خُشُنٌ عند الحَفيظة إن ذو لوثة لانا قومٌ إذا الشرُّ أبدَى ناجِذَيه لهم طارُوا إليه زَرافات وَوُحْدانا لا يَسألون أخاهم حين يَنْدُبهم في النَائبات على ما قال بُرْهانا لكنَّ قَوْمي وإن كانوا ذَوي عدَدٍ ليسُوا من الشر في شيء وإن هانا " يَجْزُون من ظُلْم أهل الظُّلم مَغْفِرَةَ ومِن إسَاءَةِ أهْل السُّوءِ إحْساناً " كأنّ رَبَّك لم يَخْلُقْ لخشيته سواهُم من جميع الناس إنسانا " فليت لي بهمُ قوماً إذا رَكِبوا شَنُّوا الإغارَة فُرْساناً ورُكْبانا " ولم يُرد بهذا أنه وَصَفهم بالحِلم ولا بالخَشْية لله وإنما أراد به الذلَ والعَجز كما قال النَجاشي في رَهْط تَميم بن مُقْبِل: قَبيلَتُه لا يَخْفِرون بِذِمَّة ولا يَظلمون الناسَ حبةَ خَرْدَل ولا يَردون الماءَ إلا عَشيةً إذا صَدَرَ الوُرَّادُ عن كلِّ مَنْهَل وكل من نَفع في شيء فقد ضَرّ في شيء.

وكذلك قول أشْجِع بن عمرو: يَرْجو ويَخْشىَ حالَتَيْك الوَرَى كأنَكَ الجنَّة والنَارُ ومن قولنا في هذا المعنى: من يَرْتجي غيرَك أو يَتَّقي وفي يَدَيْكَ الجودُ والباسُ ما عِشتَ عاشَ الناسُ في نِعْمة وإن تَمُتْ ماتَ بك النَاس وقال آخر: وليس فَتَى الفِتْيانِ مَن راحَ واغْتَدَى لشُرْبِ صَبُوح أو لِشرْب غَبُوقِ ولَكِنْ فَتَى الفِتْيانِ مَن راح واَغتَدَى لضرَّ عدوٍّ أو لِنَفْع صدِيق

باب في طلب الرغائب واحتمال المغارم

في كتاب للهِنْد: مَن لم يَرْكَب الأهوالَ لَم يَنَل الرَّغائبَ ومَن ترك الأمرَ الذي لعلّه أن يَنالَ منه حاجَتَه مخافة ما لعَلّه يُوقّاه فليسَ ببالغٍ جَسيماً وإنّ الرَّجل ذا المروءة ليكُون خاملَ الذِّكْر خافض المَنْزلة فَتَأبى مُروءتهُ إلا أن يَسْتَعْلى ويَرْتَفع كالشُعلة من النار التي يَصُونها صاحبُها وتأبيَ إلا أرتفاعاً.

وذو الفَضْل لا يَخفى فَضله وإن أخفاه كالمِسْك الذي يُخْتم عليه ثم لا يمْنَع ذلك رِيحَه من التَذكّي والظّهور.

ومن قَوْلنا في هذا المعنى: ليسَ يَخفى فَضْلُ ذي الفض ل بزُورٍ وإفْك والذي بَرز في الفَضل غني عن مُزَكٍّي رُبما غُمِّ هِلالُ ال فِطْرفي لَيْلة شَكْ ثم جَلّى وجهَه النُّو رُ فَجَلّى كلَّ حَلْك إنَّ ظهر اليمِّ لاتَرْ كَبه من غير فُلْك ونظامَ الدُرّ لا تع قِده مِن غير سِلْك ليسَ يصفو الذهب الإبريزُ إلا بعد سَبْك هَذه جُمْلَة أَمْثا لٍ فمن شاء فَيَحْكى أبطلتْ كلِّ يَمانيَّ وشاميٍّ ومَكّي ليس ذا من صوْغ عَيْنيٍّ ولا مِن نَسْج عَكّي وقالوا: لا يَنبغي للعاقل أن يكون إلا في إحدَى منزلتين: إما في الغاية من طَلب الدنيا وإما في الغاية من تَرْكها.

ولا ينْبغي له أن يُرى إلا في مكانين: إمَّا مع المَلوك مكَرماً وإمَّا مع العُبَّاد مُتبتّلا.

ولا يُعَد الغُرْم غُرْماً إذا ما ساق غنْماً ولا الغُنْمُ غُنْما إذا ما ساق غُرْما.

ونظر معاويةُ وقال حبيبٌ الطائيّ: أَعاذِلَتي ما أخشنَ اللَّيْلَ مَرْكباً وأَخشن منه في المُلِمَّات راكِبُه ذَرِيني وأهوال الزَّمان أقاسِها فأهوالُه العُظْمى تَليها رغائبُه وقال كَعْبُ بنُ زَهير: ولَيْسَ لمن لم يَرْكب الهوْلَ بُغْيةٌ وليس لِرَحْل حَطّه الله حامِلُ إذا أنتَ لم تُعْرِضْ عنِ الجهل والخَنَا أصبتَ حَليماً أو أصَابَكَ جاهل وقال الشَّماخ: فتًى ليس بالراضي بأدنىَ مَعِيشةٍ ولا في بُيوت الحَيِّ بالمُتَولِّج فَتى يملأ الشِّيزَى ويُرْوِي سِنَانَه ويَضْرِبُ في رأس الكَميِّ المدَجَّج وقال امروء القَيْس: فَلو أن ما أسْعَى لأدنىَ مَعيشةٍ كَفَاني ولم أطلبْ قليلٌ منَ المال ولكنَّما أسعَى لمَجْدٍ مُؤَثَّل وقد يُدْرِك المجدَ المُؤَثَّل أمثالي وقال آخر: لولا شَماتةُ أعداء ذوي حَسَدٍ أو أن أنالَ بِنَفْعي مَن يُرَجِّينِي لكنْ مُنافسةُ الأكفاء تَحْمِلني على أمورٍ أراها سوف تُرْديني وكيفَ لا كيفَ أنْ أرضىَ بمنزلة لا دِينَ عندي ولا دُنْيا تُواتيني وقال الحُطَيئة في هجائه الزِّبْرِ قان بن بَدْر: دعَ المَكارِمَ لا تَرْحل لبُغْيتها واقعُدْ فإنَّكَ أنتَ الطّاعمُ الكاسي فاستعدَى عليه عمرَ بنَ الخطاب وأسمعه الشعرَ فقال: ما أرى مما قال بأساً قال: واللّه يا أميرَ المُؤمنين ما هُجِيت ببيت قطّ أشدَ! " عليَّ " منه.

فأرسل إلى حَسَّان فسأله: هل هجاه فقال: ما هجاه ولكنه سَلَح عليه.

وقد أخذ هذا المعنى من الحُطيئة بعضُ المُحْدَثين فقال: إنّي وجدتُ مِن المكارم حَسْبُكم أنْ تَلْبسوا خَر الثِّياب وتشْبَعوا فإذا تُذوكرت المكارمُ مَرَّة في مَجلِس أنتم به فَتَقنّعوا وقالوا: مَن لم يَرْكب الأهوال لم يِنل الرَّغائبَ ومَن طلب العظائمَ خاطرَ بعَظيمته.

وقال يزيدُ بن عبد الملك لما أتي برأس يزيدَ بنِ المُهلّب فنال منه بعضُ جلسائه فقال: إنّ يزيدَ ركِبَ عَظيماً وطَلب جَسيماً ومات كريماً.

وقال بعض الشعراء: لا تَقْنعن ومَطْلَب لك مُمْكن فإذا تضايقت المطالبُ فاقْنع ومما جُبِل عليه الحُر الكريم أن لا يَقنع من شرف الدنيا والآخر بشيءٍ مما انبسط له أملاً فيما هو أسنىِ منه درجةً وأرفعُ منزلةً ولذلك قال عمرُ بن عبد العزيز لدَّكين الرِاجز: إنّ لي نفساً تَوَّاقة فإذا بلغك أنّي صِرْتُ إلى

أشرف مِن منزلتي " هذه " فبعَينٍ ما أَرَينَّك - قال له ذلك وهو عامل " المدينة " لسليمان بن عبد الملك - فلما صارت إليَه الخلافةُ قَدِم عليه دُكَين فقال له: أنا كما أعلمتُك أنّ لي نَفْساً تَوَاقة وأنّ نَفْسي تاقت إلى أشرف منازل الدُّنيا فلما بلغتها وجدتُها تَتوق إلى أشرف منازل الآخرة.

ومن الشاهد لهذا المعنى أنَّ موسى صلوات الله عليه - لما كلمه الله " عزَّ وجل " تكليماً - سأله النظرَ إليه إذ كان ذلك لو وصل إليه أشرفَ من المنزلة التي نالها فانبسط أملُه إلى ما لا سبيلَ إليه ليُستدلّ بذلك على أنّ الحرّ الكريم لا يَقْنع بمنزلةٍ إذا رأى ما هو أشرفُ منها.

ومن قولنا في هذا المعنى: والحرُّ لا يَكْتفي من نَيْل مكْرُمةٍ حتى يَرومَ التي من دُونها العَطَبُ يَسْعَى به أملٌ من دونه أجلٌ إنْ كفَّه رَهَب يَسْتَدْعِه رَغَب لذاك ما سالَ مُوسى ربّه أرِني أنظُرْ إليكَ وفي تسأله عَجَب يَبْغى التزيّدَ فيما نال من كرم وَهْو النَّجِيُّ لديه الوَحْيُ والكُتُبُ وقال تأبّط شرًّا في ابن عمّ له يَصفه برُكوب الأهوال وبَذْل الأموال: وإني لمُهْدٍ.

مِن ثَنائي فقاصدٌ به لابن عم الصَدْقِ شُمْس بنِ مالكِ قَليلُ النَّشكِّي للْمَهِمِّ يُصيبُه كثيرُ النَوى شَتَى الهَوَى والمسالك يَظَلَّ بمَوْماة ويسمى بغيرها وَحيداً ويعْرورِي ظُهورَ المهالك ويسبق وَفْدَ الرِّيح من حيثُ يَنْتحى بمُنْخَرِق من شَده المُتَدَارك إذا خاط عينَيْه كرَى النَّوْم لم يزل لَه كاليءٌ من قلب شَيْحانَ فاتك " ويَجعل عينَيْه رَبيئة قلبه إلى سَلَّةٍ من جَفْن أخلَقَ باتك " إذا هَزَّه في عَظْم قِرْنٍ تَهلَّلت نَواجذُ أفواه المَنايا الضَّواحك وقال غيرُه من الشعراء " بل هي له ": إذا المرءُ لم يَحْتل وقد جَدَّ جِدُّه أضاعَ وقاسىَ أمرَه وهو مُدْبِرُ ولكنْ أخو الحَزْم الذي ليس نازِلاً به الخطبُ إلا وللقَصْد مبْصِر فذاك قَريعُ الدّهر ما عاش حُوّل إذا سُدّ منه مِنْخر جاش مِنْخر

باب في الحركة والسكون

قال وَهْب بن منبِّه: مكتوب في التوراة: ابن آدم خلقتك من الحركة " للحركة " فتحرّك وأنا معك.

وفي بعض الكتب: ابن آدم: أمدُد يدك إلى بابٍ من العمل أفتح لك باباً من الرِّزْق.

وشاور عُتْبة بن رَبيعة أخاه شَيْبةَ بن ربيعَة في النُّجْعة وقال: إني قد أجدبتُ ومن أجدب انتجع.

فذهبت مثلاً.

قال له شَيبة: ليس من العِزِّ أن تَتَعَرَّض للذلّ.

فذهبت مثلاً.

" فقال عُتبة: لن يَفرِسَ الليثُ الطَّلا وهو رابض فذهبت مثلاً " أخذه حبيب فقال: أراد بأن يَحْوِي الغِنَى وهو وادعٌ ولن يَفْرِس اللَّيثُ الطَّلا وهو رابضُ

وقيل لأعشى بكر: إلى كم هذه النّجعة والاغتراب ما تَرضى بالخَفْض والدَّعة فقال: لو دامت الشمسُ عليكم لَمَلِلْتُمُوها.

أخَذه حبيبٌ فقال: وطُول مُقام المَرْءِ في الحَيِّ مُخْلِقٌ لديباجَتَيه فاغتَرِبْ تَتَجَدَّدِ فإني رأيتَ الشمسَ زِيدتْ مَحَبةً إلى الناس إذ ليستْ عليهم بِسَرْمدِ قال أبو سَعيد أحمدُ بن عبد الله المَكيّ: سمعتُ الشَّافِعيَّ يقول: قلت بيتين من الشِّعر وأنشدنا: إني أرى نَفْسي تَتُوق إلى مِصر ومِن دونها خَوْض المَهامه والقَفْرِ فوالله ما المحرِي اللَخَفْض وَالغِنَى أقاد إليها أم أقاد إلى قَبْري فدخل مصر فمات.

وقال مُوسى بن عِمْران عليه السلام: لا تذُّمُوا السفرَ فإني أدركتُ فيه ما لم يُدْرك أحدٌ.

يريد أنّ الله عزَّ وجلّ كلَّمه فيه تكليماً.

وقال المأمون: لا شيء ألذُ من سفر في كِفاية لأنّك في يوم تَحل مَحلة لم تَحُلَّها وتُعاشر قوماً لم لا يَمنعنَّك خَفْضُ العيش في دَعة من أن تُبدِّل أوطاناً بأوطانِ تَلْقى بكل بلادٍ إن حَللْتَ بها أهلاً بأهل وإخواناً بإخوان مع أن المُقام بالمقام الواحد يُورث المَلالة.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: زُرْغِبًّا تَزْدَدْ حُبا.

وقالت الحكماء: لا تُنَال الرّاحةُ إلا بالتَعب ولا تُدْرك الدَعة إلا بالنَصب.

وقال حبيب: بَصُرْتَ بالراحة الكُبرى فلم تَرها تُنال إلا على جِسر من التَعَب وقال أيضاَ: على أنَّني لم أحْوِ وَفْرًا مُجَمَّعا قَرِرْتُ به إلا بشَمْل مُبَددِ ولم تَعْطِني الأيامُ نَوْماً مُسكِّناً ألذَّ به إلا بنَوْم مشرِّد وقال أيضَاَ: وَرَكْب كأطْراف الأسِنَّةِ عرّسُوا على مثلها والليلُ تَسْطُر غَياهبُه لأمرٍ عليهم أن تَتمّ صدُورُه وليس عليهم أن تتمّ عواقبُه وبعدُ فهل يجوز في وَهْم أو يتمثَّل في عقل أو يصحُّ في قياس أن يُحصد زَرْع بغير بَذْر أو تُجْنى ثمرة بغير غَرْس أو يُورَى زَنْدٌ بغير قدْح أو يُثمِر مال بغير طَلَب.

ولهذا قال الخليلُ بنُ أحمد: لا تصل إلى ما تحتاجُ إليه إلا بالوُقوف على ما لا تحتاجُ إليه فقال له أبو شَمِر المتكلِّم: فقد احتجتَ إذاً إلى مالا تحتاج إليه إذ كنت لا تصل إلى ما تحتاج إليه إلا به قال " له " الخليلُ وَيْحك! وهل يَقْطَع السَّيفُ الحُسامُ إلا بالضرَب أو يجْري الجَوَادُ إلا بالرّكْض أو هل تُنال نهايةٌ أو تُدْرَك غايةٌ إلا بالسعي إليها والإيضاَع نحوَها وقد يكون الإكْداء مع الكدّ والخيْبة مع الهيْبة.

وقال الشاعر: وما زِلْتُ أَقطع عَرْضَ البِلادِ من المشرقين إلى المغْربين وأدَّرِع الخَوف تحت الدُّجَى وَأسْتَصحب الجَدْيَ والفَرْقَدَيْن وَأطْوِي وَأنْشُرُ ثوْبَ الهُموم إلى أنْ رجعتُ بخُفَّيْ حُنَين إلى كم أكون على حالةٍ مقِلاً من المال صِفْرَ اليَدَين فَقِيرَ الصَّديق غنيّ العدوّ قليلَ الجَداء عنِ الوالدين ومثْلُ هذا قليل في كثير وإنما يُحكم بالأعمّ والأغلب والنجْح مع الطّلب والْحِرمان لِلعَجْز أصْحب.

وقد شرح حبيبٌ هذا المعنى فقال: هِمَم الفَتَى في الأرض أغْصانُ الغِنى
غُرِستِ وليست كلّ حينٍ تُورِقُ لكِ ألحاظٌ مِرَاضٌ ودَلٌّ غيرَ أنّ الطَّرْفَ عنها
أكَلَ وأرَى خَدَّيْكِ وَرْداً نضيراً جادَه من دمعِ عَيْنيّ طَلَ عَذْبة الألفاظ لم لم
يَشِنْها كَرُّ تَفْنِيدٍ بِسمْعي يُضِلّ أنّ عَزَّى التي أنِفَتْبي عَنْ سِواها كُنْتُرُها ليَ قُلّ
ظَلْتُ في أفياءِ ظِلِّكَ حتى ظلّ فوقي للمَتالف ظِلّ أنّ أوْلَى منكِ بي لَمَرامٌ لا
يحُلّ الهَوَانُ حيثُ يَحُلّ ما مقامي وحُسامي قاطعٌ وسِناني صارمٌ مَا يُفَلّ
سَنائي مِثْلُ رَوْضةِ حَزْنٍ أضْحَكَتْهَا دِيمَةٌ تَسْتَهِلّ دليلى بين فَكَيَّ يَعْلو كلّ صَعْبِ
رَيِّضٍ فَيذِلّ ثملاً من خَمْرة العَجْزِ أسْقِي نَهَلاً من بعدِه ليَ عَليّ إنْ يَكُنْ قُرْبك
عِندي جليلا فأقلُّ الحَزْم منهَ أجَلّ أقعِيداً للقعيدة إلفاً كلّ إلفٍ بي لعُدْمي
مخِلّ لا يَشُكُ السِّمْع حين يراه أنّه بالبِيد سِمْع أزَلّ بين ثَوْبَيْهِ أخو عزمات
يَتَقيها الحادثُ المصمئِلّ ليس تَنبُو بي رِحالٌ وَبِيدٌ إن نَبَا بي مَنْزِلٌ وَمَحلّ
فأقلّي بعض عَذل مُقِلّ لا يَرَى صَرْفَ الزَّمان يَقِلّ نّ وَخْدَ العِيس إثْمَار رِزْق
يَجْتنيها المُسْهَب المُشمعل لا تفلي حد عزمي بِلَوْم إنني لِلْعَزْم والدَّهر خِلّ
فالفَتى مَن ليس يَرعَى حِماه طَمعاً يوماً له مُسْتَذِلّ مَن إذا خَطْبٌ أطلّ عليه
فله صبرٌ عليه مُطِلّ يَصْحب الليلَ الوليدَ إلى أنْ يَهْرَمَ الليلُ وما إنْ يمَلّ
ويرى السَّير " قد " يَلَجْلج منه مُضغةً لكنّها لاتَصِلّ شمَرت أثوابُه تحت لَيْلٍ
ثَوْبُه ضافٍ عليه رِفَلّ سأُضِيع النومَ كيما تَرَيْني ومضيعي مُعْظِمٌ لي مُجلّ

باب التماس الرزق وما يعود على الأهل والولد

قال النبي صلى الله عليه وسلم: العائد على أهْله ووَلده كالمُجاهد المُرابط في سَبِيل اللّه.

وقال صلى الله عليه وسلم: اليد العُلْيَا خَيْرٌ من اليد السُّفلى وابدأ " بنَفْسك ثم " بمَنْ تَعُول.

وقال عمرُ بن الخَطّاب: لا يَقْعُدْ أحدُكم عن طَلب الرِّزق ويقول: اللهم ارزُقْني وقد عَلِم أن السَّماءَ لا تُمْطِرُ ذَهَباً ولا فِضة وإنّ الله تعالى إنما يَرْزق الناسَ بعضهم من بعض وتلا قولَ الله جلّ وعلا: " فإذا قُضيت الصَلاةُ فانتشروا في الأرْض وأبْتَغُوا مِنْ فَضْل الله واذْكُرُوا الله كثيراً لَعَلَّكُم تُفلحُون ".

وقال محمدُ بن إدريس الشَافعي: احرصْ على ما يَنفعك ودَعْ كلامَ الناس فإنّه لا سَبيل إلى السَّلامة من ألْسنة العامّة.

ومثلُه قولُ مالك بن دِينار: مَن عَرف نَفْسَه لم يَضِرْه ما قال الناسُ فيه.

وقال كطاهر بن عبد العزيز: أَخبرنا علي بن عبد العزيز قال: أَنشدنا أبو عُبيد القاسم بن سَلام: لا يَنْقص الكاملَ مِن كماله ما ساقَ مِن خير إلى عِيالِه
وقال عمرُ بن الخطّاب " رضى الله عنه ": يا معشرَ القُرَّاء التَّمسوا الرِّزْق ولا تَكُونوا عالةً على الناس.

وقال أكثمُ بن صَيْفيّ: مَن ضَيَّع زاده اتّكل على زادِ غيره.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: خَيْركم مَن لم يَدَع آخرتَه لدُنْياه ولا دُنياه لآخرته.

وقال عمرو بن العاص: اعمل لدُنياكَ عَمل من يَعيش أبداً واعمل لآخرتك عمل من يموت غداً.

وذُكر رجلٌ عند النبي صلى الله عليه وسلم بالاجتهادِ في العِبادة والقُوَّة على العمل وقالوا: صَحِبْناه في سَفر فما رأينا بعدك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أعبَدَ منه كان لا يَنْفتل من صلاة ولا يُفْطر من صيام.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: فمن كان يَمُونه ويَقُوم به قالوا: كلّنا قال: كلُّكم أعبدُ منه.

ومَرّ المسيحُ برجل من بني إسرائيل يتعبّد فقال: ما تصنع قال: أتعبد قال: ومَن يقوم بك قال: أخي قال: أخوك أعبدُ منك.

وقد جعل الله طَلَب الرِّزق مَفْروضا على الخَلْقِ كلّه من الإنس والجنّ والطير والهوام منهم بتَعْليم ومنهم بإلهام وأهلُ التَّحصيل والنَظر " من الناس " يَطْلبونه بأحسن وُجوهه من التصرف والتَحرز وأهلُ العَجْز والكسل يَطْلبونه بأقْبح وجوهه من السؤال والاتكال والخِلابة والاحتيال.

باب في فضل المال

قال الله تعالى " المَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا والْبَاقِيَاتُ الصالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيرٌ أَمَلاً ".

وقال النبي صلى الله عليه وسلم للمُجاشِعيّ: إن كان لك مال فلك حسَب وإن كان لك خُلُق فلك مُروءة وإن كان لك دِين فلك كَرم.

وقال عمرُ بن الخطّاب: حَسَب الرجل مالُه وكرَمه دِينه ومُروءته خُلُقُه.

وفي كتاب الأدب للجاحظ: اعلم أنّ تَثْمير المال آلةٌ للمكارم وعَوْنٌ على الدِّين وتأليف للإخوان وأنّ مَن فَقد المالَ قَلَت الرَّغبةُ إليه والرَّهبة منه ومَن لم يكن بمَوْضع رَغْبة ولا رَهْبة استهان الناسُ به فاجْهَد جَهْدك كلّه في أنْ تكُون القلوبُ مُعَلّقة منك برَغْبة أو رَهْبة في دِين أو دُنيا.

وقال حكيم لابنه: يا بُنيّ عليك بطَلَب المال فلو لم يكن فيه إلاّ أنّه عِزٌّ في قَلْبك وذُلٌ في قلب عدوّك لكفي.

وقال عبدُ الله بن عبّاس: الدُّنيا العافية والشَّباب الصِّحة والمُروءة الصبر والكرِم التَّقْوى والحَسَب المال.

وكان سعدُ بن عُبادة يقول: اللهم ارزقني جِدّاً ومَجداً فإنه لا مَجد إلا بفعَال ولا فَعال إلا بمال.

وقالت الحُكماء: لا خيرَ فيمن لا يَجْمع المالَ يَصون به عرْضه ويَحْمي به مُروءته ويَصِل به رَحِمه.

وقال عبد الرحمن بن عَوْف: يا حَبذا المالُ أصونُ به عِرْضي وأتقربُ به إلى ربِّي وقال سُفْيان الثَّوْرِيّ: المالُ سِلاح المُؤمن في هذا الزمان.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: نِعْمَ العَوْنُ على طاعة الله الغِنى ونعَم السُّلَّم إلى طاعة الله الغنى وتَلا " وَلَوْ أَنهم أقامُوا التَّوْراةَ وَالإنجِيلَ وَما أنْزِلَ إليهم من ربِّهم لأكَلُوا منْ فَوْقهم وَمنْ تَحْتِ أرْجُلهم " وقولَه: " اسْتَغْفِرُوا رَبَّكمْ إنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ .

وقال خالدُ بن صفْوان لابنه: يا بُنَيَّ أوصيك باثنتين لن تزال بخَيْر ما تمسَّكت بهما: دِرْهمك لمعاشك ودِينك لمعادك.

وقال عُروة بن الوَرد: ذَرِيني للغِنَى أسعى فإنِّي رأيتُ النَّاسَ شَرّهُم الفقيرُ وأحقَرُهم وأهونُهم عليهم وإنْ أمسى له حَسب وخِير يُباعده القريبُ وتَزْدريه حَلِيلتُه وينْهره الصَّغير وتُلْفِي ذا الغنى وله جَلالٌ يكاد فؤادُ صاحبه يَطير قلِيل ذَنْبُه وَالذنْبُ جم ولكنْ لِلْغَنِي رَبٌّ غَفور سأكسبُ مالاً أو أموتَ بِبَلدة يَقِلُ بها قَطْرُ الدَّموع على قَبْرِي وقال آخر: سأعْمل نَصَّ العِيس حتى يَكُفَّني غِنَى المال يوماً أو غِنَى الْحَدَثانِ فَللْموتُ خيرٌ من حياة يُرى بها على المَرْء بالإقلال وَسْمُ هَوَانِ إذا قال لم يُسْمع لِحُسْن مَقاله وإن لم يَقُل قالوا عَدِيمُ بَيَانِ كأنّ الغِنَى عن أهْله - بُورك الغِنَى - بغَيْرِ لِسانِ ناطقٌ بلسانِ الرِّياشيّ قال: أنشدنا أبو بكر بن عَيَّاش: حيْران يَعلم أنّ المالَ ساقَ له ما لم يَسُقْهُ له دِينٌ ولا خُلقُ لولا ثلاثون ألفاً سُقْتها بِدَراً إلى ثلاثين ألفاً ضاقت الطُرق فمن يَكُن عن كرام الناس يَسْألني فأكْرم الناس مَن كانت له وَرِق وقال آخر: أجلّكَ قوم حين صِرْتَ إلى الغِنَى وكلٌّ غَني في العُيون جَلِيلُ ولو كنتَ ذا عقل ولم تُؤْتَ ثروَةً ذَلَلْت لدَيهم والفقيرُ ذليل فشرَّف ذَوِي الأموال حيثُ لَقِيتَهم فقَوْلهُمُ قَوْلٌ وَفِعْلُهم فِعْلُ وأنشد أبو مُحَلَم لرجل من وَلد " طَلِبَة بن " قَيسى بن عاصم: وكنتُ إذا خاصمتُ خَصماً كبَبْتُه على الوَجْه حتى خاصَمَتْني الدَّرَاهمُ فلمّا تنازعنا الخُصومة غُلِّبت عليّ وقالوا قُمْ فإنّكَ ظالم وأنشد الرِّياشي: لم يَبْقَ مِن طَلَبِ الغِنَى إلا التَّعَرضُ للحُتُوف فَلأقْذِفَنَّ بمَهْجَتي بين الأسِنَّة والسيوف ولأطْلُبَنَّ ولو رَأيتُ الموتَ يلمعُ في الصُّفوف وكان لأحَيْحَة بن الجُلاَح بالزَّوْراء ثلثمائة ناضح فَدَخَل بستاناً له فمرَّ بتَمْرة فَلَقطها فعُوتب في ذلك فقال: تمْرَة إلى تَمرة تَمرات وجَمل إلى جَمل ذَوْد.

ثم أنشأ يقول: إني مُقيم على الزَّوْراء أعمرُها إنّ الحبيب إلى الإخوان ذو المال فلا يَغُرَّنك ذو قُرْبى وذو نَسب من ابن عمّ ومن عم ومن خال كلّ النداء إذا ناديتُ يَخْذُلني إلا نِدَائي إذا ناديتُ يا مالي قالوا نأيتَ عن الإخوان قلتُ لهم مالِي أخٌ غَير ما تَّطْوَى عليه يَدِي " كان الرُّمَاحِس بن حَفْصة بن قَيْس وابن عمٍّ له يُدْعى رَبيعة بن الوَرْد يَسْكنان الارْدُن وكان رَبيعة بن الوَرْد مُوسِراً والرُّمَاحسُ مُعْسِراً كثيراً ما يَشْكو إليه الحاجة ويَعْطف عليه ربيعةُ بعضَ العَطْف فلما أكثر عليه كَتب إليه: إذَا المَرْء لم يَطْلُب مَعاشاً لنَفْسه شكا الفَقْرَ أوْ لامَ الصَّدِيقَ فأكْثرا وصار عَلَى الأدنين كَلاًّ وأوشَكت صِلاتُ ذَوي

القرْبىَ له أن تَنَكَرا فَسِرْ في بِلاد الله والتَمس الغنَى تَعِشْ ذا يَسَارٍ أو تموتَ فَتُعْذَرا فما طالبُ الحاجات مِنْ حيثُ تبتغى من المال إلا مَنْ أجدَّ وشَمَّرا ولا تَرْضَ مِنْ عَيْشٍ بدُونٍ ولا تَنمَ وكيف يَنام الليلَ من كان مُعْسرا وقال بعضُ الحُكَماء: المالُ يُوَقِّر الدنئ والفَقْر يُذِل السَنيّ.

وأنشد: أرَى ذا الغِنَى في النَّاس يَسْعَون حولِه فإنْ قال قولا تَابَعُوه وصدَقُوا فذلك دَأبُ النَّاس ما كان ذا غِنَى فإنْ زال عنه المال يومًا تَفَرقوا وأنشد: ما النَّاس إلا مع الدُّنيا وصاحبها فحيثُما انقلبتْ يوماً به انقلَبُوا صنوف المال قال مُعاوية لصَعْصعة بن صُوحان: إنما أنت هاتِف بلسانك لا تَنْظُر في أود الكلام ولا في استقامته فإن كنتَ تَنْظُر في ذلك فأخْبرني عن أفضل المال.

فقال: والله يا أمير المؤمنين إني لأدع الكلامَ حتى يَخْتمر في صَدْرِي فما أرْهِف به ولا أتَلَهَق فيه حتى أقيم أوده وأحَرِّر مَتْنه.

وإنّ أفضلَ المال لبرة سَمْراء في تُرْبة غَبْراء أو نَعْجَة صَفْراء في رَوْضة خضراء أو عَينْ خَرَّارة في أرض خَوَّارة.

قال معاوية: للّه أنتَ! فأين الذِّهب والفِضِّة قال: حَجَران يَصْطَكان إن أقبلتَ عليهما نَفدا وإن تركتَهما لم يزيدا.

وقيل لأعرابيَّة: ما تَقُولين في مائة من المَعز قالتِ: قني قيل لها: فمائة من الضّأن قالت: غِنَى قيل لها: فمائة من الإبل قالت: مُنَى.

وقال عبدُ الله بن الحسن: غَلّةُ الدُور مسألة وغَلّة النَّخل كَفاف وغَلة الحَبّ مِلْك.

وفي الحديث: أفْضل أموالكم فَرَسٌ في بَطْنها فرس يَتْبعها فرس وعَينْ ساهرة لعَيْن نائمة.

وأنشد فَرج بن سلام لبعض العِراقيّين: ولقد أقولُ لحاجب نُصْحاً له خَلِّ العُروض وبِعْ لنا أرْضا إني رأيتُ الأرض يَبقى نَفْعُها والمال يأكل بعضه بعضا واحذَرْ أناساً يظْهرون محبَّة وعُيونُهم وقُلوبُهم مَرْضىَ تدبير المال قالوا: " لا مالَ " لأخرَق ولا عَيْلة على مُصلح وخيرُ المال ما أطعمك لا ما أطعمتَه.

وقال صاحبُ كليلة ودِمْنة: لِيُنْفِق ذو المال مالَه في ثلاثة مواضع: في الصَّدقة إن أراد الآخرةَ وفي مُصانعة السُّلطان إن أراد الذِّكْر وفي النِّساء إن أراد " نَعيم " العيش.

وقال: إنّ صاحبَ الدنيا يَطْلب ثلاثة ولا يُدْركها إلاّ بأربعة فأما الثلاثة التي تُطلب: فالسَّعة في المعيشة والمنزلة في النَّاس والزاد إلى الآخرة.

وأما الأربعة التي تُدرك بها هذه الثلاثة: فاكتساب المال من أحسن وُجوهه وحُسْن القيام عليه ثم التَّثْمير له ثمّ إنْفاقه فيما يُصْلِح المَعِيشةَ ويُرْضى الأهلَ والإخوان ويَعُود في الآخرة نَفْعه فإن أضاع شيئاً من هذه الأربعة لم يُدْرك شيئاً من هذه الثلاثة إن لم يَكْتسب لم يكنْ له مالٌ يِعيش به وإنْ كان ذا مال

واكتسابِ ولم يُحسن القيامَ عليه يُوشِك أن يَفْنى ويَبْقى بلا مال وإن هو أَنْفقَه ولم يُثَمِّره لم تمنعَه قِلّةُ الإنفاق من سُرْعة النَّفاد كالكُحْل الذي إنما يُؤخذ منه على المِيل مثلُ الغبار ثم هو مع ذلك سرَيعٌ نفادُه وإن هو اكتَسب وأَصْلح وثَمِّر ولم يُنفق الأموالَ في أبوابها كان بمنزلة الفقير الذي لا مالَ له ثم لا يَمنع ذلك مالَه من أن يُفارقَه ويَذهب حيثُ لا مَنْفعة فيه كحابس الماء في المَوْضع الذي تَنْصَبّ فيه المياه إن لم يَخْرج منه بقَدْر ما يَدْخل فيه مَصَل وسال من نواحيه فيَذْهب الماء ضَياعا.

وهذا نظير قولِ الله تعالى: " والذينَ إذَا أَنْفَقُوا لمْ يُسْرِفوا ولَم يَقْتُرُوا وَكانَ بَين ذلِكَ قَوَاماً " و وقولِه عز وجلّ لنبيِّه صلى الله عليه وسلم: " وَلا تجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إلى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْها كلَّ البسطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً ".

ونظر عبد اللهّ بن عباس إلى دِرْهم بيد رَجُل فقال له: إنه ليس لك حتى يَخْرُج من يدك.

يريد أنه لا ينتفعُ به حتى يُنْفِقَه ويَسْتفيد غيرَه مكانَه.

وقال الحُطَيئة: مفيد ومِتْلاف إذا ما سألتَه تَهلَّل وأهتزّ اهتزازَ المُهَنّدَ وقال مُسْلِم بن الوَليد: لا يَعْرِف المالَ إلا رَيْثَ يُنْفِقه أو يومَ يَجْمعه للنَّهب والبَدَدِ وقال آخر: مُهْلِكُ مالٍ ومُفِيدُ مال وقال سُفْيان الثَّوْريّ: مَن كان في يده شيءٌ فَلْيُصْلِحْه فإنّه في زمان إن احتاجَ فيه كان أولَ ما يَبْذُله دينُه.

وقال المُتلَمِّس: وحَبْسُ المالِ أَيْسَرُ من بُغَاهُ وضَرْب في البِلادِ بغَيْر زاد سَعْد القَصِير قال: وَلاّني عُتْبة أموالَه بالحِجاز فلما ودّعته قال لي: يا سَعْد تعاهدْ صغير مالي " فَيَكْثُرَ " ولا تُضيِّع كثيرَه فَيَصْغُر فإنه ليس يَشْغلني كثير مالي عن إصلاح قَليله ولا يَمْنعني قليلُ ما في يدي عن الصبر على كثير مما يَنُوبني.

قال: فقَدمْت المدينةَ فحدّثت بها رجالاتِ قُريش ففرَّقوا بها الكُتب على الوُكلاء.

الإقلال قال أَرِسْطاطاليس: الغِنَى في الغُرْبة وَطَن والمقلّ في أهله غريب.

أخذه الشاعرُ فقال: لَعَمْرُك ما الغريبُ بذي التنائي ولكنّ المُقِلَّ هو الغريبُ إذا ما المرء أَعْوزَ ضاقَ ذَرْعاً بحاجته وأَبعدَه القريب وقال إبراهيمُ الشَّيباني: رأيتُ في جدار من جُدُر بيت المقدس " بيتين مكتوبين بالذَّهب: وكُلّ مُقلٍّ حين يَغْدو لحاجةٍ إلى كُلِ مَن يَلْقى من النَّاس مُذْنِبُ وكان بَنُو عَمِّي يقولون مَرْحباً فلمّا رأوْني مُقْتِراً مات مَرْحب ومِن قَوْلنا في هذا المعنى: اقد أَسْقطتْ حقّي عليك صَبابتي كما أَسْقط الإفْلاسُ حقَّ غَرِيم وأعذَرُ ما أدمى الجُفُونَ من البُكا كريمٌ رأى الدَّنيا بكفِّ لَئِيم أرى كلّ فَدْمٍ قد تَبَحْبَح في الغِنَى وذو الظَّرف لا تَلْقاه غيرَ عَديم قال الحسن بن هانئ: الحَمدُ للّه لَيس لي نَشَبٌ فَخَفَّ ظَهْري ومَلَّني وَلدِي مَن نَظَرتْ عَيْنُه إليّ فَقَد أحاطَ عِلْماً بما حَوَته يَدِي وكان أبو الشَمَقْمق الشاعر أديباً ظريفاً محارفاً صُعْلوكاً مُتبرَماً قد لَزم بيتَه في أطمار مَسْحوقة وكان إذا استَفْتح عليه أحدٌ بابَه خرج فَنَظر من فُرَج الباب فإن أعجبه الواقفُ فَتح له وإلا سَكَت عنه.

فأقبل إليه بعضُ إخوانه فدخل عليه فلما رأى سُوء حاله قال له: أبْشر أبا الشَّمَقْمق فإنّا رَوَينا في بَعض الحديث أنّ العارين في الدنيا هم الكاسُون يومَ القيامة.

قال: إن كان والله ما تقول حقًّا لأكونَنَّ بَزَازاً يوم القيامة ثم أنشأ يقول: أنا في حالٍ تعالى الله ربِّي أيّ حالٍ ولقد أهزلت حتى محت الشَّمسُ خَيالي مَن رَأى شَيْئاً مُحالاَ فأتَا عَين المحالَ ولقد أفلستُ حتّى حَلَّ أكلي لِعيَالَي في حِرام النَّاس طُرًّا مِن نِسَاء ورجال لو أرَى في النَّاس حُرًّا لَم أكنْ في ذا المِثَال وقال أيضاً: أتُراني أرَى من الدَّهر يوماً ليَ فيه مَطِيَّة غيرُ رِجْلي كلّما كُنتُ في جَميع فقالوا قَرِّبُوا للرَّحيل قَرَّبتُ نَعْلِي حيثُما كنت لا أَخَلِّف رَحْلا مَن رآني فقد رآني ورَحْلي وقال أيضاً: لو قد رأيتَ سَريري كنتَ تَرْحمني الله يَعلم ما لي فيه تَلْبيسُ واللّه يَعلم ما لي فيه شابكةٌ إلا الحَصيرة والأطْمار والدِّيسُ وقال أيضاً: بَرَزت من المَنازل والقِباب فلم يَعْسُر على أحدٍ حِجَابي فمنزليَ الفضاءُ وَسقفُ بَيْتي سماءُ الله أو قِطَع السَّحاب ولا انشَقَّ الثرى عن عُود تَحْتٍ أؤمِّل أنْ أشُدّ به ثِيابي ولا خِفتُ الإبَاقَ على عَبيدي ولا خِفْتُ الهلاك على دَوَابي ولا حاسَبْتُ يوماً قَهْرماناً مُحاسبةً فأغْلَظ في حِسابي وفي ذا راحةٌ وفَراغُ بالٍ فَدابُ الدَّهر ذا أبداً ودَابي وفي كتاب للهِنْد: ما التَّبَع والإخْوان والأهلُ والأصدقاء والأعوان والحَشم إلا مع المال وما أرى المُروءة يُظهرها إلا المال ولا الرّأيَ والقُوّة إلا بالمال ووجدتُ مَن لا مَالَ له إذا أراد أن يتناول أمراً قَعد به العُدْم فيبقى مقَصراً عما أراد كالماء الذي يَبْقى في الأوْدية من مَطر الصَّيف فلا يَجْري إلى بحر ولا نهر بل يَبْقى مكانَه حتى تَنشَفَه الأرضُ ووجدتُ مَن لا إخوانَ له لا أهلَ له ومَن لا وَلد له لا ذِكر له ومَن لا عَقْل له لا دُنيا له ولا آخرةَ له ومَن لا مال له لا شيءَ له لأن الرجل إذا افتقر رَفَضَه إخوانُه وقَطعه ذوو رَحمه وربما اضطرتْه الحاجة لِنفْسه وعياله إلى التماس الرِّزق بما يُغَرِّر فيه بدينه ودُنياه فإذا هو قد خَسِر الدُّنيا والآخرةَ فلا شيء أشدُّ من الفقر.

والشَّجَرةُ النابتة على الطريق المأْكولة من كلِّ جانب أمثلُ حالاً من الفقير المُحتاج إلى ما في أيْدي الناس والفَقرُ داعٍ صاحِبَه إلى مقْت الناس ومُثْلِف للعَقْل والمُروءة ومُذْهب لِلعلْم والأدب ومَعْدن للتُّهمة ومَجْمَع للبَلايا.

ووجدتُ الرجلَ إذا افتقر أساء به الظنَّ مَن كان له مُؤْتمناً وليس مِن خَصلة هي للغنيِّ مَدْح وزَيْن إلا وهي للفَقِير ذَمٌ وشَيْن فإن كان شُجاعاً قيل أهْوج وإن كان جَواداً قيل مُفْسد وإن كان حَليماً قيل ضَعيف وإن كان وَقُوراً قيل بليد وإن كان صَمُوتاً قيل عَي وإن كان بليغاً قيل مِهْذار.

فالموت أهونُ من الفقر الذي يَضْطر صاحبَه إلى المسألة ولا سيَّما مسألة اللئام فإنَّ الكريم " لو كُلِّفَ " أن يدخل يده في فَم تنِّين ويْخرجَ منه سُمًّا فيَبْتَلِعَه كان أخفَّ عليه من مسألة " البَخيل اللئيم.

السؤال قال النبي صلى الله عليه وسلم: لأنْ يأخذ أحدُكم أحْبُلَه فَيَحْتطب بها على ظَهره أهونُ عليه من أن يَأتيَ رجلاً أعطاهُ اللهّ من فَضْله فيسأله أعْطاه أو منعه.

وقال: مَن فَتح علِى نفسه باباً من السَّؤال فَح الله عليه سَبْعين باباً من الفَقر.

وقال أكثم بن صَيْفِيّ: كلّ سُؤال وإن قَلَّ أكثرُ منِ كلّ نَوَال وإن جَلَّ.

ورَأى عليُّ بن أبي طالب كَرَّم الله وجهَه رجلا يَسأل بعَرفات فقَنَّعَه بالسَّوط وقال: وَيلك! أفي مِثل هذا اليوم تَسأل أحداً غيرَ اللّه وقال عبدُ الله بن عباس: المساكينُ لا يَعُودون مَريضاً ولا يَشْهَدُون جِنازةً ولا يَحْضُرُون جُمعة وإذا اجتمع الناسُ في أعيادهم ومَساجدهم يَسألون الله منِ فَضْلِه اجتمعُوا يسألون الناسَ ما في أيديهم.

وقال النّعمان بن النُذر: مَن سأل فوْق حَقِّه استحقَّ الحِرْمان ومَن أَلْحَف في مَسْألته استحقَّ المَطْل والرِّفق يُمْن والخُرْق شُؤْم وخَير السَّخاء ما وافق الحاجة وخَير العَفْو مع المَقْدِرة.

وقال شُرَيح: مَن سأل حاجةً فقد عَرض نفْسَه على الرِّق فإن قَضَاها المسئولُ استعبده بها وإن رَدَّه عنها رجعَ كلاهما ذليلاً: هذا بذُلِّ البُخْل وذاك بذُلِّ الرَّد.

وقال حَبيب: كُلّ السُّؤال شَجىً في الحَلْقِ مُعْترض من دونه شَرَقٌ من تحته جَرض الخُشَنى قال: قال أبو غَسان: أخبرني أبو زيد قال: سأل سائلٌ بمسجد الكوفة وقتَ الظهر فلم يُعْطَ شيئاً فقال: اللهم إنّك بحاجتي عالم لا تُعَلَّم أنت الذي لا يُعْوِزك نائل ولا يُحفيك سائل ولا يَبْلغ مَدْحَك قائل أسألك صبراً جميلا وَفَرَجاً قريباً وبصَراً بالهُدى وقُوَّة فيما تُحب وتَرْضى.

فتبادَروا إليه يُعْطونه فقال: وإلله لا رَزأتكم الليلةَ شيئاً " وقد رفعتُ حاجتِي إلى الله " ثم أنشأ يقول: ما نالَ باذلُ وَجْهه بِسُؤاله عِوَضاً ولو نال الغِنى بِسُؤال إذا النَّوَال مع السُّؤَال وَزَنْتَه رجَح السؤال وشالَ كلُّ نَوال وقال مسْلم بن الوليد: ِسل الناسَ إني سائِلُ الله وَحده وصائنُ عِرْضي عن فُلانٍ وعن فُل وقال عَبيد بن الأبرص: َمنْ يَسْأل الناس يَحْرِموه وسائِلُ الله لا يَخِيبُ وقال ابن أبي حازم: َلطَيُّ يوم ولَيْلتين ولُبْس ثَوْبين بالبَين أَهْوَنُ من مِنَةٍ لقَوْم أغضُّ منها جفُونَ عَيْني لأَحْمَدُ اللهّ حين صارتْ حوائجي بَيْنه وبَيْني ومن قولنا في هذا المعنى: سُؤَالُ الناس مِفْتَاح عَتِيدٌ لِبَاب الفَقْرِ فألطف في السَّؤَال " وَرَوَى أشعبُ الطَّمَّاع عن عبد الله بن عُمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: يَحْشرُ اللهّ عز وجل يوم القيامة قوماً عاريةً وجوههم قد أذهب حياءَها كثرةُ السؤال ".

سؤال السائل من السائل مدح أبو الشَّمَقْمق مروانَ بن أبي حَفصة فقال له: أبا الشَّمقمق أنت شاعرٌ وأنا شاعر وغايتنا كلّنا السؤال.

وذَكر أعرابيٌ رجلاً بالسُّؤال فقال: إنّه أسألُ من ذي عَصَوَين.

وقال حبيب: لم يَخْلُق الرحمنُ أحمقَ لِحْيةً من سائلٍ يَرْجو الغِنى من سائل الأصمعيُّ عن عيسى بن عمر النّحويّ قال: قَدِمْتُ من سَفر فدخل عليّ ذو

الرُمة الشاعر فعَرضتُ أن أعطيه شيئاً فقال: " كل " أنا وأنتَ نأخذ ولا نُعْطى.

الشيب قال قيسُ بن عاصم: الشيبُ خِطَامُ المَنيّة.

وقال غيرُه: الشيبُ نذيرُ الموت.

وقال النُّميريّ: الثيبُ عُنوان الكِبَر.

وقال المُعْتَمر بن سُليمان: الشيبُ مَوت الشّعَر ومَوت الشّعَر عِلّة لمَوْت البَشر.

وقال أعرابيّ: كنتُ أنكِر البَيْضاء فصِرْتُ أنكِر السَّوداء فيا خيرَ مَبْدول ويا شَرَّ بَدَل.

وقيل للنبيّ صلى الله عليه وسلم: عَجِل عليك الشّيبُ يا رسولَ اللّه! قال: شَيَّبَتْني هُود وأخواتُها.

وقيل لعبد الملك بن مَرْوَان: عَجِل عليك الشيبُ يا أميرَ المؤمنين! قال: شَيَّبَني ٱرتقاء المَنابر وتَوَقُّع اللّحن.

وقيل لرجل من الشَّعراء: عَجِل عليك الشّيبُ! فقال: وكيف لا يَعْجَل وأنا أُعْصرُ قَلْبي في عمل لا يُرْجَى ثَوابُه ولا يُؤْمَن عِقابُه.

وقال حبيبٌ الطائي: غَدَا الشّيْبُ مختَطًّا بِفَودِيَ خُطّةً طريقُ الرّدىَ منها إلى النَّفْس مَهْيَعُ هُو الزَوْرُ يُجْفي والمُعاشر يُحْتوي وذو الإلْف يُقْلَى والجديدُ يُرِقّعُ له مَنْظر في العَينْ أبيضُ ناصعٌ ولكنه في القلْب أسْود أسْفع بَكيتُ لقُرْبِ الأجلْ وبُعْدِ قَوات الأملْ ووَافِدِ شيْب طَرَا بعِقْبِ شبابٍ رَحَل شَباب كأنٌ لم يَكُن وشيبٌ كأنَّ لم يزَل طَواك بَشِيرُ البَقا وجاء بشير الأجل " وقال أيضاً: لا تَطْلُبَنْ أثراً بعَينْ فالشَيْب إحدَى الميتَتَين أبْدَى مَقابحَ كلِّ شَين ومَحَا مَحاسِنَ كل زَيْن فإذا رَأتكَ الغانيا تُ رَأينَ منك غُرابَ بَين ولرُبما نافَسْنَ في ك وكُنَّ طَوْعاً لليَدَين أيامِ عممك الشَّبا بُ وأنا سَهل العارِضَيْنْ حتى إذا نزل المَشي بُ وَصِرْتَ بين عِمَامتين سَوْدَاءَ حالكةٍ وبَي ضاءِ المَناشرِ كاللُجَينَ مزَج الصُّدُودُ وِصاله ن كُنَّ أمراً بَين بَين وصَبرن ما صَبر السَّوا د على مُصانَعة ومَينْ قَفين شرّ َقَفِيَّة وأخذْن منك الأطيَبَينْ فاقْنَ الحَياءَ وَسَلِّ نفِ سك أو فَنادِ الفَرْقَدَين ولَئِنْ أصابتْك الخُطو بُ بكل مكروه وشَين فلقد أمِنْتَ بأن يُصِب بك ناظِرٌ أبداً بعين وقال حبيب الطائيّ: نظرتْ إليّ بعين مَن لم يَعْدِل لمّا تَمَكّن حبُّها من مَقْتَلي لمِّا رأتْ وَضَح المَشِيب بلِمَّتي صَدَّت صُدودَ مُجانِب مُتحمِّلَ فجعلتُ أطلب وصلها بتلطفٍ والشَّيْبُ يَغْمِزُها بأنَّ لا تَفْعلي وقال آخر: صَدَّت أمامةُ لمَّا جِئتُ زائرَها عنّي بمَطْروفةٍ إنسانُها غَرقُ وراعها الشيبُ في رأسي فقلتُ لها كذاكَ يَصفرُّ بعد الخُضْرة الوَرَق وقال محمد بن أميّة: رأتني الغواني الشّيبُ لاح بعارضي فأعرضنَ عنّي بالخُدود النّواضِرِ عَيرتني بشيب رأسي نَوار يا ابنةَ العمِّ ليس في الشّيب عارُ إنّما العارُ في الفِرار من الزّح ف إذا قِيل أينَ أينَ الفِرار ومن قولنا في الشّيب: بِدا وَضَحُ المَشيبِ على عِذَارِي وهَل ليلٌ يكونُ بلا نَهارِ وأِلبسني النّهى ثوباً جديداً

وجَرَّدني من الثَوْب المُعار شرَيت سوادَ ذا ببياض هذا فَبدَّلتُ العِمامةَ بالخِمَار وما بِعْتُ الهوَى بَيْعا بشَرْط ولا استثنيت فيه بالخِيَار ومن قولنا فيه: قالوا شَبابُكَ قد وَلَّى فقلتُ لهم هل من جديدٍ على كَرِّ الجَديدَيْنِ صِلْ من هَوِيتَ وإن أبدى مُعاتبة فأطيبُ العَيْش وصلٌ بين إلْفَين وَاقطَعْ حَبَائلَ خِدْنٍ لا تُلائمهُ فرَّبمَا ضاقَتِ الدُّنيا على إثنين ومن قولنا فيه: جارَ المَشيبُ على رَأسي فَغَيَّره لمّا رَأى عِندنا الحُكَّامَ قد جارُوا سوادُ المَرْءِ تُنْفِدُه اللَّيَالِي وإِنْ كانت تَصيرِ إلى نَفَادِ فأسوده يَعود إلى بَياض وأبيضه يَعود إلى سَواد ومن قولنا أيضاً: أطلالُ لَهْوك قد أقوَتْ مَغانيها لم يَبْقَ من عَهدها إلا أثافيها هذِي المَفَارق قد قامت شواهدُها على فَنائِك والدُّنيا تُزَكِّيها الشَّيبُ سُفْتَجة فيها مُعَنْونة لم يَبْقَ إلاّ أن يسحيها ومن قولنا أيضاً: نُجوم في المَفارق ما تَغُور ولا يَجْرِي بها فلكٌ يَدُورُ كأنّ سواد لِمَّته ظلاً أغارَ من المَشيبِ عليه نُور ألا إنَّ القَتِيرَ وَعِيدُ صِدْق لنا لو كان يَزْجُرنا القَتير نذيرُ الموت أرسلَه إلينا فكذَّبْنا بما جاء النَّذير وقُلنا للنُّفوس لعلّ عُمْراً يطول بنا وأطولُه قَصير متى كُذبتْ مواعدُها وخانت فأوَّلُها وآخرُها غُرور ولم ألقَ المُنَى في ظلِّ لَهْوٍ بأقمارٍ سحائبُها السُّتور " ولآخر: والشّيبُ تَنْغيصُ الصِّبا فاقض اللبابةَ في الشَّبابْ وقال ابن عبّاس: الدنيا الصحّة والشباب.

ولبعضهم: في كل يوم أرى بَيضاء قد طَلَعتَ كأنَّما طَلعت في ناظِرِ البَصرِ لَئن قصَصْتُكِ بِالمِقْرَاض عن نَظري لَمَا قَصصتُكِ عن هَمِّي ولا فِكَري ولابن المُعتزّ: جاء المَشيب فما تَعِسْتُ به ومَضى الشَّباب فما بُكايَ عليْه وقال أيضاً: ماذا تُريدين من جَهْلي وقد غَبَرت سِنُو شَبابي وهذا الشَّيبُ قد وَخَطَا أرفِّع الشَّعرة البَيْضاء مُلْتقطاً فيُصْبِح الشَيبُ للسوداء مُلتقِطا وسَوفَ - لا شَكَّ - يُعْيِيني فأتْركه فطالما أعْمِلَ المِقْراضَ والمُشُطا " الشباب والصحة قال أبو عمرو بن العَلاء: ما بَكت العربُ شيئاً ما بَكَت الشباب وما بلغت به ما يستحقّه.

وقال الأصمعيّ: أحسن أنماط الشِّعر المَرائي والبُكاء على الشَباب.

وقيل لكُثَيِّر عَزَّة: ما " لك لا " تقول الشعر قال: ذهب الشبابُ فما أطرب ومات عبدُ العزيز فما - أرغب.

وقال عبد الله بن عبّاس: الدُّنيا العافية والشّباب الصحة.

وقال محمود الورّاق: أليسَ عَجِيباً بأن الفَتَى يُصاب ببَعضِ الذي في يَدَيْهِ فمن بين باكٍ له مُوجَع وبين مُغذّ مُعَزٍّ إليه ويَسْلَبه الشيبُ شَرْخَ الشبا بِ فليس يُعزِّيه خَلْقٌ عليه قال ابن أبي حازم: وَلّى الشَّبابُ فخَلِّ الدَّمعَ ينْهملُ فَقْدُ الشَّبابِ بِفَقْدِ الروح مُتَّصلُ لا تُكْذَبنَّ فما الدُّنيا بأجمعها مِنَ الشّباب بيوم واحدٍ بَدَل وقال جرير: وَلّى الشبابُ حَمِيدةً أيامُه لو كان ذلك يُشْترى أو يُرْجَعُ وقال صريعُ الغواني: سَلْ عيش دهرٍ قد مَضتْ أيامُه هل يَسْتطيع إلى الرُّجوع سَبيلا وقال الحسنُ " بن هانئ ": وأراني إذ ذاك في طاعة الجه ل وَفَوْقي من الصِّبا أمراءُ تِرْب عَبْث لرَبْطتي فَضْلُ ذَيْل ولرأسي ذَؤَابةٌ فَرْعاءُ بقِناع من الشَباب جديدٍ لم ترَقَعه بالخِضاب النَساءُ قبل أنْ يَلْبَس المَشيبَ عِذارى وتبلى عمامتي السوداء وقال أعرابي: للهّ أيامَ الشباب وعَصره لو يُستعار جديدُه فيُعارُ ما كان أقصرَ ليلَه ونَهَارَه وكذاك أيامُ السُّرور قِصارُ ومن قولنا

في الشباب: وَلّى الشبابُ وكنتَ تَسكن ظِلّه فانظُر لنفسك أَيَّ ظلٍّ تَسكنُ ونَهى المَشيبُ عن الصبا لو أنّه يُدْلى بحُجَّته إلى مَنْ يَلْقن ومن قولنا فيه: حَسَر المَشيبُ قِناعَه عن رأسه وصَحَا العواذلُ بعد طول مَلام فكأنَّ ذاك العيشَ ظل غمامةٍ وكأنّ ذاك اللهوَ طيفُ منام " ومن قولنا فيه: ولو شِئتُ راهنتُ الصَبابةَ والهوَى وأَجْريتُ في اللّذات من مائتين وأسبلتُ من ثَوْب الشّباب وللصّبا عليّ رداءٌ مُعْلَم الطَرَفَيْنْ " وقال آخر: إنّ شَرْخَ الشّبابِ والشّعرِ الأس ود ما لم يُعاصَ كان جُنونَا وقال آخر: قالتْ عَهِدْتُكَ مجنوناً فقلتُ لَها إنّ الشّبابَ جُنونٌ بُرؤُه الكِبَرُ ومن قولنا في الشباب: كنتُ إلْفَ الصّبا فَوَدَّعني وَداعَ مَن بانَ غيرَ مُنْصَرفِ أيامُ لهوِي كظِلِّ إسْحَلة وذا شَبابي كروضة أَنَف ومن قولنا فيه: شبابي كيف صِرْتَ إلَى نَفَادٍ وبُدِّلتَ البياضَ منَ السَّوادِ فِراقُك عَرَّف الأحزان قَلبي وفَرَّق بين جَفْني والرُّقاد فيا لنعيم عَيْشٍ قد تَولى ويا لغليل حُزْنٍ مستفاد كأني مِنْك لم أَرْبَع برَبْع ولم أَرْتَدَّ به أَحْلَى مَراد سَقى ذاك الثَّرَى وَبْلُ الثَرَيَّا وغادىَ نَبْته صوْبُ الغوادِي فكم لي من غَلِيلٍ فيه خافٍ وكم لي مِن عَويلٍ فيه بادِي زمانٌ كان فيه الرُّشد غَيّا وكان الغَيُّ فيه من الرَّشاد يُقبِّلني بدلٍّ من قَبُول ويُسْعدني بوِصْل من سُعاد وأجنُبه فيُعطِيني قياداً ويَجْنُبني فأعْطيه قِيَادي

الخضاب

قال النبي صلى الله عليه وسلم: غَيِّروا هذا الشّيبَ " وجَنِّبوه السوادَ ".

وكان أبو بكر يَخْضب بالحِنَّاء والكَتَم.

وقال مالك بنُ أسماء بن خارجة لجاريته: " قُومي " اخضِبي رأسي ولِحيتي فقالت: دَعْني قد عَيِيت بما أُرقِّعك.

فقال مالك بنُ أسماء: عَيَّرْتِني خَلَقاً أَبليتُ جِدَّته وهل رأيت جَديداً لم يَعُدْ خَلَقَا ودخلِ أبو الأسود الدُؤليّ على معاوية وقد خَضَب فقال: لقد أصبحتَ يا أبا الأسود جميلاَ فلو عَلَّقت تميمة.

فأنشأ أبو الأسود يقول: أَفْنى الشّبابَ الذي فارقتُ بهجَته مَرُّ الجديدَيْن من آتٍ ومُنْطلقِ لم يُبْقِيا ليَ في طُول اختلافهما شيئاً يُخاف عليه لَذْعةُ الحَدَق وذُكر عن الأصمعيّ قال: بَلغني عن بعض العَرب فصاحةٌ فأتيتُه فوجدتُه يَخْضب فقال: يا بن أخي ما الذيَ أقصدَك إليّ قلتُ: الاستئناسُ بك والاستماع من حديثك قال: يا بن أخي قَصدْتَني وأنا أَخْضِب والخضاب من مُقدِّمات الضّعف ولطالما فَزّعت الوُحوش وقُدْت الجيوش وَرَوَّيْت السّيف وقَرَيت الضَّيف وحَميت الجارَ وأبيت العار وشَرِبْتُ الرَّاح وجالستُ المِلاَح وعاديت القُروم وعَلوت الخُصوم واليوم يا بن أخي الكِبَرُ وضعف البصر تركا من بعد الصَّفو الكَدَر وأنشأ يقول: شَيْبٌ نُعَلِّله كيما نُسرّ به كهيئة الثَّوب مطويا على خِرَقِ فكنتُ كالغُصْنْ يَرْتاح الفؤادُ به فصرْتُ عُوداً بلا ماءٍ ولا وَرَق صَبْراً على الدَّهر إنّ الدّهر ذو غِيَرٍ وأَهْلُه منه بين الصفو والرَّنَق " ودخل مُعاويةُ على ابن جعفر يعوده فوجده مُفيقاً وعنده جاريةٌ في حِجْرها عودٌ فقال: ما هذا يا بن جعفر فقال: هذه جارية أروَيها رقيقَ الشعر فَتَزِيده حُسناً بحُسْن نَغْمتها.

قال: فَلْتقل.

فحرَّكت عُودَها وغنَّت وكان معاوية قد خَضب: أليس عندك شُكْرٌ للَّتي جَعلتْ ما ابيضَ من قادمات الرِّيش كالحُمَم جَدَّت منك ما قد كان أخْلَقه رَيْبُ الزمان وصَرْفُ الدهر والقِدَم فحرَّك معاويةُ رجلَه فقال له ابن جعفر: لم حركت رجلَك يا أميرَ المؤمنين قال: كلُّ كريم طَروب.

وقال محمود الورّاق في الخِضاب: للضيف أَنْ يُقرَى ويُعْرفَ حقُّه والشَّيبُ ضيفُك فأقْرِه بِخِضَابِ وافي بأكْذَب شاهِد ولربَّما وافي المَشيبُ بشاهِدٍ كذّابِ فافسَخ شهادتَه عليك بخَضبِه تَنْفي الظُّنون به عن المُرْتاب فإذا دنا وَقْتُ المَشيب فخلِّه والشَّيبَ يذهبُ فيه كلِّ ذَهاب وقال آخر: وقائلةٍ تقولُ وقد رَأتْني أَرَقِّع عارضَيّ من القَتِيرِ عليك الخِطْرَ أن تُدَنى إلى بِيضٍ ترائبُهنّ حُور فقلتُ لها المشيبُ نَذِيرُ عُمْري ولستُ مُسَوِّداً وجهَ النَّذير إنّ شَيباً صَلاحُه بخِضَاب لَعَذَابٌ مُوَكَّلٌ بِعَذَاب فوَحَقِّ الشَّباب لولا هَوَى الْبِي ض وأَنْ تَشْمَئِزّ نفسُ الكَعَاب لأَرَحْتُ الخَدَّين مِن وَضر الْخط ر وآذنتُ بانقضاء الشَّباب وقال غيره: َبكَرت تحسِّن لي سوادَ خِضابي لكأنّ ذاك يُعيدني لِشَبابي وإذا أُدِيمُ الوَجْه أَخْلَقَه البِلَى لم يُنتَفَع فيه بحُسْن خِضاب ماذا تُرَى يجْدِي عليكِ سوادهُ وخلافُ ما يُرْضيك تحت ثِيابي ما الشَيبُ عندي والخضاب لواصِفٍ إلا كَشَمس جلَلَت بسَحاب تَخْفي قليلاً ثم تَقْشَعه الصَبا فيصيرُ ما سُتِرَت به لِذَهاب ومن قولنا هذا المعني: أصمَّم في الغَواية أم أنابا وشَيبُ الرَّأس قد خَلَس الشَّبَابا إذا نَصل الخِضاب بَكى عليه وَيَضحَك كلما وَصَل الخضابا كأن حمامةً بيضاءَ ظَلَّت تُقاتل في مَفارقه غُرابا قال النبي صلى الله عليه وسلم: مَن شَاب شَيْبة في الإسلام كانت له نُوراً يومَ القيامة.

وقال ابن أبي شَيبة: نهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن نَتْف الشَّيب وقال: هو نُور المُؤمن.

وقالوا: أوَّل مَن رأى الشيب إبراهيمُ خليل الرحمن فقال: يا ربِّ ما هذا قال له: هذا الوَقار قال: ربِّ زِدني وقارًا.

وقال أبو نُواس: يَقُولون في الشّيب الوقارُ لأهْلِه وشَيبي بحمد الله غير وقارِ وقال غيرُه: يقُولون هلْ بعد الثلاثين مَلْعب فقلتُ وهل قبلَ الثلاثين مَلْعبُ لقد جَلَّ قَدْرُ الشَيب إن كان كُلّما بَدت شَيْبةٌ يَعْرَى من اللّهو مَركب دخل أبو دُلَف على المأمون وعنده جارية وقد ترك أبو دُلف الخِضَابَ فغمز المأمونُ الجاريَةَ فقالت " له ": شِبْت أبا دُلف إنا لله وإنا إليه راجعون " لا " عليك! فسكت أبو دُلف.

فقال له المأمون: أجِبْها أبا دُلف: فأطرق ساعةً ثم رَفع رأسه فقال: تَهزأت أن رأت شيْبي فقلتُ لها لا تَهْزَئِي مَن يطل عُمرٌ به يَشبِ شَيْبُ الرِّجال لهم زينٌ وَمَكْرُمة وَشَيْبُكن لَكُنّ الوَيْلُ فاكتئبي وقال محمود الوراق: وعائب عابني بشيبٍ لم يَعْدُ لمّا ألم وَقْتَه فقلتُ للعائبي بشيبي ياعائبَ الشَيب لا بَلغتَه " أنشدني أبو عبد الله الإسْكَنْدراني " معلَم الإخْوة: وممّا زادَ في طول اكتئابي طلائعُ شيبتين ألمتا بي فأمّا شَيْبَةٌ فَفَزِعْتُ فيها إلى المِقراض من حُبِّ النَّصابي وأمّا شَيْبةٌ فَعَفَوت عنها لتَشْهد بالبَرَاء من الخِضاب " وقال محمد بن مُناذِر: لا سَلامٌ على الشَّباب ولا حَي يا الإلهُ الشبابَ من مَعْهودِ قد لَبِسْت الجديدَ من كلّ شيء فوجدتُ الشَّباب شرَّ جَديد صاحبٌ ما يزال يَدْعو إلى

الغي ي وما مِن دُعاً له برَشِيد ولَنِعْم المَشيبُ والوازِعُ الشَّي - ب ونِعم المَفادُ لِلْمستفيد كبر السن قيل لأعرابيّ قد أخذته كَبْرة السِّن: كيف أصبحتَ فقال: أصبحتُ تقيِّدني الشَّعرةُ وأعثُر بالبَعْرة قد أقام الدهرُ صَعَرِي بعد أن أقمتُ صَعَره.

وقال: " آخر ": لقد كنت أنْكِر البيضاءَ فصرْت أُنْكِر السوداءَ فيا خير مَبْدول ويا شرَّ بَدَل.

ودخل المُسْتَوْغِرِ بنُ ربيعة على معاويةَ بن أبي سُفيان وهو ابن ثلثمائة سنة فقال: كيف تَجدك يا مُسْتوغر فقال: أجِدني يا أميرَ المؤمنين قد لان مِنِّي ما كنتُ أحبّ أن يشتدّ واشتدّ مني ما كنتُ أحبُّ أن يَلين وابيضّ مني ما كنتُ أحبُ أن يسودّ واسودّ مني ما كنتُ أحبّ أن يَبْيضَ ثم أنشأ يقول: سَلْني أنَبِّئك بآياتِ الكِبَرْ نوم العِشاءِ وسُعال بالسَّحَرْ " وقِلَّةَ النَّوْم إذا الليل آعْتَكر " وقِلّة الطَّعْم إذا الزَّاد حَضَر " وسُرْعة الطَّرَف وتَحْمِيج النظر " وتَرْكُك الحَسناءَ في قُبْل الطُّهُر والناسُ يَبْلَوْن كما يَبْلى الشَّجَر وقال أعرابي: أشْكو إليك وَجَعاً برُكْبتي وَهَدجاناً لم يَكن في مِشْيتي كهَدَجان الرَّأل خَلْف الهَيْقَتِ وقال آخر: وقال جرير: تَحِنّ العِظام الرّاجفاتُ من البِلَى ولَيْس لداء الركْبتين طبيبُ وقال أعرابيّ في امرأة " عَجُوز ": يا بِكْرَ حَوَّاءَ من الأوْلاد وأقدمَ العالم في المِيلادِ عُمْركِ ممدودٌ إلى التَّنادِي فحدِّثينا بحَدِيث عادِ ومُبْتدا فِرعون ذي الأوْتاد وكيف حالُ السَّيل بالأطْوادِ وقال آخر: إذا عاش سَبْعين عاماً فقد ذَهب المَسرةُ والفَتَاءُ كان في غَطفان نَصْر بنُ دُهْمان قادَ غَطفان وسادَها حتى خرِف وعُمِّر تسعين ومائة سنةٍ حتى اسودَّ شَعرُه ونَبتت أضراسُه وعاد شاباً فلا تُعرف في العرب أعجوبة مثله.

وقال محمد بن مناذر في رجل من المُعمَّرين: إنَّ مُعاذَ بنَ مُسْلم رَجلٌ قد ضَجّ من طُول عُمره الأبدُ قد شابَ رأسُ الزَّمان واكتهل الدَّه ر وأثوابُ عُمْره جدُد يا نَسْرَ لُقمان كم تعيشُ وكم تَسْحَبُ ذَيْلَ الحياةِ يا لُبَد تَسأالُ غِرْبانها إذا حجَلت كيفَ يكون الصّدَاع والرَّمد ودخل الشّعبيّ على عبد الملك بن مَرْوَان فوَجده قد كبا مُهْتَمًّا فقالت: ما بالُ أمير المؤمنين قال: يا شعبيِّ ذكرتُ قولَ زُهير: كأني وقد جاوزت سَبْعين حِجَّةً خَلعتُ بها عنِّي عِذَارَ لجامي رَمَتني بناتُ الدهر من حيث لا أرى فكيف بمن يُرْمى وليس بِرَامي فلو أنني أُرْمَى بِنَبْلٍ رأيتها ولكنَّني أرْمَى بغير سِهام عَلَى الرَّاحَتَيْن تارةً وعلى العصا أُنُوءُ ثلاثاً بعدهنَّ قِيامي قال له الشَّعبيُّ: ليس كذلك يا أميرَ المؤمنين ولكن كما قال لَبِيدُ ابن ربيعة وقد بلغ سبعين سنة كأني وقد جاوزتُ سَبْعينَ حِجَّةً خلعتُ بها عن مَنْكِبَيَّ رِدَائيَا فلما بلغ سبعاً وسبعين قال: باتت تَشكّى إلى النفسُ مُجهشةً وقد حملتُكِ سبعاً بعد سَبْعيناً فإن تُزَادي ثلاثاً تَبْلُغي أملاً وفي الثلاثِ وفاءٌ للثّمانينَا فلما بلغ مائة سنة قال: فلما بلغ مائة سنةٍ وعشراً قال: أليسَ في مائةٍ قد عاشها رجُلٌ وفي تَكامُل عَشْرٍ بعدها عُمُرُ فلما بلغ ثلاثينَ ومائةً وقد حضرَتْه الوفاة قال: تَمَنَئ ابنتاي أن يَعيشَ أبوهما وهل أنا إلا من رَبيعةَ أو مُضرْ فقُوما وقُولا بالذي تَعْلمانه ولاتَخْمِشَا وجها ولا تَحْلِقَا شَعَر وقولا هو المرءُ الذي لا صَدِيقَه أضاع ولا خانَ الخليلَ ولا غَدر إلى الحَوْلِ ثم اسمُ السلام عليكما ومَن يَبْكِ حولاً كاملاً فقد اعتذَر قال الشّعبيّ: فلقد رأيت السرورَ في وجه عبد الملك طمعاً أن يعيشها.

وقال لبيد أيضاً: أليسَ ورائِي إن تراختْ مَنِيَّتي لُزُومُ العَصا تُحْنَى عليها الأصابعُ أخَبر أخبارَ القُرون التي مَضت أدِبُّ كأنّي كلما قمتُ راكِع فأصبحتُ مثل السيفِ أَخْلق جَفْنَه تَقادمُ عهدِ القَيْن والنَصْلُ قاطِع وقالوا: مكتوبٌ في الزّبور: مَن بَلغ السبعين أشتكي من غير علّة.

وقال محمد ابن حسّان النِّبطي: لا تَسأل نفسك العامَ ما أعطتك في العام الماضي.

وقال مُعاويةُ لما أَسنَّ: ما مَرَّ شيءٌ كنتُ أستلذّه وأنا شابّ فأجِده اليومَ كما أجده إلا اللبن والحديث الحَسَن.

عاش ضِرَارُ بن عمرو حتى وُلد له ثلاثةَ عشرَ ذكراً فقال: مَن سَرَّه بنوه ساءته نفسُه.

وقال ابن أبي فَنن: مَن عاشَ أَخْلقتِ الأيام جدَته وخانَه ثِقَتاه السَّمعُ والبَصرُ قالت عَهِدْتَك مَجنوناً فقلتُ لها إنّ الشبَابَ جُنونٌ بُرْؤُه الكِبر قال أبو عُبيدة: قيل لشَيْخ: ما بَقَى منك قال يَسْبقني مَن بي يَديّ ويُدْركني مَن خَلْفي وأذكر القديمَ وأَنْسى الحديثَ وأنْعسِ في الملا وأسْهرُ في الخَلا وإذا قمتُ قَرُبَتِ الأرض مِنّي وإذا قَعدْتُ تباعدتَ عَنّي.

وقال حُمَيد بن ثَوْر الهِلاليّ: أرى بَصرِي قد رابني بعد صِحَّةٍ وحَسْبُك داءً أن تَصِحَّ وتَسْلَمَا وقال آخر: كانت قَنَاتي لا تَلِينُ لغامزٍ فألانَهَا الإصباحُ والإمْساءُ وَدَعَوْتُ رَبِّي بالسلاَمة جاهِداً لِيُصِحَّني فإذا السلامَةُ داء وقال أبو العتاهية " ويروى للقُطاميّ ": " أَلستَ تَرَى أنّ الزَّمانَ طواني وبدَّل عقلي كلّه وبَرَاني " تَحَيَّفَني عُضْواً فَعُضْواً فلم يَدَع سوى اسمي صحيحاً وحدَه ولِساني ولو كانت الأسماء يَدْخُلها البِلَي إذاً بَليَ اسمي لامتدادِ زَمانِي وما ليَ أَبْلَى لِسَبْعِينَ حجَّةَ وَسبع أَتَتْ مِن بعدها سَنَتان إذا عَنَّ لي شيءٌ تَخيَّل دونه شَبيهُ ضَباب أو شَبيهُ دُخان وقال الغَزال: أصبحتُ واللهّ مَحْسوداً على أمدٍ مِنَ الحياة قَصير غير مُمتَدِّ حتى بقيتُ بحمد الله في خَلَفٍ كأنّني بينهم من وَحْشَةٍ وَحْدي وما أُفارق يوماً مَن أفارقه إلا حَسِبْتُ فِراقِي آخرَ العَهد وقال آخر: يا مَن لشيخ قد تَخَدَّد لحمُه أفنَى ثلاثَ عمائمٍ ألوانا سوداءَ حالكةً وسَحْقَ مُفوَف وأجدَّ لوناً بعد ذاك هِجَانَا قَصَرَ اللّيالي خَطْوَه فَتَدَاني وحَنَينْ قائم صُلبه فتحانىَ إنّي وإن كان مَسنَّى كِبر على ما قد تَرَيْنَ من كِبَرِى أعرفُ من قبل أن تُفَارِقَني موقعَ سَهْمِي والسهمُ في الوتَر " من صحب من ليس من نظرائه لخصال فيه كان حارثةُ بن بَدر الغُدَانيِّ فارسَ بني تميم وكان شاعراً أديبَا ظريفاً وكان يُعاقِرا الشَّرابَ ويَصْحب زياداً فقيل لزياد: إنك تَصْحب هذا الرجلَ وليس من شاكِلَتك إنهُ يُعاقر الشراب فقال: كيف لا أصحبه ولم أَسْأله عن شيء قطّ إلا وجدتُ عنده منه عِلماً ولا مَشىَ أمامي فاضطرَّني أن أناديه ولا مَشى خَلْفي فاضطرَّني أن أَلتفتَ إليه ولا راكَبني فمسَّتْ رُكْبتي رُكْبَتَه.

فلما هلك زيادٌ قال حارثةُ بنُ بَدْر يَرْثيه: أَبا المُغِيرَةِ والدُنيا مُغَرِّرَةٌ وإنّ مَن غَرَّت الدُّنيا لَمَغْرورُ قد كان عِنْدك للمَعْروف مَعْرِفَةٌ وكان عندك للتَّنْكير تَنْكِير لو خلدَ الخيرُ والإسلامُ ذا قِدَمٍ إذاً لخلّدَك الإسلامُ والخِير وتمامُ هذه الأبياتِ قد وقعتْ في الكتاب الذي أَفْرَدناه للمَرَاثي.

وكان زياد لا يُدَاعب " أحداً " في مجلسه ولا يَضْحَك فاختصم إليه بنو راسِب وبنو الطُّفَاوَة في غُلام أثْبته هؤلاء وهؤلاء فَتَحَيَّر زيادٌ في الحَكم.

فقال له حارثةُ ابن بدر: عِنْدي أكرمَ اللهّ الأميرَ في هذا الغلام أمرٌ إن أذِن الأميرُ تكلّمت به فيه قال: وما عندك فيه قال: أرى أن يُلْقَى في دِجْلة فإن رَسَب فهو لِبَني راسِب وإن طفا فهو لبني الطُّفَاوَة فتبسَّم زياد وأَخَذَ نَعْلَيه ودخل ثم خَرج فقال لحارثة: ما حَمَلك على الدُّعابة في مَجلسي قال: طَيِّبَةٌ حَضرَتْني أبقى الله الأمير خِفْت أن تَفُوتنِى قال: لا تَعُدْ إلى مثلها.

ولما وَليَ عُبيد اللهّ بن زياد بعد موت أبيه اطرحَ حارثةَ بنَ بدر وجفاه.

فقال له حارثةُ: مالك لا تُنْزلني المنزلةَ التي كان يُنزِلني أبوك أتدَّعي أنّكَ أفضلُ منه أو أعقل قال له: إنّ أبي كان بَرَع في الفَضل بُرُوعاً لا تَضرّه صُحْبَة مثلك وأنا حَدَث أخشى أن تَحْرِقني بنارك فإنْ شِئْتَ فاتْرُك الشراب وتكونَ أوَلَ داخل وآخِرَ خارج قال: واَللّه ما تركتُه للّه فكيف أتركه لك قال: فتخَيَّرْ بلداً أوَلّيكه.

فاختار سُرَّق من أرض العِراق فولاّه إياها.

فكتب إليه أبو الأسود الدُؤلي وكان صديقاً له: أحارَ بنَ بَدْرٍ قَدْ وَليتَ وِلايةً فكُنْ جَرَذاً فيها تَخُون وتَسْرِقُ وباهِ تَمِيَماً بالغِنى إنّ للغنى لِساناً به المرْء الهيوبة يَنطق وما الناس إلاَ اثنان إما مُكَذِّبٌ يقول بما يهْوَى وإمَّا مُصدِّق يقُولون أقوالاً ولا يحْكِمُونها فإنْ قيل يوماً حققوا لم يُحَقَقُوا فدع عنك ما قالوا ولا تَكترث بهم فحظك من مال العِرَاقين سُرّق وكان ابن الوليد البَجليّ وهو ابن أخت خالد بن عبد الله القَسْرِيّ ولي أصبهان وكان رجلاً مُتَسَمِّتاً مُتَصَلحاً فَقدِمَ عليه حمزةُ بن بيض بن عَوْف " راغباً " في صُحْبته فقيل له: إنّ مثل حمزة لا يَصْحب مثلَك لأنه صاحبُ كِلاب ولهو فبعث إليه ثلاثةَ آلاف درْهم وأمره بالانصراف.

فقال فيه: يابن الوليد المُرْتَجَى سَيْبهُ ومن يُجَلي الحدث الحالِكَا سَبيلُ مَعْروفك مني عَلَى بالٍ فما بالِي عَلَى بالِكا حَشْوُ قميصي شاعرٌ مُفْلِقٌ والجودُ أمْسى حشو سِربالِكا يلومك النَّاسُ على صُحْبتِي والمِسْكُ قد يستصحبِ الرّامِكا إنْ كُنتَ لا تَصحَب إلا فَتى مِثْلك لن تُؤْتىَ بأمْثَالِكا إنيّ آمرُؤ جئتُ أريد الهُدَى فَعُد على جَهلي بإسْلامِكا قال له: صدقتَ وقَرَّبه وحَسُنت منزلته " عنده ".

وكان عبدُ الرحمن بن الحَكم الأمير قد عَتَب على نُدمائه! فأَمرَ نَصْراً الفتى بإسقاطهم من ديوان عَطائه ولم يَسْتبدل بهم.

فلما كان بعد أيام أستوحش لهم فقال لِنصر: قد استوحشنا لأصحابنا أولئك فقال له نصر: قد نالهم من سخْط الأمير ما فيه أدبٌ لهم فإن رأى أن يُرْسل فيهم أرْسلت قال: أرْسِلْ.

فأقبل القومُ وعليهم كآبة فأخذُوا مجالسهم ولم يَنشرحوا ولا خاضُوا فيما كانوا يَخُوضون فيه فقال الأميرُ لِنصر: ما يَمنع هؤلاء من الانشراح قال: عليهم

أَبقى الله الأمير وَجْمَةُ السُخط الذي نالهم قال: قُلْ لهم: قد عَفَوْنا فليَنْشرحوا.

قال فقام عبد الرحمن بن الشَمر الشاعرِ المُتنجِّم فجثا بين يديه ثم أنشد شَعراً له أقذع فيه على بعض أصْحابِه إلا أنه خَتمه ببيتين بديعين وهما: فيا رَحْمَةَ الله في خَلْقه ومَن جُودِه أبداً يَسْكُبُ لئن عِفْتَ صُحْبة أهل الذُّنوب لقلَّ مِن الناس من يُصْحَب وأحسنُ ما قيل في هذا المعنى قولُ النابغة: ولمسْتَ بِمُسْتَبْق أخا لا تَلُمّه على شَعَثٍ أيُّ الرِّجال المُهَذَّبُ قولهم في القرآن كتب المَرِيسيّ إلى أبي يحيى مَنصور بن محمد: اكتب إليَّ: القرآنُ خالق أو مَخْلوق فكتب إليه: عافانا الله وإياك من كلِّ فِتْنة وجَعَلنا وإيَّاك من أهل السُّنة وممن لا يَرْغب بنفْسه عن الجماعة فإنه إن تَفْعل فأعْظِم بها مِنَّة وإن لا تَفْعل فهي الهَلَكة ونحن نقول: إنّ الكلامَ في القرآن بِدعة يتكلّف المُجيبُ ما ليس عليه ويتعاطى السائل ما ليس له وما نعلم خالقاً إلا اللّه وما سِوى الله فمخلوق والقرآنُ كلام اللّه فانْتَه بنفسك إلى أسمائه التي سماه الله بها فتكونَ من الضالين جَعلنا الله وإياك من الذين يَخْشَوْن رَبَّهم بالغيب وهم من الساعة مُشْفِقون.

كتاب الجوهرة في الأمثال

" قال أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه ": قدْ مَضى قولُنا في العِلْم والأدب وما يتولّد منهما ويُنْسب إليهما من الحِكَم النادرة والفِطَن البارعة ونحن قائلون بعَوْن الله وتوفيقه في الأمثال التي هي وَشيُ الكلام وجوهر اللفظ وحَلْى المعاني والتي تخيَّرتْها العربُ وقَدَّمتها العجم ونُطِق بها " في " كل زمان وعلى كلِّ لسان فهي أبقى من الشعر وأشرف من الخطابة لم يَسِرْ شيءٌ مَسِيرَها ولا عَمَّ عُمومَها حتى قيل: أسير من مثل.

" وقال الشاعر ": ما أنتَ إلا مَثَلٌ سائرُ يَعْرفه الجاهلُ والخابرُ وقد ضرب الله عزَّ وجلَّ الأمثالَ في كتابه وضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم في كلامه قال اللهّ عز وجل: " يَا أَيُّهَا الناسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فاسْتَمِعُوا لَه ".

وقال: " وَضَرَبَ الله مَثَلاً رَجُلَيْنْ ".

ومِثْلُ هذا كثير في آي القرآن.

فأوّلُ ما نبدأ به أمثالُ رسول اللهّ صلى الله عليه وسلم ثم أمثالُ العلماء.

ثم أمثالُ أكْثَم بن صَيْفِيّ ويُزُرْجِمهر الفارسيّ وهي التي كان يَسْتَعملها عفرُ بن يحيى في كلامه ثم أمثالُالعرب التي رواها أبو عُبيد وما أشبهها من أمثال العامة ثم الأمثالُ التي أمثال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال النبي صلى الله عليه وسلم: ضرب الله مثلاً صِراطاً مُستقيماً وعلى جَنْبي الصراط أبوابٌ مُفَتَحة وعلى الأبواب سُتور مَرْخِيَّة وعلى رأس الصراط داعٍ يقول: ادخُلوا الصراطَ ولا تَعْوَجُّوا.

فالصراطُ الإسلامِ والستورُ حدودُ اللّه والأبواب محارمُ اللّه والداعي القرِان.

وقال " النبي " صلى الله عليه وسلم: مَثلُ المُؤْمن كالخامة من الزرع يُقَلِّبها الريحُ مرَّة كذا ومرَة كذا ومَثلُ الكافر مثل الأرزَة المُجْذِيَة على الأرض " حتى " يكون انجعافُها بِمَرّة.

وسأله حُذَيفة: أبعدَ هذا الخير شرّ يا رسول اللّه فقال: جماعة " على " أقْذَاء وهُدْنَة على دَخَن.

وقولُه حين ذَكر الدنيا وزينتَها فقال: إنَّ مما يُنْبت الرّبيعُ ما يَقْتُل حَبَطاً أو يُلِمّ.

وقال لأبي سُفْيان: أنت أبا سفيان كما قالوا: كلُّ الصيد في جَوْف الفَرَا: وقال حين ذكر الغُلوّ في العِبَادة: إنّ المنبَتّ لا أرضاً قَطع ولا ظَهْراً أبْقى.

وقال صلى الله عليه وسلم: إياكم وخَضرَاءَ الدِّمن.

قالوا: وما خَضراء الدِّمن قال: المرأةُ الحَسْناء في المَنْبت السّوء.

وذكر الرِّبا في آخر الزمان وافْتِنَانَ الناس به فقال: مَن لم يَأكلْه أصابه غُبارُه.

وقال: الإيمانُ قَيَّدَ الفَتْك.

وقال صلى الله عليه وسلم: الولدُ لِلْفراش وللعاهر الحَجَر.

وقال في فرس: وجدتُه بَحْراً.

وقال: إنّ من البيان لَسِحراً.

وقال: لا ترْفع عصاك عن أهلك.

وقال صلى الله عليه وسلم: لا يُلْدغ المؤمن من جُحر مرَّتين.

وقال: الحَرْب خدَعة.

وله صلى الله عليه وسلم وعلى آله أمثالٌ كثيرة غيرُ هذه ولكنَّا لم نذهب في كل باب إلى استقصائه وإنما ذهبنا إلى أن نِكْتَفيَ بالبعض ونَسْتدلّ بالقليل على الكثير ليكونَ أسهلَ مَأخذاً للحفظ وأبرأ من المَلالة والهرب.

وتفسيرها: أمِا المثل الأول فقد فَسَّره النبي صلى الله عليه وسلم.

وأما قوله: المؤمن كالخامة والكافر كالأرْزة فإنَه شَبه المُؤْمن في تصرّف الأيام به وما يناله من بلائها بالخامة من الزَرْع تُقلَبها الريحُ مرة كذا ومرة كذا.

والخامة " في قول أبي عُبيد ": الغَضّة الرَّطبة من الزَرع.

والارْزة: واحدة الأرز وهو شجر له ثمر يقال له الصَّنَوْبر.

والمُجْذِية: الثابتة وفيها لغتان: جَذَي يجذو وأجْذَى يجذِي.

والانجعاف: الانقلاع يقال: جَعفت الرجل إذا قلعتَه وصرعتَه وضربت به الأرض.

وقوله لحُذيفة: هُدْنة على دَخَن وجَمَاعة على أقذاء أراد ما تَنطوي عليه القُلوب من الضَّغائن والأحقاد فشبّه ذلك بإغضاء الجفون على الأقذاء.

والدَّخن: مأخوذ من الدُّخان جعله مثلا لما في الصُّدور من الغِلّ.

وقوله: إنَ مما يُنبت الرّبيع ما يَقْتُل حَبَطاً أو يُلمّ فالحَبط كما ذكر أبو عُبيد عن الأصمعيّ: أن تأكل الدابة حتى تَنْتفخ بطنُها وَتمْرَض منه يقال: حَبِطَتِ الدَّابةُ تَحْبِط حَبَطاً.

وقوله: أو يُلم معناه: أو يَقْرُب من ذلك ومنه قوله إذ ذكر أهل الجنة فقال: إنّ أحدَهم إذا نَظر إلى ما أعدَّ الله له في الجنَّة فلولا أنه شيء قَضَاه الله له لألمّ أن يَذهب بَصرُه " يَعْنى " لما يَرى فيها يقول: لَقَرُب أن يَذهب بصرُه.

وقوله لأبي سُفيان: كلُّ الصَّيد في جَوْف الفَرا فمعناه أنّك في الرجال كالفَرا في الصيد وهو الحمار الوَحْشيّ وقال له ذلك يتألّفه على الإسلام.

وقولُه حين ذكر الغلوَّ في العبادة: إن المنبَتَّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى.

يقول: إن المُغِذَّ في السير إذا أَفرط في الإغذاذ عطبت راحلتُه من قبل أن يَبْلُغ حاجَته أو يَقْضيَ سَفَرَه فشبّه بذلك مَن أَفْرَطَ في العِبادة حتى يَبْقى حَسِيراً.

وقوله في الرِّبا: من لم يأكله أصابه غُباره إنما هو مَثل لما ينال الناسَ من حُرْمته وليس هناك " تُراب ولا " غُبار.

وقولُه: الإيمانُ قَيَّدَ الفَتْك أي مَنع منه كأنه قَيْدٌ له.

وفي حديث آخر: لا يَفْتك مؤمن.

وقوله في فرس: وجدتُه بَحْراً وإنّ من البيان لَسِحْراً إنما هو على التمثيل لا على التحقيق.

وكذلك قوله: الولد لِلفِراش وللعاهر الحَجَر.

معناه: أنه لا حق له في نَسب الوِلد.

وقوله صلى الله عليه وسلم: لا ترفَعْ عَصاك عن أهلك إنما هو الأدب بالقَول ولم يُرد ألا تَرْفع عنهم العصا.

وقوله: لا يُلْدغ المُؤمن من جُحر مرّتين معناه أنّ لَدْغَ مرة يَحْفظ من أخرى.

وقولُه: الحرب خَدعة يريد أنها بالمكر والخديعة.

خَطب النعمانُ بن بَشِير على مِنْبر الكوفة فقال: يا أهلَ الكوفة إني وجدتُ مَثَلي ومَثَلَكم كالصّبُع والثَعلب أتيا الضَب في جُحْره فقالا: أبا حِسْل: قال: أجِبْتما " لمَ جِئْتُما " قالا: جِئناك نَخْتصم قال: في بَيْته يؤتىَ الحَكم قالت الضَبع: فتحتُ عَيْبتي قال: فِعْلَ النساء فعلتِ قالت: فلقطتُ تمرة قال: حُلْوًا جنيتِ قالت فاختطفها ثُعالة قال: نفسه بَغَى - ثُعالة: اسم الثعلب الذكر والأنثى - قالت.

فلطمتُه لطمةً قال حقًا قضيتِ قالت: فلَطَمني أخرى قال: كان حُرّا فانتصر قالت: فاحكم الآن بيننا قال: حَدِّث حديثين امرأة وإن لم تَفْهم فأَرْبعة.

وقال عبد الله بنً الزُّبير لأهل العِراق: وَدِدْتُ واللّه أنّ لي بكم من أهل الشام صَرْفَ الدِّينار بالدِّرهم.

قال له رجلٌ منهم: أتدري يا أَميرَ المؤمنينَ ما مَثلنا ومَثلك ومَثل أهلِ الشام قال: وما ذاك قال: ما قاله أعشى بكر حيث يقول: عُلِّقْتُها عَرَضاً وعُلِّقت رجلاً غيري وعُلِّق أخرى ذلك الرجلُ أحببناك نحن وأحببتَ أنتَ أهلَ الشام وأحب أهل الشام عبد الملك " بن مروان ".

مثل في الرياء يحيى بنُ عبد العزيز قال: حدَّثني نعَيم عن إسماعيل " عن " رجلٍ من ولد أبي بكر الصدِّيق رضوانُ اللّه عليه عن وَهْب بن مُنَبِّه قال: نَصب رجلٌ من بني إسرائيل فَخّا فجاءت عُصفورة فنزلت عليه فقالت: مالي أراك مُنْحَنياً قال: لكثرة صلاتي انحنيت قالت: فمالي أراك باديةً عِظامُك قال: لكثرة صيامي بدت عظامي قالت: فمالي أرى هذا الصُّوفَ عليك قال: لزُهْدي في الدُّنيا لبستُ الصُوف قالت: فما هذا العِصا عندك قال: أتوكأ عليها وأقضي " بها " حَوائجي قالت: فما هذه الحبّة في يَدك قال: قُرْبان إِن مرّ بي مِسْكين ناولتُه إياها قالت: فإنِّي مِسكينة قال: فخَذيها.

فَدَنت فَقَبضت على الحبّة فإذا الفخُّ في عُنقها.

فجعلت تقول قَعِي قَعِي تفسيره: لا غرّني ناسكٌ مُرَاءٍ بعدك أبداً.

داودُ بنُ أبي هِنْد عن الشّعْبِيّ: أنّ رجلاً من بني إسرائيل صاد قُبَّرة فقالت: ما تُريد أن تَصنع بي قال: أذبحك فآكلُك قالت: واللّهِ ما أَشْفي من قَرَم ولا أغْنى من جُوع ولكنّي أعلّمك ثلاثَ خِصال هي خَيْر لك من أَكْلي: أما الواحدة فأعلّمك إياها وأنا في يدك والثانيةُ إذا صرتُ على هذه الشجرة والثالثة إذا صِرْت على هذا الجَبل.

فقال: هاتِ " الأولى ".

قالت: لا تَتَلَهَّفنَّ علِى ما فاتك فخلَّى عنها.

فلما صارتْ فوْقَ الشجرة قال: هاتِ الثانيةَ قالت: لا تصِدِّقن بما لا يكون أنه يكون ثم طارت فصارت على الجبل فقالت: يا شَقيّ لو ذَبحتني لأخْرجت من حَوْصلتي درَّة وَزْنها عشرون مثقالا.

قال: فَعَضّ على شَفَتَيْه وتلهّف ثم قال: هاتِ الثالثة قالت له: أنت قد نَسِيت الاثنتين فكيف أعلّمك الثالثة ألم أقل لك: لا تتلهفنَّ على ما فاتك فقد تلهفت عَلَيّ إذ فُتُّك وقلت لك: لا تُصَدِّقن بما لا يكون أنه يكون فصدّقت أنا وعَظُمِي وريشي لا أزن عشرين مثقالا فكيف يكون في حوْصلتي ما يزنها! وفي كتاب للهند: مثلُ الدُّنيا وآفاتها ومَخاوفها والموت والمعاد الذي إليه مَصير الإنسان.

قال الحكيمُ: وجدت مثل الدنيا والمَغرُور بالدنيا المَملوءة آفات مثلَ رجل ألجأ خوْفٌ إلى بِئر تدلى فيها وتعلّق بغُصْنين نابتين على شَفير البئر ووقعتْ رجلاه على شيء فمدَهما فنظر فإذا بحيّات أرْبع قد أطلعن رؤوسهن من جُحورهن ونظر إلى أسفل البئر فإذا بثُعبان فاغر فاهُ نحوَه فرفع بصره إلى الغُصْن الذي يتعلق به فإذا في أصله جُرَذان أبيضُ وأسود يَقْرضان الغُصن دائبيَنْ لا يَفْتُرَان فبينما هو مُغْتمّ بنفسه وابتغاء الحيلة في نجاته إذ نظر فإذا بجانب منه جُحْرُ نَحْل قد صَنَعْن شيئاً من عَسل فَتَطاعم منه فَوَجَدَ حلاوتَه فَشغلته عن الفِكْر في أمره والتماس النَّجاة لنفسه ولم يَذْكُر أنّ رِجْلَيْه فوق أربع حيَّات لا يدْري متى تُسَاوره إحداهن وأنّ الجُرَذَيْنِ دائبان في قَرْض الغُصْن الذي يتعلّق به وأنهما إذا قطعاه وقع في لَهْوة التِّنّين ولم يزل لاهياً غافلاً حتى هَلَك.

قال الحكيم: فشبَّهت الدنيا المملوءة آفاتٍ وشروراً ومخاوفَ بالبئر وشبَّهت الأخلاط التي بُني جَسَدُ الإنسان عليها من المِرَّتين والبَلغم والدَّم بالحيّات الأربع وشَبهت الحياة بالغُصنين اللذين تعلّق بهما وشَبَّهت الليل والنهار ودورانهما في إفْناء الأيام والأجيال! بالجُرَذَين الأبيض والأسود اللذين يَقْرِضان الغُصْنَ دائبَيْنْ لا يَفْترَان وشبّهتُ الموت الذي لا بد منه بالتِّنين الفاغر فاه وشبَّهْتُ الذي يرى الإنسانُ ويَسمع " ويَطعم " ويَلْمس فَيُلْهيه ذلك عن عاقبة أمره وما إليه مَصِيرة بالعُسَيلة التي تطاعمها.

من ضرب به المثل من الناس قالت العربُ: أَسْخَى من حاتم وأَشجع من رَبيعةَ بن مُكَدَّم وأَدْهَى من قَيْس بن زُهير وأعزُّ من كُلَيب وائل وأَوْفي من السّمَوأل وأَذْكى من إياس بن معاوية وأَسْود من قَيْس بن عاصم وأَمْنع من الحارث بن طالم وأبلغ من سَحْبان وائل وأَحْلم من الأحْنف بن قيس وأصْدق من أبي ذرّ الغفاريّ وأكذب من مُسَيلمة الحَنَفيّ وأعيا من باقل وأَمْضى من سُليك المَقَانب وأَنْعم من خُرَيم النَّاعم وأحمق من هَبنَّقة وأفْتك من البراض.

من يضرب به المثل من النساء يقال: أشْأم من البَسُوس وأمنع من أم قِرْفة وأحمق من دُغة وأفْوَد من ظُلْمِة وأبصرَ من زَرْقاء اليمامة - البَسوس: جارة جساس بن مُرَّة بن ذهل بن شيْبان ولها كانت الناقة التي قُتل من أجلها كُلَيب بن وائل وبها ثارت بين بَكر بن وائل وتَغْلب " الحرب " التي يُقال لها حَرْب البَسوس.

وأم قِرْفة: امرأة مالك بن حُذَيفة بن بَدْر الفَزاريّ وكان يُعَلَق في بيتها خمسون سيفاً كلُّ سيف منها لذي مَحْرَم لها.

ودُغَة: امرأة من عِجْل بن لُجَيم تزوَجت في بني العَنْبر بن عمرو بن تميم.

وزَرقاء بني نُمير: امرأة كانت باليمامة تُبصر الشَعَرةَ البيضاء " في اللبن وتَنْظُر الراكب على مسيرة ثلاثة أيام وكانت تُنذر قومها الجُيوش إذا غَزَتهم فلا يَأتيهم جَيْشٌ إلا وقد استعدُّوا له حتى احتال لها بعضُ مَن غزاهم فأمر أصحابَه فقطعوا شجراً وأمْسكوه أمامهم بأيديهم ونظرت الزَرقاء فقالت: إنِّي أرى الشجر قد أقبل إليكم قالوا لها: قد خَرِفْت ورَقّ عقلُك وذَهَب بصرُك فكذَّبوها وَصبَّحتهم الخيلُ وأغارت عليهم وقُتلت الزَّرقاء.

قال: فَقوَّرُوا عَينيها فوجدوا عُروق عينيها قد غرِقت في الإثمد من كثرة ما كانت تَكْتحل به.

وظُلمة: امرأة من هُذيل زَنت أربعين عاماً " وقادت أربعين عاماً فلما عَجزت عن الزِّنا والقَوْد اتَّخَذت تَيْساً وعَنْزاً فكانت تُنْزِى التَيْس على العنز فقِيل لها: لم تَفْعلين ذلك قالت: حتى أسمع أنْفاس الْجِماع.

ما تمثلوا به من البهائم قالوا: أَشجع من أسد وأَجْبن من الصَّافر وأمْضى من لَيْث عِفَرِّين وأحْذَر من غُراب وأبصر من عُقاب " مَلاَع " وأَزْهَى من غُرَاب وأذلُّ من قراد " بمَنْسِم " وأَسْمَع من فَرَس وأنوَم من فَهْد وأعقُّ من ضب وأجبن من صِفْرِد " وأحقد من جَمَل " وأضرع من سِنَّوْر وأسرَق من زَبابة وأصبر من عَوْد وأظْلم من حَيّة وأحنُّ من ناب وأكذبُ من فاخِتة وأعزُّ من بيْض الأنُوق وأجْوَع من كلْبة حَوْمل وأعزُّ من الأبلق العقوق 0 الصَافر: ذو الصَّفير من الطَّير والعَوْد: المُسِن من الجمال.

والزَّبابة: الفأرة تَسرِق دود الحرير.

والأنُوق: طَيْر يقال إنه: يبيض في الهواء.

وفاخِتة: طير يَطير بالرَّطب في غير أيامه.

ما ضرب به المثل من غير الحيوان

قالوا: أَهْدَى من النجم وأجود من الدِّيم وأصْبح من الصّبح وأَسْمَح من البَحر وأنْوَر مِن النَهار وأقْوَدُ من ليل وأمْضى من السيل وأحمق من رِجْلة وأحْسن من دُمية وأنْزَه منْ روْضة وأوسع من الدَهناء وآنسُ من جَدْول وأضيق من قَرَار حافِر وأوْحش من مَفازة وأثقل من جَبل وأبقى من الوَحْي في صُمِّ الصِّلاب وأخفُّ من ريش الحَواصِل.

مما ضربوا به المثل قولهم: قَوْس حاجِب وقرْط ماريَة وحَجَّام سَابَاط وشَقَائِق النعمان وندَامة الكسَعِيِّ وحَدِيث خرافة وكَنْزُ النّطِف وخُفَّا حُنَيْن وعِطْر مَنْشِم.

أمّا قوسُ حاجب فقد فَسرَّنا خبرَه في كتاب الوفود وأما قُرْط مارية فإنها مارية بنتُ ظالم بن وَهْب بن الحارث بن مُعاوية الكِنْدِي وأختها هِنْد الهُنود امرأة حُجْر آكل المُرار وابنها الحارث الأعرج الذي ذَكره النابغة والحارثُ

الأعْرج خَيْرُ الأنام وإياها يَعْنى حسانُ بن ثابت بقوله: أولادُ جَفْنةَ حَوْلَ قَبْر أبيهمُ قبر ابن ماريةَ الكريم المُفضِل وأما حَجام ساباط فإنه كان يَحْجُم الجيوشَ بِنَسِيئةٍ إلى انصرافهم من شدّة كَساده وكان فارسيّا وساباط هو ساباط كِسْرى.

ونُسبت شَقائق النُّعمان إليه لأنّ النُعمان بنَ المُنذر أمرَ بأن تُحْمَى وتُضْر قَبته فيها استحساناً لها فنُسبت إليه والعربُ تُسَمِّيها الشَقِر.

وأما خُرافة فإن أنس بنَ مالك يَرْوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعائشة رضي الله عنها: إن من أصدق الأحاديث حديث خُرافة.

وكان رجلاً من بني عُذْرة سَبتَهْ الجِنّ وكان معهم فإذا استرقوا السمعَ أخبروه فيَخْبِرُ به أهلَ الأرض فَيَجدُونه كما قال.

وأما كَنْز النَّطف فهو رجلٌ من بني يَرْبوع كان فقيراً يَحْمل الماء على ظَهْره فَيَنْطُف أي يَقْطُر وكان أغار علىِ مالٍ بَعث به باذانُ من اليمن إلى كِسْرى فأَعْطِى منه يوماً حتى غَرُبت الشمس فَضربت به العربُ المَثل " في كثْرة المال ".

وأما خُفَا حُنَين فإنه كان إسكافاً من أهل الحيرة ساوَمَه أعرابي بخُفَّين فاختلفا حتى أغْضبه فأراد أن يَغيظ الأعرابيّ فلما ارتحل أخذ أحدَ الخُفين فألقاه في طريق الأعرابيّ ثم ألقى الآخر بموضع آخر على طَرِيقه فلما مَرَّ الأعرابيّ بالخُف الأول قال: ما أشبه هذا بِخُفِّ حُنين لو كان معه صاحبُه لأخذتُه فلما مَرَّ بِالآخر نَدِم على تَرْك الأوّل فأناخ راحلتَه وانصرف إلى الأوّل وقد كَمن له حُنين فوَثب على راحلته وذَهب بها وأقبل الأعرابيّ ليس معه غير خفَّي حُنَين فَذَهبت مَثَلاً .

وأما عِطْر مَنْشِم فإنها كانت امرأة تَبيع الحُنوط في الجاهليّة فقِيل للقوم إذا تَحاربوا: دَقّوا عِطْر مَنْشِم يُراد بذلك طِيب المَوْتى.

وأما نَدامة الكُسَعيّ فإنه رجل رَمى فأصاب وظَنّ أنه أخطأ فكَسر قوسَه فلما علم نَدِم على كَسر قوسه فضرِب به المثل.

أمثال أكثم بن صَيْفِيّ وبُزُرْجمِهْر الفارسي العَقْلُ بالتَّجارب.

الصَّاحبُ مُنَاسب.

الصديقُ مَن صَدَّق عَيْنينه.

الغريبُ مَن لم يَكن له حَبيب.

رَبَّ بَعيدٍ أقربُ من قَريب.

القريبُ مَن قَرُب نَفْعُه.

لو تكاشَفْتم ما تَدافَنْتم.

خيرُ أهلِك مَن كَفاك.

خَيْرُ سِلاَحك ما وَقاك.

خيرُ إخوانك مَن لم تَخْبره.

رُبّ غَريب ناصحُ الجَيْب وابن أب مُتَّهم الغَيب.

أخوك مَن صَدَقك " النَّصيحةَ ".

الأخُ مِرآةُ أخيه.

إذا عزّ أخوك فهُن.

مُكْرَه أخوك لا بَطل تَباعدُوا في الدِّيار وتَقَاربوا في المحبَّة.

أيُّ الرِّجال المُهذَّب.

من لك بأخيك كله.

إنّك إن فَرَّجت لاقٍ فَرَجا.

أحسِن يُحْسَن إليك.

ارحم ترْحم.

كما تَدين تدان.

مَن برّ يوماً بُرَّ به والدهرُ لا يُعْتبّر به عَيْنٌ " عَرفتْ فَذَ " رَفَتْ.

في كلِّ خِبْرَةٍ عِبرة.

مِن مَأْمنه يُؤتىَ الحَذِر لا يَعْدُو المرءُ رِزْقَه وإن حَرَص.

إذا نَزَل القَدَرُ عَمِي البَصر.

إذا نَزَل الحَينْ نَزل بين الأذنِ والعَينْ.

الخَمْرُ مِفْتاح كل شرّ.

الغِنَا رُقْية الزنا.

القَناعة مال لا يَنْفد.

خيرُ الغِنى غِنى النَّفس.

مُنْساقٌ إلى ما أنت لاقٍ.

خُذ من العافية ما أعطيت.

ما الإنسان إلا القَلْب واللِّسان.

إنّما لك ما أَمْضَيت.

لا تَتكلَّف ما كُفيت " ولا تضيِّع ما وَليت " القَلَم أَحَدُ اللِّسانيَن.

قِلّة العِيَال أَحَد اليَسَارَيْن.

رُبما ضاقت الدُّنيا باثنين.

لن تَعْدَم الحسناءُ ذاماً.

لن يَعْدَم الغاوِي لائما.

لا تَكُ في أَهْلك كالجنازة لا تَسْخر من شيء فَيَحُورَبك.

أخِّر الشرَّ فإذا شِئتَ تَعَجَّلته.

صَغير الشرَّ يُوشِك يوماً أن يَكْبُر.

يُبْصِر القلبُ ما يَعْمَى عنه البَصر.

الحُرّ حُرٌّ وإنْ مَسّه الضُّر.

العَبْد عَبْد وإن ساعدَه جَدّ.

مَن عرف قدرَه استبان أمره.

مَن سَرّه بَنُوه ساءته نَفْسه.

من تَعظَّم على الزمان أهانَه.

مَن تعرَّض للسلطان أرداه ومن تَطامن له تخطّاه مِن خَطا يَخطو.

كلّ مَبْذول مَمْلول.

كل ممنوع مَرْغوب فيه.

كل عزيز تحت القُدْرة ذليل.

لكل مَقام مَقال.

لكل زمان رجال.

لكل أجل كتاب.

لكل عَمَل ثَواب.

لكل نبأ مُسْتقر.

لكل سرّ مُسْتَودع.

قيمةُ كلِّ إنسان ما يُحْسن.

أطلُب لكلِّ غَلِق مِفْتاحا.

أكثر في الباطل يكُن حقّا.

عند القَنَط يأتي الفَرَج.

عند الصَّباح يُحْمد السُّرَى.

الصّدق مَنْجاة والكَذب مَهْواة.

الاعترافُ يَهْدم الاقتراف.

رُبّ قول أنفذُ من صَوْل.

رُبّ ساعة ليس بها طاعة.

رب عَجلةِ تُعْقِب رَيْثاً.

ربّ كلام أقطعُ من حُسام.

بعضُ الجَهْل أبلغ من الحِلم.

رَبيعُ القَلْب ما اشتهى.

الهوى شديدُ العَمَى.

الهوَى الإله المَعْبود.

الرأي نائمٌ والهوى يَقْظان.

غَلَب عليك مَن دَعا إليك.

لا راحةَ لحَسُود ولا وَفاء " لمَلُول ".

لا سرور كطيب النَّفس 0 العُمْر أقصرُ من أن يَحْتَمِل الهَجْر.

أحقُّ الناس بالعَفْو أَقدرُهم على العُقوبة.

خيرُ العِلم ما نَفع.

خيرُ القَوْل ما اتُّبع.

البطْنة تُذْهِب الفِطْنة.

شَرُّ العَمَى عَمى القَلْب أوْثقُ العُرَى كلمة التَّقوى.

النِّساء حَبَائل الشّيطان 0 الشَّباب شُعْبة من الجنون.

الشَّقيّ شَقيٌّ في بطن أمه.

السَّعِيدُ مَنٍ وعظ بغَيْره لكل امرئ في بَدَنه شُغل.

مَن يَعْرِف البلاءَ يْصبر عليه المَقادير تريك مالا يَخْطرُ ببالك.

أفضلُ الزاد ما تزوّد " ته " للمعاد.

الفحل أحمى للشَّول.

صاحب الحُظْوة غدا مَن بَلَغ المَدَى.

عواقبُ الصّبر مَحْمودة.

لا تُبْلغ الغاياتُ بالأماني.

الصَّريمةُ على قَدْر العَزيمة.

الضَّيفُ يثني أو يَذُم.

مَن تَفكَّر اعتَبر.

كم شاهد لك لا يَنْطِق.

ليس منك من غَشَّك.

ما نَظر لامرىء مثلُ نفسه.

ما سدَّ فقرك إلا مِلْك يمينك.

ما على عاقل ضيْعة.

الغِنَى في الغُرْبة وَطن والمُقِلُّ في أهله غَريب.

أوَّل المَعرفة الاختبار.

يَدك منك وإن كانت شَلاَّءَ أنفُك منك وإن كان أجْدع.

من عُرف بالكَذِب لم يُجُز صِدْقُه ومن عُرف بالصِّدْق جاز كَذِبه.

الصّحة داعية السَّقم.

الشباب داعيةُ الهرَم.

كثرة الصِّياح من الفَشَل.

إذا قَدُمت المُصيبة تُركت التَّعزية.

إذا قَدُم الإخاء سمُجِ الثَناء.

العادةُ أملكُ من الأدب.

الرِّفْق يمن والخُرْق شُؤْم.

المرأة رَيحانة وليست بقهْرمَانة.

الدالُّ على الخيْر كفاعله.

المُحَاجزة قبل الُمناجزة.

قبل الرّماية تُملأ الكَنائن.

لكلّ ساقِطَة لاقِطَة.

مَقْتل الرّجل بين فكّيه.

تَرْك الحَرَكة غَفْلة.

طُول الصَّمت حُبْسة.

من خَيْر خَبَر أن تَسْمَع بمطر.

كفى بالمرء خيانة أن يكون أمينا لِلخَونة.

قَيِّدوا النِّعم بالشكر.

مَن يَزْرع المعروفَ يَحْصُد الشكر.

لا تَغْترّ بمودّة الأمير إذا غَشّك الوزير.

أعْظمُ من المُصيبة سُوء الخَلَف منها.

مَن أراد البقاء فَلْيوطِّن نفسه على المصائب.

لقاء الأحبة مَسْلاة للهمّ.

قَطيعة الجاهل كَصِلة العاقل.

مَن رَضي عن نفسه كثر الساخط عليه.

قَتلَت أرضٌ جاهلَها وقَتل أرضاً عارفُها.

أدْوأ الدواء الخُلق الدَّني واللسان البذِيّ.

إذا جعلك السلطانُ أخا فاجعلْه ربّا.

احْذَر الأمين ولا تأمن الخائن.

عند الغاية يُعْرف السابق.

عند الرّهانِ يْحْمَد المضمار 0 السُّؤال وإن قَلَّ أكثر من النَّوال وإن جَلّ.

كافيء المعروفَ بمثله أو انشره.

لا خَلَّة مع عَيْلة.

ولا مُرُوة مع ضُرّ ولا صبر مع شَكْوَى.

ليس من العَدْل سُرْعة العَذْل.

عبدُ غيرك حُرٌّ مِثْلك.

لا يَعْدم الخيارَ مَن استشار.

الوضيعُ من وَضَع نفسه.

المَهين من نَزَل وَحْده.

من أكثر أهْجر.

كفى بالمرء كَذبا أن يُحَدِّث بكلّ ما سَمِع.

" كلّ إناء يَنْضح بما فيه.

العادة طَبْعٌ ثان ".

من أمثال العرب

مما روى أبو عبيد جَرّدناها من الآداب التي أدخلها فيها أبو عُبيد إذ كنا قد أفردنا للأدب والمواعظ كُتُباً غَير هذا وضَمَمْنا إلى أمْثِلة العرب القديمة ما جَرَى على ألْسنة العامة من الأمثال المُسْتعملة وفَسَّرنا من ذلك ما احتاج إلى التفسير فمن ذلك قولُهم: في حفظ اللسان: لِعُمَر بن عبد العزيز: التقيُّ مُلْجَم لأبي بكر الصِّديق: " إنّ " البَلاءَ مُوكّل بالمنطق.

لابن مَسْعود: ما شيَءٌ أوْلى بطُول سِجْن من لِسَان.

لأنس بن مالك: لا يكون المؤمن مُؤمناً حتى يَخْتَرِزَ مِن لِسانه ولسان غيره.

آحذَر لسانَك لا يَضرب عُنُقك.

جُرْح اللّسان كجُرْح اليد.

ربَّ كلامٍ أقطعُ من حُسام.

القوْلُ يَنْفُذ ما لا تَنْفُذ الأبرَ.

قال الشاعر: وقد يُرْجَى لجُرْح السيف بُرْءٌ ولا بُرْءٌ لما جرح اللِّسانُ اجتلبنا هذا البيت لأنه قد صار مَثلاً سائراً للعامة وجعلنا لأمثال الشعراء في آخر كتابنا هذا باباً.

وقال أكثم بن صَيْفي: مَقْتل الرَّجل بين فكَّيه.

وقال: ربما أَعْلَم فأَذَرُ.

يريد أنه يَدع ذِكرَ الشيء وهو به عالم لما يَحْذر من عاقبته.

اكثار الكلام وما يتقى منه - قالوا: مَن ضاق صَدْرُه اتَّسع لسانُه.

ومن أكثَر أَهْجَر: أي خَرَج إلى الهُجْر وهو القَبيح من القَول.

وقالوا: المِكثار كحاطب ليل.

وحاطِبُ اللَّيل ربما نَهَشته الحيَّة أو لسعتْه العَقْرب في احتطابه ليلا.

وقالوا: أوَل العيّ الاختلاط وأسوء القَول الإفراط.

في الصمت - قالوا: الصمتُ حُكم وقليلٌ فاعله.

وقالوا: عَيّ صامِت خَيْرٌ من عَيٍّ ناطق.

والصمتُ يُكْسِب أهلَه المحبّة.

وقالوا: استَكْثَر من الهَيْبة الصَّموتُ.

والندم على السُّكوت خَيْر من النَّدم على الكلام.

وقالوا: السُّكوت سَلاَمة.

القصد في المدح - منه قولُهم: من حَفَّنا أورَفنَّا فَلْيَقْتصد.

يقول: مَن مدحنا فلا يَغْلونّ في ذلك.

وقولهم: لا تَهْرِف بما لا تَعْرف.

والهَرْف: الإطْناب في المَدْح والثناء.

ومنه قولُهم: شاكِهْ أبا يَسار من دون ذا يَنْفُق الحِمَار.

أخبرنا أبو محمد الأعرابي عن رجل من بني عامر بن صَعْصعة قال: لقي أبو يسار رجلاً بالمِرْبَد يَبِيع حِماراً ورجلاً يُساومه فجعل أبو يسار يُطْرِي الحِمَار فقال المُشتري: أعَرَفْت الحمار قال: نعم قال كيف سَيْرُه قال: يُصْطاد به النعامُ مَعقولاً قال له البائع: شاكِه أبا يسار مِن دُون ذا يَنْفق الحمار.

والمُشاكهة: المُقاربة والقصد.

صدق الحديث - منه قولهم: من صدق الله نَجا.

ومنه قولُهم: سُبَّني واصْدُق.

وقالوا: الكذب داء والصدق شِفَاء.

وقولهم: لا يَكْذب الرائدُ أهلَه.

معناه أن الذي يَرْتاد لأهله منزلاً لا يكْذبهم فيه.

وقولهم: صَدَقني سِنَّ بَكْرِهِ.

أصلُه أنّ رجلاً ابتاع من رجل بعيراً فسأله عن سنه فقال له: إنه بازل فقال له: أنِخْه فلما أناخه قال: هِدَعْ هِدَعْ - وهذه لفظة تُسكّن بها الصِّغار من الإبل - فلما سمِع المُشْتري هذه الكلمةَ.

قال: صدَقني سِنَّ بَكْره.

ومنه قوُلهم: القَوْلُ ما قالت حَذَام.

وهي امرأة لُجَيمْ بن صعْب والد حَنِيفة وعِجْل ابني لجيم وفيها قال: إذا قالت حَذام فَصَدِّقوها فإنّ القولَ ما قالتْ حَذَام من أصاب مرة وأخطأ مرة - منه قولهم: شُخِب في الإناة وشُخِب في الأرض " شُبه بالحالب الجاهل الذي يَحْلُب شُخْباً في الإناء وشخباً في الأرض " وقولهم: يَشُجّ مرة ويأسو أخرى.

وقولهم: سَهْم لك وسهم عليك.

وقولهم: اْطرِقي ومِيشي.

" والطّرْق: ضرْبُ الصوف بالمِطْرقة ".

والميَشْ أن يُخلطَ الشّعرَ بالصُّوف والمِطْرقة: العُود الذي يُضْرَب به بين ما خُلِط.

سوء المسألة وسوء الإجابة - قالوا: أساء سَمْعاً فأساء جابة.

وهكذا تُحكى هذه الكلمة جابة بغير ألف وذلك أنه اسم موضوع.

يقال أجابني فلان جابةً حسنة فإذا أرادوا المصدر قالوا: إجابة بالألف.

وقالوا: حدِّث امرأة حَدِيثين فإن لم تَفْهم فأربعة.

كذا في الأصل والذي أحفظ فأرْبَعْ أي أمسِك.

وقولهم: إليك يُساق الحَدِيث.

من صمت ثم نطق بالفهاهة - قالوا: سكت ألفاً ونَطق خَلْفاً 0 الخلْف من كل شيء: الرَديء.

المعروف بالكذب يصدق مرة - قولهم: مَع الخواطىء سَهْمٌ صائب.

ورُبَّ رَمْية من غير رام.

وقولهم: قد يَصدُق الكَذُوب.

المعروف بالصدق يكذب مرة - قالوا: لكل جواد كَبْوة ولكلّ صارم نَبْوة ولكل عام هَفْوة.

وقد يَعْثر الجواد.

ومَن لك بأخيك كُلِّه.

وأيّ الرجال المَهذّب.

كتمان السر - قالوا: صَدْرك أوْسع لسرّك.

وقالوا: لا تُفْش سرِّك إلى أَمَة ولا تَبُلْ على أكمةٍ.

يقول: لا تُفْش سرِّك إلى امرأة فَتُبديَه ولا تَبُلْ على مكان مُرتفع فَتبْدوَ عوْرتك.

ويقولون إذا أسرُّوا إلى الرجل: اجعل هذا في وعاء غير سَرِب.

وقولهم: سِرُّك من دَمك.

وقيل لأعرابي: كيف كِتْمانك السرُ فقال: ما صَدْرِي إلا القبر.

إنكشاف الأمر بعد اكتتامه - قولهم: حَصْحَص الحقُّ: وقولهم: أبْدَى الصَرِيخ عن الرّغْوَة.

وفي الرّغوة ثلاث لغات: فتح الراء وضمّها وكسرها.

وقولم: صَرَّح المَحْض عن الزُبْد.

وقالوا: أفْرَخ القومُ بَيْضتَهم أي أخرجوا فَرْختها يريدون أظهروا سِرَّهم.

وقولهم: بَرِح الخَفاء وكُشِف الغِطَاء.

ابداء السر - قالوا: أفضيتُ إليك بشُقُوري أي أخبرتُك بأمْري وأطلعتُك على سرِّي.

وقولهم: أخبرتُك بعُجَري وبُجَرى أي أطلعتُك على مَعايبي.

والعُجَر: العرُوق المنعقدة وأما البجُر فَهي في البَطن خاصّة.

وتقول العامة: لو كان في جَسَدي بَرَصَ ما كَتَمْتُكه.

الحديث يتذكر به غيره - قالوا: الحديث ذو شُجُون - وهذا المثل لضَبَّة ابن أُدّ وكان له ابنان: سَعْد وسَعِيد.

فخرجا في طلب إبل لهما فرجع سَعْد ولم يَرْجع سعيد فكان ضَبّة كلما رأى رجلاً مُقْبلا قال: أسَعْد أم سَعيد فذهبت مثلاً.

ثم إن ضبّة بينما هو يَسير يوماً ومعه الحارث بن كَعْب في الشَّهر الحَرام إذ أتى على مكان فقال له الحارث: أتَرى هذا المَوضع فإني لقيتُ فتىً هيئتُه كذا وكذا فقتلتُه وأخذت منه هذا السيفَ فإذا بصفة سعيد فقال له ضَبَّة: أرني السيفَ أنْظُر إليه فناولَه فَعَرفه فقال له: إن الحديث ذو شجون ثم ضرَبه به حتى قَتله فلامَه الناسُ في ذلك وقالوا: أقتلتَ في الشهر الحرام! قال: سَبق السيفُ العَذَل فذهبتَ مَثلا.

ومنه: ذَكّرْتَني الطَّعنَ وكنتُ ناسياً.

وأصل هذا أنّ رجلا حَمَل ليقتل رجلاً وكان بيدِ المَحْمول عليه رُمْح فأَنْساه الدَّهشُ والجَزَع ما في يده فقال له الحامل: أَلْقِ الرُّمح قال الآخر: فإنّ رُمْحي لَمَعي! ذَكَّرتني الطعن وكنتُ ناسياً ثم كَرَّ على صاحبه فَهَزمه أو قَتَله.

ويقال: إنّ الحاملَ صَخْر أو مُعاوية السُّلَمي أخو الخَنساء والمَحْمول عليه يَزيد بن الصَّعِقْ.

العذر يكون للرجل ولا يمكن أن يبديه - منه قولهم: رُبَّ سامع بخبري لم يَسْمَع عُذْري.

ورُبَّ مَلُوم لا ذَنْب له.

ولعَلَّ له عُذْراً وأنت تَلوم.

وقولهُم: المرْء أَعْلم بشأنه.

الاعتذار في غير موضعه - منه قولهم: تَرْكَ الذَّنب أيسرُ من التماس العُذْر.

وتَرْك الذَّنب أيسرُ من طَلَب التَّوبة.

التعريض بالكناية - منه قولُهم: أَعَن صَبُوحٍ تُرَقِّق ومنه قولهم: إيّاكِ أَعْني واسمعي يا جارة.

المن بالعروف - قالوا: شَوى أخوك فلما انضج رمَد.

وقولهم: فَضْلُ القَوْل على الفِعْل دنَاءة وفَضْل الفِعْل على القَوْل مَكْرُمة.

الحمد قبل الاختبار - لا تَحْمدنّ أمةً عام آشترائها ولا حُرَّة عام بِنَائها.

وقولهم: لا تَهْرِف قبلَ إنجاز الوعد - قالوا: أنْجز حُرُّ ما وَعد.

وقولهم: العِدَة عطيّة.

وقولهم: من أَخَّر حاجةً فقد ضَمِنها.

وقالوا: وَعْدُ الحرِّ فِعْل ووَعْد اللَّئيم تَسْويف.

وقالت العامّة: الوَعد من العَهد.

التحفظ من المقالة القبيحة وان كانت باطلاَ - حَسْبُك من شَرِ سَماعَهُ وما أعتذارُك من شيء إذا قِيل الدعاء بالخير - منه قولهم للقادم من سفره: خَيْرُ ما رُدَّ في أهلٍ ومال.

أي جعلك الله كذلك.

وقولُهم: بَلَغ اللَهُ بك أكلأ العُمر أي أقصاه.

وقولهم: نِعم عَوْفُك أي نَعِم بالك 0 وقولهم في النِّكاح: على يَدِ الخَير واليُمْن.

وقولهم: بالرِّفاء والبَنِين يريد بالرِّفاء: الكثرة يقال منه: رفأته إذا دعوت لَه بالكثرة.

وقولهمِ: هُنِّئْتَ ولا تُنْكَه أي أصابك خَيْر ولا أصابك ضُرّ.

وقولهم: هَوَت أمّه.

وهبِلته أمُّه.

يدعون عليه وهم يريدون الحمدَ له.

ونحوُه: قاتَله اللّه وأَخْزاه اللّه إذا أحسن.

ومنه قولُ امرِىء القَيْس: ما له عُدَّ من نَفَرِه تعيير الانسان صاحبه بعيبه - قالوا: رَمَتْنِي بدائها وانسلّت.

وقولهم: عَيَّر بُجَيْر بُجَرَه نَسيَ بُجَيْر خَبَرَه.

وقولهم: مُحْترَس من مِثْله وهو حارِس وقولهم: تُبْصِر القَذى في عَيْن أخيك ولا تُبْصرِ الْجذع في عَيْنك.

الدعاء على الإنسان - منه قولهم: فاهَا لِفِيك يريد الأرضَ لِفِيك.

وقولهم: بِفِيك الحَجَر وبفيك الأثْلَب.

وقولهم: لِلْيَدين وللفم.

ولما أتي عمر بن الخطاب رضي اللهّ عنه بسكران في رمضان قال له: لليدين وللفم أولدانُنا صِيَامٌ وأنت مُفْطِر وضربه مائَةَ سَوْط.

ومنه قولهم: بجَنْبه فلْتكن الوَجْبَة.

يريد الصرعة.

ومنه قولهم: مِن كِلا جانِبَيك لا لبَّيك أي لا كانت لك تَلْبية ولا سَلامة من كلا جانِبَيك.

والتَّلبية: الإقامة بالمكان وقولهم: به لا بِظبْي.

وقال الفرزدق: أقولُ له لما أتاني نَعِيُّه به لا بِظبْي بالصَّريمة أعفرَا ومنه قولهم: جَدَع الله مَسامِعَهُ.

وقولهم: عَقْراً حَلْقاً.

يريد عَقَره الله وحلَقه.

ومنه قولهم: لا لَعاً له أي لا أقامه اللّه.

قال الأخطل: ولا لعاً لبَني ذَكْوانَ إذا عَثروا ولحبيب: صَفْراء صُفْرةَ صِحَّة قد رَكبَّت جُثمانه في ثَوْب سُقْم أَصْفَر قَتلتْه سرًّاً ثم قالتْ جَهْرةً قولَ الفَرزدق لا بِظَبْيٍ أعفَر رمى الرجل غَيره بالمعضلات - منه قولهم: رماه بأقحافِ رأسِه.

ورَماه بثالثة الأثافي يريد قطعةً من الجَبل يُجعل إلى جَنْبها أثفيّتان وتكون هي الثالثة.

ومنه: يا للعَضِيهة والأَفِيكة إذا المكر والخلابة - منه قولهم: فَتَل في ذِرْوَته.

أي خادَعه حتى أَزاله عن رأيه.

قال أبو عُبيد: ويُروي عن الزُبير أنه حين سأل عائشةَ الخُروجِ إلى البَصرِة فأَبَتْ عليه فما زالَ يفْتِل في الذِّرْوة والغارِب حتى أجابت.

وقولهم: ضرَب أخماساَ لأسْداس يريدون المُماكرة.

وقال آخر: إذا أراد امرؤ مَكراً جَنَى عِلَلاً وظَلَّ يَضرب أخماساً لأسْداس ومنه قولهم: الذئب يأدو للغَزَال أي يَخْتِله ليُوقعه.

اللهو والباطل - منه قولهم: جاء فلان بالتُرّه وجرى فلان السُّمَّة وهذا من أسماء الباطل.

وقال صلى الله عليه وسلم: ما أنا من ددٍ ولا دَدٌ مني.

وفيه ثلاث لغات: دَدٌ وددا مثل قفا ودَن مثل حَزَن.

خلف الوعد - منه قولهم: ما وَعْدُه إلا بَرْق خُلَّب وهو الذي لا مَطَر معه.

ومنه: ما وَعْده إلا وَعْد عُرْقوب وهو رجل من العَماليق أتاه أخوه يسأله فقال: إذا أطلعت هذه النخلةَ فلك طلعها فأتاه لِلِعدَة فقال: دَعْها حتى تصيرَ بَلَحا فلما أبلحت قال: دَعْها حتى تَصِير زَطَبا فلما أرْبطت قال: دَعْها حتى تَصِير تمراً فلما أتمرت عَمَد إليها عُرقوبُ فجزَّها ولم يُعْطِ أخاه شيئاً فصارت مثلاً سائراً في الخُلف.

قال الأعشى: اليمن الغموس - منه قولهم: جَذَّها جَذَّ العَيْر الصِّلْيانةَ وذلك أن الَعَيْرَ ربما اقتلع الصِّلْيانة إذا ارتعاها.

ومنه الحديثُ المرفوع: اليمين الغَمَّوس تَدَع الدَيار بلاقع.

قال أبو عُبيد: اليمن الغَمُوس هي المَصْبورة التي يُوقف عليها الرجل فَيَحْلف بها وسمِّيت غَمُوساً لغَمْسها حالِفها في المآثم.

ومنه قولهم: اليمين حِنْث أو مَنْدمة.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: من كان حالفاً فَلْيَحْلف بالله.

أمثال الرجال واختلاف نعوتهم في الرجل المبرز في الفضل - قولهم: ما يُشَقّ غُبَارُه.

وأصله السابقُ من الخَيْل.

وقولهم: جَرْيَ المُذَكّى حَسَرَتْ عنه الحُمُر.

أي كما يَسْبق الفرسُ القارِح الحُضرَ وقولهم: جَرْيُ المُذَكَيَات غِلاَء أو غِلاَب.

وقولهم: لَيست له هِمَّة دون الغَاية القُصْوى.

الرجل النبه الذكر - قولهم: ما يُحْجَر فلانٌ في العِكْم.

العِكْم.

العِكْم: الجُوالق يريد أنه لا يخفي مكانه.

وقولهم: ما يومُ حَلِيمة بِسرّ.

وكانت فيه وقعة مشهورة قُتل فيها المنذر بن ماء السماء فضربت مثلا لِكلّ أمر مشهور.

وقولهم: أشْهر من الفَرَس الأبلق.

وقولهم: وهل يَخْفي على النَاس النَّهار.

ومثلُه: وهل يَخْفي على الناصر الصُّبح.

وقولهم: وهل يجهل فلاناً إلا من يجهل الرجل العزيز يعذبه الذليل - منه قولهم: إن البغاث بأرضنا تستنسر.

البغاث صغار الطير.

تستنسر: تصير نسوراً.

وقولهم: لا حرَّ بوادي عوف.

يريدون عوف بن محلِّم الشيباني وكان منيعاً.

وقولهم: تمرَّد مارد وعزَّ الأبلق.

ما رد: حصن بدومة الجندل.

والأبلق: حصن " السمؤال ".

ومن عزَّ بزَّ ومن قلّ ذلّ ومن أمر فلّ.

أمر: كثر.

الرجل الصعب - منه قولهم: فلان ألوى بعيد المستمرّ.

وقولهم: ما بللت منه بأفوق ناصل.

وأصله السهم المكسور والفوق الساقط النّصل.

يقول: فهذا ليس كذلك " ولكنه كالسّهم القويّ ".

وقولهم: ما يقعقع لي بالشِّنان.

وقولهم: ما يصطلى بناره.

وقولهم: ما تقرن به صعبة.

النجد يلقى قرنه - منه قولهم: إن كنت ريحاً فقد لاقيت إعصاراً والحديد بالحديد يفلح.

والفلح: الشق.

" ومنه: فلاحة الأرض وهو شقها بالحرث ".

ولا يفلّ الحديد إلا الحديد.

والنَّبع يقرع بعضه بعضاً ورمي فلان بحجره أي قرنٌ بمثله.

الأريب الداهي - هو هتر أهتار.

وصلٌّ أصلال.

الصِّلُّ: من الحيَّات شبه الرجل بها.

ومثله: حيَّة ذكر وحيَّة وادٍ.

وقولهم: هو عضلة من العضل.

وهو باقعة من البواقع.

وحوَّل قلَّب.

ومؤدم مبشر يقول: فيه لين الأدمة وخشونة البشرة.

وفلان يعلم من حيث تؤكل الكتف.

النبيه بلا منظر ولا سابقة - قال أبو عبيد: هو الذي تسمِّيه العرب الخارجيَّ يريدون خرج من أبا مروان لست بخارجيٍّ وليس قديم مجدك بانتحال
وقولهم: تسمع بالمعيديّ خيرٌ من أن تراه وهو تصغير رجل منسوب إلى معدّ.

وقالوا: نفس عصامٍ سوَّدت عصاما الرجل العالم النحرير - قالوا: إنه لنقّاب وهو الفطن الذكيّ.

وقالوا: إنه لعضٌّ وهو العالم النحرير.

وقولهم: أنا جذيلها المحكّك وعذيقها المرجَّب.

قال الأصمعي: الجذيل: تصغير الجذل وهو عود ينصب للإبل الجرباء لتحتكّ به من الجرب فأراد أنه يشفى برأيه.

والعذيق: تصغير عذق والعذق " بالفتح ": النخلة نفسها فإذا مالت النخلة الكريمة بنوا من جانبها المائل بناء مرتفعاً يدعِّمها لكيلا تسقط فذلك التّرجيب وصعّرهما للمدح.

ومثله قولهم: إنه لجذل حكاك: ومنه قولهم: عَنِيَّته تَشْفِي الجرب.

والعَنية: شيء تُعالج به الإبل إذا جَربت.

وقولهم: لذي الْحِلم قبل اليوم ما تُقْرَع العصا وأوَّل من قُرعت له العصا سَعد بن مالك الكِنانيّ ثم قُرعت لعامر بن الظّرب العدْواني وكان حَكَم العرب في الجاهلية فكَبِر حتى أنكر عَقْله فقال لبنيه: إذا أنا زِغْت فقوِّموني وكان إذا زاغ قُرعت له العصا فيَنْزع عن ذلك.

ومنه قولُهم: إنه الأْلمعيّ وهو الذي يُصيب بالظنّ.

وقولُهم: ما حَكَكْت قَرْحة إلا أدميتها.

وقولهُم الأمور تَشابه مُقبلةً وتَظهر مُدْبرة ولا يَعرفها مُقبلة الرجل المجرب - منه قولُهم: إنه لشراب بِأنْقُع أي مُعاود للخَير والشرّ.

وقولُهم: إنه لَخرَّاج وَلاج.

وقولُهم: حَلَب الدَّهر أشْطُره وشرِبَ أفاويقه أي اختبر من الدَهر خيره وشرَه.

فالشّطر: هو شَطر الحَلبة والفِيقة: ما بين الحَلْبتين.

وقولُهم: رجل مُنَجَّدٌ وهو المَجَرِّب وأصله من النَواجذ يقال: قد عضَ على ناجذيه إذا استحكم: وقولهم: أول الغَزْو أخرق.

وقولهم: لا تَغْزُ إلا بغلام قد غزا.

وقولُهم: زاحِم بعَوْد أودَع.

" معناه: لا تَستعن إلا بمُسنّ مُحْكم أودَع ".

وقولهم: العَوان لا تُعلِّم الخِمْرة.

وقالت العامة: الشارف لا يُصفّر له.

الذب عن الحرم - قالوا: الفَحْل يحمي شَوْله.

والخيل تَجْري على مَساويها.

يقول: إن الخيل وإن كانت لها عُيوب فإنّ كرمها يحملها على الجري.

وقولهم: النَساء لَحم على وَضم إلا ما ذَبَّ عنه.

وقولهمِ: النِّساء حبائلُ الشَّيطان.

وقولهم: كل ذات صِدَار خالَة يريد أنه يَحميها كما يحمي خالَته.

الصلة وِالقطيعة - منه قولهم: لا خَير لك فيمن لا يَرى لك ما يَرى لِنفسه:
وقولُهم: إنما يُضن بالضَنين.

وقولُهم خلِّ سبيلَ من وَهَى سِقاؤُه.

وقولُهم: أَلْقِ حبلَه على غارِبه.

وقولُهم: لو كَرِهْتني يدي قَطَعْتُها.

الرجل يأخذ حقه قسرا - منه قولُهم: يَرْكب الصَّعبَ من لا ذَلُول له.

وقولُهم: مُجَاهرةً إذا لم أَجِد مَختلا.

يقول: آخذ حقِّي قسراً وعلانيَةَ إذا لم أصِل إليه بالسَّتر والعافية.

وقولَهم: حَلبتها بالساعد الأشدِّ يقول: أخذتُها بالقوّة والشدةً إِذ لم أقْدِر عليها بالرِّفق.

وقولُهم: التجلّد خيرٌ من التبلّد.

والمنيَّة خيرٌ من الدنيّة.

ومن عَزّ بَزّ.

الإطراق حتى تصاب الفرصة - منه قولُهم: مخرِنْبق لينباع.

مخْرَنبْق: مُطْرِق.

لِينباع: لينبعث.

يقول: سكت حتى يُصيب فرصته فيَثب عليها.

وقولُهم: تَحْسَبها حمقاء وهي باخِس.

وقولُهم: خبره في صَدْره.

وقولًهم: أحمق بَلغ.

يقول: مع حُمْقه يُدْرك حاجته.

الرجل الجلد المصحِح - أطِرِّي فإنّك ناعِلة.

أصله أنّ رجلاً قال لراعية له كانت تَرْعى في السّهولة وتتْرك الحزُونة فقال لها: أطِرِّي أي خُذي طُرَر الوادي وهي نواحيه فإنك ناعلة يريد فإن عليك نَعْلين.

وقولُهم: به داءُ ظبي معناه أنه ليس به " داء كما ليس " بالظبي داء وقالوا: الشَّجاع مُوَقًّى.

الذل بعد العز - منه قُولِهم: كان جملاً فاستَنْوق أي صار ناقةً.

وقولُهم: كان حماراً فاستَأتن أي صار أتاناَ.

وقولُهم: الحَوْر بعد الكَوْر وقولُهم: ذُلٌ لو أجد ناصراً.

أصله أن الحارث بن " أبي شَمِر الغَسَّاني سأل أنس ابن أبي الحُجَيْر عن بعض الأمر فأخبره فلطَمه الحارث فقال أنس: ذُلّ لو أجد ناصراً فلطمه ثانية فقال: لو نِهيتَ الأولى لم تَلْطم الثانية فذهبتا مثلين " وقولًهم: الانتقال من ذل إلى عز - منه قولُهمٍ: كنتَ كُراعاً فصِرْتَ ذِراعاً.

وقولهم: كنتَ عَنْزا فاستَنْيَست.

وقولهم: كنت بُغاثا فاستَنْسَرت أي صِرْتَ نَسرا.

تأديب الكبير - قالوا: ما أشدَّ فِطام الكَبِير! وقولهم: عَود يُقَلَّح أي جَمل مُسِن تُنَقى أسنانُه.

وقالوا: من العَناء رِياضة الهَرِم.

قال الشاعر: وتَرُوض عِرسَكَ بعد ما هَرِمتْ ومن العَناءِ رياضةُ الهَرِم وقولهم: أعَييتني بأُشُر فكيف بَدُرْدُر.

يقول أَعيَيْتنِي وأنت شابّة فكيف إذا بدت دَرادِرَك وهي مغارز الأسنان.

الذليل المستضعف - منه قِولهم: فلان لا يَعْوى ولا يَنْبح من ضعفه يقول: لا يتكلّم بخير ولا شر.

وقولهم: أهْون مَظْلوم سِقاءٌ مُرَوَّب وهو السقاء الذي يُلَفُّ حتى يبلغ أوان المَخْض.

وقالوا: أهون مَظْلوم عجوز مَعقومة.

وقولهم: لقد ذلّ من بالت عليه الثَّعالب.

الذليل يستعين بأذل منه - قالوا: عَبْدٌ صَريخه أمة.

وقولهم: مُثْقَل استعان بذَقَنه وأصله البعيرُ يُحْمل عليه الحِمْل الثقيل فلا يَقْدر على النهوض به فيعتمد على الأرض بذَقنه.

وقولهم: العَبْد من لا عَبْد له.

الأحمق المائق - قالوا: عدو الرجل حُمْقه وصديقه عَقْله.

وقولهم: خَرقاء عَيَّابة وهو الأحمق الذي يَعيب الناس.

قالوا: في الرَّجل إذا اشتدّ حمقه جدًّا: تَأطة مُدّت بماء.

الثأطة: الحمأة فإذا أصابها الماء ازدادت فَساداً ورُطوبة.

الذي تعرض له الكرامة فيختار الهوان - منه قولهم: تَجَنّبَ رَوْضَة وأحال يَعْدُو.

يقول: ترك الخير واختار الشقاء.

وقولهم: لا يَخْلو مَسْك السَّوء عَن عَرْف السَّوء.

يقول: لا يكون جلد رديء إلا والرِّيح المُنتنة موجودة فيه.

ومنه قول العامة: قيل للشقيّ: هَلُمّ إلى السعادة قال: حَسْبي ما أنا فيه.

ومنه قول العامة: أنّ الشقيّ بكل حَبْل يَخْتنِق وقولهم: لا يَعدَم الشقيُّ مُهَيرْا أي لا يَعْدَم الشقي رياضة مُهر.

الرجل تريد اصلاحه وقد أعياك أبوه قبل - منه قولهم: لا تَقْتن من كلْب سَوء جِرْوا.

وقال الشاعر: تَرجو الوَليدَ وقد أَعياك والدُه وما رجاؤك بعد الوالدِ الولَدَا
الواهن العزم الضعيف الرأي - منه قولهم: ما له أَكْل ولا صَيَّور أي ليسِ له قُوّة ولا رَأي.

قال الأصمعيّ: طلب أعرابي ثوباً من تاجر فقال: أعطنيِ ثوباَ له أكْل يعني قوة وحَصافة.

ومنه قال أبو عُبيد: هو الرجل الذي لا رأي له ولا عَزم.

فهو يتابع كلَّ أحد على رأيه ولا يثبت على شيء وكذلك الإمرَّة الذي يتابع كل أحد على أمره.

ومنه قولهم: هو بِنْتُ الجَبل ومعناه الصَدى يُجيبك من الجَبل أي هو مع كل متكلِّم يُجيبِه بمثل كلامه.

الذي يكون ضاراً لا نفع عنده - من قولهم: المِعْزَى تبْهِي ولا تُبْنِي.

" معناه أن المِعْزى لا تكون منها الأبنية " وهي بيوت الأعراب وإنما تكون من وَبر الإبل وصُوف الضأن ولا تكون من الشّعر وربما صَعدت المِعْزى إلى الخِباء فَحَرقته فذلك قولهم تُبْهِي يقال: أبهيْتُ البيت إذا خرقته فإذا انخرق قيل: بيت باهٍ.

الرجل يكون ذا منظر ولا خير فيه - منه قولهم: ترى الفِتْيان كالنَّخل وما يُدْرِيك ما الدَّخْل.

وقال الحجاج لعبد الرحمن بن الأشعث: إنك لمَنظرانيّ قال: نعم ومخْبرانيّ.

أمثال الجماعات وحالاتهم من اجتماع الناس وافتراقهم - قال الأصمعي: ويقال: لن يَزال الناسُ بخَير ما تباينوا فإذا تساوَوْا هَلَكوا.

قال أبو عبيد: معناه أن الغالب على الناس الشرُّ والخير في القليل من الناس فإذا كان التّساوي فإنما هو في الشر.

ومن أشدّ الهجاء قولُ القائل: سواسية كأسنان الحِمار.

ومنه قولُهم: الناس سواء كأَسنان المُشْط.

وقولهم: الناس شباه وشتَّى في الشِّيم " وكلهم يَجْمعه بيتُ الأدَم ".

وقوِلهم: الناسُ أحْياف أي مُفترقون في أخلاقهم.

والأحْيف من الخيل: الذي إحدى عَينيه زرقاء والأخرى كَحْلاء.

ومنه قولُهم: بيت الإسكاف لأن فيه من كل جلد رُقعة.

المتساويان في الخير والشر - هما كفَرَسي رِهَان.

وكرُكبتي بعَير.

وهما زَنْدان في وِعاء.

هذا في الخير وأما في الشر فيقال: هما كَحِماري العِباديّ " حين قيل له: أي حماريك شر قال: هذا ثم هذا ".

الفاضلان وأحدهما أفضل - منه قولهم: مَرْعى ولا كالسَّعْدان.

وقولهم: ماء ولا كَصَدّاء.

وصداء: ركيةٌ ذات ماء عَذْب.

وقولهم: فَتىً ولا كمالك.

وقولُهم: في كل الشَّجر نار.

واستَمجدا المَرْخ والعَفَار وهما أكثر الشّجر ناراً.

الرجل يرى لنفسه فضلاً على غيره - منه قولهم: كُلّ مُجْرٍ بالخَلاء يُسَرّ.

وأصله الذي يُجْرِي فرَسَه في المكان الخالي فهو يُسرّ بما يَرى منه.

المكافأة - منه قولُهم: هذه بتلك وقولهم: أضئ لي أَقْدح لك أي كُن لي أَكن لك.

وقولهم: اسْقِ رَقَاش إنها سَقَاية.

يقول: أحسِنوا إليها إنها مُحْسنة.

الأمثال في القربى التعاطف من ذوي الأرحام - قال ابن الكلبي: منه قولهم: يا بَعْضي دَعْ بَعْضاً.

وأصل هذا أن زُرَارة بن عُدَس زَوَّج ابنتَه من سُوَيد ابن ربيعة فكان له منها تِسْعَةُ بنين وأنّ سُويداً قَتل أخاً صغيراً لعمرو بن هِنْد الملك وهَرب ولم يَقْدِر عليه ابن هند فأرسل إلى زُرارة: إنِ ائتني بوَلده من ابنتك فجاء بهم فأمر عمرو بقَتْلهم فتعلّقوا بجدّهم زُرارة.

فقال: يا بَعْضي دَعْ بَعْضاً فذهبت مثلاً.

ومن أمثالهمِ في التحنن على الأقارب - قولهم: لكنْ على بَلْدَحِ قَوْمٌ عَجْفَي.

وقولهم: لكِن بالأثلاث لحمٌ لا يُظَلَّل.

وأصل هذا أنّ بَيْهساً الذي يُلقَب بنَعامة كان بين أهل بيْته وبين قومِ حَرب.

فقتلوا سَبْعةِ إخْوة لِبَيهس وأسروا بَيْهساً فلم يقتلوه لِصِغرِه وارتحلوا به فنزلوا منزلاً في سَفرهم ونَحَروا جَزُوراً " في يوم شديد الحرّ " فقال بعضهم: ظَلِّلوا لحْم جَزُوركم " لئلا يَفسد " فقال بَيْهس: لكن بالأثلاث لحمٌ لا يُظَلَّل - يعني لحمَ إخوته القَتْلى - ثم ذكروا كثرة ما غَنِموا فقال بَيْهس: لكَنِ على بَلدَح قَوْمٌ عَجْفي.

ثم إنه أفلت أو خَلّوا سبيلَه فرجع إلى أمه فقالت أنجوت من بينهم وكانت لا تُحبّه فقال لها: لو خُيرت لاخترتِ.

فلما لم يكن لها ولدٌ غيره رَقّت له وتَعطّفت عليه.

فقال بَيْهس: الثَكلِ أَرْأَمها فَذَهبت كلماتُه هذه الأربع كلها أمثالاً.

ومنه قولهم: لا يَعْدَم الحُوَار من أمه حَنّة.

وقولهم: لا يَضُر الحُوَار ما وَطِئَتْه أمه.

وقولهم: بأبي أَوْجُه اليتامى.

حماية القريب وإن كان مبغضاً - من ذلك قولهم: آكل لَحْمي ولا أَدَعُه يُؤكل.

ومنه لا تَعدَم من ابن عمك نصراً.

وقولهم الحَفائظُ تُحلِّل الأحقاد.

وقولهم في ابن العم: عدوُك وعدوّ عدوّك.

وقولهم: كَفُّك منك وإن كانت شلاّء.

وقولهم: انصرُ أخاك ظالماً أو مَظلوماً.

إعجاب الرجل بأهله - منه قولهم: كل فتاة بأبيها مُعْجَبة.

وقولهم: القَرَنْبَى في عين أُمها حَسَنة.

وقولهم: زُيِّن يا عَين والدٍ وَلدُه.

وقولهم: حَسَنٌ في كلِّ عين ما تَوَدّ.

وقولهم: مَن يَمْدح العَرُوسَ إلاّ أهلُها تشبيه الرجل بأبيه - منه قولهم: من أشبه أباه فما ظَلَم.

وقولهم: العُصيّة من العَصا.

وقولهم: ما أشبه حَجَل الجبْال بألوان صُخُورها! وقولهم: ما أشبه الحَوَل بالقَبَل! وما أشْبه الليلَة بالبارحة! وقولهم: شنِشنة أعْرفها من أخْزم يقال هذا في الولد إذا كانت فيه طبيعة من أبيه.

قال زُهير: وهَلْ يُنْبِت الخَطّيَّ إلا وَشيجُه وتُغْرس إلاّ في مَنابتها النَّخلُ ومنه قولُ العامة: لا تَلدِ الذِّئبة إلاّ ذِئْباً.

وقولهم: حَذْوَ النَعل بالنَّعل.

وحَذْوَ القذة بالقُذَّة.

والقذة: الريشة من ريش السهم تُحْذَى على صاحبتها.

تحاسد الأقارب - من ذلك قولهم: الأقارب هم العقارب.

وقال عُمر: تَزاورُوا ولا تَجَاورُوا.

وقال أكثم: تَباعدوا في الدِّيار وتَقاربوا في المَحَبة.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي هُريرة: زُرْ غِبّاً تَزْدَد حباً.

ومنه قولهم: فَرِّق بين مَعد تَحاب.

يريد أن ذوي القَربى إذا تدانَوْا تحاسدُوا وتباغضوا.

قولهم في الأولاد - قالوا: مَن سَرَّه بنوه ساءتْه نفسُه أي من يَرى فيهم ما يسرُه يرى في نفسه ما يَسُوءه.

وقولهم: إنّ بَنيّ صِبْيَةٌ صَيْفِيّون أَفْلح مَن كان له رِبْعيُون الولد الصيَّفي: الذي يُولد للرجال وقد أسنّ.

والربعي: الذي يُولد له في عُنْفوان شبابه أُخذ من ولد البَقرة الصَّيفي والرِّبعي.

ويقال للمرأة إذا تَبنَّت غير ولدها: ابنك مَن دَمَّى عَقِبيك.

الرجل يؤتى من حيث أمن - قالوا: من مَأمنه يُؤْتىَ الحَذِر.

وقال عَدِيّ بن زيد العِباديّ: لو بِغير الماء حَلقى شَرِقٌ كُنْتُ كالغصَانِ بالماء اَعْتِصارِي قال الأصمعيَّ: هذا من أشرف أمثال للعَرب.

يقول: إنّ كلَّ من شرَق " بشيء يستغيث بالماء كنتُ من كُرْبتي أَفِرُّ إليهم فهمُ كُرْبتي فأينَ الفِرَارُ ومثله قول العبّاس بنِ الأحنف: قَلْبي إلى ما ضرَّني داعِي يُكثر أَحْزَاني وأَوْجاعي كيف احتراسي مِن عَدوِّي إذا كان عدوّي بَين أَضْلاعِي " وقال آخر: مَن غَصَّ داوَى بُشرب الماء غُصته فكيف يَصنع مَن قد

غَصٍ بالماءِ " الأمثال في مكارم الأخلاق الحلم قال أبو عُبيد: من أمثالهم في الحِلْم: إذا نَزل " بك " الشرُّ فاقْعد أي فاحلم ولا تسارع إليه.

ومنه قولُ الآخر: الحَليم مَطيَّة الجُهول.

وقولهم: لا يَنْتَصف حَليمٌ من جاهل.

وقولهم: أخر الشرّ فإن شِئْتَ تعجّلته.

وقولهم في الحَليم: إنه لواقع الطَير ولساكن الرِّيح.

وقولهم: في الحُلَماء: كأنما على رؤوسهم الطَّير.

ومنه قولهم: رُبّما أَسْمع فأَذَر.

وقولهم: حِلْمي أصمُّ وأُذني غَيْر صَمّاء.

العفو عند المقدرة منه قولهم: مَلَكْت فأَسْجِح.

وقد قالته عائشة رضوان اللهّ عليها لعليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه يوم الجَمَل حين ظَهر على الناس فَدَنا من هَوْدجها وكَلّمها فأجابْته: مَلَكت فأسْجح " أي ظَفِرت فأحْسن.

فجهزها بأحسن الجهاز وبعث معها أربعين امرأة - وقال بعضهم: سبعين - حتى قَدِمت المدينة ".

ومنه قولهم: " إنّ " المَقْدِرة تُذْهب الحَفِيظة.

وقولهم: إذا ارجحنَّ شاصِياً فارْفَعْ يَدا المساعدة وترك الخلاف من ذلك قولهم: إذا عَزَّ أخوك فَهُن.

وقوِلهم: لولا الوِئام هَلك اللِّئام.

الوئام: المباهاة: يقول لولا المُباهاة لم يفعل الناسُ خيراً.

مداراة الناس قالوا: إذا لم تَغْلِب فاخْلِب.

يقول: إذا لم تغلب فاخدَع ودار والطف.

وقولهم: إلا حِظية فلا أليّة.

معناه: إن لم يكن حُظْوة فلا تَقْصير.

" إلية: من " ألا يألو.

ويَأتلي أي يقصر.

" ومنه قول الله عزّ وجلّ: " ولا يَأْتل أولو الفَضْل منكم والسَّعَة ".

وقولهم: سوء الاستمساك خَيرٌ من حُسن الصرَّعة.

ومنه قولُ أبي الدَّرداء: إنّا لَنَبشّ في وُجوه قوم وإنّ قُلوبَنا لَتَلْعنُهم.

ومنه قولُ رسول الله صلى الله عليه وسلم: شِرار الناس من دَارَاه الناسُ لشرِّه.

ومنه قولُ شَبيب بن شَيْبة في خالد بن صَفْوان: ليس له صديقٌ في السرِّ ولا عدوٌ في العَلاَنية.

يريد أنّ الناس يُدارونه لشرّه وقلوبُ الناس تُبْغِضه.

مفاكهة الرجل أهله منه قولهم: كل آمرئ في بَيْته صَبيّ.

يريد حُسن الخُلق والمُفاكهة ومنه قولُ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: إنا إذا خَلَوْنا قَلْلنا.

ومنه قولُ النبي صلى الله عليه وسلم: خِيَارُكم خَيركم لأهله.

ومنه قولُ مُعاوية: إنهنّ يَغْلبن الكِرام ويَغْلِبهنّ اللِّئام.

اكتساب الحمد واجتناب الذم - قالوا: الحمد مَغْنَم والذمُّ مَغْرَم.

وقولهم: " إنّ " قليلَ الذّم غيرُ قَليل.

وقولهم: إنّ خيراً من الخير فاعلُه وإنّ شرَّاً من الشرّ فاعلَه.

وقولهم: الخَيْر يَبْقى وإنْ طال الزمانُ به والشرُّ أَخبثُ ما أَوْعيتَ مِن زادِ الصبر على المصائب - من ذلك قولهم: هَوِّن عَليك ولا تُولَعِ بإشْفاقِ وقولهم: من أَراد طولَ البَقاء فَلْيوَطِّن نفسه على المصائب.

وقولهم: المُصيبة للصابِر واحدةٌ وللجازع اْثنتان.

وقال أَكْثم بن صَيْفيّ: حِيلُة من لا حِيلة له الصبر.

وذكروا عن بعض الحُكماء أنه أُصيب بابن له فَبكى حَوْلا ثم سَلا فقيل له: مالك لا تَبْكي قال كان جُرحا فَبَرِئ.

قال أبو خِرَاش الهُذَلي: بَلَى إنها تَعْفو الكلُوم وإنما نُوكّل بالأدنىَ وإن جَلَّ مَا يَمْضي ومنه قولهم: لا تلهف على ما فاتك.

منه قولهم: اصطناع المَعروف يَقي مَصارع السُّوء.

وقولهم: الجُود محبَّة والبُخْل مَبْغضة.

وقول الحُطَيئة: مَن يَفْعل الخيرَ لا يَعْدَم جَوازِيَه لا يَذْهبُ العُرْفُ بين الله والناس الكريم لا يجد منه قولهم: بَيْتي يَبْخَل لا أنا.

وقولُهم: بالسّاعد تَبْطِشُ الكَفُّ.

وقولُهم: ما كلف الله نَفْساً فوقَ طَاقتها ولا تَجُود يدٌ إلاّ بما تَجِدُ وقال آخر: يَرى المرءُ أحياناً إذا قَلَّ مالُه مِن الْخَير تاراتٍ ولا يستَطيعُها مَتى ما يرمها قصَّر الفقرُ كَفّه فَيَضعُف عنها والغنيُّ يُضِيعها القناعة والدعة - منه قولُهم: وَحَسْبك من غِنى شِبَع ورِيّ وقولهم: يَكْفِيك ما يبلّغك المَحل.

وقال الشاعر: مَن شاء أنْ يُكْثِر أو يُقِلاَ يكْفِيه ما بلَغه المَحَلاَّ الصبر على المكاره يحمد العواقب - قالوا: عواقب المَكاره مَحْمودة.

وقالوا: عِند الصَّباح يحمد القومُ السَّرى.

وقولهم: لا تُدرك الراحةُ إلا بالتَعب.

أخذه حَبيب فقال: على أَنَّني لم أَحْوِ مالاً مُجَمَّعاً فَفُزْتُ به إلاّ بشمل مُبَدَّدِ ولم تُعطِني الأيامُ نوماً مسكناً أَلَذُّ به إلاّ بنَوْم مُشَرَّد وأحسن منه قوله أيضاَ: بَصُرْتَ بالرَّاحة العُليا فلم تَرَها تُنال إلاّ على جِسْرٍ مِن التَّعب الانتفاع بالمال - قالوا: خيرُ مالِك ما نَفَعك.

ولم يَضِع من مالك ما وَعَظَك.

ونظر ابن عبّاس إلى دِرْهم بيد رجل فقال: إنه ليس لك حتى يَخْرُج من يدك.

وقولهم: تَقْتِير المَرْء على نفسه تَوْفِير منه على غَيْره.

قال الشاعر: أنتَ للمال إذا أَمْسكتَه فإذا أنفقته فالمالُ لَك المتصافيان - منه قولهم: هما كَنَدَماتَي جَذِيمة الأبرش الملك.

ونديماه رجلان من بَلْقَين يقال لهما: مالك وعَقيل.

" بَلْقين: يريد من بني القيَنْ ".

وقولهم: " هما أَطْول صُحْبة من الفَرقدين.

قال الشاعر ": وكُلُّ أخٍ مُفارقُه أخوه لَعَمْر أَبيكَ إلاّ الفَرْقَدان خاصة الرجل - منه قولُهم: عَيْبة الرجلَ.

يريدون خاصَّته وموضعَ سرِّه.

ومنه الحديث في خُزاعة: كانوا عَيْبة رسول اللهّ صلى الله عليه وسلم مؤمنُهم وكافرُهم.

مَن يكسب له غيره - منه قولهم: ليس عليك غَزْلُه فاسحبْ وجُرَّ.

وقولُهم: ورُبَّ ساعٍ لقاعد.

وقولهم: خَيْر المال عينٌ ساهرة لعين نائمة.

المروءة مع الحاجة - منه قولهم: تَجُوع الحرةَ ولا تَأكل بِثَدْييها.

وقولهم: شَر الفقر الخُضوع وخَير الغِنى القناعة.

ومنه الحديث المرفوع: أَجْملوا في الطلب.

قال الشاعر: فإذا افتقرتَ فلا تَكَن مُتجَشِّعاً وتَجَمَّل ومنه قولُ هُدْبة العُذْرِيّ: ولستُ بمفْراحٍ إذا الدهرُ سَرّني ولا جازع من صَرْفه المُتقلِّب ولا أتمنىَ الشرَّ والشرُ تاركي ولكنّ مَتى أحْمَل على الشر أَرْكَبَ المال عند مَن لا يستحقه - منه قولهم: خَرْقاءُ وجَدت صُوفا.

وَعَبْدٌ مَلَك عَبْدا " فأَوْلاه تَبَّاً ".

وقولهم: مَن يَطُل ذيلُه يَنتَطق به.

ومَرْعى ولا أَكَولة.

وعَشب ولا بَعِير.

ومالٌ ولا مُنفِق.

الحض على الكسب - منه قولهم: اطلب تَظْفر.

وقولُهم: من عَجَز عن زاده اتّكل على زاد غيره.

وقولُهم: من العَجْز نُتِجت الفاقُة.

وقولُهم: لا يَفْترس الليثُ الظَّبْي وهو رابض.

وقول أوْرَدها سَعْدٌ وسَعْد مُشْتَمل ما هكذا تُورد يا سَعْد الإبِلْ الخبير بالأمر البصير به - منه قولهم: على الخَبير سَقَطْتَ.

وقولهم: كفي قوماً بصاحبهم خَبيراً.

وقولهم: لكل أناس في جمالهم خُبْر.

وقولهم: على يَدِي دارَ الحديث.

وقولهم: تُعلِّمني بضبّ أنا حَرَشْتُه.

يقول: أتُخْبرني بامرِ أنا وَليته وَلِّ القوسَ بارِيها.

وقولُهم: الخيلُ أعلم بفُرْسانها.

وقولُهم: كل قوم أَعلم بِصناعتهم.

وقولُهم: قَتَل أرضاً عالِمُها.

وقتلت أرضٌ جاهلَها.

الاستخبار عن علم الشيء وتيقنه - من ذلك قولُهم: ما وراءك يا عصام أول من تكلم به النابغةَ الذَّبياني لعِصام صاحب النّعمانِ وكان النعمانُ مريضاً فكان إذا لَقِيه النابغة قال له: ما وراءك يا عِصام وقولُهم: سيأتيك بالأخبار من لم تُزَوِّد.

وإليك يُساق الحديث.

انتحال العلم بغير آلته - منه قولُهم: لكالحادِي وليسِ له بَعِير وقال الحُطيئة: لكا لماشي وليس له حِذاء.

وقولهم: إنباض بغير توتير.

وكقَابضٍ عَلَى الماء.

أخذه الشاعر فقال: ومَن يَأمنِ الدُّنيا يكن مثلَ قابضٍ على الماءِ خانَتْهُ فُرُوجُ الأصابع من يوصي غيره وينسي نفسه - يا طَبِيبُ طِبَّ لنفسك.

ومنه: لا تعظيني وتَعَظْعَظى أي لا توصيني وأوْصي نفسَك.

الأخذ في الأمور بالاحتياط - منه قولُهم: أنْ تَرِد الماء بماء أَكْيسُ.

وقول العامة.

لا تَصُبَّ ماءً حتى تجدَ ماء.

وقولهم: عَشِّ ولا تَغتر.

يقول: عَشِّ إبلك ولا تغتر بما تُقْدم عليه.

ويُروى عن ابن عبّاس وابن عمر وابن الزّبير أن رجلاً أتاهم فقال: كل لا يَنْفع مع الشرِّك عملٌ كذلك لا يَضُر مع الإيمان تَقْصير فكلُّهم قال: عَش ولا تَغتر.

وقولهم: ليس بأَوَّلِ مَن غَره السراب.

وقولهم: اشْتَر لنَفْسك وللسُّوق.

ومنه الحديثُ المرفوع عن الرجل الذي قال أأرْسِلُ ناقتي وأتوَكّل قال: " بل اعقلها وتوكل.

الاستعداد للأمر قبل نزوله - منه قولُهم: قبلَ الرَّمْي يُراش السَّهم.

وقولهم: قبل الرِّماءِ تُملأ الكنَائن.

وقولهم: خُذ الأمر بقَوابله أي باستقباله قبل أن يُدْبر.

وقولهم: شرُّ الرأي الدَّبَريّ.

وقولهم: المُحاجزة قبل المناجزة.

وقولهم: التقدُّم قبل التندم.

وقولهم: يا عاقدُ اذكر حَلا.

وقولهم: خيرُ الأمور أحمدُها مَغَبَّة.

وقولهم: ليس للأمر بصاحب مَن لم يَنْظُر في العواقب.

طلب العافية بمسالمة النَاس - قولُهم: مَنْ سَلَك الجَددَ أمِن العِثَار.

وأحذرْ تَسْلم.

ومنه قولهم: جَرُّوا له الخَطِيرَ ما انْجَرّ لكم.

الخطير: ذِمامُ الناقة.

ومنه قولهم: لا تَكُن أدنىَ العَيْرين إلى السَّهم.

يقول: لا تكُنِ أدنى أصحابك إلى مَوْضع التَّلف وكن ناحيةً أو وَسطاً.

قال كعب: إنّ لكلّ قوم كَلْباَ فلا تَكُن كلبَ أصحابك.

وتقول العامّة: لا تَكُن لسانَ قَوْم.

توسط الأمور - من ذلك قولُهم: لا تَكُن حُلْواً فتُسْترَط ولا مُرّاً فتُعْقى أي تُلفظ يقال: أعقى الشيءُ إذا اشتدّت مرارتُه.

" قال الشاعر: ولا تَكُ آنِياً حُلْواً فَتُحْسىَ ولا مُرّا فتنشب في الحِلاق " وتقول العامّة: لا تَكُن حُلْواً فتؤكل ولا مُرّاً فتُلْفظ.

وتَوَسَّط الأمور أدنى السلامة.

ومنه قول مُطَرِّف بن " عبد الله بن " الشِّخِّير: الحَسنة بي السَّيِّئتين وخيرُ الأمور أوسطها.

وشرّ السَّير الحَفْحقة.

قوله: بين السيئتين يريد بين المُجاوزة والتقصير.

ومنه قولهم: بين المُمِخة والعَجْفاء.

" يريد " بين السمين والمهزول.

ومنه قول عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: خيرُ الناس هذا النَّمط الأوْسَط يَلْحق بهم التالي ويرجع إليهم الغالي.

الإتابة بعد الاجرام - منه قولُهم: أقصرَ لمَّا أبْصرَ.

ومنه أتْبِعْ السيئةَ الحسنةَ " تمحها ".

والتائبُ من الذنبُ كمن لا ذنبَ له.

والندمُ تَوْبة.

والاعترافُ يَهْدِم الاقْتراف.

مدافعة الرجل عن نفسه - جاحَش فلان عن خَيْط رَقَبته.

وخيط الرقبة: النخاع يقوِل: دافع عن دمه ومُهجته.

وقالت العامّة: " ومنه ": أَدفع عن نَفسي إذا لم يكن عنها دافِع.

قولهم في الانفراد - الذئبُ خالياً أسد.

يقول: إذا وجدك خالياً اجترأ عليك.

ومنه الحديث المأثور: الوَحِيد شيطان.

وفي الحديث الآخر: عليكم بالجماعة فإنَّ الذِّئب إنما يُصيب من الغَنم الشَّاردة.

من ابتلى بشيء مرة فخافهُ أخرى - منه الحديثَ المرفوع: لا يُلْسَع المؤمن من جُحْر مَرَّتين.

يريد أنه إذا لُسع مرّة " منه " تَحفظ من أخرى.

وقولُهم: مَن لَدغته الحيَّة يَفْرَق من الرَّسَن.

وقولهم: مَن يَشتري سَيْفي وهذا أَثرُه يُضرب هذا المثل للذي قد اختُبر وجُرِّب وقولهم: كل الحِذَاءِ يَحتذي الحافِي الوَقِعْ الوَقِع: الذي يمشي في الوَقَع وهي الحجارة.

قال أعرابي: يا ليت لي نَعْلين من جِلْد الضَّبع وشُرُكا من آستها لا تنقطعْ كلَّ الحِذاء يحتذي الحافي الوَقِعْ اتباع الهوى - قال ابن عبَّاس: ما ذَكَر الله الهَوى في شيء إلا ذَمه.

قال الشعبيّ: قيل له هَوَى لأنه يهْوَى به.

ومن أمثالهم فيه: حُبَّك الشيءَ يُعْمى ويُصِمّ.

وقالوا: الهَوَى إله مَعْبود.

الحذر من العطب - قالوا: وقولُهم: أعورُ عينَك والحَجَر.

وقولُهم: الليلَ وأهضامَ الوادي.

وأصله أن يسير الرجلُ ليلاً في بُطون الأودية حذّره ذلك.

وقولُهم: دَع خيرَها لشرِّها.

وقولهم: لا تُراهن على الصَّعْبة.

وقولُهم أَعْذَر مَن أَنْذَر.

حسن التدبير والنهي عن الخرق - الرِّفْق يُمْن والخُرْق شُؤْم.

ورُبَّ أكلة تَمْنع أكلات.

وقولهم: قَلَب الأمر ظَهْراً لِبَطن.

وقولُهم: " اضْرب " وَجْهَ الأمرِ وعَيْنَيه وأجْر الأمور على أَذْلالها أي على وُجوهها.

وقولُهم: وجِّه الحَجَر وِجْهةً ما " له ".

وقولُهم: وَلِى حارَها مَن وَلي قارَها.

المشورة - قالوا: أوّلَ الحَزْم المَشورة.

ومنه: لا يهلك امرؤ عن مَشورة.

قال إبن المُسيِّب: ما اْستشرتُ في أمر واْستخرتُ وأبالي على أيَ جنبيّ سقطْتُ.

الجد في طلب الحاجة - أَبْل عُذْراً وخَلاك ذَمّ.

" يقول: إنما عليك أن تَجتهد في الطلب وتُعْذِر لكيلا تُذَمّ فيها وإن لم تكن تقْضىَ الحاجة ".

ومنه: هذا أوَانُ الشدِّ فاشتدِّي زيم وقولُهم: اضرب عليه جرْوَتك أي وَطِّن عليه نَفْسك.

ومنه: اجمعْ عليه جَرَاميزَك واشددَ له حيازيمك.

وقولَهم: شَمِّر ذَيلا وأْدَّرع ليلاً.

ومنه: أْئت به " من " حِسِّك وبَسِّك.

ومنه قول العامّة: جئ به من حيث أيسَ وليس.

الأيس: الموجود.

والليس: التأني في الأمرِ - من ذلك قولُهم: رب عجلة تُعْقب رَيْثاً.

وقولُهم إنَ المنبَتّ لا أرضاً قَطَع ولا ظَهراَ أبقى.

وقال القطاميّ: قد يُدْرِك المتأَنِّي بعضَ حاجته وقد يكون مع المستعجل الزَّللُ ومنه: ضَحِّ رَوَيْداً أي لا تَعجل.

والرَّشْفُ أنقع أي أَرْوَى يقال: شَرب حتى نَقَع.

ومنه: لا يُرْسل الساقَ إلا مُمْسكاً ساقاً.

سوء الجوار - منه قولهم: لا يَنْفعُك من جار سَوءٍ تَوَقٍّ.

والجارُ السُّوء قِطعة من نار.

ومنه: هذا أحقُ منزل بتَرْك.

" ومنه قولهم: الجارَ قبل الدار.

الرفيقَ قبل الطريق.

ومنه قولهم: بعتُ جاري ولم أبع داري.

يقول: كنتُ راغبا في الدار إلا أني بعتُها بسبب الجار السوء ".

سوء المرافقة - أنت تَئِقٌ وأنا مَئِق فمتى نَتَّفِق.

التَئِق: السريع الشرّ.

والمَئِق: السريع البُكاء ويقال: الممتلىء من الغضب والتّئِق والمَئِق مهموزان.

وقولهم: ما يجمع بين الأرْوَى والنعام يريد أن مَسْكن الأروى الجبلُ ومَسكنَ النعام الرَّمل - الأرِوى: جمع أرْوِيّة - ومنه: لا يَجْتمع السِّيْفان في غِمد.

ومنه: لا يَلتاط هذا بصَفري أي لا يَلْصق بقَلْبي.

العادة - قالوا: العادةُ أملكُ منِ الأدب.

وقالوا: عادةُ السَّوء شرٌ من المَغْرَم.

وقالوا: أَعْطِ العبدَ ذِراعاً يَطْلُبْ باعاَ.

ومنه قوله تعالى: " أئِنَّا لَمَرْدودُونَ فِي الْحافِرَة ".

ومنه: رجع فلان على قَرْوَائه.

ومنه الحديث: لا تَرْجع هذه الأمة عن قَرْوَائها.

اشتغال الرجل بما يعنيه - منه: كلٌّ امرئ في شأنه ساع.

وقولهم: هَمُّك ما أهَمَّك.

همك ما أدْأبك.

وقولهم: ولي حارَها من تَوَلّى قارَّها.

قلة الاكثراثٍ - منه قولهم: ما أبالِيه بالة.

وسئل ابن عبّاس عن الوضوء من اللبن فقال: ما أبالِيه بالة.

وقولهم: اسمَحْ يُسْمَح لك.

وقولُهم: الكلابَ على البقر.

يقول: خلِّ الكلابَ وبقرَ الوِحْش.

قلة اهتمام الرجل بصاحبه - هان على الأَمْلس ما لاقَى الدَبِر.

ما يلقى الشجي منِ الْخَليّ.

قال أبو زيد: الشجي مخفف والخلىّ مشدد: ومنه قول العامّة: هان علىَ الصحيح أن يَقول لِلْمَريض: لا بأس عليك.

الجشع والطمعِ - منه قولهم تُقَطِّع أعناقَ الرِّجال المطامعُ ومنه قولهم: غَثُّك خيرٌ لك من سمِين غيرك.

وقولهم: المَسئلة خُموش في وجه صاحبها.

وقال أبو الأسْوَد في رجل دنيء: إذا سُئِل أَرَز وإذا دُعى انتهز.

ومنه قولُ عَوْن بن عبد الله: إذا سأل أَلْحَف وإذا الشره المطعام - منه قولهم: وَحْمَى ولا حَبَل أي لا يذكر له شيء إلا اشتهاه كشَهْوَة الحُبْلى وهي الوَحْمَى.

ومنه: المرء تَوَّاق إلى ما لمِ يَنَل.

وقولهم: يَبْعَث الكلابَ عن مَرَابضها أي يَطْرُدها طَمَعاً أن يَجدَ شيئاً يأكله من تَحْتها.

ومنه قولهم: أَراد أن يأكل بيَدَيْن.

ومنه الحديثُ المرفوع: الرَّغْبة شُؤْم.

الغلط في القياس - منه قولُهم: ليس قَطاً مثلَ قُطَيّ.

وقال ابن الأسْلت: ليس قطاً مثل قُطَيّ ولا ال مَرْعِيُّ في الأقوام كالرَّاعي ومنه قولهم: مُذَكِّيةٌ تقاس بالْجذَاع.

يُضرب لمن يَقيس الكَبِير بالصغير.

والمُذَكِّية هي المُسِنَّة من الخيل.

وضع الشيء في غير موضعه - منه: كمُسْتَبْضع التَّمر إلى هَجَر.

وهجر: معدن التمر.

قال الشاعر: فإنّا وَمَرْوٍ يَهْدِي القَصائدَ نَحْوَنا كمُسْتَبْضع تمراً إلى أَهْل خَيْبرَا ومنه قولهم: كمُعَلِّمة أُمّها الرضاع.

ومنه الحديث المرفوع: رُب حامِل فِقْهٍ إلى مَن هو أفقه منه.

وفيمن وَضع الشيء في غير موضعه " قولهم ": ظَلَمَ مَن اسْترعى الذئبَ الغَنَم.

وقال ابن هَرْمة: كتاركةٍ بيضها بالعَرَاء ومَلحِفة بيضَ أُخرى جَناحَا كفران النعمة - منه: سَمِّنْ كلبَك يأكلك.

أحشّك وتَرُوثني! قاله في مخاطبة فرسه أي أعْلفك الحشيشَ وتروث عليّ ومنه قولُ الآخر: أُعلِّمه الرِّمايةَ كلَّ يومٍ فلمَّا اشتدَ ساعدُه رَمَاني التدبر - منه قولهم: لا ماءكِ أبقَيْتِ ولا دَرَنك أنْقَيت.

وقولهم: لا أبوك نُشرِ ولا التراب نَفِد.

أصل هذا المثل لرجل قال: ليتني أعرف قبرَ أبي حتى آخذ من تُرابه على رأسي.

التهمة - منه قولهم: عسى الغوَير أَبْؤُساً.

والأبؤس: جمع بأس.

قال ابن الكَلْبي: الغوَير: ماء معروف لكَلْب.

وهذا مثل تكلَّمت به الزباء وذلك أنها وجَّهت قَصِيراَ اللَخْميّ بالعِير ليَجْلِب لها من بَزّ العراق وكان يَطلبها بدم جَذيمة الأبرش فجعل الأحمال صناديق وجعل في كل صُندوق رجلاً معه السلاح ثم تنكّب بهم الطريقَ وأخذ على الغُوَير فسألْت عن خَبره فأخبرَت بذلك فقالت: عسى الغُوَير أَبْؤُساً.

تقول: عسى أن يأتي الغُوَير بشرّ واستنكرت أخذَه على غير الطريق.

ومنه: سَقَطت به النصيحةُ على الظِّنَّة أي نصحتَه فاتهمك.

ومنه: لا تَنْقُش الشوكةَ بمثلها " فإنّ ضَلْعها معها ".

يقول: لا تَستَعِن في حاجتك بمَن هو ومنه:

إذا غاب منها كَوْكبٌ لاحَ كَوكب

وقولهم: رأسٌ برأسٍ وزيادةِ خَسمائة.

قالها الفرزدق في رجل كان في جيش فقال " صاحبُ الجيش ": مَن جاء برأس فله للمطلوب منه الحاجة أَنْصح " منه لك ".

تأخير الشيء وقت الحاجة إليه - منه: لا عطْر بعد عَروس.

وأصل هذا أَنّ عَروساً أُهديت فوجدها الرجلُ تَفِلة فقال لها: أين الطَّيب قالت: ادَخَرتُه قال: لا عطر بعد عَروس.

وقولهم: لا بَقاء للحمِيَّة بعد الحُرْمة.

يقول: إنّما يَحْمى الإنسانُ حريمه فإذا ذهبت فلا حَميَّة له.

الإساءة قبل الإحسان - منه: يسبق دِرَّتَه غِرارُه.

الغرار: قلة اللبن.

والدِّرَّة: كثرته.

ويسبق سيلَه مَطرُه.

البخل - ما عنده خَيْر ولا مَيْر سواء هو والعَدَم.

والعَدَم والعُدْم لغتان.

ما بضّ حجره.

والبَضّ: أقلّ السيلان.

ما تَبُلّ إحدى يديه الأخرى.

الجبن - إنّ الجبان حَتْفه من فَوْقه .

" ومثله " في القرآن: " يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ".

ومنه: كلٌّ أَزَب نَفُور.

وَقَفّ شَعَره واقشعرَّت ذُؤَابته.

معناه: قام شعرُه من الفَزع.

وشَرِقَ برِيقه.

الجبان يتواعد بما لا يفعل - الصَدْق يُنبي عنك لا الوَعيد.

يُنْبي " عنك ": يَدفع عنك مَن يَنْبو.

ومنه: أَوْسعتُهم شَتْماً وأَوْدَوْا بالإبل.

وقيل لأعرابيّ خاصم امرأته إلى السلطان " فقيل له: ما صنعت معها " قال: كَبَّها الله لوَجْهِهَا ولو أُمِرَ بي إلى السِّجن.

الاستغناء بالحاضر عن الغائب - قولهم: إن ذَهب عَيْرٌ فعَيْرٌ في الرِّباط.

خَمسمائة " درهم.

فبرز رجل وقتل رجلاً من العدوَ فأعطاه خمسمائة درهم " ثم برز ثانية فقُتل فبَكى عليه أهلُه فقال لهم الفرزدق: أمَا تَرْضون رأساً برأس وزيادة خمسمائة المقادير - منه قولُهم: المقاديرُ تُريك ما لا يَخْطُر ببالك.

وقولُهم: إذا نزل القَدر غَشيَّ البَصر.

وإذا نزل الحَينْ غَطَى العين.

ولا يُغْنى حَذَر من قدَر.

ومن مَأمنه يُؤتى الحَذر.

وقولُهم: وكيف تَوَقّى ظَهْر ما أنت راكبُه.

الرجل يأتي إلى حتفه - منه قولًهم: أتتكَ بحائنٍ رجلاه.

لا تَكنُ كالباحُث عن المدية.

وقولُهم: حَتْفَها تحمِل ضأن بأَظْلافها.

ما يقال للجاني على نفسه - يداكَ أَوْكَتا وفُوِكَ نَفخ.

وأصلُه أَنّ رجلاً نَفَخ زِقَّاً ورَكِبه في النهر فانحلّ الوِكاء وخَرجت الريح وغرِق الرجل فاستغاث بأعرابيّ على ضفّة النهر فقال: يداك أَوْكتا وفُوك نَفخ.

جالب الحين إلى أهله - منه قولُهم: دلَت على أهلها رَقاش ورقاش كلبة لحيّ من العَرب مرَّ بهم جيش ليلاً ولم يَنْتبهوا لهم فنَبحت رقاش فدلَّت عليهم.

وقالوا: كانت عليهم كراغية البَكْر.

يَعْنون ناقةَ ثمود.

وقال الأخطل: ضفَادع في ظَلْماء ليل تَجاوَبَتْ فدلّ عليها صوتها حيةَ البَحْرِ تصرف الدهر - منه قولُهم: مرَّةً عيش ومرة جيش.

ومنه: اليوم خَمر وغداً أمر قاله امرؤ القيس أو مهلهل أخو كليب لمّا أتاه موتُ أخيه وهو يَشرب.

وقالوا: عِش رجباً ترى عَجباً.

وقالوا: أتى الأبد على لُبد.

وقال الشاعر: فيَومٌ علينا ويومٌ لنا ويوماً نُساء ويوماً نسَرّ وقولُهم: مَن يَجتمعِ تَتَقَعقَع عُمُدُه.

وأنشد: أجارتَنا مَن يجتَمِع يَتَفَرَّق ومَن يك رهناً للحوادث يَغْلَقِ الأمر الشديد المعضل - منه قولُهم: أظْلم عليه يومُه.

وأين يَضَع المَخنوقُ يدَه ومنه " قولهم ": لو كان ذا حيلة لتَحوَّل.

ومنه قولُهم: رأى الكوكب ظُهْراً.

قال طَرَفة: وتُرِيه النجمَ يَجْرِي بالظُّهرُ هلاك القوم - منه قولهم: طارت بهم العَنْقاء.

وطارت بهم عُقاب مَلاَع.

يُقال ذلك في الواحد والجمع وأحسبها مَعْدولة عن مَيْلع.

والمَنايا على الحَوايا.

قال أبو عُبيد: يقال: إن الحَوَايا في هذا الموضع مَرْكب من مَرَاكب النساء واحدتها حويّة وأحسب أصلها أن قوماً قُتلوا فحُمِلوا على الحَوَايا " فظنَّ الراؤون أن فيها نساء فلما كشفوا عنها أبصروا القَتْلى فقالوا ذلك " فصارت مثلاً.

ومنه: أتتهم الدُّهَيم تَرْمِي بالرَّضْف.

معناه: الداهية العظيمة.

وهذا أمر لا يُنادى وَليده معناه أنّ الأمر اشتدّ حتى ذَهِلت المرأةَ أن تدعو وَليدَها.

ومنه: التقت حَلقتا البطان وبَلَغ السيل الزُّبى وجاوَز الْحِزامُ الطُّبيين.

وتقول العامَّة: بلغ السِّكينُ العظمَ.

إصلاح ما لا صلاح له - منه قولهم: كدابغةٍ وقد حَلِم الأديم حَلِم: فسد.

وكتب الوليد بن عُقبة إلى معاوية بهذا البيت: فإنّك والكتابَ إلى عليّ كدابغةٍ وقد حَلِم الأديمُ في شعر له.

صفة العدو

- يقال في العدوّ: هو أَزْرَق العين وإن لم يكن أَزْرَق وهو أَسْود الكَبِد وأَصْهب السِّبال.

البخيل يعتل بالعسر - منه قولهم: قَبْل البُكاء كان وجهُك عابساً.

ومنه: قبل النِّفاس كنت مُصْفَرَّة.

اغتنام ما يعطى البخيل وإن قل - منه: خذ من الرِّضْفة ما عليها.

وخُذ من جَذَع ما أعطاك.

قال ابن الكلبي: وأصل هذا المثل أن غسّان كانت تُؤدِّي إلى ملوك سَلِيح دينارين كلَّ سنة عن كل رجل وكان الذي بَلى ذلك سَبَطة بن المُنذر السَّليحي فجاء سَبَطة إلى جَذَع بن عمرو الغسّاني يَسأله الدِّينارين فَدَخَل جَذَع منزلَه واشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به سَبَطة حتى سَكت ثم قال له خُذ من جَذع ما أعطاك فامتنعت غسّان من الدينارين بعد ذلك وصار الملْك لها حتى أتى الإسلام.

البخيل يمنع غيره ويجود على نفسه - منه قولهم: سَمْنُكم " هُرِيق " في أديمكم.

ومنه يا مُهْدِيَ المال كُلْ ما أهديت.

ومنه قول العامة: الحمار جَلَبه والحمار أكله.

موت البخيل وماله وافر - منه مات فلان عريضَ البِطان.

ومات بِبِطنته لم يَتَغَضْغَض منها شيء.

والتَّغضغض: النقصان.

البخيل يعطي مرة - منه قولهم: ما كانت عطيَّته إلا بَيْضة العُقْر وهي بَيْضة الديك.

قال الزُّبيرِي: الدِّيك ربَّما باض بيضة وأنشد لبشّار: قد زَرْتِني زَوْرَةَ في الدَّهر واحدة تَنِّي ولا تَجْعليها بيضةَ الدِّيكِ ومنه قولُ الشاعر: لا تَعجبنّ لخير زلّ من يَدِه فالكوكبُ النَّحس يَسْقِي الأرضَ أحياناً ومنه قولُهم: من الخَواطئ سهمٌ صائب.

والليلُ طويل وأنت مُقمِر.

وأصل هذا " أن " سُليك بن سُلكَة كان نائماً مُشْتملاً فجَثَم رجل على صدره وقال له: استأسرْ فقال له: الليل طويل وأنت مُقْمِر " ثمّ قال له: استأسر " يا خَبيث فضَمَّه ضَمَّة ضَرِط منها فقال له: أضَرِطاً وأنت الأعلى فذهبت أيضاً.

طلب الحاجة المتعذرة - منه قولُهم: تَسألني بَرامَتين سَلْجماً.

وأصله أنّ امرأة تَشهَّت على زوجها سَلْجماً وهو ببلد قَفْر فقال هذه المقالة.

والسَّلجم: اللِّفت.

ومنه شرُّ ما رام امرؤ ما لم يَنَلْ.

ومنه: السائلُ فوق حقِّه مُسْتَحِق الحِرْمان.

ومنه قولُهمّ: إنك إنْ كلفتني ما لم أُطِق ساءَك ما سَرَّك منِّي من خُلُق الرضا بالبعض دون الكل - منه: قد يَرْكبُ الصَّعب من لا ذَلول له.

وقولُهم: خُذ من جَذَع ما أعطاك.

وقولهم: خُذ ما طَفَّ لك أي ارض بما أمكنك.

ومنه قولُهم: زَوْجٌ من عُود خيرٌ من قُعود.

وقولُهم: ليس الرِّيّ " عن " التّشاف أي ليس يَرْوَى الشاربُ بشرب الشِّفافة كلّها وهي بقية الماء في الإناء.

ولكنه يَرْوى قبل بلوغ ذلك.

وقولهم: لم يُحْرَمٍ من فُصِد له.

ومعناه: أنهم كانوا إذا لم يَقْدروا على قِرَى الضَّيف فَصَدوا له بعيراً وعالجوا دَمه بشيء حتى يمكن أن يأكله.

ومنه قول العامة: إذا لم يكن شَحْم فَنَفس.

أصل هذا أن امرأة لَبِسَت ثياباً ثم مَشت وأظهرت البُهْر في مِشْيتها بارتفاع نَفَسها فلَقِيها رجلٍ فقال لها: إني أعرفك مَهزولة فمَن أين هذا النفس قالت: إن لم يكن شَحْم فنفس.

وقال ابن هانئ: التنوق في الحاجة - منه قولهم: فعلتَ فيها فعلَ من طَبَّ لمَن أحَبَّ.

ومنه قولهم: جاء تَضِبُّ لِثَاته على الحاجة معناه لشدة حِرْصه عليها.

وقال بِشْر بن أبي خازم: خيلا تَضِبّ لِثَاتُها للمَغْنم استتمام الحاجة - أَتْبع الفرس لجامها يريد أنك قد جُدْت بالفَرس واللِّجام أيْسر خَطْباً فأتمَّ الحاجة.

ومنه: تَمام الرَّبيع الصَّيف وأصله في المطر فالرَّبيع أوّله والصَّيف آخره.

المصانعة في الحاجة - مَن يَطْلب الحَسْناء يُعْطِ مَهْرَها.

وقولهم: المُصانعة تُيَسِّر الحاجة.

ومَن اشترى فقد اشتوَى.

يقول: مَن اشترى لحماً فقد أَكل شِواء.

تعجيل الحاجة - قولهم: السَّرَاح من النجاح.

النفسُ مُولعةٌ بحبِّ العاجل.

الحاجة تمكن من وجهين - منه قولهم: كلا جانبي هَرْشى لهُنّ طريق.

هَرْشى: عقبة.

ومنه: هو على حَبْل ذِراعك أي لا يخالفك.

مَن منع حاجة فطلب أخرى - منه قولهم: إلاده فلاَدهِ.

قال ابن الكلبي: معناه أن كاهناً تَقَاضى إليه رجلان من العرب: فقالا: أَخْبرنا في أي شيء جِئناك قال: في كذا وكذا قالا: إلادَه أي انظر غير هذا النظرِ.

قال: إلادَه فَلاَده " ثم أخبرهما بها ".

قال الأصمعي: معناه إن لم يكن هذا الآن فلا يكون بعد الآن.

الأمرُ يَحْدُث دونه الأمر.

وقولهم: أخْلَف رُوَيْعياً مَظِنُّه.

وأصله أن راعياً اعتاد مكاناَ فجاءه يرعاه فوجده قد تغيِّر وحال عن عهده.

ومنه قولهم سَدَّ ابن بَيْض الطريقَ سدًّا.

وابن بيض: رجل عقر ناقة في رأس ثَنيَّة فسدَ بها الطريق.

اليأس والخيبة - منه قولهم: جاء بخُفي حُنين.

وقد فسرناه في الكتاب الذي قبل هذا.

ومنه: أطالَ الغيبة وجاء بالخَيْبة.

ونظير هذا قولهم: سَكت ألفاً ونَطَق خَلْفاً أي أطال السكوت وتكلم بالقبيح وهذا المثل يقع في باب العيّ وله ها هنا وجه أيضاً.

وقال الشاعر: ومازِلْتُ اقطعُ عَرْضَ البِلادِ مِن المَشْرِقين إلى المَغْرِبَين وَأدَّرعُ الخوفَ تحتَ الدُجى وَأسْتَصْحِبُ الْجَدْى وَالفَرْقَدَيْن وَأطوِى وَأنْشُرُ ثوبَ الهُموم إلى أن رَجَعتُ بخُفي حُنَيْنٍ طلب الحاجة في غير موضعها - قالوا: لم أجد لشفْرَتي مَحَزّا.

وقولهم: كَدَمْتَ غير مَكدَم.

وقولهم: نَفختَ لو تنفخ في فَحَم.

وقالت العامة: يَضرب في حديدٍ بارد.

طلب الحاجة بعد فواتها - منه قولهم: لا تطلب أثراً بعد عَين.

وقولهم: " في " الصيَّف ضَيّعتِ اللبن.

معناه أنّ الرجل إذا لم يُطرق ماشيَته في الصيَّف كان مُضَيِّعاً " لألبانها عند الحاجة ".

الرضا من الحاجة بتركها - منه قولهم: نجا برأسه فقد رَبح.

وقولهم: وقول العامة: الهزيمة مع السلامة غنِيمة.

وقال امرؤ القيس: وقد طوَفْتُ في الآفاقِ حتَّى رَضِيتُ من الغنيمة بالإيابِ وقال آخر: الليلُ داج والكِباشُ تَنْتَطِحْ فَمن نَجَا برأسه فقد رَبِحْ من طلب الزِيادة فانتقص - منه: كطالب القَرْن جُدِعت أُذُنه.

وقولهم: كطالب الصَّيد في عريسة الأسد.

وقولهم: سَقَط العَشاء بها على سِرْحان.

يريد دابة خَرجت تطلب العَشاء فصادفت ذِئباً.

ونظير هذا من قولنا: طلبْتُ بك التكثير فازددتُ قِلَّةً وقد يَخْسر الإنسان في طلب الرِّبْح الرجل يخلو بحاجته - منه قولهم: خلا لكِ الجوُّ فبِيضى واصْفِرى ومنه: " رَمِي " برَسنك على غاربك.

وهذا المثلُ قالته عائشة لابن أخت مَيْمونة زوج النبىّ صلى الله عليه وسلم: ذهبت والله ميمونة ورُمي برَسَنك على غاربك.

ارسالك في الحاجة من تثق به - أرْسِل حكيماً ولا توصِه.

وقولهم: الحريص يَصِيد لك لا الجواد.

يقول: إنّ الذي له هوىً وحِرْص على حاجتك هو الذي يقُوم بها لا القويّ عليها ولا هَوَى له فيها.

ومنه قولهم: لا يُرَحِّلنّ رحلَك مَن ليس معك.

ومنه في " هذا " المعنى: الحاجة يجعلها نُصْبَ عينيه ويَحْملها بين أذنه وعاتقه ولم يجعلها بظَهْر.

قضاء الحاجة قبل السؤال - لا تسأل الصارخ وانظر ماله.

يريد لم يأتك مُستصرخاً إلا منِ ذُعر.

أصابه فأغِثه قبل أن يسألك.

ومنه كَفي برُغائها منادياً.

ومنه: يُخْبِر عن مجهوله " مَعْلومُه ".

وقولهم: في عَيْنه فَرَارُه.

يَعْنون في نظرك إلى الفَرس ما يُغْنيك عن فَراره.

الانصراف بحاجة تامة مقضية - جاء فلان ثانياً من عِنانه.

فإن جاء بغير قضاء حاجته قالوا: جاء يضرْب أصْدَرَيْه أي عِطْفيه.

وجاء وقد لَفَظ لِجَامه.

وجاء سَبَهْلَلاً.

فإن جاء بعد شدّة قيل: جاء بعد اللُّتيا والَتي.

وجاء بعد الهِيَاط والمِيَاط.

تجديد الحزن بعد أن يبلى - منه قولهم: حَرك لها حُوارها تَحِنَّ.

وهذا المثل يُروى عن عمرو بن العاص أنه قال لمِعاوية حين أراد أن يَسْتَنصر أهلَ الشام: أخْرِج إليهم قميصَ عثمان رضوان الله عليه الذي قُتل فيه.

ففعل ذلك مُعاوية فأقبلوا يَبْكون فعندها قال عمرو: حَرِّك لها حُوَارَها تَحِنّ.

جامع أمثال الظلم - منه قولُهم: الظُّلم مَرْتعه وَخيم.

وفي الحديث: الظلم ظُلمات يوم القيامة.

الظلم من نوعين - منه: أحَشَفاً وسوءَ كِيلة.

ومنه: أغُدَّةٌ كغُدَّة البَعير وَموْتٌ في بيت سَلُوليّة.

وهذا المثل لعامر بن الطُّفيل حين أصابه الطاعِون في انصرافه عن النبي صلى الله عليه وسلم فلجأ إلى امرأة من سَلُول فهلك عندها.

ومنه: أَغَيْرَةَ وَجُبْناً.

قالته امرأةٌ من العرب لزوجها تُعيِّره حين تخلَف عن عدوّه في منزله ورآها تَنظُر إلى قِتال الناس فَضرَبها.

فقالت: أغيرة وجُبْناً.

وقولهم: أكسْفاً وإمساكاً.

أصله الِرجل يلقاك بعُبوس وكُلوح مع بُخل ومَنْع.

وقولهم: ياعَبْرَى مُقْبلة يا سَهْرَى مُدْبِرَةَ.

يُضرب للأمر الذي يَكره من وجهين.

ومنه قول العامة: كالمُستغيث من الرَّمْضاء بالنار وقولهم: للموت نَزَع والموت بَدَر.

وقولهم: كالأشقَر إنْ تقدَّم نحِر وإن تأخّر عُقِر.

وقولهم: كالأرقم إن يُقْتَلْ يَنْقِم وإن يُترْك يَلْقم.

يقول: إن قتلته كان له من ينتقِم منك وإن تركته قتَلك.

ومنه: هو بين حاذفٍ وقاذفٍ.

الحاذف: الضارب بالعصا.

والقاذف: الرامي بالحَجَر.

من يزداد غماً على غم - منه قولهم: ضِغْثٌ على إبّالة.

الضِّغث: الحُزمة الصغيرة من الحطب.

والإبّالة: الكبيرة.

" ومنه قولهم: كِفْتٌ إلى وَئيّة.

الكِفْت: القِدْر الصغيرة.

والوئية: القِدر الكبيرة.

يُضرب للرجل يحمل البليّة الكبيرة ثم يزيد إليها أخرى صغيرة " ومنه قولهم: وَقَعوا في أم جُنْدب.

إذا ظُلِمُوا.

المغبون في تجارته - منه قولهم: صَفْقة لم يَشْهدها حاطب.

وأصله أنّ بعض أهل حاطب باع بَيْعَة غُبن فيها.

ومنه قولهم: أعطاه اللَّفَاءَ غير الوفاء.

سرعة الملامة - منه: ليس من العَدْل سرعة العَذْل.

ومنه رُبَّ مَلُوم لا ذنبَ له.

وقولهم: الشَعيرُ يُؤكل ويُذمّ.

وقولُ العامة: أكلاً وذمًّا.

وقولُ الحجاج: قُبِّح والله منا الحسن الكريم يهتضمه اللئيم - لو ذاتُ سِوَار لَطَمَتْني.

ومنه: ذَلّ لو أَجِد ناصراً.

الانتصار من الظالم - هذه بتلك والبادي أَظْلم.

ومنه: مَنْ لم يَذُد عن حوضه يهدَّم.

الظلم ترجع عاقبته على صاحبه - قالوا: مَن حفر مُغوّاة وَقع فيها.

والمغوّاة: البئر تُحْفَر للذِّئاب ويُجعل فيها جَدْيٌ فيسقط الذئبُ فيها لِيَصِيدَه فَيُصاد.

ومنه: يَعْدو على كل آمرىء ما يَأْتمر.

ومنه: عاد الرَّمْي على النَزَعَة.

وهم الرّماة يَرْجع عليهم رَمْيهُم.

وتقول العامة: كالباحِث عن مُدْية.

ومنه قولهم: رُمي بحَجَره وقُتِلَ بسلاحه.

المضطر إلى القتال - مُكْرَه أخوك لا بطل.

قد يَحْمِلُ العير من ذعر على الأسد المأخوذ بذنب غيره - جانِيكَ مَن يَجْني عليك.

ومنه: ": كَذِي العُرّ يُكْوي غَيرُه وهو راتِع ومنه: كالثوْر يُضْرب لما عَافَت البَقَر يعني عافت الماء.

وقال أنَس بن مُدْرك: يعني ثَور الماء وهو الطحلُبُ يقال: ثار الطّحلب ثَوْراً وثَوَرانا.

ومنه قولهم: كلُّ شاةٍ بِرِجْلها تُناط.

يُريد: لا يُؤْخذ رجلٌ بغير ذَنْبه.

المتبرىء من الشيء - ما هو من ليلي ولا سَمَرِه.

ما هو من بَزِّي ولا مِن عِطْري.

مالي فيه ناقة ولا جَمَل.

ومنه قولهمَ: بَرِئْت منه إلى اللّه.

ومنة: لستُ منكَ ولستَ منّي.

وما أنا من دَدٍ ولا دَدٌ مني.

سوء معاشرة الناس - قالوا: الناس شَجرة بَغْى.

لا سَبِيل إلى السّلامة من أَلْسنة العامة.

وقولهم: رِضىَ الناس غايةٌ لا تدرك.

ومنه الحديثُ المرفوع: النّاس كإبِلٍ مائةٍ لا تكاد تَجد فيها راحِلة " واحدة ".

ومنه قولهم: الناس يُعيِّرون ولا يَغْفرون واللّه يغَفر ولا يُعيِّر.

وقال مالكُ بن دينار: مَن عرف نفسَه لمِ يَضِرْه قولُ الناس فيه.

وقول أبي الدَّرداء: إنْ قارضْتَ الناسَ قارضُوك إنْ تركتهم لم يَزكوك.

الجبان وما يذم من أخلاقه - منه قولهم: إنّ الجبانَ حَتْفه من فَوْقه.

وهو من قول عمرو بن أمامة: لقد وَجدتُ الموتَ قبلَ ذَوْقه إنّ الجَبان حَتْفه من فَوْقه قال أبو عُبيد: أحسبه أراد " أن " حَذَره وتَوقّيه ليس بدافع عنه المَنيّة.

" قال أبو عمرِ ": وهذا غَلط من أبي عُبيد عندي والمَعنى فيه أنه وَصف نفسَه بالجُبن وأنه وَجد الموت قبل أن يَذُوقه وهذا من الْجُبن ثم قال: إنّ الجبان حتفُه من فوقه يريد أنه نظر إلى منيّته كأنما تحوم على رأسه كما قال الله تبارك وتعالى في المنافقين " إذ وصفهم بالجبن ": " يَحْسَبون كل صَيْحَةٍ عليهم هُمُ العَدُوّ ".

وكما قال جرير للأخطل يُعيّره " إيقاعِ قَيْس بهم ": حَملتْ عليك رجالُ قَيْسٍ خَيْلَهَا شعْثاً عوابسَ تَحْمِلُ الأبطالا مازِلْتَ تَحْسِب كل شيء بعدَهم خيلاً تكر عليكمُ ورجالا ولو كان الأمر كما ذهب إليه أبو عُبيد ما كان معناه يَدخل في هذا الباب لأنه باب الجبان وما يُذَم من أخلاقه وليس أخذ الحَذَر من الجبن في شيء لأن أَخْذ الحَذَر محمود وقد أمر الله تعالى به فقال: " خُذوا حِذْرَكم " والجبن مَذْموم من كل وجه.

ومنه الشعر تمثل به سعد بن مُعاذ يوم الخنْدق: لَبِّث قليلا يُدْرِك الهيْجا حَمَل ما أحسنَ الموتَ إذا حان الأجَلْ ومنه قولُهم: كلّ أزَبّ نَفورِ وإنما يقال في الأزبّ من الإبل لكثرة شره ويكون ذلك في عَيْنيه فكلّما رآه ظن أنه شَخْص " يطلبه " فَيَنْفِر من أجله.

ومنه قولُهم: بَصْبَصْنَ إذ حُدِين بالأذْناب.

ومنه قولُهم: وقولُهم: حال الجَريض دونَ القَرِيض.

وهذا المثل لعَبِيد بن الأبرص قاله للنعمان بن المنذر بن ماء السماء حين أراد قتْلَه فقال له: أنْشِدني شِعْرَك: أقفر من أهْله مَلْحُوب فقال عَبِيد: حال الْجَرِيضُ دون القَرِيض.

ومنه: قَفّ شَعَره واقشعرت ذُؤابتُه.

" معناه: قام شعره " من الفَزَع.

إفلات الجبان بعد اشفائه - منه قولُهم: أفلت وانْحص الذَّنَب ومنه: أفْلَت وله حُصَاص.

وُيروى في الحديث: إن الشّيطان إذا سَمع الأذَان أدْبر وله حُصَاص.

ومنه: أفلتنى جُرَيعَة الذَّقن إذا كان منه قرِيباً كقُرب الجَرْعة من الذَقن ثم أفلته.

ومنه قول العامة: إن يُفلت العَيْرُ فقد ذرَق.

وقولُهم: أفلتني وقد بَلَ النيْفق الذي تُسَمِّيه العامة النِّيفَق الجبان يتهدد غيره - منه قولُهم: جاء فلان يَنفَض مِذرَوَيه أي يتوعّد ويتهدّد.

والمِذْرَوَان: فَرْعا الأليَتين.

ولا يكاد يُقال هذا إلا لمن يتهدّد بلا حقيقة.

ومنه: أبْرق لمن لا يَعْرفك.

واقْصِد بذَرْعك.

ولا تبْق إلا على نفسك.

تصرف الدهر - منه: مَن يَجْتمع تَتقَعْقَع عُمُدُه: أي إن الاجتماع داعية الافتراق.

ومنه: كل ذات بَعْل ستَئِيم.

ومنه البيت السائر: ومنه: لم يَفُتْ مَن لم يَمُت.

الاستدلال بالنظر على الضمير - منه قولُهم: شاهد البُغْض اللَّحْظ.

وجَلَّى محبٌّ نَظَرَه.

قال زُهَير: فإنْ تَكُ في صَديقٍ أو عدوّ تخبِّرْك العيونُ عن القَلوب وقال ابن أبي حازم: خذ من العَيش ما كَفي ومِنَ الدهرِ ما صَفَا عَين من لا يُحبّ وَصَلَك تُبْدِي لك الجَفا نفي المال عن الرجل - منه قولهم: ما له سَعْنَة ولا مَعْنة.

معناه: لا شيء له.

ومنه: ما له هِلِّع ولا هِلَّعة وهما الجَدْي والعَنَاق.

ومنه: ما له هارب ولا قارب.

معناه: ليس أحد يَهرُب منه ولا أحدٌ يقرب إليه فليس له شيء.

وقولهم: ما له عافِطة ولا نافِطة وهما الضَّائنة والمَاعِزة.

وما به نَبَض ولا حَبَض.

قال الأصمعيّ: النَبَض: التحرّك ولا أعرف الحَبَض.

وقال غيرُه: النبَض والحَبَض في الوتر فالنَّبَض: تحرُّك الوَتر والحَبَض: صوته.

وقال: والنيْلُ يَهْوِي نَبَضاً وحَبَضاً ومنه قولهم: ما له سَبَد ولا لَبَد هما الشعر والصوف.

ولم يَعْرف الأصمعي السَّعْنة والمَعْنة.

إذا لم يكن في الدار أحد - منه قولهم: ما بالدار شَفْر ولا بها دُعْوِيٌّ ولا بها دَبّي.

معناه: ما بها من يدعو من يَدِب.

وما بها من عَريب ولا بها دُورِيّ ولا طُوِريّ وما بها وابِر وما بها صافِر وما بها ديار وما بها نافخ ضَرَمة وما بها أرم.

معنى هذا كله: ما بها أَحد.

ولا يقال منها شيء في الإثبات والإيجاب وإنما يَقولونها في النَّفي والجَحْد.

اللقاء وأوقاته - منه: لَقِيت فلاناً أولَ عَين يعني أولَ شيء.

وقال أبو زيد: لقيتُه أولَ عائنة ولقيتُه أوّلَ وَهْلة ولقيته أولَ ذات يَدَيْنِ ولقيته أولَ صَوْك وأولَ بَوْك.

فإن لقيته فجأة من غير أن تُريده قلتَ: لَقِيته نِقَاباَ ولَقِيتُه التقاطاً إذا لَقِيتَه من غير طَلَب.

وقال الراجز: ومَنْهل وردته التقاطاً وإن لقيته مُواجهة قلت: لَقيتُه صِفاحاً ولقيتُه كِفاحاً ولقيتُه كَفَةَ كَفةَ.

قال أبو زَيد: فإنْ عَرض لك من غير أن تذكُرَهُ قلت: رُفِع لي رفعاً وأشِبّ لي إشباباً.

فإن لقيتَه وليس بينك وبينه أحدٌ قلتَ: لقيتُه صَحْرة بَحْرَة وهي غيرُ مُجْراة.

فإن لقيتَه في مكان قَفْر لا أنيسَ به قلتَ: لقيته بوحش إصْمتَ غير مُجْرى أيضاً ولقيته بين سَمع الأرْض وبصرَها.

فإنْ لقيتَه قبل الفجر قلتَ: لقيتُه قبل " كل " صيْحٍ وَنَفْر.

النفر: التفرق.

وإن لقيتَه بالهاجرة قلت: لقيته صَكَّةَ عُمَىّ " وصَكَة أعْمى ".

قال: رؤبة يصف الفلاة إذ لمعت بالسراب في الهاجرة: فإن لقيتَه في اليومين والثلاثة قلت: لقيتُه في الفَرَط ولا يكون الفَرَط في أكثر من خمس عشرة ليلة.

فإن لقيتَه بعد شهر ونحوه قلت: لقيته من عُفْر.

فإن لقيتَه بعد الحول ونحوه قلت: لقيته عن هَجْر.

فإن لقيتَه بعد أعوام قلت: لقيته ذات العُريم.

فإن لقيته في الزمان قلت: لقيته ذات الزُمين.

والغِبّ في الزيارة: هو الإبطاء فيها.

والاعتمار في الزيارة: هو التردد فيها.

في ترك الزيارة - منه قولُهم: لا آتيك ما حنَّت النِّيبُ وما أطَّت الإبل وما اختلفت الدّرَة والجِرّة وما اختلف المَلَوَان وما اختلف الجديدان.

ولا آتيك الشمس والقمرَ وأبدَ الأبد ويقال: أبد الآبدين ودهْر الداهرين وحتى يرجع السهمُ إلى فُوقه وحتى يَرْجع اللبنُ في الضّرع.

ولا آتيك سِنّ الحِسْل.

تفسيره: النَيب.

جمع ناب وهي المُسنّة من الإبل.

والدَرة: الحَلْبة من اللبن.

والجرّة: من اجترار البعير.

والملوان والجديدان: الليل والنهار.

والحِسْل: هو ولد الضبّ.

يقول: حتى تَسْقط أسنانه ولا تسقط أبداً حتى يموت.

استجهال الرجل ونفي العلمِ " عنه " - منه قولهم: ما يعرف الحوَّ من اللوِّ.

وما يعرف الحيّ من الليّ ولا هَرِيراً من غرير ولا قَبيلاَ من دَبير.

وما يعرف أيَّ طَرَفَيْه أطرل وأكبر.

وما " يعرف هِرّاً من بِرّ.

أي ما " يعرف من يَهِرُّه ممن يَبَرّه.

والقَبيل: ما أقبلتَ به من فَتل الحَبْل.

والدَّبير: ما أدبرت " به " منه.

وأيّ طرفيه أطول: أنسَبُ أبيه أم نسب أمّه.

أمثال مستعملة في الشعر

- قال الأصمعي: لم أجد في شعر شاعر بيتاً أوّله مَثلٌ وآخرُه مَثل إلا ثلاثة أبيات منها بَيْتٌ للحطيئة: مَن يفعل الخيرَ لا يَعْدَم جَوَازِيَه لا يذهبُ العُرْف بين الله والناس وبيتان لأمرئ القيس: وأفلتهنَّ عَلبَاءٌ جَريضاً ولو أدْرَكْنَهُ صَفِرَ الوِطَابُ وقاهم جَدُّهم ببني أبيهم وبالأَشْقَين ما كان العِقَابُ ومثلُ هذا كثير في القديم والحديث ولا أدري كيف أغفل القديمَ منه الأصمعيُّ.

فمنه قولُ طرفة: ستُبْدي لك الأيامُ ما كنتَ جاهلاً وَيأتيكَ بالأخبار من لم تُزَوِّدِ وفي هذا مثلان من أشرف الأمثال.

ويقال إنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم سَمع هذا البيت فقال: إنَّ معناه من كلام النبوَة ومن ذلك قولُ الآخر: ما كلفَ الله نفساً فوق طاقتها ولا تجود يدٌ إلا بما تَجِدُ " ففي الصَّدْر مَثَل وفي العجز مَثَل ".

ومن ذلك قولُ الحَسن بن هانئ: أيها المُنتاب عن عُقُره لستَ من لَيْلي ولا سَمَرِه إنَّ العربَ تقول: انتاب فلان عن عقُره أي تباعد عن أصله.

لستَ من ليلي ولا سمره مثلٌ ثانٍ.

وليس في البيت الثاني إلا مثلٌ واحد.

ومن قولنا في بيتٍ أوله مثلٌ وآخره مثل: وقد صَرَح الأعداء بالبَيْنْ وأشرَقَ الصُّبْحُ لذي العَيْن وبعده أبيات في كل بيتٍ منها مَثَلَ وذلك: وعادَ مَنْ أهوَاه بعد القِلاَ شَقيقَ رُوحٍ بين جِسْمَيْن وأصبَحَ الدَّاخل في بَيْننا كساقِطٍ بين فِرَاشين قد أيِسَ البَغْضَة ذا وذا لا يَصْلُحُ الغِمْدُ لسَيْفَيْنْ ما بالُ من ليست له حاجةٌ يكون أنفاً بذهن عَينين ومن قولنا الذي هو أمثالٌ سائرة: قالوا شبابك قد ولّى فقلتُ لهم هل من جديدٍ على كر الجديديْن صِلْ من هوية وإن أبدى معاتبة فأطيب العيش وصلٌ بين إلفين واقطع حبائل خل لا تلائمه فربَّما ضاقت الدنيا على اثنينَ وقلت بعد هذا في المدح: فكّرْتُ فيك أبَحْرٌ أنت أم قَمَرٌ فقد تَحَيَّر فِكْرِي بين هذَيْن أو قلتُ بدراً رأيتُ البدرَ مُنْتَقَصاً فقلت شتّان ما بين البُدَيْرَيْن ومن الأمثال التي لم تأت إلاّ في الشعر أو في قليل من الكلام: من ذلك قول الشاعر: تَرجو النجاةَ ولم تَسْلُك مَسالكهَا إنَّ السفينةَ لا تَجْري عَلَى اليَبَس " وقال آخر: متى تَنْقَضي حاجاتُ من ليس صابراً على حاجةٍ حتى تكون له أخرَى قيل ولما بلغَ حاتماً قول المُتَلَمِّس: وأعلمُ عِلمَ

صدقٍ غيرَ ظنِّ لَتَقْوَى الله مِنْ خيْر العَتَادِ وحِفْظ المال أَيْسرُ من بُغَاه وسَيْر في البلاد بغير زاد وإصلاح القَليل يَزيدُ فيه ولا يَبْقَى الكثير مع الفساد قال: قَطَعَ الله لسانَه! يحمِل الناس على البُخْل ألا قال: لا الجودُ يُفْني المالَ قبلَ فَنَائه ولا البَخْلُ في مال الشَحِيح يزيدُ فلا تَلْتَمِسْ مالاً بعيْش مُقَتِّرٍ لكلِّ غَدٍ رزقٌ يعود جديد وقال غيرُه: إذا كنتُ لا أعفُو عن الذَّنب من أخٍ وقَلَتْ: أكافيه فأينَ التَّفاضُلُ ولكنني أغْضي الجُفون على القَذَى وأصفَحُ عماً رابني وأجَامِل متى ما يَرِ بْني مِفْصَل فقَطَعْتُه بَقيتُ ومالي للنُهُوض مفاصِل ولكنْ أداويه فإن صَحَّ سرني وإنْ هو أعياَ كان فيه التَّحامُلُ وقال: يُديفُون لي سَمّاً وأسْقِيهمُ الحَيَا ويَقْرُونَني شَرّاً وشَري مُؤَخَّرُ كأنّي سَلَبْتُ القومَ نُورَ عُيونهم فلا العُذرُ مقبول ولا الذَّنب يُغْفَر وقد كان إحساني لهم غيرَ مَرّة ولكنّ إحسان البَغِيض مُكَفَّر ولغيره: لم يبق من طلب الغنى إلا التعرض للحتوف فلاقبلن وإن رأي ت الموت يلمع في الصفوف إني امرؤٌ لم أوت من أدب ولا حظٍ سخيف لكنه قدرٌ يزو ل من القوي إلى الضعيف

كتاب الزمردة في المواعظ والزهد

قال أحمدُ بن محمّد بن عبد ربه: قد مضى قولُنا في الأمثال وما تَفَنَّوا فيه على كلِّ لسان ومع كلِّ زمان ونحن نبدأ بعوْن اللهّ وتوفيقه بالقَوْل في الزُهد ورجاله المشهورين به ونذكر المُنْتَحَلَ من كلامهم والمواعظَ التي وَعظت بها الأنبياء واْسْتَخْلصها الآباءُ للأبناء وجَرَت بين الحكماءِ والأدباء ومَقاماتِ العُبَّاد بين أيدي الخلفاء.

فأبلغ المواعظ كلِّها كلام الله تعالى الأعزّ الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يدَيْه ولا من خَلْفه تنزيلٌ من حكيم حَميد.

قال اللهّ تبارك وتعالى: " ادْعُ إلى سَبِيل رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَة الْحَسَنَة " إلى آخر السورة.

وقال جلّ ثناؤه: " كَيْفَ تَكْفُرَونَ بالله وَكُنْتُم أَمْواتاَ فَأَحْيَاكُمْ ثَم يُميتُكُمْ ثَمَّ يُحْيِيكُمْ ثَمّ إلَيْه تُرْجَعُون " وقال " أَوَلَمْ يَرَ الإنْسَان أنّا خَلقْنَاهُ مِنْ نُطْفةٍ فَإذَا هُوَ خصِيمٌ مبِين " إلى قوله: " عَلِيم ".

فهذه أبلغُ الحُجَج وَأَحْكم المواعظ.

ثم مواعظُ الأنبياء صلواتُ الله عليهم ثم مواعظُ الآباء للأبناء ثمّ مواعظُ الحُكماء والأدباء ثم مَقامات العُبّاد بي أيدي الخُلفاء.

ثم قولهم في الزُّهد ورجاله المعروفين ثم المَشْهورين من المنتَسِبين إليه.

والموعظةُ ثقيلةٌ على السمع مُحَرِّجة على النفس بعيدة من القَبول لاعتراضها الشَّهوة ومُضَادَّتها الهوى الذي هو ربيع القَلْب ومَرَاد الرُّوح ومَرْبَع اللهو ومَسْرَح الأماني إلا لَنْ تَرْجِعَ الأنْفَسُ عن غَيها حتى يُرى منها لها واعظ وقالت الحكماء: السَّعِيد مَن وعِظ بغيره لاَ يَعْنُون مَن وَعظه غيرُه ولكنْ مَن رأى العِبر في غيره فاتَّعظ بها في نفسه.

ولذلك كان يقول الحَسَن: آقْدَعُوا هذه النفوس فإنها طُلَعة وحادثوها بالذِّكر فإنها سريعة الدُثور واعْصُوها فإنها إن أُطِيعت نَزَعَتْ إلى شَرَّ غاية.

وكان يقول عند انقضاء مجلسه وختْم مَوْعظته: يا لها من موْعظة لو صادفت من القلوب حياةً.

وكان ابن السماك يقول إذا فَرَغ من كلامه: أَلْسُنٌ تَصف وقلوب تعرف وأعمال تُخالَف.

وقال يونُس بن عُبَيد: لو أُمِرْنا بالجزَع لَصَبرنا.

يريد ثِقَل الموعظة على السْمع وجُنوحَ النفس إلى مُخالفتها.

ومنه قولهم: أَحَبُّ شيء إلى الإنسان ما مُنِعَا وقولهم: والشيءُ يُرْغَبُ فيه حين يَمْتِنِعُ والموعظةُ مانعةٌ لك مما تَشْتهي حاملُة لك على ما تَكْرَه إلا أن تلْقَاها بِسَمْع قد فَتقَتْه العِبْرة وقلبٍ قدَحَتْ فيهِ الفِكْرَة ونفس لها من عِلْمها زاجر ومن عقلها رادع فيُفْتَح لك بابُ التوبة ويُوَضَحُ لك سبيلُ الإنابة: قال النبي صلى الله عليه وسلم: حُفَّت الجنّة بالمكاره وحُفَت النار بالشَهوات.

يريد أنَ الطريقَ إلى الجنة احتمالُ المكاره في الدنيا والطريقَ إلى النار ركوب وخيرُ الموعظة ما كانت من قائل مخلص إلى سامعِ مُنْصِف.

وقال بعضهم: الكلِمة إذا خَرَجَتْ من القلب وقعَتْ في القلب وإذا خرَجَتْ من اللِّسَان لم تُجَاوز الآذان.

وقالوا: ما أَحْسَن التاجَ! وهو على رأس المَلِك أَحْسَنُ وما أَحسن الدُّرَّ! وهو على نَحر الفتاة أحسن وما أحسنَ الموعظةَ! وهي من الفاضل التَّقِيّ أحسنُ وقال زياد: أيها الناسُ لا يَمْنَعكم سوء ما تعلمون منّا أن تَنتَفعوا بأحْسَن ما تسمعون منّا قال الشاعر: اعْمَل بقوْلي وَإنْ قَصَّرْتُ في عَمَلي يَنْفَعْكَ قَوْلِي ولا يضُرَّرْكَ تَقْصِيري وقال عبدُ الله بن عبّاس.

ما انتفعَتْ بكلام أحدٍ بعدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انتفعتُ بكلامٍ كتبَه إليّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

كَتب إليّ: أمّا بعد فإن المرءَ يَسره إدراكُ ما لم يَكُن ليَفوتَه ويسوءُه فَوْتُ ما لم يكن لِيُدْرِكه فَلْيَكن سرورُك بما نِلْتَ من أمر آخرِتك ولْيَكن أسفُك على ما فاتَك منها.

وما نِلْتَ من أمرِ دُنياك فلا تكن به فَرِحاً وما فاتك منها فلا تَأْسَ عليه جَزَعا وليكن هَمُّك ما بعد الموت.

ووقَفَ حكيم بباب بعض المُلوك فَحُجب فتلطّف برُقْعة أَوْصَلَها إليه.

وكتب فيها هذا البيت: أَلم تَرَ أَنَّ الفَقْرَ يُرجى له الغِنَى وأَنَ الغِني يُخشى عليه من الفقرِ فلمّا قرأ البيتَ لم يلبث أن انتعل وجَعل لاطئةً على رأسه وخرج

في ثوْب فِصَال: فقال له: واللهّ ما اتّعظتُ بشيء بعد القرآن اتعاظي ببَيْتك هذا ثمّ قضى حوائجه.

مواعظ الأنبياء عليهم السلام

قال أبو بكر أبي شْبَة يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: يكفي أحدَكم من الدنيا قدرُ زادِ الرَّاكب.

وقال صلى الله عليه وسلم: ابن آدم اغْتنم خَمْساً قبل خمس: شبابَك قبل هَرمك وصِحَّتك قبل سَقَمك وغِناك قبل فَقْرك وفَراغك قبل شُغْلك وحياتَك قبل مَوْتك.

عبد الله بن سلاَّم قال: لما قَدِم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أتيتُه فلمّا رأيتُ وجهه عَلمْتُ أنّه ليس بوجِه كذّاب فسمعتُه يقول: أيها الناسُ أطعِموا الطعامَ وأفْشوا السلامَ وصلُوا والناسُ نيام.

وقال عيسى بنُ مرْيم عليه السلام: أَلا أُخْبِركم بخيركم مُجالسةً قالوا: بلى يا رُوح الله قال: مَن تُذكَركم باللهّ رؤيتُه ويَزيد في عَمَلكم مِنْطِقُه ويَشُوقكم إلى الجنة عملُه.

وقال عيسى بن مريم عليهما السلام للحواريين: ويلكم يا عَبيد الدُّنيا! كيف تُخالف فروعُكم أصولَكم وأهواؤكم عقولَكم قولُكم شِفاءٌ يبرئ الداء وَفِعْلكُم داء لا يقبلُ الدواء لستُم كالكَرْمَة التي حَسُنَ وَرَقها وطابَ ثَمَرُها وَسَهُل مُرْتَقاها ولكنكم كالسَّمُرةَ التي قَلّ وَرَقُها وكثر شَوْكها وصَعُب مُرْتقاها.

ويلكم يا عَبيدَ الدنيا! جعلتم العملَ تحت أقدامكم من شاءَ أخذَه وجعلتم الدنيا فوق رؤوسكم لا يمكن تناوَلها فلا أنتم عبيدٌ نُصحاء ولا أحرارٌ كِرام.

ويلكم يا أُجَرَاءَ السَّوْء! الأجْر تأخذون والعملَ تفْسِدون سوف تَلْقَوْن ما تحذَرون إذا نظر ربُّ العمل في عَمَلِه الذي أفسدتُم وأجرِه الذي أخذتُم.

وقال عليه السلام للحواريين: اتخذوا المساجِدَ بُيُوتاً والبيوتَ منازلَ وكُلُوا بَقْل البرّيّة واشربوا الماءَ القَرَاح وانجُوا من الدنيا سالمين.

وقال عليه السلام للحواريّين: لا تنظُروا في أعمال الناس كأنكم أَرْباب وَانظروا في أعمالكم كأنكم عَبيد فإنما الناسُ رجلان: مُبْتَلَى ومُعافي فارحموا أهلَ البلاء واحمدَوا الله عَلَى العافية.

وقال عليه السلامُ لهم أيضاً: عجَباً لكم تَعْملُون لِلدُّنيا وأنتم تُرزقون فيها بلا عَمل ولا تَعملون للآخرة وأنتم لا تُرْزَقون فيها إلا بعمل.

وقال يحيى بن زكريا عليه السلام للمُكَذِّبين من بني إسرائيل: يا نَسْلَ الأفاعي من دلّكم على الدخول في مَساخط الله المُوبقة لكم ويلكم! تَقرَّبوا بِعَمَل صالح ولا تَغُرَّنَّكم قرابتكم من إبراهيم " عليه السلام " فإن الله قادر على أن يَسْتخرج من هذه الجنادِل نَسْلاً لإبراهيم.

إن الفأس قد وُضِعَتْ في أصول الشجر فأَخْلِق بكلِّ شَجَرَة مُرَّة الطَّعم أن تُقْطع وتُلقى في النار.

وقال شَعْيَاء لبني إسرائيل إذ أنطق الله لسانه بالوَحي: إن الدابّة تَزْداد على كثرة الرِّياضة لِيناً وقُلوبَكم لا تَزداد على كثرة المَوْعظة إلاّ قَسْوة إنّ الجَسد إذا صلَح كفاه القليلُ من الطَّعام وإنّ القَلْب إذا صَحَّ كَفاه القليلُ من الحِكْمة.

كم من سِرَاج قد أَطْفَأَتْه الرِّيح وكم من عابدٍ قد أفسده العُجْب.

يا بني إسرائيل اسمعوا قولي فإنّ قائلَ الحِكمة وسامعَها شريكان وأَوْلاهما بها مَن حقَّقها بعمله.

وقال المسيحُ عليه السلام: إنَ أَوْليَاء الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يَحْزنون الذين نَظَروا إلى باطن الدُّنيا إذ نَظر الناسُ إلى ظاهرها وإلى اجلها إذ نَظروا إلى عاجلها فأماتُوا منها ما خَشُوا أن يُمِيتهم وتركوا ما علموا أن سَيَتْرُكهم هم أعداء لما سالم الناسُ وسَلْم لما عادى الناسُ لهم خبرٌ وعندهم الخبر العجيب بهم نَطَق الكِتابُ وبه نَطقوا وبهم عُلِم الهُدى وبه عُلِمُوا لا يَرَوْنَ أماناً دون ما يَرْجون ولا خَوْفاً دون ما يَحْذَرُون.

وَهْب بن مُنَبِّه: قال " قال " داودُ عليه السلام: يا رب ابن آدم ليس منه شَعَرة إلا وتحتها لك نِعْمة وفوقها لك نِعْمة فمَن أيْن يُكافئُك بما أعطيتَه فأوْحى الله إليه: يا داود إني أُعطي الكثير وأَرْضى من عبادي بالقليل وأَرْضى من شُكْر نِعْمتي بأن يعلم العبدُ أن ما به من نِعْمة فمن عندي لا من عِنْد نفسه.

ولمّا أمر الله عزَّ وجلَّ إبراهيم عليه السلامُ أن يَذبح ولده ويجعلَه قُرْباناً أَسرَّ بذلك إلى خليل لهُ يقال له العازر وكان له صديقاً فقال له الصديق: إن الله لا يَبْتلى بمثل هذا مِثْلَك ولكنه يريد أن يختَبرك أو يَخْتبر بك وقد علمتَ أنه لا يبتليك بمثل هذا لِيَفْتنك ولا ليُضلك ولا ليُعْنتك ولا ليَنْقُصَ به بصيرَتك وإيمانَك ويَقينك فلا يَرُوعَنّك هذا ولا يَسُوأَنَ بالله ظنك وإنما رَفع الله اسمك في البلاء عنده على جميع أهل البلايا حتى كنت أعظمَهم مِحْنة في نفسك ووَلدك لِيَرْفعك بقَدر ذلك في المنازل والدرجات والفَضَائل فليس لأهل الصبر في فضيلة الصَبر إلا فضلُ صبْرك وليس لأهل الثواب في فضيلة الثواب إلا فضلُ ثوابك وليس هذا من وُجوه البلاء الذي يَبْتلي الله به أولياءه لأنّ الله أكرمُ في نفسه وأعدل في حكمه وأَرْحم بعباده من أن يجعل ذبح الولد الطيب بيد الوالد النبي المُصْطفي وأنا أعوذ باللّه أن يكون هذا منّي حتْماً على الله أو ردّاً لأمره أو سُخطاً لِحُكمه ولكنْ هذا الرَّجاء فيه والظنُّ به فإن عَزَم ربُّك على ذلك فكُنْ عند أَحْسَن علمه بك فإني أعلمُ أنه لم يُعرِّضك لهذا البلاء الجَسيم والخَطْب العظيم إلا لحُسْن عِلْمه بك وصِدْقك وتَصَبرك ليجعلك إماماً ولا حَوْل ولا قوّة إلاّ باللهّ العليّ العظيم.

من وحي الله تعالى إلى أنبيائه أَوْحى الله عزّ وجلّ إلى نبيّ من أنبيائه: إنّي أنا اللهّ مالكُ المُلوك قلوبُ المُلوك بيدي فمَن أطاعني جعلتُ الملوكَ عليهم رحمةً ومَن عَصاني جعلتُ الملوك عليهم نِقْمةَ.

ومما أنزل اللَهُ على المسيح " عليه السلام " في الإنجيل: شَوَقناكم فلم تشتاقوا ونُحْنا لكم فلم تبكوا.

يا صاحبَ الخمسين ما قدَمْتَ وما أَخّرْت ويا صاحبَ السِّتين قد دنا حَصادُك ويا صاحبَ السَبْعين هلمّ إلى الحِساب.

وفي بعض الكُتب القديمة المنزّلة: يقول الله عزّ وجل يومَ القيامة: يا عِبادي طالما ظَمِئتم وتقلَّصت في الدنيا شِفاهُكم وغارت أعينكم عطَشاً وجُوعاً فكُلُوا واشربوا هَنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية.

وأوحْى الله تعالى إلى نبيّ من أنبيائه: هَبْ لي من قلْبك الخُشوع ومن نَفْسك الخضوع ومن عَينيْك الدموع وسَلْني فأنا القريب المجيب.

وفي بعض الكتب: عَبْدي كم أتحبّب إليك بالنِّعم وتَتبغَّض إلي بالمَعاصي! خَيْري إليك نازل وشرُّك إليّ صاعد.

وأوْحى الله إلى نَبيّ من أنبيائه: إن أردتَ أن تَسكن غداً حظيرةَ القُدْس فكُنْ في الدنيا فريداً وحيداً طريداً مهموماً حزيناً كالطير الوُحْدانيّ يَظَلّ بأرض الفَلاة ويَرِدُ ماء العيون ويأكل من أطراف الشجر فإذا جَنَّ عليه الليلُ أوَى وحدَه استيحاشاً من الطير واستئناساً بربه.

ومما أوحى الله إلى موسى في التوراة: يا موسى بن عمران يا صاحبَ جبل لُبْنان أنت عَبْدي وأنا الملك الديّان لا تستذلَّ الفقيرَ ولا تَغْبِط الغَنيّ " بشيء يسير " وكُن عند ذكْرى خاشعاً وعند تلاوة وَحْيي طائعاً أسْمِعني لذاذةَ التوراة بصوت حزين.

وقال وَهْبُ بن مُنَبِّه: أوحي اللّه إلى موسى عند الشجرة: لا تُعْجبك زينةُ فِرْعون ولا ما مَتِّع به ولا تَمُدَّنْ إلى ذلك عينَك فإنها زهرة الحياة الدنيا وزينةُ المترَفين ولو شئتُ أن أوتيك زينة يَعْلِم فرْعون حين ينظر إليها أنّ مقْدِرَتَه تعجِزُ عنها فعلتُ ولكني أرغبتُك عن ذلك وأزْوَيْته عنك فكذلك أفعل بأوليائي إني لأذودهم عن نعيمها ولذاذتها كما يذَود الراعي الشفيقُ غَنَمه عن مراتع الهَلَكة وإني لأحمِيهم عيشَها وسَلْوَتها كما يَحْمِي الراعي ذَوْده عن مَبَارك العُرّ.

وذُكر عن وَهْب بن مُنَبّه: أنّ يوسف لما لَبِثَ في السجن بِضْع سنين أرسل اللّه جبريلِ إليه بالبِشارة بخروجه فقال: أما تَعْرِفُني أيها الصدِّيق قال يوسف: أرى صورةَ طاهرة ورُوحاً طيِّباً لا يُشبِه أرواح الخاطئين قال جِبْريلُ: أنا الرُّوح الأمين رسولُ ربّ العالمين قال يوسف: فما أَدْخلك مَداخل المُذْنبين وأنت سيِّد المُرسلين ورأسُ المُقَرَّبين قال: ألم تَعلم أيها الصِّدّيق أن الله يُطَهِر البيوت بطُهْر النبيين وأن البُقعة التي تكون فيها هي أطهرُ الأرَضين وأنّ الله قد طهَر بك السجن وما حوله يا بن الطّاهرين قال يوسف: كيف تُشَبهني بالصالحين وتسميني بأسماء الصادقين وتَعُدُني مع آبائي المُخلصين وأنا أسير بين هؤلاء المجرمين قال جبريل: لم يَكْلَم قلبك الجَزْع ولم يغير خلقك البَلاء ولم يَتعاظَمْكَ السجن ولم تَطأْ فراشَ سيّدك ولم يُنْسك بلاء الدُّنيا الاخرة ولم يُنْسك بلاء نفسك أباك ولا أبوك ربك وهذا الزَّمان الذي يَفُك الله فيه

عُنُقك وَيعتِق فيه رَقَبتك ويبين للناس فيه حِكْمَتَك ويُصَدِّق رؤياك ويُنْصفك ممن ظَلمك ويجمع لك أَحِبَّتك ويهَب لك مُلْك مصر تملك ملوكها وتُعَبِّد جبابرتها وتُصَغر عظماءها وُيذِلُّ لك أَعِزَتها ويُخْدِمُك سُوقَها ويُخَوَلك خَوَلَها ويرحم بك مساكينَها ويُلْقي لك المودّة والهيْبة في قلوبهم ويجعل لك اليد العُليا عليهم والأثَر الصالح فيهم ويُرى فرعونَ حُلْماً يفزَعُ منه حتى يسهرَ ليلَه ويُذْهبَ نوْمَه ويُعَمَي عليه تفسيرَه وعلى السَّحَرة والكهنة ويُعَلِّمك تأويلَه.

مواعظ الحكماء

قال عليّ بن أبي طالب كرّم الله وَجْهَه: أُوصيكم بخَمس لو ضرَبتم عليها آباط الإبل لكان قليلاً: لا يَرْجُوَن أحدكم إلا ربّه ولا يخافنَ إلا ذنبه ولا يستحي إذا سُئل عما لا يَعلم أن يقول: لا أعلم.

وإذا لم يعلم الشيء أن يتعلّمه واعلموا أن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد فإذا قُطع الرأس ذهب الجسد.

وقال أيضاً: من أراد الغِنَى بغير مال والكثرةَ بلا عَشية فليتحوَّل من ذُلِّ المَعصية إلى عزِّ الطاعة " أبى الله إلا أن يُذِلّ مَن عصاه.

وقال الحسنُ: مَن خاف اللهّ أخاف اللهّ منه كل شيء ومن خاف الناسَ أخافه الله من كل شيء.

وقال بعضُهم: من عَمِلَ لأخرته كَفَاه الله أمرَ دنياه ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح اللهّ ما بينه وبين الناس ومَن أخلص سريرتَه أخلص الله علانيَته.

قال العُتْبيّ: اجتمعت العربُ والعجم على أربع كلمات: قالوا: لا تَحْملنّ على قلبك مالا يُطِيق ولا تعملنَّ عملاَ ليس لك فيه مَنْفعة ولا تَثِقْ بامرأة ولا تغتر بمال وإن كثُر.

وقال أبو بكر الصدِّيق لعُمَر بن الخطّاب رضي الله عنهما عند مَوته حين استخلْفه: أُوصيك بتقوى الله إن للّه عملاً بالليل لا يَقْبَلُه بالنهار وعملا بالنهار لا يَقْبَله بالليل وإنه لا يقبل نافلة حتى تُؤَدَّى الفرائض وإنما ثَقُلَتْ موازين مَن ثقُلت موازينهم يومَ القيامة باتباعهم الحقّ وثقَلِه عليهم وحُقّ لميزانٍ لا يُوضعِ فيه إلا الحقُّ أن يكون ثقيلا وإنما خَفّت موازينُ من خَفّت موازينهم يومَ القيامة بأتباعهم الباطل في الدُّنيا وخِفّته عليهم وحُقِّ لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفاً وإن الله ذَكَر أهلَ الجنَّة فَذكَرهم بأحسن أعمالهم وتجاوَزَ عن سيئاتهم فإذا سمعتَ بهم قُلْت: إني أخاف أن لا أكون من هؤلاء وذكرَ أهل النار بأقبح أعمالهم وأمسك عن حَسَناتهم فإذا سمعتَ بهم قلتَ: أنا خيرٌ من هؤلاء وذكر آية الرّحمة مع آية العذاب ليكونَ العبدُ راغباً راهباً لا يتمنى على الله غيرَ الحق.

فإذا حفظت وصيَّتي فلا يكون غائبٌ أحبَّ إليك من الموت وهو آتيك وإن ضيّعْت وصيَّتي فلا يكون غائبٌ أكرَه إليك من الموت ولن تُعْجزه.

ودخل الحسن بن أبي الحسن على عبد الله بن الأهتم يعوده في مرضه فرآه يُصَوِّب بصره في صُندوق في بيته وُيصَعِّده ثم قال: أبا سَعِيد ما تقول في مِائة ألف في هذا الصندوق لم أُؤَدِّ منها زكاةً ولم أصِل منها رَحِماً قال: ثَكِلَتْكَ أُمك ولمن كنتَ تَجْمعها قال: لرَوْعة الزِمان وجَفْوة السلطان ومُكاثرة العَشيرة.

قال: ثم مات فشَهده الحسنُ فلما فَرَغ من دَفْنِه قال: انظروا إلى هذا المِسكين أتاه شيطانُه فحذّره رَوْعة زَمانه وجفوة سُلطانه ومُكاثرة عشيرته عما رزقه اللهّ إياه وغَمره فيه انظروا كيف خرج منها مَسْلوباً محروباً.

ثم التفتَ إلى الوارث فقال: أيها الوارث لا تُخْدَعَنّ كما خُدِعَ صوَيْحبك بالأمس أتاك هذا المال حلالاً فلا يكونن عليك وبالا أتاك عفواً صفواً ممن كان له جمُوعا مَنُوعا من باطل جَمَعه ومن حقَ مَنَعه قطع فيه لُجَجَ البِحار ومفاوِزَ القِفار لم تَكْدح فيه بِيَمين ولم يَعْرَق لك فيه جَبين.

إنّ يوم القيامة يوم ذو حَسَرَات وإن من أعظم الحسرات غداً أن ترى مالك في ميزان غيرك فيالها عَثَرة لا تُقال وتوبة لا تُنال.

ووعظَ حكيم قوماً فقال: يا قوم استَبْدِلوا العَوَارِيَ بالهِبات تَحْمَدوا العُقْبَى واستقْبِلوا المصائب بالصَبْر تستحِقُّوا النُّعْمَى واستَدِيموا الكَرَامة بالشُّكر تَسْتَوْجبوا الزِّيادة واعرفوا فَضْل البَقاء في النِّعمة والغِنَى في السلامة قبل الفِتْنَة الفاحِشةِ والمَثُلةِ البينة وانتقال العَمَل وحُلول الأجَل فإنما أنتم في الدُّنيا أغراض المَنايا وأوطان البلايا ولن تنالوا نِعْمَة إلا بِفِراق أُخرى ولا يَسْتقبل مُعَمَّر مِنكم يوماً من عُمره إلا بانتقاص آخرَ من أجله ولا يَحيا له أَثر إلا مات له أثر.

فأنتم أعوان الحُتُوف على أنفسكم وفي معايشكم أسبابُ مَنَاياكم لا يَمنعكم شيء منها ولا يَشْغَلكم شيء عنها.

فأنتم الأخْلاف بعد الأسلاف وستكونون أَسلافاً بعد الأخلاف.

بكل سبيل منكم صَرِيعٌ مُنْعَفر وقائم يَنْتظر فمن أيّ وجه تَطْلُبون البَقَاء وهذان الليلُ والنَهارُ لَم يرْفعا شيئا قَطّ إلا أسرَعا الكرَّة في هَدْمه ولا عقدا أمراً قطّ إلاّ رَجَعا في نقضه.

وقال أبو الدَّرْداء: يا أَهل دمَشق مالكم تَبْنون مالا تسكنون وتأمُلون ما لا تُدرِكون وتَجمعون ما لا تأكلون هذه عادٌ وثمود قد مَلَئُوا ما بين بُصْرَى وعَدَن أموالاً وأولاداً فمن يَشْتري مني ما تركوا بدرهمين وقال ابن شُبْرُمَة: إذا كان البَدَن سقيماً لم يَنجع فيه الطعام ولا الشراب وإذا كان القلب مُغْرَماً بِحُبّ الدنيا لم تَنْجِع فيه الموعظة.

وقال الرَّبيع بن خُثَيم: أَقْلِل الكلام إلا من تِسع: تكبيرِ وتهليل وتسْبيح وتَحْمِيد وسؤالِكَ الخيرِ وتَعَوّذِك من الشرّ وأمرِكَ بالمعروف ونهْيِكَ عن المُنْكر وقراءتك القرآن.

قال رجل لبعض الحُكماء: عِظْني.

قال: لا يَراك اللهّ بحيث نَهَاك ولا يَفْقِدك من حيثُ أمرَك.

وقيل لحكيم: عِظْني.

قال: جميعُ المواعظ كلّها مُنتظمة في حرف واحد قال: وما هو قال: تُجْمِع على طاعة اللّه فإذا أنت قد حَوَيت المواعظ كُلَّها.

وقال أبو جعفر لسُفْيان عِظْني.

قال: وما عَمِلتَ فيما عَلِمْتَ فأعِظَك فيما جهلتَ.

قال هارون لابن السمّاك: عِظني.

قال: كفي بالقرآن واعظاً يقول الله تبارك وتعالى: " ألَمْ تر كيفَ فَعَلَ رَبكَ بِعَاد.

إرَمَ ذَاتِ العِماد التي لمْ يُخْلَق مثلُها في البِلاد ".

إلى قوله " فصَبَّ عليهم ربك سَوْط عَذَاب.

إنَّ ربك لبَالمِرْصاد ".

مكاتبة جرت بين الحكماء عَتَبَ حَكيمٌ على حكيم فَكَتَبَ المَعْتُوبُ عليه إلى العاتب: يا أخي إنّ أيام العُمْر أقصرُ من أن تحتمل الهَجْر.

فَرَجع إليه.

وكتب الحسنُ إلى عُمَر بن عبد العزيز: أما بعد فكأنك بالدنيا لم تكُن وبالآخرة لم تَزَل.

والسلام.

وكتب إليه عُمر: أما بعد فكأنّ آخر من كُتِبَ عليه الموت قد مات والسلام.

ابن المُبارك قال: كتب سَلْمان الفارسيّ إلى أبي الدّرداء: أما بعد فإنك لن تنال ما تُريد إلا بترْكِ ما تشتهي ولن تنال ما تأمُل إلا بالصَّبر على ما تَكْره.

فَلْيكُن كلامُك ذِكْراً وصَمْتك فِكْرا ونظرك عِبَرا فإنّ الدُّنيا تتقلب وبهجتها تتغيَّر فلا تغترّ بها وليكن بيتُك المسجدَ والسلام.

فأجابه أبو الدَّرداء: سلامٌ عليك أما بعد فإنّي أُوصيك بتَقْوَى اللّه وأن تأخذ من صِحَّتِك لِسَقَمِك ومن شبابك لهرَمك ومن فراغك لِشُغلك ومن حياتك لمَوْتك ومن جَفائك لمودَّتك واذكر حياةً لا موتَ فيها في إحدى المنزلتين: إما في الجنة وإما في النار فإنك لا تَدْري إلى أيهما تَصير.

وكتب أبو موسى الأشعريّ إلى عامر بن عبد القَيْس: أما بعد فإني عاهدتُكَ على أمر وبَلغني وكتب محمد بن النَّضر إلى أخ له: أما بعدُ فإنك على مَنْهج وأمامك منزلان لا بدلك من نُزول أحدهما ولم يَأتِك أمانٌ فتَطْمَئنَّ ولا براءة فتتَّكل.

وكتب حكيم إلى آخر: اعلم حَفِظك اللّه أنّ النفوس جُبِلت على أخذ ما أُعْطِيتْ وَمَنْع ما سُئِلتْ فاحْمِلها على مَطيّة لا تُبطِىءُ إذا رُكبت ولا تُسْبَق إذا قُدِّمَتْ فإنما تحفظا لنفوسُ على قدْر الخوف وتَطْلُب على قَدْرِ الطمع وتطْمَع على قدر السبب.

فإذا استطعت أن يكون معك خَوْف المُشْفِق وقناعة الرّاضي فافعل.

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى رجاء بن حَيْوة: أما بعد فإنه مَن أكثر من ذِكْر الموت اكتفى باليَسِير: ومن عَلِمَ أن الكلامَ عملٌ قلَّ كلامهُ إلا فيما يَنْفَعه.

وكتب عمر بن الخطّاب إلى عُتبة بن غزوان عامِله على البَصْرة: أما بعد فقد أصبحتَ أميراً تقول فيُسمع لك وتأمر فينفّذ أمرُك فيالها نعمةً إن لم تَرْفعك فوق قَدْرك وتُطْغِك على مَن دونك فاحترَس من النِّعمة أشدّ من احتراسك من المُصيبة وإياك أن تَسْقُطَ سَقْطَة لا لعاً لها - أي لا إقالة لها - وتَعْز عَثْرة لا تُقالها والسلام.

وكتب الحسن إلى عمَر: إن فيما أمرك الله به شُغلا عما نهاك عنه والسلام.

وكتب عمرُ بن عبد العزيز إلى الحسن: اجمع لي أَمْر الدنيا وصِفْ لي أَمرَ الآخرة.

فكتب إليه: إنما الدُّنيا حُلْم والآخرة يَقَظَة والموت متوسِّط ونحن في أضغاث أحْلام من حاسَبَ نَفْسَه ربح ومن غَفلَ عنها خَسِر ومن نَظر في العواقِب نَجَا ومن أطاعَ هواه ضَلَّ ومن حَلُم غَنِم ومن خافَ سَلِمَ ومن اعتبر أبْصَرَ ومن أبصرَ فَهِمَ ومن فَهِمَ عَلِمَ ومن عَلِم عَمِلَ فإذا زَلَلْتَ فارْجِع وإذا نَدِمْتَ فأَقْلِع وإذا جَهِلْت فاسأل وإذا غَضِبْتَ فأَمْسِك واْعلم أن أفضل الأعمال ما أُكْرِهَت النفوس عليه.

مواعظ الآباء للأبناء

قال لُقمانُ لابنه: إذا أتيت مجلسَ قومٍ فأرمِهِمْ بسَهْم السلام ثم اجلس فإن أفاضوا في ذِكر اللهّ فأَجِلْ سَهمْك مع سِهامهم وإن أفاضوا في غير ذلك فَتَخَلَّ عنهم وانهض.

وقال: يا بني استَعِذ باللّه من شِرَار الناس وكُنْ من خِيارهم على حَذَر.

ومثلُ هذا قولُ أكثَم بن صَيْفي: احذر الأمين ولا تأتمن الخائن فإنّ القُلوب بيد غيرك.

وقال لُقمان لابنه: لا تركنْ إلى الدنيا ولا تَشْغَل قلبك بها فإنكِ لم تُخْلَق لها وما خَلَق الله خَلْقاً أهون عليه منها فإنه لم يجعل نعيمَها ثواباً للمُطيعين ولا بلاءَها عُقوبة للعاصين.

يا بني لا تضحك من غير عجب ولا تَمْش في غير أرب ولا تسأل عما لا يَعْنيك.

يا بني لا تُضَيِّع مالَك وتُصلِحْ مالَ غيرك فإنّ مالَك ما قدَّمت ومالَ غيرك ما تركت.

يا بني إنه من يَرْحم يُرْحَم ومن يَصْمُت يَسْلم ومن يَقُل الخير يَغْنَم ومَنْ يقُل الباطل يأثَم ومن لا يملك لِسانَه ينْدم.

يا بني زاحم العلماء برُكْبتَيْك وأنصت إليهم بأُذنَيك فإنّ القلب يَحيا بنُور العُلماء كما تحيا الأرض المَيتة بمطر السماء.

وقال خالدُ بن صَفْوان لابنه: كُن أحسنَ ما تكون في الظاهر حالاً أقلّ ما تكون في الباطن مآلاً ودَعْ من أعمال السرِّ مالا يَصْلُح لك في العلاَنِيَة.

وقال أعرابي لابنه: يا بني إنه قد أَسْمَعك الدَّاعي وأعذر إليك الطالب وانتهى الأمرُ فيك إلى حَدّه ولا أعرِفُ أعظمَ رزيّة ممن ضَيَّعَ اليقين وأَخْطأه الأمَلَ.

وقال عليٌّ بن الحسين لابنه وكان من أفضل بني هاشم: يا بني اصبر على النّوائب ولا تَعرّض للحُتوف ولا تَجبْ أخاك من الأمر إلى ما مَضرّتُه عليك أكثر من مَنْفعَته لك.

وقال حكيم لبنيه: يا بني إياكم أن تكونوا بالأحداث مُغْتَرين ولها آمنين فإني واللّه ما سَخِرْت من شيء إلا نزل بي مثله فاحذَروها وتوقَّعوها فإنما الإنسان في الدُّنيا غرَضٌ تَتَعاوره السِّهام فمُجَاوزٌ له ومُقصِّر عنه وواقِعٌ عن يمينه وشماله حتى يُصيبه بعضها واعلموا أن لكل شيء جرَاءَ ولكل عمل ثواباً.

وقد قالوا: كما تَدِين تُدَان ومن بَرِّ يوماً بُرَّ به.

وقال الشاعر: إذا ما الدَّهر جرَّ على أُناس حوادثَه أناخَ بآخَرِينَا فقُلْ للشّامتين بنا أَفيقوا سَيَلقى الشامِتون كما لقِينا وقال حكيم لابنه: يا بني إني مُوصيك بوصيّة فإن لم تحفظ وصيتي عنّي لم تَحْفَظها عنِ غيري: اتّق الله ما استطعتَ وإن قَدَرْت أن تكون اليومَ خيراً منك أمس وغداً خيراً منك اليومَ فافعل وإياك والطمعَ فإنه فَقْرٌ حاضِر وعليك باليأسِ فإنك لن تيأسِ من شيء قطُّ إلا أغناك اللهّ عنه وإياك وما يُعْتَذر منه فإنك لن تَعْتذر من خير أبداً وإذا عَثر عاثر فاحمد اللهّ أن لا تكون هو.

يا بني خذِ الخيرَ من أهله ودع الشرَّ لأهله وإذا قُمتَ إلى صَلاتك فَصلِّ صلاة وقال عليٌّ بن الحُسن عليهما السلام لابنه: يا بني إن الله لم يَرْضَك لي فأوْصاك بي ورَضيَنى لك فَحَذّرَني منك واعلم أنّ خيرَ الآباء للأبناء مَن لم تَدْعُه المودة إلى التفريط فيه وخيرَ الأبناء للآباء منِ لم يَدْعُه التقصيرُ إلى العُقوق له.

وقال حكيم لابنه: يا بني إن أشدَّ الناس حسرةً يومَ القيامة رجلٌ كَسَب مالاً من غير حِلّه فأدخله النارَ وأوْرَثه مَنْ عَمِل فيه بطاعة الله فأدخله الجنة.

عَمْرو بن عُتْبَة قال: لما بلغتُ خمسَ عشرةَ سنة قال لي أبي: يا بني قد تَقَطعَتْ عنك شرائع الصِّبَا فالزَم الحياء تكن من أهله ولا تُزَايِلْه فَتَبِين منه ولا يَغُرَّنك من اغترَّ بالله فيك فمَدحك بما تعلم خلافَه من نفسك فإنه من قال فيك من الخير ما لم يعْلَم إذا رَضي قال فيك من الشرّ مثلَه إذا سَخِط.

فاستأنس بالوُحْدَة من جُلساء السَّوءِ تَسْلَم من غِبّ عواقبهم.

وقال عبد الملك بنُ مَرْوَان لبَنيه: كُفّوا الأذى وابذُلوا المعرِوف واعْفوا إذا قَدَرْتم! ولا تَبْخَلوا إذا سئلتم ولا تُلْحِفوا إذا سألتم فإنه من ضيّق ضُيِّق عليه ومن أعطى أخْلَفَ اللهّ عليه.

وقال الأشعثُ بن قيس لبنيه: " يا بني " " لا " تَذِلُّوا في أعراضكم وانخدعوا في أموالكم ولتَخِفَّ بُطونُكم من أموال الناس وظهوركم من دمائهم فإنّ لكلِّ امرىء تَبِعة وإياكم وما يُعتَذر " منه " أو يُستحى فإنما يُعتذر من ذنب ويستحى من عَيب وأصْلِحوا المالَ لجفوة السُّلطان وتَغيُّر الزمان وكُفُّوا عند الحاجة عن المسألَة فإنه كفي بالردّ مَنْعا وأجملُوا في الطلب حتى يوافق الرِّزْق قدَرا وامنعوا النساءَ من غير الأكفاء فإنكم أهلُ بَيْت يتأسىّ بكم الكريمُ ويتشرَف بكم اللئيم وكونوا في عوامّ الناس ما لم يَضْطرب الحبْلُ فإذا اضطرب الحبلُ فالحقوا بعشائركم.

وكتب عمرُ بن الخطّاب إلى ابنه عبد الله في غَيْبة غابها: أمَّا بعد فإنّ مَن اتقى اللّه وَقاه ومن اتْكل عليه كفاه ومن شكَرَ له زاده ومن أقْرَضه جَزاه فاجعل التَّقوى عِمارة قلبك وجَلاءَ بَصرك فإنه لا عمَل لمن لا نِيَّة له ولا خيرَ لمن لا خَشْيَة له ولا جديد لمن لا خلق له.

وكتب عليُّ بن أبي طالب إلى وَلده الحَسن عليهما السلام: من عليّ أمير المؤمنين الوالدِ الفان المقرّ للزَّمان المَستَسْلم للحَدَثان: المُدْبر العُمر المُؤمّل ما لا يُدْرك السالك سبيلَ مَن قد هَلَك غرَض الأسقام ورهينة الأيّام وعبْد الدنيا وتاجر الغُرور وأسير المنَايَا وقرين الرَّزايا وصريع الشهوات ونُصْب الآفات وخليفة الأموات أما بعد يا بني فإن فيما تَفكرَّت فيه من إدبار الدُّنيا عني وإقبال الآخرة إليّ وجُموح الدهر علىّ ما يُرَغِّبنى عن ذكر سواي والاهتمام بما ورائي غيرَ أنه حين تفرّد بي همّ نفسي دون همّ الناس فَصدَقني رأي " وصرَفني عن هواي " وصرَح بي مَحْضُ أمري فأفْضىَ بي إلى جِدٍّ لا يُزْري به لَعِب وصِدْق لا يَشو به كَذِب وَوَجَدْتُك يا بُنيّ بَعضي بل وجدتُك كُلِّي حتى كأنّ شيئاً لو أصابك لأصابني وحتى كأنّ الموت لو أتاك أتاني فعند ذلك عَنَاني من أمرك ما عَنَاني من أمر نَفْسي.

كتبتُ إليك كتابي هذا يا بُني " مُستظهراً به " إن " أنا " بَقِيت " لك " أو فَنِيت فإني مُوصيك بتقوى الله وعِمَارة قلبك بذكره والاعتصام بحَبْله فإنَّ الله تعالى يقول: " وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ

شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ " وأيُّ سبب يا بُني أوْثق من سبب بينك وبين الله تعالى " إن أنت أخذت به ".

أحْي قلبك بالموْعظة ونَوِره بالحكمة وأَمِّنه بالزَّهْد وذَلِّلهُ بالموت وقَوِّهِ بالغِنَى عن الناس وحَذِّرْه صولةَ الدَّهر وتقلُّبَ الأيام والليالي.

واعرض عليه أخبارَ الصين وسِرْ في ديارهم وآثارهم فانظرُ ما فعلوه وأين حلُّوا فإنك تَجِدهم قد انتقلوا عن دار الأحبّة ونزلوا دارَ الغُرْبة وكأنك عن قليل يا بنيّ قد صرت كأحدهم فبِعْ دنياكَ بآخرتك ولا تبعْ آخرتك بدُنياك ودَع القولَ فيما لا تَعْرِف والأمرَ فيما لا تكلَّف وأْمُر بالمعروف بيَدِك ولسانك وَانْهَ عن المنكر بيدك ولسانك وبايِنْ مَن فعَلَه وخُض الغَمَرَاتِ للحق ولا تأخُذْك في الله لوِمةُ لائم واحفظ وَصيَّتي ولا تَذْهَب عنك صَفْحاً فلا خير في عِلْم لا ينفع.

واعلم " أنَّ أمامك طريقاً ذا مسافة بعيدة ومشقة شديدة " وأنه لا غِنى لك فيه عن حُسْن الارتياد مَع بلاغك منِ الزَّاد.

فإن أصَبتَ من أهلِ الفاقة مَنْ يحمل عنك زادك فيُوافيك به في مَعارك فاغْتنِمه فإن أمامكَ عَقَبَةً كَؤُداً لا يُجاوزها إلا أخفُّ الناس حْملاَ فأجْمل في الطلب وأحسِن المكتسب فرُب طَلَب قد جرَّ إلى حَرَب وإنما المحْرُوب من حُرِبَ دِينُه والمسلوبُ من سُلِب يقينه.

واعلم أنه لا غِنى يَعْدِل الجنَّة ولا فقْرَ يَعْدِل النار.

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وكتب إلى ابنه محمد بن الحنفية: أنْ تَفَقّه في الدّين وعَوِّد نفسَكَ الصبر على المَكْروه وكِلْ نَفْسَك في أمورك كلِّها إلى الله عزَّ وجلَّ فإنك تَكِلُها إلى كهف.

وأخْلِص المسألة لربِّك فإنّ بيده العَطاء والحِرمان.

وأكثر الْاسْتخارة له واعلم أنَّ من كانت مَطيّته الليلَ والنهار " فإنه " يُسار به وإن كان لا يَسير فإنَّ الله تعالى قد أبى إلا خرابَ الدنيا وعمارة الآخرة.

فإن قَدرتَ أن تَزْهد فيها زُهْدَك كلّه فافعل ذلك وإن كنتَ غير قابل نَصِيحتي إيّاك فاعلَم عِلْماً يَقِيناً أنك لن تَبْلُغ أملك ولن تَعْدو أجلك وأنك في سَبيل مَن كان قَبْلك فأكْرِم نفسَك عن كل دَنِيَّة وإن ساقتك إلى الرغائب فإنك لن تَعتاض بما تَبْذُلُ من نفسك " عوضاً ".

وإيّاك أن تُوجِف بك مَطايا للطمع وتقول: متى ما أخِّرت نزعتُ فإنَّ هذا أهْلَك مَن هَلك قَبْلَك.

وأمسِك عَليك لسانك فإنَ تَلافِيكَ ما فرط من صَمْتك أيْسر عليك من إدراك ما فات من مَنْطقك واحفَظْ ما في الوِعاء بشدّ الوكاء فحُسْن التَّدبير مع الاقتصاد أبْقى لك من الكثير مع الفَساد والحُرْفة مع العِفّة خير من الغِنَى مع الفجور والمَرْء أحفظُ لسِرّه ولربما سَعى فيما يَضرُه.

إياك والاتّكالَ على الأماني فإنها بضائع النَّوكي وتَثبط عن الآخرة والأولى.

ومن خير حظّ الدنيا القَرين الصالح فقارنْ أهلَ الخَير تَكُن منهم وباين أهلَ الشر تَبِنْ عنهم ولا يَغْلبنَ عليك سوء الظنّ فإنه لن يَدعَ بينك وبين خليل صُلْحاً.

أذك قلبك بالأدب كما تذكى النار الحطب واعلم أنّ كُفْر النِّعمة لُؤْم وصُحْبة الأحمق شُؤم ومن الِكَرَم مَنْع الحُرَمِ ومَن حَلُم ساد ومَن تَفَهّم ازداد.

آمْحَض أخاك النصيحةَ حسنةً كانت أو قبيحةً.

لا تَصرْم أخاك على ارتياب ولا تَقْطعه دون استعتاب وليس جزاء من سرّك أن تَسُوءه.

الرزق رِزْقان: رِزْق تَطْلبه ورِزْق يَطلبك فإن لم تأته أتاك.

واعلم يا بُني أن مالَك من دُنياك إلا ما أصلحت به من مَثْواك فأنْفق من خَيْرك ولا تَكن خازناً لِغَيرك وإن جَزعْت على ما يُفلت من يديك فاجزع على ما لم يَصِل إليك.

ربما أخطأ البصيرُ قَصْدَه وأبصر الأَعمى رُشْدَه ولم يَهْلك أمرؤ اقتصد ولم يَفْتقر من زَهد.

مَن ائتمن الزمانَ خانه ومن تَعظّم عليه أهانه.

رأسُ الدين اليقين وتمام الإخلاص اجتناب المَعاصي وخيرُ المَقال ما صَدّقَته الفِعَال.

سَلْ عن الرَّفيق قبل الطريق وعن الجار قبل الدّار واحمل لِصَديقك عليك واقْبل عُذْر مَن اعتذر إليك وأخر الشرَّ ما استطعت فإنك إذا شِئْت تَعجّلته.

لا يكن أخوك على قَطِيعتك أقوَى منك على صِلَته وعلى الإساءة أقوى منك على الإحسان.

لا تُمَلّكن المرأة من الأمر ما يَجاوز نفسها فإنَّ المرأة رَيْحانة وليست بِقَهْرمانة فإنَّ ذلك أدومُ لحالها وأرخَى لبالها.

واغضُض بصرَها بِستْرك واكفُفْها بحجابك وأكرم الذين بهم تَصُول وإذا تطاولتَ بهم تَطُول.

اسأل الله أن يُلْهمك الشكر والرَّشد ويُقَوِّيك على العمل بكل خَيْر ويَصرف عنك كل مَحْذور برحمته والسلامُ عليك ورحمة الله وبركاته.

مقامات العباد عند الخلفاء

مقام صالح بن عبد الجليل قام صالح بن عبد الجَليل بين يدي المهديّ فقال له: إنه لما سَهُل علينا ما توعّر على غيرنا منِ الوصول إليك قُمْنا مَقام الأدَاء عنهم وعنِ رسول الله صلى الله عليه وسلم بإظْهار ما في أعناقنا من فريضة الأمرِ والنهْي عند انقطاع عُذْرِ الكِتْمان ولا سيّما حين اتّسمتَ بميسم التَواضع ووعَدت الله وحَملة كتابه إيثارَ الحق على ما سواه فَجَمعنا وإياك مشهدٌ من مشاهد التَّمحيص.

وقد جاء في الأثر: مَن حَجَب الله عنه العِلْم عَذَبه على الجَهل وأشدُّ منه عذاباً من أقبل إليه العلمُ فأدبر عنه فأقبل يا أمير المُؤمنين ما أهْدي إليك من ألْسنتنا قَبولَ تحقيق وعمل لا قَبول سُمعةٍ ورياء فإنما هو تَنْبيه من غَفْلة وتذْكير من سَهْو وقد وَطّن الله " عزَ وجلَّ " نَبيّه " عليه السلام " على نُزولها فقال تعالى: " وإمّا يَنْزغَنْك مِن الشَّيطان نزْغ فاسْتعذ باللّه إنه هو السَّمِيع العَليم ".

مقام رجل من العباد عند المنصور بينما المنصورُ في الطَراف بالبَيْت ليلاً إذ سَمِع قائلا يقول اللّهم إني أشكُو إليك ظُهور البغي والفَساد في الأرض وما يحولُ بين الحقّ وأهله من الطّمع.

فخرج المنصورُ فَجَلس ناحية من المَسجد وأرسل إلى الرجل يدعوه فصلّى رَكْعتين واستَلم الركن وأقبل مع الرسول فسلّم عليه بالخلافة فقال المنصورُ: ما الذي سمعتُك تذكُر من ظُهور الفَساد والبغي في الأرض وما الذي يحَول بين الحقّ وأهله من الطّمع فواللّه لقد حَشَوْتَ مسامعي ما أرْمَضني.

فقال: إنْ أمَنتني يا أميرَ المؤمنين أعلمتك بالأمور من أصولها وإلاّ احتجرتُ منك واقتصرتُ على نفسي فلي فيها شاغِل.

قال: فأنتَ آمنٌ على نفسك فقُل.

فقال: يا أميرَ المؤمنين إنَّ الذي دخله الطمعُ وحال بينه وبين ما ظَهر في الأرض من الفساد والبغي لأنت فقال: فكيف ذلك وَيْحك! يَدْخلُني الطمع والصفراء والبَيضاء في قَبْضتي والحَلْو والحامض عندي قال: وهل دَخل أحدٌ من الطمع ما دَخلك إنَّ الله استرْعاك أمرَ عِباده وأموالهم فأغفلت أمورهم واهتممت بجَمْع أموالهم وجعلتَ بينك وبينهم حجاباً من الجَصّ والآجُرّ وأبواباً من الحديد وحَرّاساً معهم السّلاح ثم سجنتَ نفسك عنهم فيها وبَعثتَ عُمَّالك في جباياتِ الأموال وجَمْعها " وقوّيتهم بالرجال والسلاح والكُراع " وأمرت أن لا يدخل عليك أحدٌ من الرجال إلا فلانٌ وفلانٌ نفراً سميتهم ولم تَأمر بإيصال المَظلوم ولا الملْهوف ولا الجائع العارِي " ولا الضَّعيف الفقير " إليك ولا أحدٌ إلا وله في هذا المال حقّ فلما رآك هؤلاء النفرُ الذين استَخْلصتهم لنفسك وآثرتَهم على رعيّتك وأمرتَ أن لا يُحجبوا دونك تَجْبي الأموالَ وتَجمعها قالوا: هذا قد خان الله فما لنا لَا نخونه فإئتمروا أنْ لا يصلَ إليك من عِلْم أخبار الناس شْيءٌ إلا ما أرادوا ولا يَخْرُجَ لك عاملٌ " فيُخالفَ أمرهم " إلا خَوّنوه عندك ونفَوْه حتى تسقطَ منزلتُه فلما انتشر ذلك عنك وعَنهم أعْظَمهم الناسُ وهابوهم وصانَعُوهم فكان أولَ من صانَعهم عُمّالُك بالهدايا والأموال لِيَقْووا بها على ظُلم رعيّتك ثم فعل ذلك ذوو المقْدرة والثروة من رعيّتك لينالوا ظُلْم

مَن دونهم فامتلأت بلادُ الله بالطّمع ظُلْماً وبَغْياً وفساداً وصار هؤلاء القومُ شركاءك في سُلْطانك وأنت غافل فإن جاء مُتظلِّم حِيل بينك وبينه.

فإنْ أراد رَفْع قِصّته إليك عند ظُهورك وَجدك قد نَهَيْتَ عن ذلك ووقفت للناس رجلاً يَنْظر في مَظالمهم فإن جاء ذلك المتظلِّم فبَلغ بطانتَك خبرُه سألوا صاحبَ المظالم أن لا يَرْفع مَظلَمتَه إليك " فإن المتظلِّم منه له بهم حُرْمة فأجابهم خوفاً منهم " فلا يَزال المظلومُ يَختلف إليه ويَلُوذ به ويَشْكو ويَسْتغيث وهو يَدْفعه فإذا أجْهد وأحْرج ثم ظَهَرْت صَرخ بين يديك فيُضرب ضرباً مُبرِّحاً يكون نَكالاً لغيره وأنت تَنظر فما تُنْكِر فما بَقاء الإسلام "على هذا " وقد كنتُ يا أمير المؤمنين أسافر إلى الصِّين فقدِمتها مرَّةً وقد أُصيب ملكُها بسَمْعه فَبكى بُكاءَ شديداً فحثّه جُلساؤه على الصَبر فقال أما إني لستُ أبكي للبليّة النازِلة بي ولكني أبْكي لمظلوم يصرُخ بالباب فلا أسمع صوتَه.

ثم قال: أمَا إذ قد ذهب سَمْعي فإنّ بَصري لم يَذْهب نادُوا في النّاس أن لا يَلْبس ثوباً أحمرَ إلا مُتظلِّم.

ثم كان يركب الفيلَ طَرَفي النهار وينظُر هل يَرى مظلوماً.

فهذا يا أمير المؤمنين مُشرك باللّه بلغتْ رأفته بالمُشركين هذا المبلغ وأنت مُؤمن باللّه من أهل بيت نبيّه لا تَغْلبك رأفتك بالمُسلمين على شُحّ نفسك فإن كنتَ إنما تَجمع المال لولدك فقد أراك الله عِبَراً في الطِّفل يَسقط من بَطن أمه مالَه على الأرض مال وما من مال إلا ودونه يدٌ شَحيحة تَحْويه فما يَزال الله يلطف بذلك الطفل حتى تعْظُم رغبة الناس إليه ولستَ الذي تُعطي بل الله الذي يعطي من يشاء ما يشاء فإن قلتَ إنما تَجْمَع المال لتَشُدَّ به السلطان فقد أراك الله عِبراً في بني أمَيّة ما أغنى عنهم جمعُهم من الذَّهب وما أعدُّوا من الرِّجال والسلاح والكُرَاع حين أراد الله بهم ما أراد وإن قلت إنما تجمع المالَ لطلب غايةٍ هي أجسم من الغاية التي أنت فيها فواللّه ما فَوق ما أنت فيه إلا منزلةٌ لا تُدْرك إلا بخلاف ما أنتَ عليه.

يا أميرَ المؤمنين هل تُعاقب مَن عَصَاك بأشدّ من القتل فقال المنصور: لا فقال: فكيف تَصنع بالمَلِك الذي خَوَّلك مُلْك الدنيا وهو لا يُعاقب مَن عَصاه بالقتل ولكن بالخُلود في العذاب الأليم قد رأى ما عُقد عليه قلبك وعَملته جوارحك ونَظَر إليه بَصرك واجترَحَتْه يداك ومَشَت إليه رِجْلاك هل يُغْني عنك ما شَحِحْتَ عليه من مُلْك الدُّنيا إذا انتزَعَه من يدك ودعاكَ إلى الحِساب قال: فَبكى المنصورُ ثم قال: ليتَنِي لم أخْلق.

ويحك! فكيف أحتال لِنَفْسي فقال: يا أمير المؤمنين إنَّ للناس أعلاماً يَفْزَعون إليهم في دينهم ويَرْضَوْن بهم في دُنياهم فاجعلهم بطانَتك يُرْشدوك وشاوِرْهم في أمْرِكَ يُسَدِّدوك قال: قد بعثتُ إليهم فهربوا منِّي قال: خافُوك أن تَحملهم على طَريقَتِك ولكن افْتَح بابَكَ وسهِّل حِجَابك وانصُر المظلوم واقمع الظالم وخُذِ الفَيْءَ والصدقات من حِلّها واقسمها بالحقّ والعدْلِ على أهلها وأنا ضامن عنهم أن يأتوك ويساعدوك على صلاح الأمة.

وجاءَ المؤذِّنون فسلَّموا عليه فصلّى وعاد إلى مَجْلسه وطُلِب الرجُل فلم يوجد.

مقام الأوزاعي بين يدي المنصور قال الأوزاعيّ: دخلتُ عليه فقال لي: ما الذي بَطّأ بك عني قلتُ: وما تُريد منّي يا أمير المؤمنين قال: الاقتباس منك قلتُ: يا أمير المؤمنين انْظُر ما تقول فإنّ مَكحولا حدَّثني عن عطيَّة بن بُسْر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: مَنْ بَلغتْه عن اللّه نصيحةٌ في دِينه فهي رحمةٌ من الله سِيقت إليه فإنّ قَبِلها من الله بشكرو إلا فهي حُجَّة من الله عليه ليَزداد إثماً ويزدادَ الله عليه غَضباً " وإن بلغه شيء من الحق فرضي فله الرضا وإن سَخِطَ فله السّخْط ومَن كرهه فقد كره الله عزَّ وجلَّ لأنَّ الله هو الحق المبين ".

ثم قلتُ: يا أميرَ المُؤْمنين إنك تحمّلت أمانة هذه الأمة وقد عُرضت على السَّمواتِ والأرض فأَبَين أَنْ يَحْمِلْنَها وَأشْفَقْنَ مِنْهَا.

وقد جاء عن جدِّكَ عبد اللهِ بن عبّاس في تفسير قول الله عزّ وجلّ: " لا يُغَادرُ صَغِيرَةً وَلا كَبيرَةً إلا أَحْصَاهَا ".

قال: الصِّغيرة: التبسّم.

والكبيرة: الضحك.

فما ظنك بالقول والعمل فأَعيذك باللّه يا أَميرَ المُؤْمنين أن تَرى أنّ قَرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم تَنْفعك مع المُخالفة لأمره فقد قال للّه: يا صفِيّة عمة محمّد ويا فاطمة بنت محمّد استَوْهِبا أنفسكما من الله فإنّي لا أُغْنِي عنكما من الله شيئاً.

وكذلك جدَك العبَّاس سأل إمارةً من النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أيْ عمّ نفسٌ تُحييها خيرٌ لك من إمارة لا تُحْصِيها.

نظراً لعمه وشفقةً عليه من أن يَليَ فيحيد عن سُنّتِه جَنَاح بعوضة فلا يستطيع له نَفْعاً ولا عنه دَفْعاً.

وقال صلى الله عليه وسلم: ما منَ راع يَبِيتُ غاشاً لرعيّتِه إلا حَرّمَ الله عليه رائحةَ الجنَّة.

وحقِيق على الوالي أن يكونَ لرعيَّته ناظِراً ولما استطاع من عَوْرَاتِهم ساتراً وبالحق فيهم قائماً فلا يتخوّف مُحْسنهم منه رَهَقاً ولا مُسِيئهم عَدْوَاناً فقد كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جَريدةٌ يَستاك بها ويَرْدَعُ المنافقين عنه فأتاه جبريلُ فقال: يا محمد ما هذه الجريدة التي معك اتْرُكها لا تَمْلأ قلوبهم رُعْباً.

فما ظنُّك بمن سَفك دِمَاءَهم وقطّع أستارَهم ونهب أموالهمِ يا أمير المؤمنين إن المغفور له ما تقدّمَ من ذنبه وما تأخّر دعا إلى القِصاص من نفْسه بِخَدْش

خَدَشه أَعرابيّاً لم يتعمَّده فقال جبريلُ: يا محمد إنّ الله لِم يَبْعثك جبّاراً تَكْسِر قَرون أُمّتك.

واعلم يا أمير المؤمنين أن كلَّ ما في يدك لا يعَدِلُ شرْبةً من شَرَاب الجنَّة ولا ثمرَةً من ثِمارها ولو أن ثوباً من ثِياب أهل النار عُلِّق بين السماء والأرض لأَهْلك الناسَ رائحتُه فكيف بمن تَقَمّصه! ولو أن ذَنوباً من " صَديد أهل " النار صُبّ على ماء الدُّنيا لأَخَمَّه فكيف بمن تجرّعه! ولو أنَ حَلْقة من سَلاسل جهنَّم وُضعت على جبَل لأذابتْه فكف بمن يُسْلَك فيها وَيُرَدّ فَضْلُها على عاتقه! كلام أبي حازم لسليمان بن عبد الملك حجّ سُليمان بن عبد الملك فلما قَدِمَ المدينةَ للزيارة بَعث إلى أبي حازم الأعرج وعنده ابن شِهاب فلما دخل قال: تكلّم يا أبا حازم.

قال: فيم أتكلّم يا أمير المُؤمنين قال: في المَخْرج من هذا الأمر قال: يَسِيرٌ إن أنت فعلتَه قال: وما ذاك قال: لا تأخذ الأشياءِ إلاّ من حِلِّها ولا تَضَعْها إلا في أهلها قال: ومن يَقوى على ذلك قال: مَن قلَّدَه الله من أمر الرعيّة ما قلَّدك.

قال: عِظْني يا أبا حازم قال: اعلم أنَّ هذا الأمر لم يَصِرْ إليك إلا بمَوْت من كان قَبْلَك وهو خارجٌ من يديك بمثل ما صار إليك.

قال: يا أبا حازم أَشِر عليَّ قال: إنما أنت سُوق فما نفق عندك حُمِل إليك من خير أو شرّ فاشتر أيَّهما شِئتَ.

قال: مالك لا تأتينا قال: وما أَصنع بإتيانِك يا أمير المؤمنين إنَّ أَدْنَيْتَني فتنْتَني وإن أقصَيتني أَحْزَيْتني وليس عندك ما أرجوك له ولا عِنْدي ما أَخافُك عليه.

قال: فارفع إلينا حاجتَك قال: قد رفعتُها إلى ما مَن هو أقدرُ منك عليها فما أعطاني منها قَبِلْتُ وما مَنَعَني منها رَضِيتُ.

مقام ابن السمَّاك عند الرشيد دَخل عليه فلما وَقف بين يديه قال له: عِظْني يابن السمَّاك وأوجز.

قال: كفي بالقُرآن واعظاً يا أميرَ المؤمنين قال الله تعالى: " بِسْم الله الرحْمن الرحيم.

وَيلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الّذين إذا اكتالوا على النَّاس يَسْتَوْفُون: " إلى قوله " لِرَبِّ العَالمين ".

هذا يا أمير المؤمنين وَعيدٌ لمن طَفّفَ في الكَيْل فما ظَنُّك بمن أخذه كُلّه وقال له مرة: عِظْني وأتي بماء ليشرَبه فقال: يا أمير المؤمنين لو حُبِسَتْ عنك هذه الشرْبةُ أكنتَ تَفدِيهاَ بمُلْكك قال: نعم قال: فلو حُبِس عنك خُروجُها أكنت تَفديها بمُلْكك قال: نعم " قال ": فما خيرٌ في مُلْك لا يُسَاوي شرْبة ولا بَولَة.

قال: يابن السماك ما أَحْسن ما بَلَغنِي عنك! قال: يا أمير المؤمنين إنَ لي عيوباَ لو اطّلع الناسُ منها على عيب واحد ما ثبتتْ لي في قَلب أحد موِدّة وإني لخائفٌ في الكلام الفِتْنة وفي السرّ الغِرّةً وإني لخائفٌ على نَفْسي من قِلّة خوْفي عليها.

كلام عمرو بن عبيد عند المنصور دخل عمرو بن عُبيد على المَنصور وعنده ابنه المهديّ فقال له أبو جعفر: هذا ابن أمير المؤمنين ووليُّ عهد المسلمين ورَجائي أن تَدْعو له فقال: يا أمير المؤمنين أراك قد رَضيتَ له أموراً يصير إليها وأنت عنه مَشْغول.

فاستَعْبر أبو جعفر وقال له: عِظْني أبا عثمان قال: يا أمير المؤمنين إنَّ الله أعطاك الدّنيا بأسرها فاشتر نفسَك منه بِبعْضها هذا الذي أصبح في يديك لو بقي في يدِ مَن كان قبلك لم يَصِل إليك.

قال: أبا عثمان أعِنّي بأصحابك قال: ارفع عَلَم الحق يَتبْعك أهلُه ثم خرج فأتْبعَه أبو جعفر بصرُّة فلم يَقبلها وجعل يقول: كُلّكم يَمْشي رُوَيد كُلّكم خاتِلُ صَيد غيرَ عمرو بنِ عُبيد خبر سفيان الثوري مع أبي جعفر لقي أبو جعفر سُفْيان الثَّوريَّ في الطواف وسُفيان لا يَعْرفه فَضرب بيده على عاتِقه وقال: أتَعْرفني قال: لا ولكنّك قَبضت عليّ قَبْضة جبّار.

قال: عِظْني أبا عبد الله قال: وما عملتَ فيما عَلِمتَ فأَعِظَك فيما جَهِلْت قال: فما يَمْنعك أن تَأتَينا قال إنَّ الله نهى عَنْكم فقال تعالى: " وَلا تَرْكَنُوا إلى الّذِين ظَلَمُوا فَتَمَسّكم النَّار ".

فمسح أبو جعفر يدَه به ثم التفت إلى كلام شبيب بن شِيبة للمهدي قال العُتْبي: سألتُ بعضَ آل شَبيب بن شَيْبة أتَحْفظون شيئاً من كلامه قالوا: نعم قال للمهديّ: يا أميرَ المؤمنين إنَّ الله إذ قَسَّم الأقسام في الدَّنيا جعل لك أسناها وأعلاها فلا تَرْض لنفسك في الآخرة إلا مثلَ ما رَضي لك به من الدنيا فأوصيك بتَقْوى اللّه فَعَليكم نَزَلت ومِنكم أخذت وإليكم تُرَدّ.

من كره الموعظة لبعض ما يكون فيها من الغلظ أو الخرق قال رجل للرَّشيد: يا أمير المؤمنين إنّي أريد أن أعِظك بِعظةٍ فيها بعض الغِلْظة فاحتَمِلها قال: كلاّ إنَّ الله أمر مَن هو خيرٌ منك بإلانة القول لمن هو شرٌّ مني قال لنبيّه موسى " عليه السلام " إذ أرسله إلى فرعون: " فقُولا له قَوْلاً لَيِّناً لَعلّه يَتَذكر أو يَخْشى ".

دخل أعرابيٌّ على سُليمان بن عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين إني مُكلِّمك بكلام فاحتَمِلْه إن كرهتَه فإن وراءه ما تُحب إن قبلتَه قال: هات يا أعرابيّ قال: إني سأطلق لساني بما خَرستْ عنه الألْسُن من عِظتك تأديةً لحق الله تعالى وحقِّ إمامتك إنه قد اكتَنفك رجال أساءوا الاختيار لأنفسهم فابتاعوا دُنياك بدينهم ورِضاك بسُخْط ربهم خافُوك في الله ولم يَخافوا الله فيك فهم حَرْب للآخرة سِلْم للدنيا فلا تأمنهم علِى ما ائتمنك الله عليه فإنهم لا يألونك خبالاً والأمانة تَضيعاً والأُمةَ عَسْفاً وخَسْفاً وأنت مَسْؤول عما اجترحوا وليسوا مَسْؤولين عما اجترحتَ فلا تُصْلح دُنياهم بفَساد آخرتك فإنَّ أخْسَر الناس صَفْقةً يوم القيامة وأعظمَهم غبْناً مَن باع آخرتَه بدُنيا غيره.

قال سليمان: أما أنت يا أَعرابيّ فقد سَلَلْتَ لسانك وهو أحدّ سيفَيْك.

قال: أجلْ يا أمير المؤمنين لك لا عليك.

ووعظ رجل المأمون فأَصغَى إليه مُنْصَتاً فلما فَرغ قال: قد سمعتُ موعظتك فاسأل الله أن ينفعنا بها وبما عَلِمنا غيرَ أنّا أحوجُ إلى المُعاونة بالفِعال مِنّا إلى المُعاونة بالمَقال فقد كَثُر القائلون وقَلّ الفاعلون.

العُتْبِيُّ قال: دَخل رجلٌ من عَبد القَيْس على أبي فَوَعِظه فلما فَرغ قال أبي له: لَو اتّعظنا بما عَلِمنا لا نْتَفعْنا بما عَمِلْنا ولكنّا عَلِمنا عِلماً لزمتنا فيه الحُجَّة وغَفَلنا غَفْلةَ مَن وَجبت عليه التِّقمة فَوُعظنا في أنفسنا بالتَّنقل من حال إلى حال ومن صِغَرٍ إلى كِبر ومن صِحَّة إلى سَقم فأبينا إلا المُقام على الغَفْلة وإيثاراً لعاجل لَا بقاءَ لأهله وإعراضاً عن آجل إليه المصير.

سعد القَصِير قال: دَخل أناسٌ من القُرّاءِ على عُتْبة بنِ أبي سَفيان فقالوا: إنّك سَلّطت السيفَ على الحقّ ولم تسلِّط الحقَّ على السَّيف وجئت بها عَشوة خَفِيّة.

قال كَذَبْتُم: بل سلّطت الحقّ وبه سُلِّطتَ فاعرفوا الحقَّ تَعْرفوا السيفَ فإنكم الحاملون له حيثُ وَضعه أفضل والواضعون له حيثُ حَمْله أعدل ونحِن في أول زمان لم يأتِ آخرُه وآخر دَهْر قد فات أولُه فصار المَعْروف عندكم مُنْكراً والمُنكر معروفاً وإني أقول لكم مَهْلاً قبلَ أن أقول لنفسي هلا قالوا: فَنَخْرج آمِنين قال: غيرَ راشدين ولا مَهْدِيِّين.

حاد قوم سَفْر عن الطريق فَدَفعوا إلى راهب مُنْفرد في صَوْمعته فنادَوْه فأشرف عليهم فسألوه عن الطريق فقال: ها هنا وأومأ بيده إلى السماء فَعلِموا ما أراد فقالوا: إنا سائلوك قال: سَلُوا ولا تُكْثِرُوا فإن النهار لا يرجع والعُمْر لا يعود والطالبَ حثيث قالوا: علام الناسُ يومَ القيامة قال: على نيَّاتهم وأعمالهم قالوا: إلى أين المَوْئل قال: إلى ما قَدَّمتم قالوا: أوصِنا قال: تزَوَّدُوا على قَدْر سَفركم فَخَيْر الزاد ما بَلَّغ المحلّ ثم أرشدهم الجادَّة وانْقمع.

وقال بعضهم: أتيت الشامَ فمررتُ بدَيْر حَرْملة فإذا فيه راهبٌ كأنّ عينيه مَزادتان فقلت له: ما يُبْكيك قال: يا مُسلم أبْكي على ما فَرّطت فيه من عُمري وعلى يوم يَمْضي من أجلي لم يَحْسُن فيه عملي.

قال: ثم مررتُ بعد ذلك فسألتُ عنه فقيل لي: إنه قد أسلم وغزا الرومَ وَقُتل.

قال أبو زَيْد الحيريّ: قلت لثوبانَ الراهب: ما مَعنى لُبْس الرهبان هذا السواد قال: هو أشبهُ بلباس أهل المصائب قلت: وكلّكم معشرَ الرُّهبان قد أصيب بمُصيبة قال: يَرْحمكَ اللّه وهل مُصيبة أعظمُ من مَصائب الذنوب على أهلها قال أبو زيد: فما أذكُر قوله إلا أبكاني.

حبيبٌ العَدَويّ عن موسى الأسْوَارِيّ قال: قال: لما وقعتْ الفِتْنه أردتُ أن أحْرِزَ ديني فخرجتُ إلى الأهْواز فَبلغ آزادمَرْد قُدومي فبعثَ إليّ مَتاعاً فلما

أردتُ الانصراف بلغني أنه ثَقِيل فدخلتُ عليه فإذا هو كالخَفاش لم يَبق منه إلا رأسه فقلت: ما حالُك قال: وما حالُ مَنْ يُريد سفراً بعيداً بغير زاد ويَدْخل قبراً موحِشاً بلا مُؤنس وَينْطلق إلى مَلك عَدْل بلا حُجَّة ثم خرجتْ نفسُه.

العُتبيُّ قال: مررتُ براهب باكٍ فقلتُ: ما يُبكيك قال: أمْرٌ عَرفتُه وقَصرُت عن طلبه ويومٌ مَضى من عُمري نقص له أجلي ولم يَنْقُص له أملي.

باب كلام الزهاد وأخبار العباد

قيل لقوم من العُبَّاد: ما أقامكم في الشَّمس قالوا: طلَب الظِّل.

قال علقمةُ لأسودَ بنِ يزيد: كم تُعذِّب هذا الجسدَ الضَّعيف قال: لا تنال الراحة إلا بالتَّعب.

وقيل لآخر: لو رفقتَ بنفسك قال: الخيرُ كلُّه فيما أُكْرِهت النفوسُ عليه قال النبي صلى الله عليه وسلم: حُفّت الجنَّة بالمكاره.

وقيل لمَسروق بن الأجْدع: لقد أضررتَ ببدنك قال: كرامتَه أُريد.

وقالت له امرأته فَيْروز لما رأتْه لا يُفْطِر من صيام ولا يَفْترَ عن صلاة: ويلك يا مسروق! أما يعْبد اللهِ غيرُك أما خُلقت النارُ إلا لك قال لها: وَيحْك يا فيروز! إن طالب الجنة لا يَسأم وهاربَ النار لا ينام.

وشَكت أم الدَرداء إلى أبي الدَّرداء الحاجة فقال لها: تصبَّري فإنّ أمامَنا عَقَبةً كئُوداً لا يجاوزها إلا أخفُّ الناس حِمْلاً.

ومر أبو حازم بسُوق الفاكهة فقال: مَوْعدك الجنّة.

ومرَّ بالجزَّارين فقالوا له: يا أبا حازم هذا لحم سمين فاشتَر قال: ليس عندي ثَمَنُه قالوا: نُؤخرك قال: أنا أُؤخر نفسي.

وكان رجل من العُبَّاد يأكل الرُّمان بِقشرْه فقيل له: لم تَفْعل هذا فقال: إنما هو عدوّ فأثْخن فيه ما أمكنك.

وكان عليّ بن الحُسين عليهما السلام إذا قام للصلاة أخذتْه رِعْدةٌ فسُئِل عن ذلك فقال: وَيحْكم! أتَدْرُون إلى من أقُوم ومَن أُرِيد أن أناجي وقال رجل ليونس بن عُبيد: هل تَعلم أحداً يَعمل بِعَمل الحسن قال: لا واللهّ ولا أحداً يقول بقَوْله.

وقيل لمحمد بن عليّ بن الحُسين أو لعليّ بن الحُسين عليهم السلام: ما أقلَّ وَلَدَ أبيك قال: العجبُ كيف وُلدْتُ له! وكان يصلّي في اليوم والليلة ألفَ ركعة فمتى كان يَتَفَرع للنساء وحَجَّ خمسة وعشرين حِجَّة راجلا.

ولما ضُرِب سعيدُ بن المُسَيِّب وأُقيم للناس قالت له امرأة: " يا شيخ " لقد أُقمت مُقام خزْية فقال: من مُقام الخزية فررتُ.

وشكا الناسُ إلى مالك ابن دينار القحطَ فقال: أنتم تستبطئون المَطر وأنا أستبطئ الحِجارة.

وشكا أهل الكوفة إلى الفُضيل بن عِيَاض القحطَ فقال: أمُدَ بِّراً غيرَ الله تريدون.

وذكر أبو حنيفة أيوبَ السِّخْتيانيّ فقال: رحمه الله تعالى ثلاثاً لقد قَدمَ المدينة مرة وأنا بها فقلت: لأقعدنّ إليه لعلي أتعلَّق منه بسقْطة فقام بين يدي القبر مَقاماً ما ذكرتُه إلا اقشعرَّ له جِلْدِي.

وقيل لأهل مكة: كيف كان عَطاءُ بن أبي رَبَاح فيكم قالوا: كان مثلَ العافية التي لا يُعرف فضلُها حتى تُفْقد.

وكان عطاء أفْطَس أشَلّ أعرج ثم عَمِي وأمه سَوداء تسمَّى بَرَكة.

وكان الأوقص المَخْزُوميّ قاضياً بمكة فما رَئى مثلُه في عَفافه وزُهْده فقال يوماً لِجُلسائه: قالت لي أُمي: يا بني إنك خُلقت خِلْقة لا تصلح معها لمَجَامع الفِتْيان عند القيان " إنك لا تكون مع أحدٍ إلا تَخَطتْك إليه العيون " فعليك بالدِّينِ فإنَّ الله يَرْفَع به الخَسِيسة وُيتمُّ به النَّقيصة.

فنفعني اللهّ تعالى بكلامها وأطعتها فوليتُ القضاء.

الفُضَيل بن عِياض قال: اجتمع محمد بن واسع ومالكُ بن دينار في مجلس بالبصرة فقال مالكُ بن دينار: ما هو إلا طاعة اللهّ أو النار.

فقال محمد بن واسع: ما هو كما تقول ليس إلا عَفْو الله أو النار.

قال مالك: صدقتَ.

ثم قال مالك: إنه يُعجبني أن يكون للرجل مَعِيشة على قدر ما يَقوته.

قال محمد بن واسع: ولا هو كما تقول ولكن يُعْجبني أن يُصبح الرجل وليس له غَدَاء وُيمسى وليس له عَشَاء وهو مع ذلك راضٍ عن اللّه.

قال مالك: ما أحْوَجني إلى أن يُعَلّمني مثلك.

جعفر بن سُليمان قال: سمعتُ عبد الرحمن بن مهَديّ يقول: ما رأيتُ أحداً أفْشَف من شعبَة ولا أعبدَ من سُفيان الثوري ولا أحفظَ من ابن المُبارك وما أحِبُّ أن ألْقَى الله بصحيفة أحد إلا بصحيفة بِشر بنِ مَنصور مات ولم يَدَع قليلاً ولا كثيراً.

عبد الأعلى بن حمَّاد قال: دخلت على بِشر بن مَنصور وهو في الموت فإذا به من السرور في أمر عظيم فقلت له: ما هذا السّرور قال: سُبحان اللهّ! أخرجُ من بين الظالمين والباغين والحاسدين والمُغْتابين وأقْدَم على حَجَّ هارون الرَّشيد فَبلغه عن عابدٍ بمكة مُجاب الدَّعوة مُعْتزل في جِبَال تِهامة فاتاه

هارون الرشيدُ فسأله عن حاله ثم قال له: أوْصِني ومُرْني بَما شِئتَ فواللّه لا عَصَيتك.

فَسكت عنه ولم يَرُدَّ عليه جواباً.

فخرج عنه هارون فقال له أصحابُه: ما مَنعك إذ سألك أن تَأْمرَه بما شِئْتَ - وقد حَلَف أن لا يَعْصيك - أن تأمرَه بتقوى الله والإحسان إلى رعيّته فَخَطَّ لهم في الرَّمل: إنيّ أعظمتُ الله أن يكونَ يَأمره فيَعْصِيه وآمرُه أنا فيطيعني.

عليّ بن حمزة ابن " أُخت " سُفيان الثوري قال: لما مَرِض سُفيان مَرَضه الذي مات فيه ذهبتُ ببَوْله إلى دَيْرانيّ فأَرَيتُه إياه فقال: ما هذا ببول حَنِيفيّ قلت: بلى واللّه من خِيارهم.

قال: فأنا أذهب معك إليه.

قال: فدخل عليه وجَسَّ عِرْقه فقال: هذا رجُلٌ قطَع الحُزن كَبِده.

مُؤرِّق العِجْليّ قال: ما رأيتُ أحداً أفقه في وَرعه ولا أورَعَ لا فِقْهه من محمد بن سيرين ولقد قال يوماً: ما غَشِيتُ امرأةً قط في نوم ولا يقظَة إلا امرأتي أم عبد الله فإني أرى المرأة في النوم فاعلم أنها لا تَحِلّ لي فأصْرف بَصري عنها.

الأصمعي عن ابن عَوْن قال: رأيت ثلاثة لم أَرَ مثلَهم: محمدَ بن سيرين بالعراق والقاسمَ بن محمد بالحجاز ورجاءَ بن حَيْوة بالشام.

العُتْبيّ قال: سمعت أشياخنا يقولون: انتهى الزُّهْد إلى ثمانية من التابعين: عامر بن عبد القيس والحسن بن أبي الحسنِ البَصْريّ وهَرِم بن حيّان وأبي كيف يكون الزهد العُتْبيّ برفعه قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ما الزَّهد في الدنيا قال: أما إنه ما هو بتَحْريم الحَلال ولا إضاعة المال ولكنّ الزهدَ في الدنيا أن تكون بما في يد اللهّ أغنى منك عما في يدك.

وقيل للزُّهريّ: ما الزُّهْد قال: أما إنه ليس تَشْعِيثَ اللِّمَّة ولا قَشْفَ الهيْئَة ولكنّه صرْف النفس عن الشَّهْوَة.

وقيل لآخر: ما الزُّهْد في الدنيا قال: أَن لا يَغْلب الحرامُ صَبْرَك ولا الحلالُ شكرَك وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا رسول اللّه مَنْ أزهدُ الناس في الدنيا قال مَن لم يَنْس المَقابر والبِلَى وآثرَ ما يَبْقى على ما يَفْنى وعَدّ نَفْسه مع الموتى.

وقبل لمحمد بن واسع: مَنْ أزهَدُ الناس في الدُّنيا قال: مَنْ لا يبالي بِيدَ مَن كانت الدنيا.

وقيل للخليل بن أحمد: مَن أزهدُ الناس في الدُّنيا قال: من لم يَطلب المَفْقود حتى يَفْقد المَوْجود.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: الزهد في الدُّنيا مِفْتاح الرَّغبة في الآخرة " والرغبة في الدُّنيا مِفْتاح الزُهد في الآخرة ".

وقالوا: مَثَلُ الدنيا والآخرة كمثَل رجل له امرأتان ضرَّتان إن أرْضى إحداهما أسْخط الأخرى.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: مَن جعل الدنيا أكبرَ همِّه نزَع الله وقال ابن السّماك: الزاهد الذي إن أصاب الدنيا لم يَفرح وإن أصابتْه الدنيا لم يحزن يضحك في المَلا ويَبْكي في الخَلا.

وقال الفُضيل: أصلُ الزهد في الدنيا الرِّضا عن الله تعالى.

صفة الدنيا

قال رجُل لعلي بن أبي طالب كرم الله وَجْهَه: يا أميرَ المؤمنين صِفْ لنا الدّنيا.

قال: ما أصِف مِن دارٍ أولها عَناء وآخرُها فَناء حَلالُها حساب وحَرامها عِقاب مَن اْستغنى فيها فُتِن ومن افتقر فيها حَزِن.

قيل لأرسطاطاليس: صِف لنا الدنيا.

فقال: ما أصِف من دار أولها فَوْت وآخرها مَوْت.

وقيل لحكيم: صف لنا الدنيا.

قال: أمَل بين يديك وأجَل مُطِل عليك وشَيْطان فتّان وأمانِيٌّ جرّارة العِنَا تدعوك فَتستجيب وترجُوها فتَخيب.

وقيل لعامر بن عبد القيس: صف لنا الدنيا.

قال: الدنيا والدةٌ للموت ناقضة للمُبْرَم مُرْتجعة للعطية وكلُّ مَن فيها يجري إلى ما لا يدري.

وقيل لبَكر بن عبد الله المُزنيّ: صِف لنا الدنيا.

فقال: ما مَضى منها فَحُلم وما بَقي فأمانيّ وقيل لعبد الله بن ثَعْلبة: صِف لنا الدنيا قال: أمسُكَ مَذْموم منك ويومُك غير محمود لك وغَدك غير مأمون عليك.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: الدنيا سِجْن المُؤمن وجنَّة الكافر.

وقال: الدنيا عرَضٌ حاضرِ يأْكُل منه البرّ والفاجر والآخرة وَعْد صِدْق يحكم فيها ملك قادر يفصل الحقّ من الباطل.

وقال: الدنيا خَضِرة حُلْوَة فمن أَخذها بحقّها بُورك له فيها ومَن أخذها بغير حقّها كان كالآكِل الذي لا يَشْبع.

وقال ابن مَسعود: ليس من الناس أَحدٌ إلا وهو ضَيْف على الدنيا ومالُه عارية فالضَّيْف مُرْتحِل والعارية مردودة.

وقال المسيح عليه السلام: الدنيا لإبليس مزْرَعة وأَهْلُها حُرَّاث.

وقال إبليسُ: ما أُبالي إذا أحَب الناس الدنيا أن لا يَعْبُدوا صَنما ولا وَثَنا الدنيا أفتنُ لهم من ذلك وكان النبي صلى الله عليه وسلم يُسمِّي الدنيا أُمّ ذَفَر.

والذفر: النتن.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم للضحَّاك بن سُفيان: ما طعامُك قال: اللحم واللبن قال: ثم إلى ماذا يَصير قال: يصير إلى ما قد علمت قال: فإنّ الله عزّ وجلّ ضَرَب ما يخرج من ابن آدم مثلاً للدنيا.

وقال المسيحُ عليه السلام لأصحابه: اتخذوا الدنيا قَنطرة فاعبرُوها ولا تَعْمُروها.

وفي بعض الكتب: أوحى اللهّ إلى الدنيا: من خَدمني فاخدُميه ومَن خدمك فاستخدميه.

وقيل لنُوح عليه السلام: يا أبا البَشر ويا طويل العُمر كيف وجدتَ الدنيا قال: كَبَيْتٍ له بابان دخلتُ من أحدهما وخرجتُ من الآخر.

وقال لُقمان لابنه: إنّ الدنيا بَحْرٌ عريض قد هلك فيه الأوَلون والآخِرون فإن استطعت فاجعل سَفِينتك تقوى اللّه وعدَتك التوكّل على اللّه وزادك العملَ الصالح فإن نجوتَ فبرحمة اللّه وإن هلكت فبذنوبك.

وقال محمد بن الحنفيّة: من كرُمت عليه نفسُه هانت عليه الدنيا.

وقال: إنّ المُلوك خَلَّوْا لكم الحِكمة فَخلُوا لهم الدنيا.

وقيل لمحمد بن واسع: إنك لترضى بالدُّون قال: إنما رَضي بالدُون من رضي بالدنيا.

وقال المسيحُ عليه الصلاة والسلام للحواريين: أنا الذي كفأتُ الدنيا عليِ وَجهها فليس لي زوجةٌ تموت ولا بَيْت يَخْرَب.

شكا رجل إلى يُونس بن عُبيد وَجَعاَ يَجده فقال له: يا عبد الله هذه دار لا توافقك فالتمس لك داراً تُوافقك.

لقي رجلٌ راَهِباً فقال: يا راهب صِف لنا الدنيا فقال: الدنيا تُخْلِق الأبدان وتُجَدِّد الآمال وتباعد الأمْنِيّة وتُقَرِّب المنيَّة قال: فما حالُ أهلها قال مَنْ ظَفِرَ بها تَعِب ومن فَاتْته نصِب قال: فما الغِنى عنها قال: قَطْعُ الرَّجاءِ منها قالت:

فأين المَخْرَج قال: في سُلوك المَنْهَج قال: وما ذاك قال بَذْل المجهود والرِّضا بالمَوْجود.

قال الشاعر: ما الناسُ إلا مع الدنيا وصاحبها فحيثما انقلبت يوماً به انقلبوا يُعظِّمون أخا الدنيا وإن وَثَبت يوماً عليه بما لا يَشْتَهي وَثبوا وقال آخر: يا خاطبَ الدنيا إلى نفسه تَنَحَ عن خطبتهْا تَسْلَم إنَّ التيَ تَخْطُبُ غَزَارَةٌ قريبةُ العُرْس من المَأتَم داود بن المُحَبَّر قال: أخبرنا عبدُ الواحد بن الخطاب قالت: أقبلنا قافلين من بلاد الروم حتى إذا كُنَّا بين الرُّصافة وحِمْص سمعنا صوتاً من تلك الجبال تَسمعه آذاننا ولا تُبصره أبصارنا يقول: يا مَسْتُوريا مَحْفوظ انظر في سترْ مَن " وحِفْظ مَن " أنت إنما الدنيا شَوْك فانظر أين تَضَع قدمَيْك منها.

وقال أبو العتاهية: رَضيت بذي الدنيا كَكُل مُكاثر مُلِحّ على الدنيا وكلِّ مُفاخِر ألَم تَرَهَا تَسْقِيه حتى إذا صَبا فَرَت حَلْقَه منها بِشَفْرة جازر " ولا تَعْدلُ الدنيا جَناح بَعُوضة لدى الله أو مقدارَ نَعْبْةِ طائر " فلَم يَرْضَ بالدنيا ثواباً لمُؤْمن ولم يَرْضَ بالدنيا عِقاباً لكافر وقال أيضاً: هي الدنيا إذا كَمُلتْ وتَمَّ سرُورُها خَذَلتْ وتَفعل في الذين بَقوا كما فِيمن مَضى فَعلتَ وقال بعضُ الشعراء يصف الدنيا: لقد غرت الدنيا رجالاً فأصبحوا بمنزلةٍ ما بعدها متحوَّلُ فساخِطُ أمْر لا يَبَدَّلُ غيرَه ورَاضٍ بأمر غيرَه سيبدلُ وقال هارون الرشيد: لو قيل للدنيا صِفي لنا نفسك وكانتً ممّن يَنْطِق ما وَصفت نفسها بأكثر من قول أبي نُواس: إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكَشَّفت له عن عدوٍّ في ثِياب صديقِ وما الناسُ إلا هالكٌ وابن هالكٍ وذو نسَبٍ في الهالكين عَريق وقال آخر في صفة الدنيا: فَرُحْنا وراح الشَامِتون عَشِيَّةً كأنَّ عَلَى أكتافنا فِلَق الصَخْرِ لِحا الله دُنيا يَدْخل النارَ أهْلُها وتَهْتك ما بين الأقارب من سِتر ولأبي العتاهية: كُلُّنَا يُكثر الملامةَ للدن يا وكل بِحُبِّها مَفْتُون والمقاديرُ لا تناوَلُها الأوْ هام لُطْفاً ولا تراها العُيون ولركب الفَناء في كلِّ يوم حَرَكات كأنَّهنَّ سُكون ومن قولنا في وصف الدنيا: ألا إنما الدُّنيا نضارة أيْكةٍ إذا اخضرَّ منها جانبٌ جَفَّ جانبُ هِيَ الدَّار ما الآمالُ إلا فَجَائع عليها ولا اللَذَّاتُ إلا مصائب فلا تَكْتَحلْ عَيْناك فيها بِعَبْرَة على ذاهب منها فإنك ذاهب وقال أبو العتاهية: أصْبَحَتْ الدنيا لنا فتنةً والحمد للّه على ذلِكَا قد أجْمَعَ الناسُ على ذَمِّهَا ولا أرى منهمْ لها تارِكا وّقال إبراهيم بن أدهم: نُرَقع دُنْيانا بِتَمْزيقِ دِيننا فلا ديننُا يَبقى ولا ما نُرَقِّع وما سمعتُ في صفة الدُنيا والسبب الذي يُحبها الناسُ لأجله بأبلغ من قول القائل: نراع بِذْكر المَوت في حين ذِكْره وتَعْترض الدنيا فَنَلْهُو ونَلْعَبُ ونحن بنُو الدُّنيا خُلِقْنا لَغَيرها وما كنتَ منه فهو شيء مُحبب فذكر أن الناس بنو الدنيا وما كان الإنسان منه فهو محبّب إليه.

واعلم أنّ الإنسانَ لا يُحبّ شيئاً إلاّ أن يُجانَسه في بعض طبائعه وأنّ الدنيا جانَسَت الإنسان في طبائعه كلها فأحبَّها بكل أطرافه.

وقال بعض ولد ابن شُبْرمة: كنتُ مع أبي جالساً قبل أن يلي القضاء فمر به طارقُ بن أبي زياد في مَوْكب نبيل فلما رآه أبي تَنفَس الصُّعَدَاء وقال: ثم قال: اللّهم لي دِيني ولهم دُنياهم.

فلما ابتلى بالقْضاء قلتُ: يا أبتِ أتذكر يومَ طارق فقال: يا بُنِى إنهم يَجدون خَلَفاً من أبيك وإنّ أباك لا يَجد خَلَفاً منهم إنّ أباك خَطَب في أهوائهم وأكل من حَلْوائهم.

وقال الشَّعبي: ما رأيتُ مَثَلَنا ومثِلَ الدنيا إلا كما قالت كُثَيِّر عَزَّة: أسِيئي بنا أَوْ أَحْسني لاَ مَلومةَ لَدَينا ولا مَقْلِيةً إن تَقَلَّتِ وأحكُم بيتٍ قيل في تَمْثِيل الدنيا قولُ الشاعر: ومَن يأمَن الدنيا يكن مثلَ قابض على الماء خانَتْه فُروجُ الأصابع وحَدّث العبّاس بن الفَرج الرِّيَاشي قال: رأيت الأصمعيّ يُنْشد هذا البيتَ ويستحسنه في صفة الدنيا: ما عذر مُرْضِعَةٍ بكا س الموت تَفْطِم مَنْ غَذَتْ ولقَطَهريّ بن الفُجاءة في وَصف الدُّنيا خُطْبَةٌ مجرَّدة تَقَع في جملة الخُطَب في كتاب الواسطة.

قولهم في الخوف سُئل ابن عباس عن الخائفين للّه فقال: هم الذي صَدَقُوا الله في مَخَافَة وعيده فقلوبهم بالخَوْف قَرِيحة وأعينُهم على أنفسهم باكِية ودُموعهم على خدودهم جارية يقولون: كيف نَفْرح والموتُ من ورائنا والقُبورُ من أمامنا والقيامة مَوْعدنا وعلى جهنَّم طريقُنا وبين يدي ربنا مَوْقفنا.

وقال عليّ كَرم الله وجهَه: ألا إنّ للّه عباداً مُخْلصين كمَن رأى أهلَ الجنَّة في الجنَّة فاكهين وأَهْل النار في النار مُعذَّبين شرُورُهم مأمونة وقُلوبهم مَحزونة وأنفسُهم عفيفة وحوائجهم خَفيفة صَبَرُوا أيَّاماً قليلة لِعُقْبى راحة طويلة أمّا بالليل فَصَفُوا أقدامَهم في صَلاتهم تَجْري دُموعُهم على خُدُودهم يَجْأرون إلى ربِّهم: ربَّنا ربنا يَطلبون فَكاك قُلوبهم: وأمَّا بالنهار فُعلماء حُلماء بَررة أتْقياء كأنهم القِداح - القِداح: السهام يريد في ضُمرتها - يَنْظر إليهم الناظرُ فيقول: مَرْضىَ وما بالقوم من مَرض ويقول: خُولطوا ولقد خالط القومَ أمرٌ عظيم.

وقال منصور بن عَمَّار في مجلس الزهد: إن للهّ عباداً جعلوا ما كُتب عليهم من الموتِ مثالاً بين أعينهم وقطعوا الأسباب المُتَّصلة بقلُوبهم من عَلائق الدنيا فهم أنضاءُ عبادته حُلفاء طاعته قد نَضَحوا خُدودهم بوابل دُموعهم وافترشوا جِباهَهم في مَحاريبهم يناجون ذا الكِبْرياء والعَظمة ودَخل قوم على عُمر بن عبد العزيز يَعودونه في مَرضه وفيهم شابٌّ ذابل ناحِل.

فقال له عُمر: يا فتى ما بَلغ بك ما أَرى قال: يا أميرَ المؤمنين أمراضُ وأسقام.

قال له عمر: لَتَصْدُقَنِّي.

قال: بلى يا أمير المؤمنين ذُقت يوماً حلاوةَ الدنيا فوجدتُها مُرَّةً عواقُبها فاستوى عندي حَجَرُها وذَهَبُها وكأنِّي أنظر إلى عَرْش ربِّنا بارزاً وإلى الناس يُسَاقون إلى الجنة والنار فأظمأتُ نَهاري وأسْهَرْتُ ليلي وقليلٌ كلُّ ما أنا فيه في جنْب ثواب الله وخوف عقابه.

وقال ابن أبي اَلحَواريّ: قلت لسُفيان: بلغني في قول الله تبارك وتعالى: " إلاَ مَنْ أتىَ الله بِقَلْب سَلِيم " الذي يَلْقى ربَّه وليس فيه أَحَدٌ غَيْره.

فبكى وقال: ما سمعتُ منذ ثلاثين سنةً أحسَنَ من هذا التفسير.

وقال الحسنُ: إنّ خوفك حتى تلقى الأمنَ خيرٌ من أمنك حتى تَلقى الخوف.

وقال: ينبغي أن يكوِن الخوفُ أغلبَ على الرجاء فإنّ الرجاء إذا غَلَب الخوفَ فَسَد القلبُ.

وقال: عجباً لمَن خافَ العِقَابَ ولم يَكُف ولمَن رَجا الثوابَ ولم يَعْمل.

وقال علي بن أبي طالب كرَّمَ الله وجَهه لرجل: ما تَصْنع فقال: أرجو وأخاف قال: مَن رجا شيئاً طلبه ومَن خاف شيئاً هرب منه.

وقال الفضَيْل بن عياض: إني لأسْتَحِي من الله أن أقول: تَوَكلت على اللّه ولو توكلت عليه حقَّ التوكل ما خِفْتُ ولا رَجَوْتُ غيره.

وقال: مَن خاف الله أخاف الله منه كل شيء ومَن لم يَخف الله أخافَه الله من كل شيء.

وقال: وعْد وقال عمر بن ذَرّ: عبادَ اللّه لا تَغترُّوا بطول حِلْم الله واحذروا أسَفَه فإنه قال عزّ وجلّ: " فلمَّا آسَفونا آنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فأغْرَقْناهم أجْمَعين. فجعلناهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً للآخرين ".

وقال محمد بن سَلاّم: سمعت يونس بن حَبيب يقول: لا تأمن مَن قَطع في خمسة دراهم أشرَفَ عُضو فيك أن تكون عُقُوبته في الآخرة أضعافَ ذلك.

وقال الربيعُ بن خُثَيم: لو أَنَّ لي نَفْسَين إذا غَلِقَتْ إحداهما سَعَت الأخرى في فَكاكِها ولكنها نفس واحدة فإن أنا أوثقتُها مَنْ يَفْكّها وفي الحديث: مَن كانت الدنيا هَمَّه طال في الآخرة غَمُّه ومَن أخْلِف الوعيدَ لها عما يُريد ومَن خاف ما بين يَدَيه ضاق ذَرْعاً بما في يديه.

وقال محمود الورِّاق: يا غافلاَ تَرْنو بِعَيْنَي راقد ومُشَاهِداً للأمر غيرَ مُشَاهِدِ تَصِلُ الذُّنوب إلى الذُّنوب وَتَرْتَجي عَرَكَ الجنَان بها وفَوْزَ العَابِد ونسيتَ أنّ الله أخْرَجَ آدمَاً منها إلى الدُنيا بِذَنبِ واحد وقال نابغة بني شَيْبَان: إنّ مَنْ يَرْكَبُ الفواحشَ سِرَّاً حين يَخلو بسرِّه غيرُ خالي كيف يَخْلو وعنده كاتبَاه شاهدَاه وربُّه ذو الجَلال قال العلماء: لا تشهد على أحد من أهل القِبْلة بجنة ولا بنار يُرْجَى للمُحْسن ويُخاف عليه ويخاف عليه المُسيء ويُرْجَى له.

وفي الحديث المرفوع: إنّ الله يَغْفر ولا يُعيِّر والناسُ يعيَرون ولا يَغْفرون.

وفي حديث آخر: لا تُكَفِّروا أهلِ الذنوب.

وتُوفِّي رجلٌ في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مُسرفاً على نفسه فرَفع برأسه وهو يجود بِنَفْسِه فإذَا أبواه يَبْكِيَان عند رأسه فقال: ما يَبْكِيكما قالا: نَبْكي لإسرافك على نفسك قال: لا تَبْكيا فواللّه ما يَسُرُّني أن الذي بيد الله منٍ أمريٍ بأيديكما ثم مات.

فأتى جبريلُ عليه الصلاة والسلام النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره أن فتى تُوُفَي اليومَ فأشهَده بأنه من أهل الجنة.

فسأل رسولُ اللهّ صلى الله عليه وسلم أبويه عن عَمله فقالا: ما عَلِمنا عنده شيئاً من خَيْر إلا أنه قال لنا عند الموت كذا وكذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مِنِ ها هنا أُوتي إنّ حُسن الظنّ باللّه من أفضل العَمل عنده.

وتُوفِّي رجل بجِوارِ ابن ذرّ وكان مُسرفاً على نفسه فتحامَى الناسُ من جنازته وبلغ ذلك عُمَرَ بن ذرّ فأوصى أهلَه: إذا جهَزتموه فآذِنُوني ففعلوا فَشَهِدَه والناسُ معه فلما أُدْلِيَ وَقَف على قبره فقال: رَحمك الله أبا فُلان فلقدَ صَحِبْتَ عُمْرَك بالتَّوحيد وعَفَّرْت وَجهك للهّ بالسجود فإنْ قالوا مُذْنِب وذو خَطايا فمن مِنَّا غيرُ مُذْنب و" غير" ذي خطايا هُو الموتُ لا مَنْجَى من الموت والذي نُحاذِر بعد الموت أَنْكَى وأَفْظَعُ ثمّ قال: اللّهمّ فأقِل العَثرة واعفُ عن الزّلّة وعُدْ بِحلمِك على جهل من لم يَرْجُ غيرَك ولم يَثِق إلا بك فإنك واسع المَغفِرة.

يا رب أين لذي الخطأ مَهْرب إلا إليك.

قال داود بن أبي هِنْد: فبلغني أنّ سعيد بن المُسَيِّب قال حين بلغه ذلك: لقد رغب إلى مَن لا مَرغب إلا إليه كَرْهاَ وإني أرجو من الله له الرحمة ".

الأصمعي قال: سمعتُ أعرابياً يقول في دُعائه وأبتهاله: إلهي ما توهمتُ سَعة رحمتك إلا وكانت نَغْمة عَفْوك تَقْرَع مسامعي: أن قد غَفَرتُ لك.

فصَدِّق ظني بك وحَقِّق رجائي فيك يا إلهي.

ومن أحسن ما قيل في الرجاء هذا البيتُ: وإنّي لأرجو الله حتى كأنَّني أرَى بِجَميل الظنّ ما اللَهُ صانِعُ قولهم في التوبة مرَّ المسيح " بن مَريْم " عليه السلام بقَوْم من بني إسرائيل يَبكون فقال لهم: ما يُبكيكم قالوا: نَبْكي لذنوبنا قال: اترُكوها تُغْفَر لكم.

وقال عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه: عجباَ لمَن يَهْلك ومعه النجاةُ! قيل له: وما هي قال: التوبة والاستغفار.

وقالوا: كان شابّ من بني إسرائيل قد عَبد الله عشرين حِجَّة ثم عصاه عشرين حجة فبينما هو في بَيْته يتراءَى في مرآته نَظَرَ إلى الشَّيْب في لِحْيته فساءَهُ ذلك فقال: إلهي أطعتُك عشرين سنةً وعَصيتك عشرين سنة فإن رجعتُ إليك تَقْبَلني فسَمع صوتاً من زاوية البيت ولم ير شَخْصاً: أحْبَبْتنا فأحْبَبْناك وتَرَكْتنَا فتركناك وعَصَيتنا فأمْهَلْنَاك وإن رَجَعت إلينا قَبلناك.

عبد الله بن العَلاء قال: خرَجنا حُجّاجاً من المدينة.

فلمّا كُنّا بالحُلَيفة نَزَلنا فَوَقف علينا رجلٌ عليه أثوابٌ رثّة له منظر وهَيئة فقال: مَنْ يَبغي خادماً مَن يَبْغي ساقياً مَن يملأ قِرْبة أو إدَاوَة فَقُلنا: دونك هذه القِرَبُ فآملأها.

فأخذها وانطلق فلم يلبث إلا يسيراً حتى أقبل وقد امتلأت أثوابُه طيناً فَوَضعها وهو كالمسرور الضاحك ثم قال: لكم غيرُ هذا قلنا: لا وأَطْعَمْناه قارِصاً حازِراً فأخَذه وحَمِد اللّهَ وشَكَرَه ثم اعتزل وقعد يأكل أكلَ جائع فأَدْرَكتْني عليه الرّقة فقمتُ إليه بطَعام طيِّب كثير وقلتُ: قد علمتُ أنه لم يَقَعْ منك القارص موقعاً فدُونك هذا الطعامَ فكُلْه.

فَنَظر في وَجْهي وتَبَسَّم وقال: يا عبد الله إنّما هي فَوْرَةُ هذه النار قد أطفأتُها وضرَب بيده على بطنه.

فرجعتُ وقد انكسف بالي لما رأيتُ من هيبته.

فقال لي رجلٌ كان إلى جانبي: أتعرفه قلت: ما أعرفه قال: هذا رجل من بني هاشم من وَلد العبّاس بن عبد المُطّلب كان يَسْكُنَ البَصرةَ فتَاب وخَرَجَ منها فَفُقِدَ وما يُعرف له أثر.

فأَعْجبني قولُه ثم لحقتُ به وناشدتُه اللّهَ وقلتُ له: هل لك أن تعادلني فإن معي فَضْلاً من راحلتي وأنا رجل من بعض أَخْوَالك فجزاني خيراً وقال: لو أردتُ شيئاً من هذا لكان لي مُعدّاً ثمّ أَنِسَ إليّ وَجَعَل يُحدّثني وقال: أنا رجلٌ من ولد العبّاس كنت أَسكُنُ البَصرة وكنت ذا كِبْر شدِيد وجَبَرُوت وبَذَخ وإني أمرْتُ خادماً أن تَحْشُو لي فِراشاً ومِخَدةً من حرير بوَرْدٍ نَثير ففعلَتْ فإني لنائم إذ أَيْقَظتني قِمَع وَرْدة أغفلَته الخادمُ فقمتُ إليها فأَوْجعتها ضَرْباً.

ثم عُدْت إلى مَضْجعي بعد أن خَرج ذلك القِمَع من المِخَدِّة فأتاني آتٍ في منامي في صُورة فَظِيعةٍ فنَهَرَني وَزَبَرَني وقال: أَفِقْ من غَشْيَتِك وأَبْصر من حَيْرَتك ثم أنشأ يقول: يا خَدُ إنّك إنْ تُوَسَّدْ لَيناً وسَدْتَ بعد المَوتِ صُمَّ الْجَنْدَلِ فامْهَدْ لِنَفسِكَ صَالِحاً تَنْجُو به فَلَتَنْدَمَنَ غداً إذا لم تَفْعَل فانتبهتُ فَزِعاً وخرجتُ من ساعتي هارباً بِدِيني إلى ربّي.

وقالوا: علامةُ التوبة الخروج من الجهل والندمُ على الذنب والتجافي عن الشَهْوَة وتَرْك الكذب والانتهاء عن خُلق السَّوء.

وقالوا: التائب من الذنب كمن لا ذنبَ له وأولُ التوبة الندم.

ومن قولنا في هذا المعنى: يا ويلَنا من مَوْقِفٍ ما به أخوفُ من أَنْ يَعدِلَ الحاكمُ يارَبّ غُفْرَانك عن مُذْنِب أَسرَف إلا أنّه نادم وقال بعض أهل التفسير: في قول الله تبارك وتعالى: " يا أَيُّها الذين آمنُوا تُوبُوا إلى الله تَوْبَةً نَصُوحاً ": إنّ التوبةَ النَّصوح أن يتوب العبدُ عن الذنب ولا يَنْوي أن يعود إليه.

وقال ابن عبّاس في قول الله عزَّ وجلّ " إنّما التَّوْبةُ على اللَّهِ لِلّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثم يَتُوبُون من قريب ": إنّ الرجل لا يَرْكَبُ ذَنْباً ولا يأتي فاحشةً إلا وهو جاهل.

وقوله: " ثمّ يَتُوبون من قريب " قال: كلُّ ما كان دون المُعاينة فهو قريب والمُعاينة أن يؤخَذ بِكَظْم الإنسان فذلك قوله: " إذا حَضَرَ أحدَهم المَوْتُ قال إنّي تُبْتُ الآن ".

قال أهل التفسير: هو إذا أُخِذ بكَظْمة.

وقال ابن شُبْرُمة: إنّي لأعجب ممن يَحْتَمى مخافةَ الضرر ولا يدعُ الذنوبَ مخافة النار.

المبادرة بالعمل الصالح

قال الله عزّ وجلّ: " وَسَارِعُوا إلى مَغفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُم وجَنة " وقال تعالى: " والسَّابِقُونَ السَّابِقونَ أولئكَ المُقرَّبُون ".

وقال الحسن: بادروا بالعمل الصالح قبل حُلول الأجل فإنّ لكم ما أَمضيتم لا ما أَبْقَيتم.

وقالوا: ثلاثة لا أناة فيهن: المُبادرة بالعمل الصالح ودفْن الميّت وإنكاح الكُفء.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ابن آدم اْغتنم خمَساً قبل خَمْس: شبابك قبل هَرَمك وصِحَّتك قبل سَقَمك وفَراغك قبل شُغلك وحياتَك قبل مَوْتِك وغِناك قبل فَقْرِك.

وقال الحسن: " ابن آدم " صُمْ قبل أن لا تَقْدر على يومٍ تَصُومه كأنك إذا ظَمِئْت لمَ تَكن رَوِيت وكأنك إذا رَوِيتْ لم تكن ظَمِئت.

وكان يزيد الرَّقاشيّ يقول: يا يزيدُ مَن يَصُوم عنك أو يُصَلِّي لك أو يَتَرَضىَّ لك ربك إذا مِتّ وكان خالدُ بن مَعْدان يقول: إذا أنتَ لم تَزْرَع وأبصرْتَ حاصداً نَدِمْتَ عَلَى التَّفْريط في زَمن البَذْرِ وقال ابن المُبارك: رَكِبْتُ مع محمد بن النَّضْر في سفينة فقلتُ: بأي شيء أَسْتَخْرِج منه الكلامَ فقلتُ له: ما تقول في الصَّوم في السفر فقال: إنما هي المبادرة يا بن أخي.

فجاءني والله بفُتْيا غير فُتْيا إبراهيم والشعبي.

ومن قولنا في هذا المعنى: بادرْ إلى التَّوْبة الخَلْصَاء مُجْتهداً والموتُ وَيْحك لم يَمْدَد إليك يَدَا وأرقبْ من الله وَعْداً لَيْسَ يُخْلِفُه لا بُدَّ لله من إنجاز ما وَعَدَا وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأصحابه: فيم أنتم قالوا: نَرْجُو ونَخاف قال: مَن رجا شيئاً طَلَبَه ومن خافَ شيئاً هَرَب منه.

تَرْجُو النَّجَاةَ وَلم تَسْلُك مَسَالكها إنّ السَّفِينَةَ لا تَجْرِي عَلَى اليَبس وقال آخر: اعمل وأنتَ من الدُنيا على حَذَر وآعلم بأنكَ بعد المَوْت مَبْعُوثُ واعلم بأنك ما قَدَمْت من عَمَل يُحْصىَ عَليك وما خَلَّفْتَ مَوْرُوث وقَدَّمَت عائشةُ رضي الله عنها إلى النبي صلى الله عليه وسلم صَحْفَة فيها خُبز شَعِير وقطعة من كَرشٍ وقالت: يا رسولَ الله ذَبَحْنا اليوم شاةً فما أَمسكنا منها غيرَ هذا فقال: بل كلُّها أمسكتم غير هذا.

العجز عن العمل قال رجلٌ لمُؤرِّق العِجْلي: أشكُو إليك نفسي إنها لا تُريد الصلاة ولا تَسْتَطيع الصبرَ على الصّيام قال: بئس الثناء أثنيت به على نفسك

فإذا ضعَّفَت عن الخير فاضْعُف عن الشرّ فإنّ الشاعر قال: احْزَنْ عَلى أَنكَ لا تَحْزَنُ ولا تُسئ إن كُنْتَ لا تُحْسِنُ واضعُفْ عن الشر كما تدَعى ضَعْفاً عن الخير وقد يُمْكِنُ وقال بكرُ بن عبد الله: اجتهدوا في العملِ فإن قَصرَّ بكمِ ضْعْفٌ فأمسكوا عن المعاصي.

وقال الحسنُ رحمه الله: من كان قوياً فَلْيعتمد على قُوته في طاعة الله ومَن كان ضعيفاً فلْيَكُفّ عن معاصي الله.

وقال عليُ " بن أبي طالب عليه السلام ": لا تَكُنْ كمن يَعْجِزُ عن شُكر ما أُوتي ويَبْتَغي الزيادة فيما بَقى وينْهَى الناسَ ولا ينتهي.

وكان الحسنُ إذا وَعظ يقول: يا لها موعظةً لو صادفت من القلوب حياةً أَسْمَع حَسِيساً ولا أَرَى أنيساً ما لهم تَفاقدوا عقولَهم فَرَاش نار وذُباب طَمَع.

وكان ابن السمّاك إذا فَرَغ من مَوْعظته يقول: أَلْسِنَة تَصِف وقلوب تَعْرف وأعمال تخالِف.

وقال: الحسنة نورٌ في القَلْب وقُوَّة وقال بعض الحُكماءِ: يا أيُّها المشيَخَة الذين لم يَتْرَكوا الذنوب حتى تَرَكتْهُم الذُّنوب ثمّ ظَنُّوا أنّ تَرْكها لهم توبة وليتهم إذ ذهبتْ عنهم لم يَتَمَنَوا عَوْدَها إليهم.

وكان مالكُ بن دينار يقول: ما أشدَّ فِطَامَ الكبير ويُنشد: وتَرُوض عِرْسَك بعدما هَرِمَت ومن العَناء رياضة الهَرِم ومن حديث محمد بن وَضّاح قال: إذا بلغَ الرجلُ أربعين سنة ولم يَتُب مَسح إبليسُ بيده على وجهه وقال: بِأبي وَجْهٌ لا أفْلَح أبداً.

قال الشاعر: فإذا رأى إبليسُ غُرَّةَ وَجْهِه حَيا وقال فَديتُ من لا يُفْلِحُ وقال رجل للحسن: أبا سعيد أردتُ أن أصَلِّيَ فلم أستطع قال: قَيَّدَتْكَ ذنوبك.

قولهم في الموت قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطّاب رضوانُ الله عليه: ما عندك من ذِكر الموت أبا حَفْص قال: أمْسي فما أرى أنّي أصْبح وأصبحِ فما أرَى أني أمْسي قال: الأمر أوْشك من ذلك أبا حَفْص أما إنّه يَخرُج عنّي نفسي فما أرَى أنه يعود إليّ.

وقال عبد بن شَدَّاد: أرى داعي الموت لا يُقْلِع و " أرى " مَن مَضى لا يَرْجع ومن بَقي فإليه يَنْزع.

وقال الحسن: ابن آدم إنما أنت عَدَد فإذَا مضى يومُك فقد مَضى بعضُك.

وقال أبو العتاهية: الناس في غَفَلاتهمِ ورَحى المَنية تَطْحَنُ وقال عمر بن عبد العزيز: مَن أكثر من ذِكر الموت اكتفي باليسير ومَنْ عَلِم أنّ الكلام عمل قلّ كلامُه إلاّ فيما يَنفع.

وكان أبو الدَّرداء إذا رأى جِنَازة قال: اغدي فإنا رائحون أو روحي فإنا غادون.

وقال رجل للحسن: مات فلانٌ فجأة فقال: لو لم يَمُتْ فجأةً لَمَرِض فجأة ثم مات.

وقال يعقوب صلواتُ الله عليه للبَشِير الذي أتاه بقمِيص يوسف: ما أَدْرِي ما أُثيبك به ولكن هوَن الله عليك سكراتِ الموت.

وقال أبو عمرو بن العلاء: لقد جَلستُ إلى جَرِير وهو يُملي على كاتبه: وَدِّعْ أُمَامَةَ حَان منك رَحِيلُ ثم طلعت جِنَازَةٌ فَأَمْسك وقال: شَيَّبْتْني هذه الجنائز قلت: فَلِم تَسُبّ الناسَ قال: يَبْدَءوني ثم لا أعفو وأَعْتدي ولا أَبْتَدي.

ثم أنشد يقول: تُرَوِّعنا الجنائزُ مُقْبِلات فَنَلْهُو حين تذْهبُ مُدْبراتِ كَرَوْعَة هَجْمَةٍ لمُغار سَبْعِ فلما غابَ عادتْ راتعات وقالوا: مَن جعل الموتَ بين عَيْنيه لَهَا عما في يَدَيه.

وقالوا: اتخذ نوحٌ بيتاً من خُصّ فقيل له: لو بَنيتَ ما هو أحسن من هذا قال: هذا كثيرٌ لمَن يموت.

وأحكم بيتٍ قالْته العربُ في وَصْف الموت بيتُ أُمية بن أبي الصَّلت حيث يقول: يُوشِك مَنْ فَر مِنْ مِنيَّته في بَعْض غِراته يُوَافِقُهَا مَنْ لم يمُتْ غَبْطَةً يَمُت هَرَماً للموت كأسٌ والمرء ذائقها وقال إصْبَغ بن الفَرَج: كان بنَجْران عابد يَصِيح في كلِّ يوم صَيحتين بهذه الأبيات: قَطَعَ البقاء مَطالعُ الشمسِ وغُدوَّها من حيث لا تُمْسي وطلوعُها حمراءَ قانيةً وغُروبُها صفراءَ كالوَرْس اليومُ يُخبر ما يجيء به ومَضى بفَضْل قَضَائه أمس قال آخر: زينت بيتك جاهلاً وعَمَرْتَه ولعلّ غيرَك صاحبُ البيتِ مَنْ كانت الأيامُ سائرةً به فكأنه قد حلّ بالموت والمرءُ مُرْتهنٍ بسوْفَ ولَيْتني وهلاكُه في السَّوف واللَّيْت للهّ دَرُّ فتى تَدَبّرَ أمرَه فَغَدَا وراحَ مُبَادِرَ الفَوْتِ كم رأينا من أناس هَلَكوا قد بَكَوْا أحْبَابَهُم ثم بُكوا تَرَكُوا الدُّنيا لمَن بعدهُم وُدَّهم لو قَدّمُوا ما تَركوا كم رأينا من مُلوكٍ سُوقة ورأينا سُوقةً قد مَلَكوا وقال الصَّلَتان العَبْدِيّ: أَشابَ الصغِيرَ وأَفْنى الكبي رَ كرُّ الغَداة ومَرُّ العَشي إذا ليلة أَهْرَمت يومَها أتى بعدَ ذلك يومِ فَتِي نرُوح ونَغدو لحاجاتِنا وحاجةً مَن عَاشٍ لا تنقضي تَموت مع المرء حاجاتُه وتَبْقَى له حاجةَ ما بقي وكان سُفيان بن عُيينة يَسْتحسن قولَ عَدِيّ بن زَيْد: أينَ أهلُ الدِّيارِ مِنْ قَوْم نُوح ثم عادٌ من بعدها وثَمود بينما هُمْ على الأسرة والآن ماطِ أفضت إلى التُّراب الخُدود وصحيحٌ أَمْسى يعُودُ مريضاً وهو أدنى للموت ممَّن يَعود ثم لم ينقضِ الحديثُ ولكنْ بعد ذا كلّه وذاك الوَعِيد كأن قد صِرْتُ مُنْفَرِداً وحيداً ومُرْتَهناً هناك بما لَديّا كأنّ الباكياتِ عليّ يوماً ولا يُغنى البَكاء عليّ شَيَّا ذكرت مَنِيَّتِي فنعمتُ نفسي ألا أَسْعِدْ أَخيك يا أُخَيّا وقال: سَتَخلق جِدَّةٌ وَتَجُود حالُ وعِنْد الحق تختبر الرجالُ وللدُنيا ودائعُ في قُلوب بها جَرَت القَطِيعة والوِصَال تَخَوَّفُ ما لَعَلَّكَ لا تَراه وترْجُو ما لعلك لا تنال وقد طلع الهِلالُ لهَدْم عُمْري وأَفْرَحُ كلَّما طَلع الهِلال وله أيضاً: مَنْ يَعِيشْ يَكْبُرْ ومَنْ يَكْبُر يَمُتْ والمَنَايا لا تُبالي من أتَتْ نحنُ في دار بَلاءٍ وأذىً وشَقَاءٍ وعَناءٍ وعَنَت مَنزلٌ ما يَنْبُتُ المرءُ به سالماً إلا قليلاً إن ثَبَت أيها المَغْرور ما هذا الصِّبا لو نَهَيْتَ النفسَ عنه لانْتهت مَنْ لي إذا جُدْت بين الأهل والوَلَد وكان منِّيَ نحو المَوت قَيْد يَدِ والدَّمْعُ يَهْمُلُ والأنفاسُ صاعِدةٌ فالدَّمْعُ في صَبَب والنفس في صُعُد ذاكَ القضاءُ الذي لا شيءَ يَصرِفه حتى يُفرِّقَ بينَ الرُّوح

والجَسَد ومن قولنا فيه: أتْلهو بين باطِيَةٍ وزيرٍ وأَنت من الهلاك على شَفِير فيا مَن غَرّهُ أملٌ طَوِيلٌ يُؤَدِّيه إلى أجل قَصِير أَتَفْرَحُ والمَنِيَّة كلَ يوم تريك مكان قبرك في القبور هي الدّنيا فإنْ سَرتكَ يوماً فإنَّ الحُزْنَ عاقبةَ السُرُور سَتسْلَبُ كلَّ ما جَمعْت منها كَعَارِيةٍ تَرَدُّ إلى المُعِير وتَغْتَاضُ اليَقِين من التَّظَنِّي وَدَارَ الحق من دار الغَرور ولأبي العتاهية: وَليس مِن مَنزِلٍ يَأوِيه ذو نَفَس إلا وَللمَوْتِ سَيْفٌ فيه مَسْلُولُ وله أيضاً: وله أيضاً: أؤمِّل أنَّ أخَلَّدَ والمَنايَا يَثِبْنَ عَليّ من كلِّ النَّوَاحِي وما أدْرِي إذا أمسيت حَيّاً لعَلِّي لا أعِيشُ إلى الصَّبَاح وقال الغَزّال: أصبَحْتُ واللّه مَجْهُوداً على أمَلٍ مِنَ الحيَاة قَصِير غير مُمْتَدِّ وما أفارقَ يوماً مَنْ أُفَارِقُه إلا حَسِبْتُ فِرَاقي آخِرَ العَهْدِ انظرُ إليّ إذا أدرِجْتُ في كَفَنِي وانْظُرِ إليّ إذَا أدْرِجْت في اللَّحْدِ وأقعدْ قليلاً وعاينْ مَنْ يُقِيم معي ممن يُشيَعُ نَعْشي من ذَوِي وُدِّي هَيهات كلُّهُمُ في شَأْنِهِ لَعِبٌ يَرْمي الترابَ ويَحْثُوهُ على خَدِّي وقال أبو العتاهية: نَعى لك ظلَّ الشَّبَاب المَشِيبُ ونادتْكَ باسمٍ سِوَاكَ الخُطُوبُ فكُن مستَعِدّاً لرَيْب المَنُون فإنَّ الذي هو آتٍ قريب وقَبْلَكَ داوى الطبيب المَرِيض فعاش المَرِيضُ ومات الطَّبِيب أخَيَّ ادخرْ مهما أستطع تَ ليَوم بَؤْسِكَ وافتقارِكْ فَلْتَنزلنّ بمَنْزِلٍ تَحْتاجُ فِيهِ إلى ادّخارِك وقال أبو الأسود الدُّؤليّ: أيُّها الأملُ ما ليسَ لَه ربما غَرّ سفيهاً أمَلهْ رُبَّ من بات يُمَنّي نفسَه حالَ مِن دون مُنَاه أجَلُه والفَتَى المُحتَال فيما نابَه ربما ضَاقَتْ عليه حِيَلُه قُلْ لمن مَثَّلَ في أشعَاره يَهْلِكُ المرء ويَبْقَى مَثَلُه نافِس المُحْسنَ في إحْسانهِ فَسَيَكْفِيك سَناء عَمَله وقال عدِيّ بن زيد العِبَاديّ: أين كِسْرَى كِسرَى المُلوك أنوشر وَانَ أَمْ أيْن قبْلَه سابُورُ وبَنُو الأصفَر الكِرَام مُلُوك الرُّوم لِم يَبْق منهمُ مَذْكوُر وأخُو الحَصْرَ إذ بَناه وإذ دِجْ لةُ تجْبَي إليه والخَابُور شادَهُ مَرْمَراً وجَلَّله كِلس ساً فللطيْر في ذَرَآه وُكُورُ سَرَّهُ مالُهُ وكثْرةُ ما يم لكُ والبحرُ مُعْرضاً والسَّدِير فارْعوَي قلبُه وقال فما غِب طة حَيٍّ إلى المَمَات يَصِير ثم بعد الفَلاح والمُلك والنِّع مة وارتهُمُ هُنَاكَ القَّبُور ثم صارُوا كأنهُم وَرَقٌ جَفَّ فألوَت به الصَّبَا والدَّبور وقال حُرَيث بن جَبلة العُذْري: يا قلبُ إنّكَ في الأحْيَاء مَغرُورُ فاذكُر وهَل يَنْفَعَنَكَ اليومَ تَذْكِير حتى متَى أنتَ فيها مُدْنَفٌ وَلهٌ لا يَسْتفِزَّنْكَ منها البُدَن الحُور قد بُحت بالجَهْل لا تُخْفيهِ عن أحَدٍ حتى جرَتْ بك أطلاقاً محاضير تريد أمراً فما تَدْري أعاجِلُه خيرٌ لِنَفْسِك أم ما فيه تأخِير فاستَقْدِرْ الله خَيْراً وارضين به فبينما العُسْرُ إذ دارتْ مَيَاسير وبينما المرءُ في الأحْيَاء مُغْتَبطٌ إذ صار في الرمس تَعْفُوهُ الأعاصِير حتى كأنْ لم يَكُنْ إلاّ توهّمه والدَّهر في كل حالَيْه دَهَارير قولهم في الطاعون قال أبو عُبيدة بن الجرّاح لعمر بن الخطّاب رضوانُ الله عليه لمّا بلغه أنَّ الطاعونَ وَقَع في الشام فانصرف بالناس: أفرَاراً من قَدَرِ الله يا أميرَ المؤمنين قال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عُبيدة نعم نَفِرُّ من قدرِ الله إلى قدَر اللّه أرأيت لو أنَّ لك إبلاً هَبَطْتَ بها وادياً له جِهتان إحداهما خَصِيبة والأخرى جَدِيبة أليسَ لو رعيتَ الخصيبة رعيتَها بقَدَرِ اللّه ولو رعيتَ الجديبة رعيتَها بقدَر اللّه وكان عبدُ الرحمن بن عَوْف غائباً فأقبل فقال: عِنْدي في هذا عِلْمٌ سمعتُه من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا سمعتم به في أرض فلا تَقْدَموا عليها وإذا وَقع في أرض وأنتم بها فلا تَخْرُجوا فِرَاراً منه.

فَحَمِد الله عُمر ثم انصرَف بالناس.

وقيل للوليد بن عبد الملك حين فرَّ من الطاعون: يا أميرَ المؤمنين إنَّ الله تعالى يقول: " قل لَنْ يَنْفَعَكم الفِرَارُ إن فَرَرْتُم مِنَ المَوْتِ أو القَتْل وإذَا لا تُمَتَّعُونَ إلاّ قليلا ".

قال: ذلك القليلَ نَطْلُب.

العُتْبيّ قال: وَقع الطاعونُ بالكُوفة فخرج صدِيق لِشُرَيح إلى النَّجَف فكتب إليه شُرَيح: أما بعد فإنَ المَوْضع الذي هرَبْتَ منه لم يَسُق إلى أجلك تَمامَه ولم يَسْلُبْه أيّامَه وإنّ الموضع الذي صرت إليه لَبِعين مَنْ لا يُعجزه طَلَب ولا يَفُوتُه هرَب وأنا وإيّاك على بِسَاط مَلِك وإنّ النَّجَف لما وَقع الطاعون الجارفُ أطاف الناسُ بالحُسين فقال: ما أحسنَ ما صنع بكم ربُّكم أقْلَع مُذْنِبٌ وأنْفَقَ مَمْسك.

وخرج أعرابيّ هارباً من الطاعون فَلَدغَتْه أفْعى في طريقه فمات فقال أَخُوه يَرْثيه: طافَ يَبْغِي نَجْوَةً من هَلاكٍ فَهلَكْ لَيْت شِعْري ضَلَّةَ أيَّ شيءٍ قَتَلك أجُحَاف سائلٌ من جِبالٍ حَمَلك والمَنَايا راصِدَات للفتى حيثُ سَلَك كلُّ شيءٍ قاتِل حين تَلْقى أجَلَك كُحِيَ أن ماء المطر اتصل في وقت من الأوقات فَقَطع الحسنَ بن وَهْب عن لقاءِ محمد بن عبد الملك الزيّات فكتب إليه الحسن: يُوضِّح العذْرَ في تَراخي اللِّقَاءِ ما توالى مِن هذه الأنْوَاءِ فَسَلامُ الإله أهْدِيه منِّي كُل يوم لسيِّد الوزراءِ لستُ أدري ماذا أَذُمُّ وأشْكو من سَماءٍ تعُوقني عن سَماءٍ غَيْرَ أنِّي أدْعُو لهاتِيك بالثَّك ل وأدْعُو لهِذِه بالبَقاءِ أحْسَنُ مِنْ تِسْعِينَ بَيْتاً سُدىً جِمْعُكَ معناهنَّ في بَيْتِ ما أحْوَجَ الناسَ إلى مَطْرَةٍ تزيلُ عنهم وَضَرَ الزّيتِ فبلغ قولُه محمداً فقال: يا أيُّها المأفُون رَأياً لقَدْ عرِّضْت لي نَفْسَك للْمَوْتِ قَيَّرْتُم المُلْكَ فلم نُنْقِهِ حتى قلَعْنا القارَ بالزَّيت الزيت لا يزري بأحْسَابنا أحْسَابنا مَعْروفة البَيْت وقيل لابن أبي دواد: لم لا تسأل حوائجك الخليفةَ بحَضْرة محمد بن عبد الملك فقال: لا أحب أن أعْلِمَه شأني.

وقد حدّث أبو القاسم جَعْفَر أن محمداً الحَسَنيّ قال: أخبرنا محمد بن زكريا الغَلاَبيّ قال: حدثنا محمد بن نجيع النُّوبَخْتي قال: حدثنا يحيى أن سُليمان قال: حدثني أبي وكان ممن لَحِقَ الصحابة قال: دخلت الكوفة فإذا أنا برجل يُحدِّث الناس فقلت: من هذا قالوا: بَكْر بن الطِرِمّاح فسمعتُه يقول: سمعتُ زَيد بن حُسَيْنْ يقول: لما قُتِل أميرُ المؤمنين عليُّ بن أبى طالب عليه السلام أتى بنَعْيه إلى المدينة كُلْثوم بن عَمْرو فكانت تلك الساعة التي أتيَ فيها بنَعْيه أشْبَه بالساعة التي قُبضَ فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من باكٍ وباكِية وصارخ وصارخَةٍ حتى إذا هَدأت عَبْرَة البُكاء عن الناس قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: تعالوا حتى نَذْهبَ إلى عائشة زَوْج النبي صلى الله عليه وسلم فَنَنْظرَ حُزْنَها على ابن عمِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقام الناسُ جميعاً حتى أتَوْا منزلَ عائشة رضي اللهّ عنها فاستأذنوا عليها فوَجَدوا الخبرَ قد سبق إليها وإذا هي في غَمْرَة الأحْزَان وعَبْرَة الأشجان ما تفتر عن البكاء والنَّحيب منذ وَقْتِ سَمِعَتْ بخَبره.

فلما نَظَرَ الناسُ إلى ذلك منها انصرفوا.

فلما كان من غدٍ قيل إنها غَدَتْ إلى قبْرِ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يَبْق في المَسْجد أحدٌ من المهاجرين إلا استَقْبلها يُسلّم عليها وهي لا تُسَلِم ولا تَرُدّ ولا تُطِيق الكلامَ من غَزَارة الدَّمعة وغَمْرَة العَبرَة تَتخنق بعَبْرَتها وتتعَثر في أثوابها والناسُ من خَلْفها حتى أتت إلى الحُجْرةِ فأخذت بِعضَادة الباب ثم قالت: السلامُ عليك يا نبيّ الهُدَى السلامُ عليك يا أبا القاسم السلام عليك يا رسول الله وعلى صاحبَيْك.

يا رسول اللّه أنا ناعيةٌ إليك أحظَى أحْبَابك ذاكرةٌ لك أكرمَ أودّائك عليك.

قُتل والله حبيبُك المُجْتَبَى وصَفِيك المُرْتَضى.

قُتِل والله مَن زوَجته خيرَ النِّساء.

قُتِل واللّه من آمَن ووَفى وإني لنادِبة ثَكْلَى وعليه باكيةٌ حرى.

فلو كُشِف عنك الثرى لقلتَ: إنّه قُتل أكرمهم عليك وأحظاهم لديك.

ولو قُدِّر أن تَتَجَنَّب العِدَاء ما كان تعرَّضت له منذ اليوم واللّه يجري الُأمور على السَّداد.

قال المبرّد: عزّى أحمد بن يوسف الكاتب ولدَ الرَّبيع فقال: عُظِّمَ أجركم ورحم الله فقيدكم وجعل لكم من وَراء مُصيبتكم حالاً تجمع شَمْلكم وتَلُمّ شَعَثَكم ولا تُفَرِّق مَلأكم.

وقيل لأعرابية مات لها بَنُون عِدّة: ما فعل بنوك قالت: أكلَهم دهْرٌ لا يَشْبع.

وعزَى رجل الرشيدَ فقال: يا أمير المؤمنين كان لك الأجر لا بك وكان العزاء لك لاعَنك.

ومما رُوى أن عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما نُعيت إليه ابنتُه وهو في السفَر فاسترْجع ثم قال: عَوْرَةٌ سترَها اللهّ ومَؤونة كَفاها الله وأَجْرٌ ساقَه الله.

وقالَ أُسَامة بن زَيد رضي الله عنهما: لمّا عُزِّي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بابنته رُقيَّة قال: الحمد لله دَفْن البنات من المَكْرُمات.

وفي رواية: من المكرُمات دفن البنات.

وقال الغَزَّال: ماتت ابنة لبعض مُلوك كِنْدة فَوَضَعَ بين يديه بَدْرَةً من الذهب وقال: مَنْ أبلغ في التَّعزية فهي له.

فدخل عليه أَعرابيّ فقال: أعظم الله أجرَ الملك كُفِيتَ المؤونة وَسُتِرتَ العَورة ونعمَ الصِّهْر القَبر.

فقال له الملك: أبلغْتَ وأوْجَزْت وَأَعْطَاهُ البَدْرَة.

من أحب الموت ومن كرهه في بعض الأحاديث: لا يَتمَنَّى أحدُكم الموتَ فعسى أن يكون مُحْسناً فيزداد في إحسانه أو يكون مُسِيئاً فينْزع عن إساءَته.

وقد جاء في الحديث: يقول الله تَبارك وتعالى: إذا أَحَبَّ عَبْدي لِقائي أَحْبَبْتُ لِقاءه وإذا كَرِه لِقائي كَرِهْت لقاءه.

وليس معنى هذا الحديث حُبَّ المَوْتِ وَكَرَاهِيَتَه ولكن مَعناه: من أحبَّ اللهّ أحبَّه اللّه ومن كَرِه اللهّ كَرِهَه اللّه.

وقال أبو هُرَيرة: كَرِه الناسُ ثلاثاً وأَحْبَبتُهنّ: كَرهوا المرَض وأحببتهُ وكَرهوا الفقرَ وأحببتهُ وكَرِهوا الموتَ وأحببتهُ.

عبد الأعلى بن حمّاد قال: دَخَلْنا على بِشر بن مَنْصور وهو في المَوْت وإذا هو من السُّرور في أمرٍ عَظِيم.

فقلنا له: ما هذا السُّرور قال: سُبْحان الله! أخرُج من بين الظَّالمين والحاسدين والمَغْتابين والباغِين وأَقْدَمُ عَلَى أرْحَم الرَّاحمين ولا أسَرّ! ودخل الوليدُ بن عبد الملك المسجدَ فَخَرَج كلَّ من كان فيه إلاّ شيخاً قد حَنَاه الكِبَر فأرادًوا أن يُخْرِجُوه فأشار إليهم أن دَعُوا الشيخ ثم مضىَ حتى وَقف عليه فقال له: يا شيخُ تُحِبُّ المَوْت قال: لا يا أميرَ المؤمنين ذَهَبَ الشَّبَاب وشَرُّه وَأتى الكِبر وخيْرُه فإذا قمتُ حَمِدْتُ اللّه وإذا قعدتُ ذكرتُه فأنا أحِب أن تَدُوم لي هاتان الخَلَّتان.

قال عبد الله بن عمر: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول اللّه مالي لا أُحِبَّ الموت قال: هل لك مال قال: نعم قال: فقدِّمه بين يديك قال: لا أطِيق ذلك فقال النبي عليه الصلاة والسلام: إن المَرْء مع مالِه إن قدّمه أحبَّ أن يَلْحَقَه وَإِنْ أَخَرَّه أحبَّ أن يتخلّفَ معه.

وقالِ الشاعر في كراهية الموت: لا والَّذِي مَنَعَ الأبصَارَ رُؤْيَتَه ما يَشْتَهِي الموتَ عِنْدِي من له أدَبُ وقالت الحكماء: الموت كريهٌ.

وقالوا: أشدُّ من الموت ما إذا نزلَ بك أحببتَ له الموتَ وأطيبُ من العَيش ما إذا فارقتَه أبغضتَ له العِيش.

التهجد

المغِيرة بن شُعْبة قال: قام النبي صلى الله عليه وسلم حتى وَرِمت قَدَماه.

وقيل للحَسَن: ما بال المتهجِّدِين أحسن الناس وجوهاً قال: إنَّهم خَلَوْا بالرَّحمن فأسفر نورُهمِ من نُورِه.

وكان بعضهم يصلِّي الليلَ حتّى إذا نظرَ إلى الفَجْر قال: عند الصباح يحْمَدُ القومُ السُرَى.

وقالوا: الشِّتَاءُ ربيعُ المؤمنين يطولُ ليلُهم لِلقِيام ويَقْصُر نهارُهم للصيام.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: أطْعِموا الطَّعام وأفْشوِا السلامَ وصَلُّوا! بالليل والناسُ نِيَام.

وقال الله تبارك وتعالى: " وبالأسْحَارِ هُمْ يَسْتغْفِرُون ".

وهذا يُوَافق الحديثَ الذي رَوَاه أبو هُرَيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: إن الله تبارك وتعالى يَنْزِل إلى سماءِ الدُّنيا في الثُّلث الأخير من اللَّيل فيقول: هل من سائلٍ فأعْطِيَه هل من دَاعٍ فأسْتَجيبَ له هل من مُسْتَغْفِر فأغْفِرَ له هل من مُسْتَغيث فأغِيثه أبو عَوَانَة عن المغيرة قال: قلتُ لإبراهيم النَّخَعيّ: ما تقولُ في البكاء من خشية الله عز وجل قال النبي صلى الله عليه وسلم: حَرَّم اللّهّ عَلَى النار كلَّ عَين تَبْكي من خَشْيَة اللّهّ وكلَّ عَيْنٍ غُضَّت عن محارم اللّه.

وكان يزيد الرَّقاشي قد بكىَ حتى سقطت أشفارُ عينيه.

وقيلَ لغالب بن عبد اللّه: أمَا تخاف على عَيْنَيْك من العَمَى من طُول البُكاء فقال: شِفَاءَها أرِيد.

وقيل ليزيدَ بن مَزْيد: ما بالُ عَيْنك لا تَجفّ قال: أيْ أخي إن الله أوعدني إنْ عَصَيْتُه أن يَحْبِسَني في النار ولو أوْعدني أنَ يَحْبسني في الحمَّام لكنتُ حَرِيًّا أن لا تَجِفّ عيني.

وقال: عمر بن ذَرّ لأبيه: مالَك إذا تكلَّمتَ أَبْكَيْتَ النّاسَ فإذا تكلَّم غيرُك لم يُبْكِهم قال: يا بني ليست النائحة الثَّكْلَى مثلَ النائحة المُسْتَأجَرَة.

وقال اللّهّ لنبيّ من أنبيائه: هَبْ لي من قلْبِك الخَشوع ومن عَيْنَيك الدُّموع ثم ادعني أسْتَجِبَ لك.

ومن قولنا في البكاء " من خشية الله تعالى ": مَدَامِعٌ قد خَدَّدَتْ في الخُدُود وأعِينٌ مَكْحولة بالهُجُودِ وَمَعْشرٌ أوْعدهم رَبُّهم فَبَادَروا خَشْيَة ذاك الوعيد فَهُم عُكُوفٌ في مَحاريبهم يَبْكون من خَوْفِ عِقاب المَجِيدِ وقال قيسُ بن الأصم في هذا المعنى: صلَّى الإله عَلَى قَوْمٍ شَهِدْتُهُمُ كانوا إذا ذَكَرُوا أو ذُكِّرُوا شَهِقُوا كانوا إذا ذَكَرُوا نارَ الجحيم بَكَوْا وَإِنْ تَلاَ بعضُهم تَخْوِيفها صعقوا من غير هَمْزٍ من الشّيطان يأخذهم عِند التِّلاوة إلا الخَوْف والشَفَق صَرْعى من الحُزن قد سَجّوا ثِيابَهم بقيَّة الرُّوح في أوداجهم رَمَقُ حتى تَخَالهم لو كنت شاهِدَهم من شِدَّة الخَوْفِ والإشْفَاقِ قد زَهِقُوا النهي عن كثرة الضحك في الحديث المَرْفوع: كثرةُ الضَّحك تُميت القلب وتُذْهِب بَهاء المُؤمن.

وفيه: لو علمتُمْ لَبَكَيْتُمْ كثيراً وضَحِكْتُمْ قَلِيلاً.

وفيه: إنّ الله يكره لكم العَبثَ في الصلاة والرَّفَث في الصِّيام والضَّحِك في الجنائز.

ومرَّ الحسنُ بقومٍ يَضْحكون في شَهْر رَمضان فقال: يا قوم إنّ الله جعل رمضان مِضْماراً لِخَلْقِه يَتسَابقون فيه إلى رَحْمتِه فَسَبَق أقوامٌ ففازُوا وتخلَّف أقوامٌ فَخَابوا فالعَجب من الضاحِكِ اللاّهي في اليوم الذي فاز فيه السابقون وخاب فيه المتخلِّفون أما واللّهِ لو كُشِف الغِطاء لَشَغَلَ مُحْسِناً إحسانُه ومُسِيئاً إساءتُه.

ونظر عبد الله إلى رجل يضحك مُسْتَغْرِقاً فقال له: أتضحك ولعلّ أكفانَك قد أُخِذَت من " عند " القَصَّار.

وقال الشاعر: وكم مِنْ فتًى يُمْسي ويَصْبِحُ آمِناً وقد نُسِجَتْ أكْفَانُه وهو لا يَدْرِي النهي عن خدمة السلطان وإتيان الملوك " لقى أبو جعفر سفيانَ الثوريّ في الطواف فقال: ما الذي يمنعك أبا عبد الله أن تأتينا قال: إن الله نهانا عنكم فقال: " وَلاَ تَرْكَنُوا إلى الذين ظَلَمُوا فَتَمَسَّكم النار".

وقدِمَ هِشامُ بن عبد الملك المدينة لزيارة القَبر فدخل عليه أبو حازم الأعرج فقال: ما يمنعك أبا حازم أن تأتينا فقال: وما أصنع بإتيانك يا أمير المؤمنين إن أدْنيتني فَتَنْتَني وإن أقصيتني أخزَيْتني وليس عندي ما أخافك عليه ولا عندك ما أرجوك له ".

قال عمرُ بنُ الخطّاب رضي الله عنه: مَن دخل على المُلوك خَرج وهو ساخِطٌ على اللّه.

أرسل أبو جعفر إلى سُفْيانَ فلما دَخل عليه قال: سَلني حاجتك أبا عبد الله قال: وتَقْضيها يا أمير المؤمنين قال: نعم قال: فإنّ حاجتي إليك أن لا تُرْسِل إليَّ حتى آتيك ولا تُعْطِيني شيئاً حتى أسألك ثم خرج.

فقال أبو جعفر: أَلْقَيْنا الحَبَّ إلى العُلماء فلَقَطوا إلا ما كان من سُفيان الثَّوْرِي وقال زيادٌ لأصحابه: مَنْ أغبطُ الناس عيشاً قالوا: الأميُر وأصحابه قال: كلاّ إنّ لأعْواد المِنْبَر لَهَيْبَةً ولقَرْع لِجَام البريد لَفَزْعة ولكنَّ أغبطَ الناس عيشاً رجلٌ له دار يَسْكُنُها وزَوْجَة صالحة يأوي إليها في كَفَاف من عَيْش لا يَعْرفنا ولا نَعْرفه فإن عَرَفنا وعرفْناه أفْسَدْنا " عليه " آخرته ودُنياه وقال الشاعر: إنَّ الملوك بلاءٌ حيثُما حَلّوا فلا يَكُنْ لك في أكنافِهم ظِلّ ماذا تُريد بقَوْمٍ إنْ هُمُ غَضبُوا جارُوا عليك وإن أَرْضَيْتهم مَلُّوا فاسْتَغْنِ باللّهِ عنَ إتْيَانهم أبداً إنَّ الوُقوف على أبوابهم ذلٌّ وقال آخر: لا تصحبنَّ ذَوي السُّلطان في عَملٍ تُصْبِح عَلَى وَجَلٍ تمسْي عَلَى وَجَل كُل الترابَ ولا تَعْمل لهم عملاً فالشرُّ أجْمَعُه في ذلك العَمَل وفي كتاب كليلة ودِمْنة: صاحبُ السلطان مثلُ راكب الأسد لا يَدْرِي متى يَهيجُ به فَيَقْتُله.

دخل مالكُ بنُ دِينار على رَجُل في السِّجن يَزوره فنظر إلى رجل جُنْديّ قد اتّكأ في رِجلَيه كُبُول قد قَرَنت بين سَاقَيْه وقد أتي بسُفْرة كثيرة الألوان فدعا مالكَ بنَ دِينار إلى طَعامه فقال له: أخشى إن أكلتُ من طَعامك هذا أن يُطْرَح في رجليّ مثلُ كُبولك هذه.

وفي كتاب الهِنْد: السلطانُ مثلُ النار إن تباعدتَ عنها احتجتَ إليها وإن دنوتَ منها أحْرقَتك.

أيوب السِّخْتياني قال: طُلب أبو قِلابة لِقَضاء البَصْرة فهَرب منها إلى الشام فأقامَ حيناً ثم رَجع.

قال: أيوب.

فقلتُ له: لو وَليتَ القَضاء وعَدلْت كان لك أجران فقال يا أيّوب إذا وقع السابحُ في البحر كَم عسى أنْ يَسْبح وقال بَقيّة: قال لي إبراهيم: يا بَقِيّة كن ذَنبا ولا تَكن رَأسا فإنّ الرأسَ يهلك والذَّنب ينجو.

ومن قولنا في خِدْمة السلطان وصُحبته: تجَنَّب لباس الخَزِّ إنْ كنْت عاقلاً وَلا تَخْتَتِمْ يوماً بفَصِّ زَبَرْجَدِ ولا تتطيَّب بالغَوالي تَعَطُّرًا وَتَسْحَبَ أذْيَالَ المُلاَءِ المعصَّد وَلاَ تَتَخَيَّر صَيِّتَ النَّعْل زَاهِيًا ولا تَتَصَّدر في الفِرَاش المُمَهَّد وكُنْ هَمَلاً في الناس أغْبَرَ شاعثاً تَرُوحُ وَتَغْدُو في إزارٍ وَبُرْجُد يَرَى جِلْد كَبْشٍ تحتَهُ كلما استوَى عليْهِ سِريراً فَوْقَ صَرْحٍ ممَرَّدٍ ولا تَطْمَح العينَان منك إلى امرىءٍ له سَطَوَاتٌ باللِّسان وباليَد تراءَتْ له الدُّنيا بزِبْرج عَيْشِها وقادَتْ له الأطماع من غيره مقوَد فأسْمَنَ كَشَحَيْهِ وأهْزَلَ دِينه وَلم يَرتَقِب فَي اليوم عاقبةَ الغد فَيُرْحَم تاراتٍ وَيُحْسَدُ تارةً فذا شرُّ مَرْحُوم وَشرُّ مُحَسَّد القول في الملوك الأصمعِيّ قال: بَلغني أنت الحسن قال: يابن آدم أنتَ أسيرُ الجُوع صرَيع الشِّبع إنّ قوماً لَبِسوا هذه المَطَارفَ العِتاق وِالعَمائم الرقاق وَوسَعوا دُورَهم وَضيَّقوا قُبورهم وأسْمَنوا دوابَّهم وأهزَلوا دِيَنهم يَتّكِىء أحدُهم على شِماله ويأكل " مِن " غير مالِه " فإذا أدركته الكِظّة " قال: يا جارية هاتي هاضُومَك ويلك! وهل تَهْضم إلا دينَك.

يحيى بنُ يحيى قال: جَلسِ مالكٌ يوماً فأطرقَ مليّا ثم رَفع رأسَه فقال: يا حَسْرةً على المُلوك لأنهم تُركوا في نعِيم دُنياهم وماتُوا قبل أن يَموتوا حُزْناً على ما خلَفوا وجَزَعاً مما استقبلوا.

وقال الحسن وذُكِر عنده الملوك: أما إنّهم وإنْ هَمْلَجت بهم البغال وأطافت بهم الرِّجال وتعاقبت لهم الأموال إنّ ذُلَّ المَعْصِية في قُلوبهم أبَى الله إلا أن يُذِلَّ مَن عَصاه.

الأصمعيَّ قال: خَطَب عبد الله بن الحسَن على مِنْبر البَصرة فأنشد على المِنبر: أينَ المُلوك التي عَن حَظِّها غَفِلت حتى سَقاها بِكأس المَوْت ساقِيها بلاء المؤمن في الدنيا قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: المُؤمن كالخامَة من الزّرع تَميلِ بها الرّيح مرة كذا ومرّة كذا والكافر كالأرْزَة المُجْذية حتى يكون انجعافُها مرَّة.

ومعنى هذا الحديث: تردُد الرزايا على المؤمن وتجافِيها عن الكافر ليزدادَ إثماَ.

وقال وَهْب بنُ مُنَبِّه: قرأتُ في بعض الكُتب: إني لأذودُ عبادي المخْلصين عن نَعيم الدُّنيا كما يَذُود الرَّاعي الشَّفِيقُ إبلَه عن مَوارد الهَلَكة.

وقال الفَضيل ابن عِيَاض: ألا ترَوْنَ كيف يُزْوِي الله الدنيا عمن يُحب مِن خلْقه ويمرمرها عليه مرَّةً بالجوع ومرَّة بالعُرْي ومرَّة بالحاجة كما تصنع الأمّ

الشَّفيقة بولدها تَفْطِمه بالصَّبْرِ مرَّة وبالحُضَض مرَّة وإنما تُريد بذلك ما هو خيرٌ له.

" وفي الحديث: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أخبرني جبريل عن الله تبارك وتعالى أنه قال: ما ابتليتُ عَبْدي ببليّة! نفسه أو ماله أو ولده فتلقّاها بِصَبْر جميل إلا استحييت يوم القيامة أن أرفَع له ميزاناً أو أنشر له ديواناً ".

كتمان البلاء إذا نزل

قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: من ابتلي ببَلاء فكَتَمَه ثلاثة أيام صَبْراً واحتساباً كان له أجرُ شهيد.

وسَمِع الفُضَيْل بن عِيَاض رجلاً يشْكو بلاء نَزَل به فقال: يا هذا تشكو مَنْ يَرْحَمُك إلى من لا يَرْحمك.

وقال: مَن شكا مُصِيبةً نزَلت به فكأنما شَكا ربَّه.

وقال دُريد بن الصِّمة يَرْثي أخاه عبد الله بن الصِّمة: قليلَ التَّشَكِّي للمصائب ذاكرًا من اليوم أعقابَ الأحادِيث في غَدِ وقال تأبَّطَ شرًّا: قليلَ التشكِّي للمُلِمَ يصيبه كثيرَ النوَى شتى الهوى والمسالِكِ الشيبَانيّ قال: أخبرني صَديقٌ لي قال: سَمِعَني شُريح وأنا أشْتَكي بعضَ ما غمني إلى صديق " لي " فأخذ بيدي وقال: يا بن أخي إياك والشَّكْوى إلى غير اللّه فإنه لا يَخلو من تشكو إليه أن يكون صديقاً أو عدوًّا فأما الصديق فتحْزُنه ولا يَنْفعك وأما العدوّ فَيَشْمَت بك انظُر إلى عيني هذه - وأشار إلى إحدى عَينيه - فواللّه ما أبصرت بها شخصاً ولا طريقاً منذُ خمسَ عشرةَ سنة وما أخبرتُ بها أحداً إلى هذه الغاية أما سمعتَ قول العبد الصالح: " إنما أَشْكو بَثّي وحُزْني إلى اللهّ " فاجعلْه مَشْكاك ومَفْزَعك عند كل نائبة تَنُوبك فإنه أكرمُ مَسْئول وأقربُ مدعوٍّ إليك.

كتب عَقِيل إلى أخيه علي بن أبي طالب رضوانُ اللهّ عليهما يسألهُ عن حاله فكتب إليه: عزيزٌ عليّ أنْ تُرَى بي كآبة فيَفْرَحَ وَاشٍ أَوْ يُسَاءَ حَبيب وكان ابن شُبْرمة إذا نزلتْ به نازلةٌ قالت: سحابة " صَيْف عنّ قليل " تَقَشَّع.

وكان يُقال: أَرْبع من كُنوز الجنَّة: كِتْمان المُصيبة وكِتمان الصَّدقة وكِتمان الفاقة وكِتمان الوَجَع.

القناعة

قال النبي صلى الله عليه وسلم: من أصبح وأَمسى آمناً في سربه مُعَافي في بَدنه عنده قوتُ يومه كان كمن حِيزَتْ له الدُّنيا بحذافيرها.

والسِّرب: المَسْلَك يقال: فلان واسع السِّرب يعني المسلك والمذهب.

وقال قيسُ بيت عاصم: يا بَنيّ: عليكمِ بحِفْظ المال فإنه مَنْبَهةٌ للكريم ويُسْتَغْنى به عن اللئيم.

وإياكم والمَسْألَة فَإنها آخِر كسْب الرَّجُل.

وقال سعد ابن أبي وقّاص لابنه: يا بُني إذا طلبتَ الغِنَى فاطلبه بالقَناة فإنها مالٌ لا يَنْفَد وإياك والطمعَ فإنه فقْر حاضر وعليك باليأس فإنك لا تَيْأس من شيء قطُّ إلا أغناك اللهّ عنه.

وقالوا: الغَنيُّ من استغنى باللّه والفقيرُ ما افتقر إلى الناس.

وقالوا: لا غِنى إلا غني النّفس.

وقيلَ لأبي حازم: ما مالُك قال: مالان الغِنَى بما في يدي عن الناس وَاليأسُ عما في أيدي الناس.

وقيل لآخر: ما مالُك فقال: التجمُل في الظاهر والقَصْد في الباطن.

وقال آخر: لا بُد مما ليس منه بدّ اليَأْس حُرٌ والرجاءُ عَبْدُ وليس يُغْني الكَدَ إلا الجَدّ.

وقالوا: ثمرةُ القناعة الرَّاحة وثمرةُ الحِرْص التعب.

وقال البُحْتريُّ: إذا ما كان عندي قُوتُ يوم طَرَحْتُ الهمَّ عنّي يا سعيدُ ولم تَخْطرُ هُمِوم غدٍ ببالِيَ لأنَ غَداً له رِزْقٌ جَدِيدوقال عُرْوَة بنُ أذَيْنَة: وقد عَلِمتُ وخَيرُ القَوْل أصْدَقُه بأنَ رِزْقِي وَإنْ لم يَأتِ يَأتيني أسْعى إليه فيعييني تطلبه ولو قَعَدْتُ أتاني لا يُعَنِّيني وَوَفد عُروة بن أذَينة على عبد الملك بن مَرْوَان في رجال من أهل المدينة فقال له عبد الملك: ألستَ القائلَ يا عُرْوَة أسْعى إليه فَيُعْييني تَطلبه فما أراك إلا قد سعيتَ له فخرج عنه عُروة وشَخص من فَوْرِه إلى المدينة.

فأفتقده عبدُ الملك فقيل له: توجّه إلى المدينة فبَعث إليه بألف دينار.

فلما أتاه الرسول قال: قُلْ لأمير المؤمنين: الأمرُ على ما قلتُ قد سَعَيتُ له فأعياني تطلّبه وقعدت عنه فأتاني لا يُعنيني.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنّ رُوح القُدس نَفَثَ في رُوعِي: إنَّ نفساً لن تموت حتى تَسْتَوْفي رِزْقَهَا فاتّقوا الله وأجملوا في الطّلب.

وقالَ تعالى فيما حكى عن لُقمان الحكيم: " يا بنيَّ إنّها إنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبّةٍ مِن خَرْدَلٍ فَتكُنْ في صَخْرَةٍ أوْ في السَّمَوَاتِ أوْ في الأرْض يَأتِ بها الله إنّ الله لَطيفٌ خبِير ".

وقال الحسنُ: ابن آدمَ لستَ بسابقٍ أجلَك ولا ببالغٍ أمَلَك ولا مَغْلوب على رِزْقِكَ ولا بمرزوق ما ليس لك فعلامَ تَقْتل نفسَك وقال ابن عبد ربه: قد أخذتُ هذا المعنى فنظمتُه في شعرٍ فقلت: لستُ بقاض أمِلى ولا بعَادٍ أجَلي ولا بمَغْلُوب عَلَى الرَّزْ قِ الذي قُدِّرَ لي ولا بِمُعطىً رِزْقَ غَي ري بالشقا والعَمَلَ فليتَ شِعري ما الذي أدْخَلني في شُغُلي وقال آخر: سيكون الذي

قَضي غضب المرءُ أَمْ رَضي وقال محمودٌ الورَّاق: وقد كفل اللهّ الوَفي برزقه فلم يَرْضَ والإنسانُ فيه عجائب عليمٌ بأنّ الله مُوفٍ بوَعْده وفي قَلْبِه شَكٌّ على القَلْب دائب أبَى الجهل إلا أن يَضرُّ بعلْمِه فلم يُغنِ عَنْه عِلْمُه والتجارب وله أيضاً: أتطلُبُ رِزْقَ اللهّ من عندِ غيْره وتُصْبِحُ من خوْفِ العواقِبِ آمنا وترْضى بعَرّافٍ وَإنْ كان مُشرْكاً ضَميناً ولا تَرْضى بربِّكَ ضامنا وقال أيضاً: غِنىَ النَّفْس يغْنيها إذا كنْت قانِعاً وليسَ بمُغْنِيك الكثيرُ من الحِرْص وإنّ اعتقادَ الهمِّ للخير جامعٌ وقِلّةَ هَمِّ المَرْءِ تَدْعَو إلى النَّقص وله أيضاً: مَن كان ذا مالٍ كثير وَلم يَقْنَعْ فَذَاك المُوسِرُ المعْسِرُ وكل من كان قَنُوعاً وإن كان مقلاً فَهُو المكثر الفَقْرُ في النفْس وفيها الغِنىَ وفي غِنَى النَفس الغِنى الأكبر ومنْ قسِمَ الأرزاق بين عِبادِه وفَضّلَ بَعضَ النَّاس فيها على بعض فمن ظَنَّ أنّ الحِرْص فيها يَزيده فقُولوا له يزداد في الطول والعَرْض وقال ابن أبي حازم: ومَنْتَظِرٍ للموت في كل ساعةٍ يَشِيدُ وَيبْني دائباً ويُحَصِّن له حينَ تَبْلُوه حقيقةُ مُوقِنٍ وأفعالُه أفْعَالُ مَن ليس يُوقِن عَيانٌ كإنكارٍ وَكالجهْل عِلْمُهَ يَشُكّ به في كلِّ ما يتيقن وقال أيضاً: اضرع إلى اللهّ لا تَضْرعَ إلى النَّاس واقْنَعْ بِيأسٍ فإنّ العِزَّ في اليَاس واستغنِ عن كل ذي قربى وذي رَحِم إنّ الغَنِيَّ مَنِ استغنَى عن الناس وَله أيضاً: فلا تَحْرِصَنّ فإنّ الأمور بكَفِّ الإله مقَاديرُها فليسَ بآتيك منْهيهاَ ولا قاصرٍ عنك مأمُورها وله أيضاً: ما لما قد قَدَّرَ الل ه من الأمر مرد قد جرى بالشرِّ نَحْسٌ وجَرَى بالخير سعد وجرى الناسُ على جَر يهما قبل وبعد أمِنوا الدهر وما للدَ هر والأيام عهد غالَهُم فآصطَلَم الجمْ ع وأفنى ما أعدوا إنّها الدنيا فلا تح فل بها جِزرٌ ومد وقال الأضبَطُ بن قُرَيع: ارْضَ من الدهر ما أتاك به مَنْ يَرْضَ يوماً بعَيشِهِ نَفَعَهْ قد يَجْمع المال غيرُ آكلِه وَيأكلُ المالَ غيرُ مَنْ جَمَعه وقال مُسلم بن الوليد: لن يبطئ الأمرُ ما أمَلْتَ أوبتَه إذا أعَانَك فيه رِفْقُ مُتَّئِدِ والدَهْرُ آخِذُ ما أعطى مَكَدِّرُ ما أصْفي وَمُفْسِدُ ما أهْوَى له بيَد فلا يَغُرَّنْك من دهرٍ عَطيَّتُهُ فليس يترُكُ ما أعطى على أحد رَأتْ حولها النسوانَ يرفُلْنَ في الكُسَا مقَلَّدَةً أجيادُها بالقلائد يَسُرَكِ أني نِلْتُ ما نال جَعْفرٌ وما نال يحيى في الحياة ابن خالد وأنّ أمير المؤمنين أعضّني مُعَضهما بالمُرهفات الحدائد ذَريني تَجِئْني ميتتي مُطمَئنّه ولم أتجشم هول تلك الموارد فإنّ الذي يَسْمو إلَى الرتب العُلا سَيُرْمَى بألوان الدُّهى والمكايد وَجَدْتُ لَذَاذات الحياة مَشوبَةً بمُسْتودعات في بطون الأسَاوِد وقال: حتّى متى أنا في حِلّ وتَرْحال وطُول شُغلٍ بإدْبار وإقْبَال ونازحِ الدار ما ينفكُّ مُغتَرباً عن الأحَبّة ما يَدْرُون ما حالي بمَشْرق الأرض طوْراً ثم مَغْرِبَها لا يَخْطُر الموت من حِرْص على بالي ولوَ قَنعْتُ أتاني الرِّزْقُ في دَعَةٍ إنّ القُنُوع الغِنَى لا كثرةُ المال وقال عبدُ الله بن عباس: القَناعة مال لا نَفَاد له.

وقال عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه: الرِّزق رِزْقان: فرِزْقٌ تطلبه ورِزْقٌ يطلبك فإن لم تأته أتاك.

وفي كتاب للهند: لا ينبغي للمُلتمس أن يَلْتمس من العيش إلا الكفَافَ الذي به يَدْفع الحاجة عن نَفْسه وما سِوىَ ذلك إنما هو زيادة في تَعَبه وغَمِّه.

ومن هذا قالت الحكماء: أقلُّ الدنيا يَكْفي وأكثرُها لا يَكفي.

وقال أبو ذُؤَيب: والنَّفْسُ راغبة إذَا رغبتها وإذا تُرَدُّ إلى قليل تَقْنَعُ وقال المسيح عليه السلام: عجباً منكم إنكم تعملون للدُّنيا وأنتم تُرزَقُون فيها بلا عمل ولا تَعْملون للآخرة و " أنتم " لا تُرْزَقون فيها إلا بالعمل.

وقال الحسن: عَيَرَت اليهود عيسى عليه السلام بالفَقْر فقالت: مِن الغِنَى أُتيتم.

أخذ هذا المعنى محمودٌ الورَّاق فقال: يا عائبَ الفَقْرِ ألاَ تَزْدَجِر عَيْبُ الغِنَى أكثَرُ لو تَعْتَبِرْ من شرَف الفَقْر ومن فَضْله عَلَى الغِنَى إن صَحَ منك النظر أنك تَعْصى كي تنالَ الغِنَى وليس تَعصى الله كي تَفْتقِر سُفيان عن مُغيرة عن إبراهيم قال: كانوا يَكرِهون الطلب في أطارف الأرض.

وقال الأعمش: أعطاني البُنَانيُّ مَضَاربه أخرُج بها إلى ماءٍ فسألتُ إبراهيم فقال لي: ما كان يَطْلبون الدنَيا هذا الطلب.

وبين ماءٍ وبن الكوِفة عشرةُ أيام.

الأصمعيُّ عن يُونس بن حَبيب قال: ليس دون الإيمان غِنًيِ ولا بعده فقْر.

قيل لخالد بن صَفْوان: ما أصْبرَك عَلَى هذا الثَوْب " الخَلَق قال: رُبَ وكتب حكيم إلى حكيم يشكو إليه دهرَه: إنه ليس من أحد أنْصَفه زمانُه فتصرفت به الحالُ حسب استحقاقه وإنك لا تَرَى الناسَ إلا أحدَ رجلين: إمَا مُقدَّم أخّره حظه أو متأخِّر قدَّمَه جَدُّه فارضَ بالحال التِي أنت عليها وإن كانت دون أملك واستحقاقك اختياراً وإلا رضيت بها اضطراراً.

وقيل للأحْنف بن قيس: ما أصبرك على هذا الثوب " فقال: أحقِ ما صُبِر عليه ما ليس إلى مُفارقته سَبيل.

" قال الأصمعيُّ: رأيت أعرابيةَ ذات جمال تسأل بمنى فقلت لها: يا أمَة اللهّ تسألين ولك هذا الجمال قالت: قدَرَ الله فما أصنع قلت: فمن أين معاشكم قالت: هذا الحاج نَسْقيهم ونغسل ثيابهم قلت: فإذا ذهب الحال فمن أين فنظرت إليّ وقالت: يا صَلْت الجبين لو كنّا نعيش من حيث نعلم ما عِشْنا ".

وقيل لرجلٍ من أهل المدينة: ما أصْبرَك على الخُبْز والتَّمْر قال: ليتَهما صبرَا عليّ.

الرضا بقضاء اللّه قالت الحُكماء: أصلُ الزُهد الرِّضا عن اللّه.

وقال الفُضَيل بن عِياض: استَخيروا الله ولا تتخيروا عليه فرُبما اختار العبدُ أمرًا هلاَكُه فيه.

وقالت الحكماء: رُبَّ مَحْسود على رَخاء هو قد ينعِم الله بالبَلْوَى وإن عَظُمَت وَيبْتَلِى الله بَعْضَ القوم بالنِّعَم " وقال بعضُهم: خاطَبنِي أخٌ من إخواني وعاتبني في طلب الرُتب فأنشدته: كم افتقرتُ فلم أَقْعُد على كَمَدِ وكم

غَنِيتُ فلم أكبر على أحدٍ إنَي آمرؤ هانت الدنيا عليّ فما أشتاق فيها إلى مال ولا وَلَدٍ وقالوا: من طَلب فوق الكفاية رجع من الدَّهر إلى أبعد غاية ".

من قتر على نفسه وترك المال لوارثه زِياد عن مالكٍ قال: مَن لم يَكُنْ فيه خَيْرٌ لنفسه لم يَكُنْ فيه خيرٌ لغيره لأنّ نفسَه أولَى الأنْفُس كُلَها فإذا ضَيعها فهو لما سِوَاها أضْيَع ومن أحبَّ نفسَه حاطَها وأبقى عليها وتَجنَّب كل ما يَعيها أو يَنْقُصها فَجَنَّبها السَّرِقة مَخافةَ القَطْع والزِّنا مخافة الحَدّ والقَتْل خوفَ القِصاص.

علي بن داود الكاتِب قال: لما افتتح هارون الرشيدُ هِرَقْلة وأباحها ثلاثة أيّام وكان بِطْرِيقها الخارج عليه بَسِيل الرُّوميّ فنظر إليه الرَّشيدُ مُقْبِلاً على جِدَار فيه كتابة باليُونانية وهو يُطِيل النظَر فيه فدَعا به وقال له: لِمَ تركتَ النظَرَ إلى الانتهاب والغَنيمة وأقبلت على هذا الجدار تنظر فيه فقال: يا أمير المؤمنين قرأتُ في هذا الجدار كتابًا هو أحبُّ إليّ من هِرَقْلة وما فيها قال له الرَّشِيد: ما هو قال: بسم اللهّ المَلِكَ الحقِّ المُبين.

ابن آدم غافِص الفُرْصة عند إسكانها وكِل الأمور إلى وَليِّها ولا تَحْمِل على قلبك هَمَّ يوم لم يأتِ بعدُ إنْ يَكُن من أجَلِكَ يأتِك الله بِرِزْقك فيه ولا تَجعَلْ سَعْيَك في طلب المال أسوة بالمَغْرُورين فرُبَّ جامع لِبَعْل حَليلته واعلم أنّ تَقْتير المرء على نَفْسه هو تَوْفيرٌ منه على غيره فالسعيدُ من اتعظ بهذه الكلمات ولم يُضَيِّعها.

قال له الرَّشيد: أَعِدْ عليَّ يابَسِيل فأعادَها عليه حتى حَفِظها.

وقال الحسن: ابن آدم أنتَ أسيرٌ في الدنيا رَضيتَ من لذّتها بما يَنْقضي ومن نَعِيمها بما يَمْضي ومن مُلْكها بما يَنْفد فلا تَجمْع الأوزار لِنَفْسك ولأهلك الأمْوال فإذا مِتّ حملتَ الأوزار إلى قَبْرك وتركتَ أموالَك لأهلك.

أخذ أبو العتاهية هذا المعنى فقال: أبْقَيْتَ مالَك مِيراثاً لوارِثه فليتَ شِعْرِيَ ما أبقى لك المالُ القومُ بَعدك في حالٍ تَسرُّهم فكيفَ بَعدهم دارت بك الحال مَلُّوا البُكاء فما يَبْكيك من أحد واستَحْكَم القِيلُ في الميراث والقَال وفي الحديث المرفوع: أشدّ الناس حَسْرَةً يوم القيامة رجلٌ كَسب مالاً من غير حِلِّه فدخلَ به النارَ ووَرَّثه مَن عَمِل فيه بطاعة اللهّ فَدَخل به الجنة.

وقيل لعبد الله بن عُمر: تُوُفي زَيدُ بن حارثة وترك مائة ألف قال: لكنّها لا تتركه.

ودَخل الحسن على عبد الله بن الأهتم يَعوده في مَرضه فرآه يُصَعِّد بصرَه في صُندوق في بَيْته ويُصَوِّبه ثم التفت إلى الحسن فقال: أبا سَعيد ما تقول في مائة ألف في هذا الصُّندوق لم أؤَدِّ منها زكاة ولم أصِل بها رحماً فقال له: ثَكِلَتْك أمك! ولمن كنت تجمعها قال: لِرَوْعة الزمان وجَفْوة السلطان ومُكاثرة العشيرة.

ثم مات فشَهِد الحسنُ جِنازَته فلما فرَغ من دَفنه ضرَب بيده القَبْر ثم قال: انظرُوا إلى هذا أتاه شيطانُه فحَذّره رَوْعة زمانه وجفوة سُلطانه ومُكاثرة

عشيرته عما استودعه اللّه واستعمره فيه انظُروا إليه يَخْرُج منها مَذْمُوماً مَدْحُوراً.

ثم قال: أيها الوارث لا تُخْدَعَن كما خدِعَ صُوَيْحبك بالأمس أتاك هذا المالُ حَلالاً فلا يكونُ عليك وَبالا أتاك عَفْوًا صَفْوًا ممن كان له جَمُوعا مَنوعا من باطلٍ جَمَعه ومن حقٍّ مَنَعه قطع فيه لُجَج البِحار ومَفاوِز القِفار لم تَكْدَح فيه بَيمين ولم يَعْرِق لك فيه جَبِين إن يوم القيامة يومُ حَسْرَة وندامة وإن من أعظم الحَسَرَات غداً أن تَرى مالَك في ميزان غيرك فيالها حسرةً لا تُقال وتوبةَ لا تُنال.

لما حَضَرَتْ هِشامَ بن عبد الملك الوفاةُ نَظر إلى أهله يَبْكون عليه فقال: جاد لكم هشام بالدَّنيا وجُدْتم له بالبُكاء وترك لكم ما جَمع وتركْتُمْ له ما عَمل ما أعظمَ مُنْقَلب هشام إن لم يَغْفر الله له! نقصان الخير وزيادة الشر عاصم بن حُميد عن مُعاذ بن جَبَل قال: إنكم لن تَرَوْا من الدنيا إلا بلاءً وفِتْنة ولا يزيد الأمر إلا شِدة ولا الأئِمّة إلا غِلَظا وما يأتيكم أمرٌ يَهُولَكم إلا حقّرَه ما بعده.

قال الشاعر: الخَيرُ والشرُّ مُزْداد وُمنتقصٌ فالخير منتقص والشرُّ مُزدادُ وما أَسَائلُ عن قَوْم عرَفْتُهُمُ ذَوِي فَضَائلَ إلا قيل قد بادوا العزلة عن الناس قال النبي صلى الله عليه وسلم: استأنسوا بالوُحدة عن جُلساء السَّوء.

وقال: إنَّ الإسلام بدأ غريباً ولا تقوم الساعةُ حتى يعود غريباً كما بدأ.

وقال العتَّابي: ما رأيتُ الراحةَ إلا مع الخَلْوَة ولا الأُنسَ إلا مع الوَحشة.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: خَيركم الأتْقياء الأصْفياء الذين إذا حضروا لم يُعْرَفوا وإذا غابُوا لم يُفْتقَدُوا.

وقال: لا تَدَعوا حَظَّكم من العزلة فإنَّ العُزْلة لكم عبادة.

وقال لُقْمان لابنه: استعذ باللّه من شِرار الناس وكُن من خِيَارهم على حذَر.

وقال إبراهيم بن أدْهم: فِر من الناس فِرَارَك من الأسد.

وقيل لإبراهيم بن أدهم:ِ لمَ تَجْتنب ارضَ بالله صاحبَا وَذَرِ الناس جانِبَا " قَلّب الناسَ كيفا شِئت تَجدْهم عَقارِبا " وكان محمد بن عبد الملك الزيَّات يأنَسُ بأهل البَلادة ويسْتوْحش من أهل الذكاء فسُئِلِ عن ذلك فقال: مَئونة التحفُّظ شديدة.

وقال ابن مُحَيْريز: إن استطعتَ أن تعْرِف ولا تُعرَف وتَسأل ولا تُسأل وتمشي ولا يُمْشى إليك فافعل: وقال أيوب السخْتياني: ما أحب الله عبداً إلا أحب أن لا يُشْعَر به.

وقيل للعتَّابي: من تُجالس اليوم قال: من أبصُق في وجهه ولا يَغْضَب قيل له: ومَن هو قال: الحائط وقيل لِدِعْبل الشاعر: ما الوَحْشة عندك قال: النظر إلى الناسِ ثم أنشأ يقول: ما أكثر الناسَ لا بَلْ ما أقلَّهم الله يَعْلَم أني لم أقُلْ

فنَدَا إنِّي لأفْتَحُ عَيْني حين أفتَحُها على كَثير ولكن لا أرَى أحِداً وقال ابن أبيَ حازم: طِبْ عن الإمْرة نفساً وارْضَ بالوَحْشَة أنساً ما عليها أحدٌ يَسْ وى على الخِبْرة فَلْسَا وقال آخر: صارَ أحلى الناس في الْع - ينْ إذا ما ذِيق مُرّا إعجاب الرجل بعلمه قال عمرُ بنُ الخطّاب: ثلاثٌ مُهْلِكات: شُحٌ مُطاع وهوًى مُتَّبع وإعجاب المَرْء بِنَفْسه.

وفي الحديث: خيرٌ من العُجْب بالطاعة أن لا تأتي طاعةً.

وقالوا: ضاحكٌ مُعْترف بذَنْبه خيرٌ من باكٍ مُدِلّ على ربه.

وقالوا: سيّئة تُسيئك خيرٌ من حَسنة تُعْجِبك.

وقال الله تَبارك وتعالى: " ألم تَرَ إلى الَذين يَزكَونَ أنْفُسَهم بَل الله يُزَكِّي مَنْ يشاء ".

وقال الحسن: ذمُ الرجل لنفسه في العَلاَنية مَدْحٌ لها في السريرة.

وقالوا: مَن أظهر عَيْبَ نفسه فقد زَكاها.

وقيل: أوحى اللهّ إلى عبده داود: يا داود خالِقِ الناسَ بأخلاقهم واحتجزْ الإيمان بيني وبينك.

وقال ثابت البُنَانِيّ: دخلتُ على داود فقال لي: ما جاء بك قلت: أزُورك قال: ومَن أنا حتى تزُورَني أمن العُبّاد أنا لا والله أم من الزهاد لا واللّه.

ثم أقبل على نَفسه يُوبّخها فقال: كنتُ في الشَّبيبة فاسقا ثم شِبْتُ فَصِرْتُ مرائياً واللّه إنّ المُرائي شرٌ من الفاسق.

لقى عابدٌ عابداً فقال أحدُهما لصاحبه: والله إني أحبُّك في الله قال: واللّه لو اطلعت على سَريرتي لأبْغَضْتَني في اللهّ.

وقال مُعاوية بنُ أبي سُفيان لرجل: مَن سيِّد قومك قال: أنا قال: لو كنتَ كذلك لم تَقُله.

وقال محمود الوراق: تَعْصى الإله وأنت تُظْهر حُبَّه هذا مُحالٌ في القياس بَدِيعُ لو كنتَ تضمر حبه لأطعته إنّ المُحِبّ لمن أحَبَّ مُطِيع " في كل يوم يَبْتليك بِنِعْمةٍ منه وأنت لشكر ذاك مُضِيع " وقال أبو الأشَعث: دَخلنا على ابن سِيرين فوجدناه يُصلي فظَن أنا أعجبنا بصلاته " فأراد أن يَضع نفسه عندنا " فلما انفَتل منها التفت إلينا وقال: كانت عندنا امرأة تضع يدها على فرجها وتقول: حاجتكم تحت يدي.

الرياء زيادٌ عن مالك قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: إياكم والشِّرْكَ الأصغر قالوا: وما الشِّرك الأصغر يا رسول اللّه قال: الرِّياء.

وقال عبدُ الله ابن مسعود: سمعتُ النبي صلى الله عليه وسلم يقول: لا رِياءَ ولا سمعة من سَمَع سَمَّع الله به.

وقال صلى الله عليه وسلم: ما أسرَّ آمرؤٌ سريرةً إلا ألْبسه الله رِداءها إن خيراً فخير وإن شرًّا فشر.

وقال لُقمان الحكيم لابنه: احذَر واحدةً هِيَ أهلٌ للحذر قال: وما هي قال: إياك أن تُرِيَ الناسَ أنك تَخْشىَ اللهّ وقَلْبُكَ فاجر.

وفي الحديث: من أصلح سريرَته أصلح الله علانِيَته.

وقال الشاعر: وإذا أظْهرتَ شيئاً حسناً فَلْيَكُن أحسَنَ منه ما تُسِرّ فَمُسِر الخير مَوْسومٌ به ومُسِرَّ الشرَّ مُوْسُوم بِشرّ صلّى أشعب فخفَّف الصلاة فقِيل له: ما أخفَّ صلاتَك! قال: إنه لم يُخالِطْها رِياء.

وصلى رجلٌ من المُرائين فقيل له: ما أحسنَ صلاَتَك! فقال: ومع ذلك إني صائم.

وقال طاهرُ بنِ الحُسين لأبي عبد الله المَرْوزِيّ: كم لك منذُ نزلتَ بالعِراق قال: منذُ عشرين سنةَ وأنا أصوم الدهرَ منذ ثلاثين سنة.

قال: أبا عبد الله سألتُك عن مسألة فأجبتني عن مسألتين.

الأصمعيُ قال: أخبرني إبراهيمُ بن القَعقاع بن حَكيم قال: أمر عمر بن الخطاب لرجلٍ بِكيس فقال الرجُل: آخُذ الخَيْط قال عمر: ضَع الكِيس.

قال رجل للحسن وكَتب عنده كِتاباً: أتجعلني في حِل من تُراب حائِطك قال: يا بن أخي وَرَعُك لا يُنْكر.

وقال محمود الوراق: أظهرُوا للنَّاس دِيناً وعلى الدَينار دارُوا وله صامُوا وصلّوا وله حَجوا وزَارُوا وقال مُساور الوَرَّاق: شمر ثِيابَك واستعدَ لقائلٍ واحكُمْ جَبينَك للقَضاء بثُوم وعليك بالغَنَوِيّ فاجْلِسْ عنده حتى تُصِيب وَديعة لِيَتيمَ وإذا دَخَلْتَ على الرَّبيع مُسلِّماً فاخصُص سَيابةَ منك بالتَّسليم وقال: تصوَّفَ كَيْ يُقال له أمين وما يَعْني التَّصوفَ والأمانَهْ ولم يُرِد الإله به ولكِنْ أراد به الطريقَ إلى الخيانهْ وقال الغَزّال: يقولُ لي القاضي مُعاذٌ مُشاوِراً ووَلّى آمراً فيما يَرى من ذَوِي العَدْل قَعِيدَكَ ماذا تَحْسَب المرء فاعلاً فقلت وماذا يَفْعل الدَّبْر في النَّحْل يَدُقّ خَلاَياها ويَأكُل شَهْدَها ويَترك للذِّبّان ما كان من فَضْل " وقال أبو عثمان المازنيّ لبعض من راءى فهتك الله عز وجل سِتره: بَينا أنا في تَوْبتي مُستَعْبِرا قد شَبَّهوني بأبي دُوَاد وقال ابن أبي العتاهية: أرسلني أبي إلى صُوفيّ قد قَيّر إحدى عينيه أسأله عن المعنى في ذلك فقال: النَّظرُ إلى الدنيا بكلتا عينيّ إسراف.

قال: ثم بدا له في ذلك فاتصل الخبر بأبي فكتب إليه: مُقَيرَ عينِه وَرَعَا أردتَ بذلك البِدَعا خَلَعْتَ وأخبثُ الثقلي ن صُوفي إذا خَلعا " يحيى بنُ عبد العزيز

قال: حدَّثني نُعيم عن إسماعيل رجل من ولد أبي بكر الصدِّيق عن وَهْب بن مُنَبِّه.

قال: نَصب رجلٌ من بني إسرائيل فخًّا فجاءت عُصفورة فوقعت عليه فقالت: مالي أراك مُنْحنياً قال: لكثرة صَلاتي انحنيتُ قالت: فمالي أراك باديةً عِظامُك قال: لكثرة صِيامي بَدَت عِظامي قالت: فمالي أرى هذا الصوف عليك قال: لِزَهادتي في الدُّنيا لَبِسْتُ الصُوف قالت: فما هذه العصا عندك قال أتوكّأ عليها وأقضي بها حوائجي قالت: فما هذه الحبة في يَدِك قال: قُرْبان إنْ مرّ بي مِسْكين ناولتُه إياه قالت: فإني مِسْكينة قال: فخُذيها.

فقَبَضت على الحبّة فإذا الفخ في عُنقها فجعلت تقول: قَعِي قعِي.

قال الحسن: تَفْسيره.

لا غَرني ناسكٌ مُراءٍ بعدك أبداً.

الدعاء

قال النبي صلى الله عليه وسلم: الدُّعاء سِلاحُ المُؤمن والدُعاء يَرُدّ القَدر والبرُّ يزيد في العُمر.

وقالوا: الدُّعاء بي الأذان والإقامة لا يُرد.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: استقبلوا البلاءَ بالدُّعاء.

وقال اللهّ تعالى: " ادْعُوني أسْتَجبْ لَكُم ".

وقال تعالى: " فَلَوْلا إذْ جاءَهُم بَأسُنَا تَضَرّعُوا ولكِنْ قَسَتْ قُلُوبهم له.

وقال عبد الله بن عباس: إذا دعوتَ الله فاجعل في دُعائك الصلاةَ على النبي صلى الله عليه وسلم فإن الصلاة عليه مَقْبولة واللّه أكْرم من أن يَقْبل بعضَ دُعائك ويَرُد بعضاً.

وقال سعيدُ بن المسيب: كنت جالساً بين القَبْر والمِنْبر فسمعت قائلاً يقول: اللهم إني أسألك عملاً باراً ورِزْقاً دارَّاً وعَيْشاً قارًا.

فالتفتُّ فلم أرَ أحداً. هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: كنت نائمةً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلةَ النِّصف! من شَعبان فلما ألْصِق جِلْدِي بجلده أغفيتُ ثم انتبهتُ فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس عندي فأدركني ما يُدرك النِّساء من الغَيْرة فلَفَفْت مِرْطي أما والله ما كان خَزًّا ولا قَزًا ولا دِيباجاً ولا قُطناً ولا كَتّاناً قيل: فما كان يا أمّ المؤمنين قالت: كان سَدَاه ومن شَعر ولُحْمته من أوبار الإبل.

قالت: فنَحَوْتُ إليه أطلبُه حتى ألفيته كالثَّوب الساقط على وَجهه في الأرض وهو ساجدٌ يقول في سُجوده: سَجد لك خَيالي وسوادي وآمَن بك فُؤادي هذه

يَدي وما جَنَيْتُ بها على نفسي " يا مَن " تُرَجَّى لكل عَظيم فاغفر لي الذنب العَظيم.

فقلتُ: بأبي أنت وأمي يا رسول اللهّ إنّك لفي شأن وإني لفي شأن.

فرَفع رأسَه ثم عاد ساجداً فقال: أعوذ بوَجْهك الذي أضاءت له السمواتُ السَّبع والأرضون السبع من فجْاة نِقْمتك وتحوّل عافيتك ومن شرِّ كتاب قد سَبق وأعوذ برِضاك من سُخْطك وبعَفْوك من عُقوبتك وبك مِنْك لا أحْصى ثناءً عليك أنت كما أثْنيت على نفسك.

فلما انصرف من صَلاته تَقَدَّمتُ أمامه حتى دخلتُ البيت ولي نَفَس عال فقال: مالك يا عائشة فأخبرتهُ الخَبر فقال: وَيْح هاتين الرُّكبتين ما لَقِيتا في هذه اللَيلة! وَمَسح عليهما.

ثم قال: أتدْرين أيّ ليلة هذه يا عائشة فقلتُ: الله ورسولُه أعلم فقال صلى الله عليه وسلم: هذه الليلةُ ليلةُ النِّصف من شعبان فيها تُوَقَّت الآجال وتُثَبَّت الأعمال.

العُتبيّ عن أبيه قال: خرجتُ مع عُمَر بن ذرّ إلى مكة فكان إذا لَبَّى لم يُلَبِّ أحدٌ من حُسن صوته فلما جاء الحَرَم قال: يا رب ما زِلْنا نَهْبط وَهْدةً ونَصْعد أكمة ونَعْلو نَشَزاً وَيَبْدُو لنا عَلَم حتى جِئْناك بها نَقِبَةً أخفافها دبرة ظُهورُها ذا بلةً أسْنِمَتُهَا وليس أعظمُ المَؤونة علينا إتعابَ أبداننا ولكن أعظم المؤونة علينا أن تَرْجِعَنا خائبين من رحمتك يا خيرَ من نَزَل به وكان آخَرُ يدعو بعَرفات: يا رب لم أعْصِك إذ عصيتُك جَهْلاً مني بحقك ولا استخفافاً بعقوبتك ولكن الثقة بعَفْوك والاغترار بِسَتْرِك المُرْخَى علي مع الشَقْوة الغالِبة والقَدَر السابق فالآن مِن عذابك مَن يَسْتَنقذني وبِحَبْل مَن أعْتَصِم إن قطعْت حَبْلك عَني فيا أسفي على الوُقوف غداً بين يدَيْك إذا قِيل للمُخِفَين جُوزوا وللمُذْنِبين حُطّوا.

أبو الحسن قال: كان عروة بن الزُّبير يقول في مُناجاته بعد أن قُطِعت رِجْلُه ومات ابنه: كانوا أربعةً - يعنِي بنيه - فأخذتَ واحداً وأبقيتَ ثلاثة وكُنَّ أربعاً - يعنِي يدَيْه ورِجليه - فأخذتَ واحدةَ وأبقيتَ ثلاثاً فلئن ابتليتَ لطالما عافيتَ ولئن عاقبتَ لطالما أنعمتَ.

وكان داود إذا دَعا في جَوْف الليل يقول: نامت العيون وغارت النجومُ وأنت حَيٌّ قَيوم اغفر لي ذَنبي العظيم فإنه لا يَغْفر الذنبَ العظيم إلا العظيم إليك رفعت رأسي نَظَر العَبْدِ الذليل إلى سيّده الجليل.

وكان من دُعاء يوسف: يا عُدّتي عند كُرْبتي ويا صاحبي في غُربتي ويا غَايَتي عند شِدّتي ويا رَجائي إذا انقطعت حِيلتى اجعل لي فَرَجاً وَمَخْرجاً.

وكان عبدُ الله بن ثعلبة البَصْريّ يقول: اللهم أنت من حِلْمك تُعْصىَ وكأنك لا تَرى وأنت من جُودك وفَضْلك تُعطِي وكأنك لا تُعْطِي وأيّ زمان لم يَعْصك فيه سُكان أرْضك فكُنتَ عليهم بالعفو عوَاداً وبالفَضْل جَوَاداً.

وكان من دُعاء علي بن الحُسين رضي اللّه عنه: اللهم إني أعوذ بك أن تُحَسِّن في مَرأى العُيون عَلانِيَتي وتقَبِّح في خَفيات القُلوب سَرِيرتي اللهم وكما أسأتُ فأحسنتَ إليّ إذا عُدْتُ فعُدْ عليّ وارزقني مُواساة مَن قترَّت عليه ما وسَّعتَ عليَّ.

الشيبانيّ قال: أصاب الناسَ ببغداد ريحٌ مُظْلمة فانتهيتُ إلى رجل في المسجد وهو ساجد يقول في سُجوده: اللهم احفظ محمداً في أمته ولا تُشمِت بنا أعداءنا من الأمم فإن كنتَ أخذتَ العوام بذنبي فهذه ناصِيتي بين يديك.

وكان الفضيل بن عِيَاض يقول: إلهي لو عَذَبتَني بالنار لم يَخْرُج حُبُّك من قَلبي ولم أنسَ أياديكَ عندي في دار الدنيا وقال عبد الله بنُ مسعود: اللهم وَسِّع علي في الدنيا وزَهِّدني فيها ولا تُزْوِها عَني وتُرَغبني فيها.

مَرَّ أبو الدَّرداء برجل يقول في سُجوده: اللهم إنيٍ سائلٌ فقير فأغْنِني من سِعَة فَضْلك خائفٌ مُستجير فأجِرْني من عَذابك.

الأصمعي قال: كان عَطاءُ ابن أبي رَباح يقول في دُعائه: اللهم ارحم في الدُّنيا غُرْبتي وعند الموت صَرْعتي وفي القُبور وُحْدَتي ومَقامي غداً بين يديك.

العُتْبيّ قال: حدَّثني عبدُ الرحمن بن زياد قال: اشتكي أبي فكتب إلى أبي بكر بن عبد اللهِ يسأله أن يدعوَ له فكتب إليه: حُقَّ لمن عَمِل ذنبا لا عُذْر له فيه وخاف مَوتاً لا بُدَ له منه " أن يكون مُشْفِقاً " سأدعو لك ولستُ أرجو أن يُستجاب لي بقوةٍ في عَمل وبراءة من ذنْب.

العُتْبيّ قال: كان عبد الملك بن مَرْوان يَدْعو على المِنْبر: يا ربّ إن ذُنوبي قد كَثُرت وجَلّت عن كيف يكون الدعاء سفيان بن عُيَينة عن أبي مَعْبد عن عِكْرمة عن ابن عبّاس قالت: الإخلاص هكذا وبَسط يدَه اليُسرى وأشار بإصْبعه من يده اليُمْنى والدعاءِ هكذا وأشار برَاحتيه إلى السَّماء والابتهال هكذا ورفع يديه فوق رأسه وظُهورهما إلى وجهه.

سُفيان الثَوريّ قال: دخلتُ على جَعفر بن محمد رضي اللّه عنهما فقال لي: يا سُفيان إذا كثر ت هُمومك فأكْثِر من لا حَوْلَ ولا قُوّة إلا باللّه العليّ العَظيم وإذا تَداركتْ عليك النِّعم فأكْثِر من الحَمْد لله وإذا أبطأ عنك الرّزْق فأكثر من الاستغفار.

وقال عبد الله بن عبّاس: لا كَبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع إصْرار.

وقال عليّ بن أبي طالب رضي اللّه عنه: عجباً ممن يَهْلك والنجاة معه! قيل له: وما هي قال: الاستغفارُ.

دعاء النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر الصِّديق وعمر رضوان الله عليهما

أم سَلمة قالت: كان أكثرُ دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا مُقَلِّب القُلوب ثَبِّت قَلْبي على دِينك.

المَغِيرة بن شُعْبة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سلّم من الصلاة يقول: لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له له المُلْك وله الحَمْد وهو على كلِّ شيء قدير.

وكان آخرُ دُعاء أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه في خُطْبته: اللهم اجعلْ خيرَ زَماني آخرَه وخيرَ عَملي خواتِمَه وخيرَ أيامي يومَ لِقائك.

وكان آخرُ دُعاء عمرَ رضي الله عنه في خُطبته: اللهم لا تَدَعْني في غَمْرة ولا تَأخَذْني في غرة ولا تَجْعلني من الغافِلين.

الدعاء عند الكرب

عبد الله بن مَسْعود قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما مِن عَبدٍ أصابه هَم فقال: اللهم إنّي عبدك وابن عَبْدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماضٍ فيّ حُكْمك عَدْلٌ فيّ قضاؤك أسألك بكلِّ اسمٍ سَمَيت به نَفْسَك أو ذَكرْتَه في كتابك أو عَلّمته أحداً من خَلْقك أو استأثرت به في عِلْم الغَيْب عندك أن تجعل القرآن ضِياءَ صَدْري ورَبيعَ قَلْبي وجَلاء حُزْني وذهاب هَمِّي إلا اذهَب الله هَمَه وبدَّله مَكانَ حُزْنه فرحاً.

وقالوا: كلماتُ الفَرَج من كُلِّ كرْب: لا إله إلا الله الكريم الحَلِيم وسُبْحان اللّه رَبِّ العَرْش الكلمات التي تلقى آدم بها ربه اللهمّ لا إله إلا أنتَ سُبْحانك وبِحَمْدك عَمِلْتُ سُوءًا وظلمتُ نَفْسي فَتُبْ عليّ إنك أنتَ التوَّاب الرحيم.

اسم الله الأعظم عبد الله بنُ يَزيد عن أبيه قال: سَمِع النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يقول: اللهمَّ إنِّي أسألك بأنَّك أنت الله الأحد الصَّمد الذي لم يَلِد ولم يُولد ولم يَكُن له كُفُواً أحد فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لقد سألت الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعِي به أجاب وإذا سُئِل به أعطى.

أسماءُ بنت يزيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: اسم الله الأعظم فيما بي الآيتَيْن: " وَإلهكُم إله واحِد لا إله إلا هُو الرَّحْمن الرَّحيم " وفاتحة آل عمران: " الم الله لا إله إلا هو الحَيُ القَيوم ".

الاستغفار

شَدّاد بن أوْس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: سَيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربّي لا إلهِ إلا أنْتَ خَلَقْتني وأنا عَبْدُك وأنا على عَهْدك وَوعْدك ما استطعتُ أعوذ بك من شر ما صَنَعْتُ أبوء لك بِنِعْمتك علي وأبوء بِذَنبي فاغفِر لي إنه لا يَغْفر الذنوب إلا أنت.

الأسْود وعَلْقمة قالا: قال عبد الله بن مَسعود: إنَّ في كتاب الله آيتَين ما أصاب عبدٌ ذَنباً فقرأهما ثم استغفر الله إلا غُفر له: " والّذين إذا فَعلُوا فاحشةً أو ظَلَموا أنْفُسهم " إلى آخر الآية " ومَنْ يَعْمَل سُوءًا أو يَظْلم نَفْسَه

ثم يَسْتغْفر الله يجِد الله غَفُوراً رَحِيماً " أبو سَعيد الخُدْرِيّ قال: مَن قال: أسْتغفر اللّه الذي لا إله إلا هو الحيُّ القيُّوم وأتُوب إليه خمس مَرّات غفِر له ولو فر من الزَّحف.

دعاء المسافر

عِكْرِمة عن ابن عبّاس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سَفَراً قال: اللهم أنت الصاحبُ في السفر والخَليفة في الحَضر.

اللهم إنَي أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب والحوْر بعد الكوْر ومن سُوِء المنظر في الأهل والمال.

الشّعْبيُّ عن أمّ سَلَمة قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خرج في سَفر يقول: اللهم إنِّي أعوذ بك أن أذِلّ أو أضلَ أو أظلِم أو أُظْلَم أو أجهل أو يُجْهل عليّ.

وقالت: مَن خرج في طاعة الله فقال: اللهم إنَي لم أخرج أشراً ولا بَطَراً ولا رِيَاء ولا سُمعة ولكنّي خرجتُ ابتغاءَ مَرْضاتك واتقاء سُخْطك فأسألك بحقك على جميع خَلْقك أن تَرْزُقني من الخير أكثر ممّا أرجو وتَصرْف عنّي من الشر أكثر مما أخاف.

استجيب له بإذن اللّه.

سعِيد بن جُبَير عن ابن عبّاس قال: إذا دخلتَ على السلطان وهو مَهيبٌ تخاف أن يسْطو عليك فقُل: الله أكْبر وأعزّ مما أخاف وأحذَر اللهم ربّ السَّموات السَّبع وربّ العرش العظيم كُنْ لي جاراً منِ عَبدك فلان وجنوده وأشياعه وأتباعه تبارك اسمك وجلَّ ثناؤك وعزّ جارُك ولا إله غيْرك أبو الحسن المدائنيّ قال: لما حَجّ أبو جَعْفر المنصور مَر بالمدينة فقال للرَّبيع: عليَّ بجعفر بن مُحمد قتلني الله إن لم أقتله.

فمُطِل به ثم ألَحَ فيه فحَضر.

فلما كُشِف السِّتْر بينه وبينه ومَثُل بين يدَيْه هَمَس جعفر بشَفَتيه ثم تقَرَب وسلّم فقال: لا سلّم اللّه عليك يا عدو الله تُعْمِل على الغوائلَ في مُلْكِي قَتلَني الله إن لم أقتُلك.

فقال له جعفر: يا أمير المؤمنين إن سُليمان صلى الله عليه وسلم أعْطِيَ فشكر وإن أيوب ابتليَ فَصَبَر وإن يوسف ظُلِم فَغَفَر وأنت على إرْثٍ منهم وأحَقُّ من تأسىَّ بهم فنكس أبو جعفر رأسه مَليًّا ثم رفع إليه رأسه وقال: إلي يا أبا عبد الله فأنتَ القريبُ القرابة وإنك ذو الرَّحم الواشِجة السَّليم الناحية القَليل الغائلة ثم صافحه بيَمينه وعانقه بِيَساره وأجْلسه معه على فِراشه وانحرف له عن بَعْضه وأقْبل عليه بوَجْهه يُسائله ويُحادثه ثم قال: عجلوا لأبي عبد الله إذنه وكُسْوته وجائزته.

قال الرّبيع: فلما خرج وأسْدل الستر أمسكتُ بثَوْبِه فارتاع وقال: ما أرانا يا ربيع إلا قد حُبِسنا قلتُ: هذه منِّي لا مِنْه قال: فذلك أيْسر قلْ حاجتَك قلت: إنِّي منذ ثلاثٍ أدافع عنك وأدَاري عليك ورأيتُك إذ دخلتَ هَمَسْت بِشَفَتيك ثم رأيتُ الأمرَ انجلى عنك وأنا خادم سُلطان ولا غِنى بي عنه فأحِب منك أن تُعَلِّمَنيه قال: نعم قُل: اللهم احرسني بعَيْنك التي لا تنام واكنُفْني بكنَفَك الذي لا يُرام ولا أهْلِك وأنت رجائي فكم من نِعمة أنْعَمْتها عليّ قَلّ عندها شكْري فلم تَحْرِمْني وكم من بليَّة ابتليتني بها قلّ عندها صبري فلم تَخْذُلْني اللهم بك أدْرأ في نحْره وأعوذ بخيْرك من شرِّه.

الدعاء على الطعام

مَن قال على طعامه: بسم اللهّ خير الأسماء في الأرض وفي السماء ولا يَضُر مع اسمه داء اللهم اجعل فيه الدَّواء والشِّفَاء لم يضُرّه ذلك الطعام كائناً ما كان.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من طعامه قال: الحمد للّه الذي مَنَ علينا وهَدانا وأطعمنا وأرْوانا وكل بلاء حَسن أبْلانا.

الدعاء عند الأذان

مَن قال إذا سَمِع الأذان: رضيتُ بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمّد نبيًّا غفر له ذنوبه.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: إذا سَمِعْتّم الأذان فقُولوا مِثْل ما يقول المؤذِّن.

الدعاء عند الطيرة

قال النبي صلى الله عليه وسلم: مَنْ رأى من الطيْر شيئا يَكرهه فقال: اللهم لا طَيْر إلا طيرك ولا خير إلا خيرك ولا إله غَيرك لم يَضِره.

الساعة التي يستجاب فيها الدعاء الفُضَيل عن أبي حازم عن أبي سَلمة بن عبد الرحمن عن ناسٍ من أصحاب رسول الله صلى التعويذ أنس بن مالك قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: اللهم إنّي أعوذ بك من علم لا يَنْفَع وقَلْب لا يَخشَع ودُعاء لا يُسمع ونَفْس لا تَشْبَع 0 " اللهم إني أعوذ بك من هذه الأربع ".

وقال صلى الله عليه وسلم: من قال إذا أمْسى وأصْبح: أعوذ بكلمات اللهّ التامات المباركات التي لا يجاوزهن بَرٌ ولا فاجر من شرِّ ما يَنزل من السماء ومن شرِّ ما يعرُج فيها ومن شرِّ ما ذرَأ في الأرض وما يَخْرُج منها لم يضره شيء من الشياطين والهوامّ.

مَسْروق عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعَوِّذ الحَسن والحُسين رضي اللهّ عنهما بهذه الكلمات: أعِيذكما بكلمات الله التامَّة من كل عَينٍ لامّة ومن كل شَيطان وهَامَة.

وكان إبراهيمُ صلى الله عليه وسلم يُعَوِّذ بها إسماعيل وإسحاق.

وقال أعرابي يصف دَعْوة: وساريةٍ لم تَسْرِ في الأرض تَبْتَغِي مَحَلاً ولم يَقْطَعْ بها البِيدَ قاطعُ "سَرَتْ حيث لم تَسْرِ الرِّكابُ ولم تُنخ لورْد ولم يَقْصرُ لها القَيْدَ مانع " تَظلُّ وَرَاء اللَيل والليلُ ساقِطٌ بأوْرَاقه فيه سميرٌ وهاجع إذا سألَتْ لم يَردد الله سُؤْلَها على أهْلِها والله راءٍ وسامع وإني لأرجو الله حتى كأنما أرى بجميل الظنّ ما اللهّ صانع ومن قولنا في هذا المعنى: بُنَيٌ لئن أعيا الطبيبَ ابن مُسلم ضَنَاك وأعْيا ذا البَيان المُسَجَّع لأبْتَهِلَنْ تحتَ الظلام بِدَعْوَةٍ متى يَدْعها داع إلى الله يُسمع يُقلقل ما بين الضلوعَ نَشيجُها لها شافِع من عَبْرَةٍ وتضرُّع إلى فارجِ الكَرْب المُجيب لمن دعا فَزَعْتُ بكَرْبي إنه خير مَفْزع فيا خير مَدْعُوّ دعوتُك فاسْتَمع ومالِي شَفيع غير فضلك فاشْفَع

كتاب الدرة في التعازي والمراثي

قال أحمدُ بن محمد بن عبد ربّه: قد مضى قولنا في الزُهد ورجاله المَشْهورين.

ونحن قائلون بعَون الله " وتوفيقه " في النَّوادب والمراثي والتَعازي بأبلغ ما وَجدناه من الفِطر الذكيّة والألفاظ الشجيّة التي تُرقّ القلوبَ القاسية وتذيب الدموع الجامدة مع اختلاف النَّوادب عند نزول المصائب فنادبة تُثير الحُزْن من رَبْضَته وتَبعث الوَجْدَ من رَقْدَته بصوتٍ كترجيع الطَير تُقَطِّع أنفاسَ المآتم وتترك صدْعاً في القلوب الجلامد ونادبة تَخْفِض من نَشِيجها وتَقْصِد في نحيبها وتَذهب مَذْهَب الصبر والاستسلام والثِّقة بجزيل الثواب.

قال عمر بن ذَرّ: سألتُ أبي: ما بالُ الناس إذا وعظتَهم بَكَوْا وإذا وَعظهم غيرُك لم يَبكوا قال: يا بُني ليست النائحة الثَكلى مثلَ النائحة المُستأجَرَة.

وقال الأصمعيّ: قلتُ لأعرابيّ: ما بالُ المراثي أشرفُ أشعاركم قال: لأنّا نقولُها وقلوبنا مُحْترقة.

وقالت الحكماء: أعظم المصائب كلّها انقطاعِ الرّجاء.

وقالوا: كلُّ شيء يَبدو صغيراً ثم يَعْظُم إلا المصيبةَ فإنها تبدو عظيمة ثم تصْغُر.

القول عند الموت الأصمعيّ عن مُعْتمر عن أبيه قال: لقِّنوا مَوْتاكم الشَّهادة فإذا قالوها فدَعوهم ولا تُضْجروهم.

وقال الحسن: إذا دخلتم على الرجل في المَوت فبَشِّروه لِيَلْقى ربّه وهو حسن الظنّ به وإذا كان حيًّا فخَوِّفوه.

ولَقِي أبو بكر طلحةَ بن عبيد الله فرآه كاسفَاً مُتَغَيراً لونُه فقال: مالي أراك مُتَغَيِّراً لونُك قال: لكلمة سمعتها منَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أسأله عنها قال وما ذاك قال: سمعتُه يقول: إني أعلم كلمة مَن قالها عند الموت مَحَّصت ذُنوبَه ولو كانت مثلَ زَبَد البحر فأنْسِيت أن أسأله عنها.

قال أبو بكر: أعَلِّمُكَها وهي: لا إله إلا اللّه.

أبو الحُبَاب قال: لما احتضر مُعاذ قال لخادمته: وَيْحكِ! هل أصْبَحْنَا قالت: لا ثم تركها ساعةً ثم قال لها: انظُري فقالت: نعم قال: أعوذ باللهّ من صباحٍ إلى النار.

ثم قال: مَرْحباً بالموت مَرْحباً بزائر جاء عليِ فاقة أفلح من نَدِم.

اللهم إنك تعلم أني لم أحِبّ البقاء في الدنيا لِجَرْي الأنهار وغرْس الأشجار ولكن لمُكابدة اللّيل الطويل وظمأ الهَواجر في الحرّ الشديد ومُزاحمة العُلماء بالرَّكب في مجالس الذِّكر.

ولما حضرت الوفاةُ عمرَ بن عُتبه قال لرفيقه: نَزَلَ بي الموتُ ولم أتأهّب له اللهم إنك تعلم أنه ما سَنح لي أمران لك في أحدهما رضاً ولي في الآخر هوًى إلا آثرْتُ رِضَاك على هَوَاي.

ولما حضرَت الوفاةُ عمَر بنَ الخطاب: قال لوَلده عبد الله بن ابن السمَّاك قال: دخلتُ على يزيد الرَّقاشي وهو في الموت فقال لي: سَبَقَني العابدون وقُطع بي والهْفَاه! موسى الأسْوارِيّ قال: دخلتُ على أزْدامَرْد وهو ثَقيل فإذا هو كالخُفَّاش لم يَبْقَ منه إلا رَأسُه فقُلْت له: يا هذا ما حالُك قال: وما حالُ من يُريد سفراً " بعيداً " بغير زاد ويَنطلق إلى ملك عَدْل بغير حُجَّة ويَدْخُل قبراً مُوحشاً بغير مُؤْنس قال عمرُ بن عبد العزيز لأبي قِلاَبة وقد وَلي غَسْل ابنه عبد الملك: إذا غَسّلته وكَفَّنتَه فآذنّي قبل أن تُغَطِّي وجهه فَفَعل فنظر إَليه وقال: رَحمك اللّه يا بُني وغَفَر لك.

ولما مات محمد بن الحجَّاج جَزع عليه جَزَعاً شديداً وقال: إذا غسَّلتموه وكَفَّنتُموه فآذنوني ففعلوا فنظر إليه وقال مُتمثّلاً: الآن لما كُنتَ أكملَ مَنْ مَشى واْفترّ نابُك عن شَباة القارح وتكاملتْ فيك المُروءة كُلُّها وأعنت ذلك بالفعال الصالح فقيل له: اتّق اللّه واسترجع فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون.

وقال عمر بن عبد العزيز لابنه عبد الملك: كيف تجدك يا بُني قال: أجِدُني في الموت فاحْتَبِسني فإنّ ثوابَ اللّه خيرٌ لك منّي قال: واللّه يا بُني لأن تكون في ميزاني أحب لي أن أكون في ميزانك قال: وأنا واللهّ لأن يكون ما تُحب أحبَّ إليّ من أن يكون ما أحِب.

لما احتضر عمرُ بن عبد العزيز رحمه الله استأذن عليه مَسْلمة بنُ عبد الملك فأذن له وأمره أن يُخفِّف الوَقْفة فلما دخل وقف عند رأسه فقال: جَزاك اللّه يا أميرَ المؤمنين عنّا خيراً فلقد ألنت لنا قُلوباً كانت علينا قاسية وجعلت لنا في الصالحين ذِكْراً.

حمّاد بن سلمة عن ثابت عن أنَس بن مالك قال: كانت فاطمةُ جالسةً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم: فتراكبت عليه كُرَب الموت فرفع رأسه وقال: واكَرْباه! فبكت فاطمة وقالت: واكَرْباه لكَرْبك يا أبتاه! قال: لا كَرْب على أبيك بعد اليوم.

الرِّياشي عن عثمان بن عُمَر عن إسرائيل عن مَيْسرة بن حبيب عن المِنْهال بن عمرو عن عائشة بنت طَلْحَةَ عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: ما رأيتُ أحداً من خَلْق الله أشبه حَدِيثاً وكلاماً برسول الله صلى الله عليه وسلم من فاطمة وكانت إذا دخلتْ عليه أخذ بيدها فقبَّلها ورَحَب بها وأجْلسها في مَجْلسه وكان إذا دخلِ عليها قامت إليه ورَحَّبَت به وأخذت بيده فقبَّلتها.

فدخلتْ عليه في مَرضه الذي تُوفي فيه فأسرَّ إليها فبكت ثم أسرّ إليها فضَحِكت.

فقلتُ: كنتُ أحسَبُ لهذه المَرأة فضلاً على النِّساء فإذا هي واحدةٌ منهنّ بينما هي تَبكي إذا هي تَضْحك.

فلما تُوفِّي رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتُها فقالت: أسرّ إليّ فأخبرني أنه مَيِّت فبكيتُ ثم أسرَ إليَّ أني أولُ أهل بَيته لُحُوقاً به فَضَحكتُ.

القاسم بن محمد عن عائشة أمّ المؤمنين رضي اللهّ عنها: أنها دخَلَت على أبيها في مرضه الذي مات فيه فقالت له: يا أبَتِ اعهد إلى خاصتك وأنْفذ رأيك في عامّتك وانْقُل من دار جهازك إلى دار مُقامك وإنك مَحْضُور ومَتَصِل بقلبي لوْعتُك وأرى تخاذل أطْرافك وانتفاع لَوْنك فإلى " اللّه " تَعْزيتي عنك ولديه ثوابُ صَبْري عليك أرْقأ فلا أرْقأ وأشْكُو فلا أشْكَى.

فرفع رأسه فقال: يا بُنيّة هذا يوم يُحَلّ فيه عن غِطائي وأعاين جزائي إنْ فرِحاً فدائم وإنْ تَرَحاً فمُقيم.

إني اضطلعت بإمامة هؤلاء القوم حين كان النكوص إضاعةً والحذر تَفْريطاً فشَهيدي اللّه ما كان بقلبي إلا إياه فتَبلَغت بصَحْفتهم وتعلّلت بدرّة لقْحَتهم وأقمت صَلاَي معهم لا مُخْتالاً أشِراً ولا مُكابِراً بَطِراً لم أعْدُ سَدَّ الجوْعة وتوْرية العَوْرة طَوًى مُمغص تَهْفُو له الأحْشاء وتَجِبَّ له الأمعاء واضطررت إلى ذلك اضطرار الجَرِض إلى الماء المَعيف الآجن فإذا أنا مِتُّ فردِّي إليهم صَحْفتهم ولَقْحَتهم وعَبْدَهم ورحَاهم ودِثَارة ما فوقي اتقيت بها أذى البرد ووِثارة ما تحتي اتقيتُ بها أذىَ الأرْض كان حَشْوهُما قِطَع السَّعف.

ودخل عليه عمر فقال: يا خليفةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كلفتَ القومَ بعدك تَعَبا ووَلّيتهم نَصَبا فهيهات مِن شقّ غُبَارك فكيف باللحاق بك.

وقالت عائشة وأبوها يُغمَّض: وأبْيَض يُسْتَسْقَى الغمامُ بوجهه رَبيع اليَتامى عصمة للأرامِل عليه فقالت: لَعمرك ما يغني الثّرَاء عن الفَتى إذا حَشْرَجَت يوماً وضاق بها الصَّدْرُ قالت: فنظر إليّ كالغضبان وقال لي: قُولي: " وَجَاءَتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بالحَقّ ذلِك ما كُنْتَ منه تَحِيد ".

ثم قال: انظروا مُلاءَتيّ فاغْسلوهما وكفِّنوني فيهما فإن الحيَّ أحوجُ إلى الجديد من الميّت.

وقال مُعَاوية حين حَضرَته الوفاة: أَلا لَيْتَني لم أغنَ في المَلْكِ ساعةً ولم أَكُ في اللّذّات أعْشىَ النواظِرِ وكنْتُ كذِي طِمْرَيْنِ عاش بِبُلْغَةٍ لياليَ حتى زار

ضَنْك المَقابِر لما ثَقُل مُعاوية ويزيدُ غائبٌ أقبل يزيد فوجد عُثمان بنَ محمد بن سُفيان جالساً فأخذ بيده ودخل على مُعاوية وهو يجود بنفسه فكلَّمه يزيدُ فلم يُكلِّمه فبكى يزيدُ وتَصَوَّر مُعاوية ساعةً ثم قال: أي بُنى إنّ أعظم ما أخافُ الله فيه ما كنتُ أصنع لك.

يا بني إني خَرجْتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان إذا مضى لحاجته وتوضأ أصبّ الماء على يَدَيه فنَظَر إلي قميص لي قد انخرق من عاتقي فقال لي: يا مُعاوية: ألا أكسُوك قميصاً قُلت: بلى فكَساني قميصاً لم ألبَسْه إلا لَبْسَةً واحدة وهو عندي واجتز ذات يوم فأخذتُ جُزازة شَعرِه وقُلامَة أظفاره فجعلتُ ذلك في قارُورة فإذا مِتُّ يا بُني فاغْسِلْني ثم اجعل ذلك الشّعر والأظفار في عَيْنَيَّ ومِنْخَري وفمي ثم اجعل قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم شِعَاراً من تحت كَفَني إن نَفَع شيء نفع هذا.

لما احتُضِر عمرو بن العاص جمع بَنِيه فقال: يا بَني ما تغنون عني من أمر اللّه شيئاً قالوا: يا أبانا إنه الموت ولو كان غيرُه لَوَقَيْناكَ بأنفسنا فقال: أَسْنِدُوني فأسْنَدوه.

ثم قال: اللهم إنك أمرتني فلم أأْتمر وزَجَرتني فلم أَزْدَجِر اللهم لا قَوِي فأنتصر ولا بَريء فأعتذر ولا مُسْتكبر بل مُسْتغفر أستغفرك وأتوب إليك لا إله إلا أنت سُبحانك إني كنتُ من الظالمين.

فلم يَزَل يُكَرِّرها حتى مات.

قال: وأخبرنا رجالٌ من أهل المدينة أنَّ عمرو بن العاص قال لبنيه عند موته: إنيِّ لستُ في الشرِّك الذي لو مِتُّ عليه أدْخِلْتُ النار ولا في الإسلام الذي لو مِتُّ عليْه أدخِلت الجنَة فمهما قَصَرْتُ فيه فإنِّي مُستَمْسِك بلا إله إلا اللهّ وقَبَض عليها يده وقُبض لوقته.

فكانت يده تفْتَح تترَك فَتَنْقَبض.

وقال لبَنِيه: إنْ أنا مِتُّ فلا تَبْكوا عليّ ولا يتبعني مادح ولا نائحٌ وشَنُّوا عليِّ التراب شَنًّا فليس جَنْبي الأيمن أولى بالتراب من الأيسر ولا تجعلوا في قَبري خَشبةً ولا حَجَراً وإذا وارَيْتموني فاقعدوا عند قَبري قَدْرَ نَحْر جَزُور وَتَفْصِيلها أسْتَأنس بكم.

الجزع من الموت

الفُضَيل بن عِيَاض قال: ما جَزع أحدٌ من أصحابنا عند الموت ما جزع سُفْيان الثوريّ فقلنا: يا أبا عبد الله ما هذا الجَزَع أليس تَذْهَب إلى من عَبَدْته وفَرَرْت ببدنك إليه فقال: ويحكم! إني أسْلُك طريقاً لم أعرفه وأقْدم علِى ربٍّ لِم أره.

ولما تُوُفِّي سعيدُ بن أبي الحسن وجد عليه أخوه الحسن وَجْداً شديداً فكُلِّم في ذلك فقال: ما رأيتُ الله جعل الحُزن عاراً على يَعْقوب.

وقال صالح المَرِّي: دخلتُ على الحسن وهو في الموت وهو يُكثِر الاسترجاعَ فقال له ابنه: أمِثْلك يَسترجع على الدنيا قال: يا بُني ما أَسْتَرجع إلا على نفسي التي لم أُصَب بمثلها قَطُّ.

ولما أمر معاوية بقتل حجْر بن الأدْبَر وأصحابه بَعث إليهم أكفانهمِ وأمر بأن تُفْتح قبورهم ويُقْتلوا عليها.

فلما قُدِّم حُجْر بن الأدبر إلى السيف جزعِ جزَعاً شديداً فقيل له: أمِثلُك يَجزعٍ من الموت فقال: وكيف لا أجزع وأرى سيفاً مشهوراً وكفناً منشوراً وقَبْراً مَحفوراً.

البكاء على الميت

الشَّعبي عن إبراهيم قال: لا يكون البُكاء إلا من فَضْلٍ " قُوة " فإذا اشتد الحُزن ذَهَبَ البكاء.

فلئن بَكَيْناهُ لَحُقّ لنا ولئن تَرَكْنا ذاك للصَّبرِ فَلِمِثْله جَرَت العُيونُ دماً ولمثله جَمَدت ولم تَجْرِ مر الأحنف بامرأة تبكي مَيتاً ورجل ينهاها فقال: دَعْها فإنها تَنْدُب عَهْداً قريباً وسَفراً بعيداً.

قالوا: لما توُفَي إبراهيم بن محمد صلى الله عليه وسلم بكى عليه.

فسُئِل عن ذلك فقال: تدمع العينان ويحزن القلب ولا نَقُول ما يُسْخِط الرب.

ومَر النبي صلى الله عليه وسلم بنِسْوة من الأنصار يَبْكين مَيِّتاً فزَجَرهنَّ عمر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: دَعْهن يا عُمر فإن النفسَ مُصابة والعينَ دامِعة والعهدَ قريب.

ولما بكت نساء أهل المدينة على قَتْلى أُحد قال النبي صلى الله عليه وسلم: لكنَّ حمزةَ لا باكيةَ له.

فسَمِع ذلك أهلُ المدينة فلم يَقُمْ لهم مأتم " أبعدها " إلى اليوم إلا ابتدأ " النّساء " فيه بالبكاء على حمزة قالت النبي صلى الله عليه وسلم: لولا أن يُشَقّ على صَفيَّة ما دفنتهُ حتى يُحْشرَ من حواصل الطير وبُطون السِّباع.

ولما نُعي النَّعمان بن مُقَرَّن إلى عمر بن الخطاب وضع يدَه على رأسه وصاح يا أسفي على النعمان.

ولما استُشهد زيد بن الخطاب باليمامة وكا صَحبه رجلٌ من بني عَدِيّ بن كعب فرَجع إلى المدينة فلما رآه عمرِ دَمَعَت عيناه وقال: وقال عمرُ بنُ الخطاب " رضي الله عنه ": ما هَبت الصَّبا إلا وجدتُ نَسيم زيد.

وكان إذا أصابته مصيبة قال: قد فقدتُ زَيداً فصبرتُ.

ولما تُوفي خالدُ بن الوليد أيام عمرَ بن الخطاب وكان بينهما هجرة فامتنع النساء من البكاء عليه.

فلما انتهى ذلك إلى عمر قال: وما على نساء بني المغيرة أن يُرِقْنَ من دمعهن على أبي سُليمان ما لم يكن لَغْواً ولا لَقْلَقة.

وقال معاوية وذُكر عنده النساء: ما مَرَّض المَرضى ولا نَدَب الموْتى مِثْلهنَّ.

وقال أبو بكر بن عيّاش: نزلت بي مصيبة أوْجعتني فذكرتُ قولَ ذي الرُّمة: لعل انحدار الدَّمع يُعْقِبُ راحةً من الوَجْد أو يَشْفي شَجِيّ البَلاَبِل فَخَلوتُ فبكيتُ فسلوتُ.

وقال الفرزدق في هذا المعنى: ألم تَرَ أنّي يومَ جَوِّ سُوَيْقة بَكيتُ فنادَتني هُنَيْدَةُ ماليَا فقُلتُ لها إنَّ البُكاء لراحةٌ به يَشْتَفي من ظَنَّ أن لا تلاقيَا قعيدَ كما الله الذي أنتما له ألم تَسْمعا بالبيضَتين المُنَاديا حَبِيبٌ دعا والرمل بَيني وبينه فأسمعنى سَقْياً لذلك داعِياً يقال: قعيدك اللّه وقِعْدَك اللهّ معناه: سألتك اللّه.

قال بعضُهم: خرجنا مع زَيْد بن عليّ نُريد الحجَّ فلما بلغنا النِّبَاج وصرنا إلى مقابرها التفتَ إلينا فقال: لكُلِّ أناس مَقْبَر بِفنائهم فهم يَنْقُصُون والقُبور تَزيدُ فما إنْ تَزالُ دارُ حَيٍّ قد اخْرِبَتْ وقَبْرٌ بأفْنَاءِ البُيوت جديد هُمُ جِيرَةُ الأحياء أما مَزارُهم فدانٍ وأما المُلتقى فبَعِيد وقال: مررتُ بيزيد الرَّقاشيّ وهو جالسٌ بين المدينة والمقبرة فقلت له: ما أجْلسك ها هنا قال: أنْظُر إلى هذين العَسْكرين فعسكرٌ يَقْذِف الأحياء وعسكرٌ يلْتقم الموتى ثم نادى بأعلى صوته: يأهلَ القُبور المُوحِشَةَ قد نطق بالخَرَاب فَناؤُها ومُهَّدَ بالتُّرَاب بِناؤُها فمحلُّها مُقْتَرَب وساكنها مغْتَرِب لا يتواصلون تواصلَ الإخوان ولا يتزاورون تَزاور الجيران قد طَحَنهم بكَلْكَله البِلَى وأكلتهم الجنادل والثّرى.

وكان عليُّ بن أبي طالب كرم الله وجهه إذا دخل المَقبرة قال: أما المنازل فقد سُكِنت وأما الأموال فقد قُسِّمت وأما الأزواج فقد نُكِحت فهذا خبر ما عندنا فليْتَ شِعْري ما عندكم ثم قال: والذي نفسي بِيده لو أذِن لهم في الكلام لقالوا: إن خير الزَّاد التَّقوى.

وكان عليُّ بن أبي طالب إذا دخل المقبرة قال: السلامُ عليكم يأهل الدِّيار المُوحِشة والمَحالَ المقفرة من المؤمنين والمُؤمنات اللهم اغفرِ لنا ولهم وتجاوَز بعفوك عنّا وعنهم.

ثم يقول: الحمد لله الذي جعل لنا الأرض كفاتاً أحياءً وأمواتاً والحمد للهّ الذي منها خَلَقنا و " جعل " إليها مَعَادنا وعليها محشرنا طوبى لمن ذكر المَعاد وعمل الحسنات وقَنع بالكفاف ورَضي عن الله عزّ وجلّ.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دَخل المَقْبرة قال: السلامُ عليكم دارَ قوم مُؤمنين وإنَّا إنْ شاء الله بكم لاحقون.

وكان الحَسَن البَصريّ إذا دخل المقبرة قال: اللهم رَبّ هذه الأجساد البالية والعِظام النّخرة التي خَرَجت من الدُّنيا وهي بك مؤمنة أدخِل عليها رَوحاً منك وسَلاماً منّا.

وكان عليٌّ ابن الفَضْل إذا دَخل المقبرة يقول: اللهم اجعل وَفَاتهم نجاةً لهم مما يَكْرَهون واجعل حِسابهم زيادة لهم فيما يُحبون.

الوقوفْ على القبور وتأبين الموتى وقف أعرابيٌ على قَبْر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: قُلتَ فَقَبِلْنا وأُمرتَ فحَفظنا وبلَغت عن ربك فسَمِعْنا.

" ولَو أنهم إذْ ظَلَمُوا أنْفُسَهم جاءُوك فاستَغْفرُوا الله واسْتَغْفر لهم الرَّسَولُ لَوَجَدُوا الله تواباً رَحيَماً ".

وقد ظَلمنا أنفسنا وجِئْناك فاستَغفر لنا.

فما بَقِيت عينٌ إلا سالَتْ.

وقفت فاطمةُ عليهما السلام على قبر أبيها صلى الله عليه وسلم فقالت: فليتَ قَبْلَكَ كان الموتُ صادَفَنا لما نُعِيتَ وحالتْ دونك الكُثُبُ حمّاد بن سَلَمة عن ثابت عن أنس بن مالك قال: لما فَرغنا من دَفن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبلَتْ عليَّ فاطمةُ فقالت: يا أنس كيف طابَتْ أنفسكم أن تَحْثُوا على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب ثم بَكت ونادت: يا أبتاه! أجاب ربًّا دعاه يا أبتاه! مِن ربِّه ما أدناه يا أبتاه! مَن ربُّه ناداه يا أبتاه! إلى جبربل نَنْعاه يا أبتاه! جَنَّة الفرْدَوْس مأواه.

قال: ثم سَكَتتْ فما زادت شيئاً.

ولما دُفن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أقْبل عبدُ الله بن مَسعود وقد فاتَتْه الصلاةُ عليه فوَقَفَ على قَبره يبكي ويَطْرح رِداءه ثم قال: واللّه لئن فاتَتْني الصلاةُ عليك لا فاتَني حُسْنُ الثّناء أما واللهّ لقد كنتَ سَخيا بالحقّ بخيلاً بالباطل تَرضى حين الرِّضا وتَسْخَط حين السُّخْط ما كنتَ عَياباً ولا مَدّاحاً فجزاك الله عن الإسلام خَيْراً.

ووقف عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه على قَبْر خَبّاب فقال: رَحم اللهّ خَبّابا لقد أسْلم رَاغِباً وجاهد طائعاً وعاش زاهداً وابتُلي في جسمه فَصَبر ولن يُضيِّعَ اللهّ أجرَ من أحسن عملاً.

ولما توُفي عليّ بن أبي طالب رضوان اللهّ عليه قام الحسنُ بن علي رضي اللهّ عنهما فقال: أيها الناس إنه قُبِض فيكم الليلة رَجُلٌ لم يسبقه الأولون ولم يُدْركه الآخِرون قد كان رسولُ للّه صلى الله عليه وسلم يَبْعثه فيَكتنفه جبريلُ عن يمينه وميكائيل عن شِماله لا يَنْثني حتى يَفْتح الله له ما تَرَك صَفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة دِرهم أعدَّها الخادم له.

عبدُ الرحمن بن الحسن عن محمد بن مُصْعَب قال: لما مات داود الطائي تكلّم ابن السّماك فقال: إنّ داود نظر إلى ما بي يَدَيه من آخرته فأعشى

بَصَرُ القَلْب بصرَ العيَنْ فكأنه لم ينْظر إلى ما إليه تَنْظرون وكأنَّكم لم تَنْظروا إلى ما إليه نظر وأنتم منه تَعْجبون وهو منكم يَعْجَب فلما رآكم مَفْتُونين مَغرورين قد أذهَلت الدّنيا عُقُولكم وأماتت بحبِّها قُلوبكم آستوحش منكم فكنتَ إذا نظرتَ إليه حَسِبْتَه حيًّا وسْط أمْوات.

يا داود ما أعجب شأنك بين أهل زمانك! أهَنت نَفْسك وإنما تُريد إكرامَها وأتْعبتها وإنما تُريد راحتها أخشَنْت المَطعم وإنما تُريد طيبَه وأخْشَنْت الملبس وإنما تُريد لينه ثم أمَتَّ نَفْسك قبل أن تموت وقَبرْتها قبل أن تُقْبَر وعذَّبتها قبل أن تُعَذَّب سَجَنْت نفسك في بَيْتك ولا مَحدِّث لها ولا جليس معها ولا فِرَاش تحتك ولا ستر على بابك ولا قُلّة تُبرَّد فيها ماءك ولا صَحْفة يكون فيها غَداؤُك وعشاؤك.

يا داود ما تشْتهي من الماء بارده ولا من الطعام طيِّبه ولا من اللِّباس ليِّنه بلى ولكن زَهِدْت فيه لما بين يَدَيك فلا أصغر ما بذلتَ وما أحقرَ ما تَرَكْتَ في جَنْبِ ما رَغِبْتَ وأمَّلت! لم تقبل من الناس عَطيَّة ولا من الإخوان هدية فلما مِتّ شَهَرَك رَبُّك بفَضْلك وألبسك رِدَاء عملك فلو رأيت مَنْ حَضرَك وقف الأحنفُ بن قيسٍ على قَبْر أخيه فأنشد: فوالله لا أنْسى قَتيلا رُزِئْتُه بجانب قوسىَ ما مَشيَ على الأرض على انها تَعْفُو الكُلومُ وإنما نوَكَلُ بالأدنى وإن جلَّ ما يَمْضي ووقف محمد بن الحَنَفية على قبر الحُسن بن علي رضي الله عنه فخَنَقَتْه العَبرَة ثم نَطقَ فقال: يَرْحمك الله أبا أحمد فلئن عزّت حَياتُك فلقد هَدَّت وفاتُك ولَنِعْم الرُّوح روح ضَمّه بدَنك ولَنِعْمَ البدن بَدَنُ ضَمَّه كَفَنُك وكيف لا يكون كذلك وأنت بقيّة ولد الأنبياء وسليل الهُدى وخامِس أصحاب الكِساء غَذَتْك أكُفّ الحقّ ورُبيت في حِجْر الإسلام فطِبْت حيّا وطِبْت مَيِّتاً وإن كانت أنفسنا غيرَ طيِّبة بفراقك ولا شاكة في الخِيار لك.

ووقَفت عائشة على قبر أبي بَكْر فقالت: نَضَّر الله وَجْهَك وشكرَ لك صالح سَعْيك فقد كُنت للدنيا مُذِّلاً بإدبارك عنها وكنت للآخرة مُعِزاً بإقبالك عليها ولئن كان أجلَّ الحوادث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رُزْؤُك وأعظم المصائِب بعده فقْدُك إنَّ كتاب الله لَيعِد بحُسْن الصبر فيك وحُسن العِوَض منك فأنا أنتجز موعد الله بحسن العزاء عليك وأستعيضه منك بالاستغفار لك فعليك السلامُ ورحمة اللّه توديع غير قاليةٍ لك ولا زارية على القضاء فيك ثم انصرفت.

لما قُبض أبو بكر " رضي الله عنه " سُجِّي بثَوب فارتَجَّت المدينة بالبُكاء عليه ودهش القوم كيوم قُبِض رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء عليٌّ ابن أبي طالب باكياً مُسرِعاً مسترجعاً حتى وَقف بالباب وهو يقول: رَحمك الله أبا بكر كنت واللّه أولَ القوم إسلاماً وأخلصهم إيماناً وأشدهم يقيناً وأعظمهم عناء وأحفظهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحربَهم كل الإسلام وأحناهم على أهله وأشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم خُلُقاً وَفَضْلاً وَهَدْياً وصمتاً فجزاك الله عن الإسلام وعن رسول اللّه وعن المُسلمين خيراً صدّقت رسول الله " صلى الله عليه وسلم " حين كَذَّبه الناس وواسيتَه حين بَخِلوا وقمت معه حين قعدوا سمّاك اللّه في كتابه صِدِّيقاً فقال: " والَّذي جَاءَ بالصَدق وصَدق به " يريد محمداً ويُريدك.

كنت واللهّ للإسلام حِصْناً وعلى الكافرين عَذاباً لم تُفْلَل حُجَّتك ولم تَضْعُف بصيرتُك ولم تَجْبُن نفسك.

كنت كالجبلِ لا تُحَرِّكه العواصف ولا تُزيله القَواصف كنت كما قال رسول الله " صلى الله عليه وسلم ": ضعيفاً في بدنك قويًّا في أمر الله متواضعاً في نَفْسك عَظيماً عند اللهّ قليلاً في الأرض كثيراً عند المؤمنين لم يَكن لأحد عِنْدك مَطْمَع ولا لأحدٍ عندك هَوَادة فالقويُّ عندك ضعيف حتى تأخذَ الحقّ منه والضعيفُ عندك قويٌّ حتى تأخذ الحقّ له فلا حَرَمنا الله أجرَك ولا أضَلنا بعدك.

وَقف عبد الملك بن مَرْوان على قبر معاوية فقال: تاللّه إن كنت إلا كما علمت يُنْطقك العِلم وما الدَّهر والأيام إلاّ كما ترى رَزِيّة مالٍ أو فِراقُ حَبِيب الهيْثم بن عدى قال: لما هَلَك زياد استعمل مُعاوية الضحّاك على الكُوفة فلما دخلها سأل عن قبر زياد فدُلَ عليه فأتاه حتى وَقف به ثم قال: أبا المُغِيرة والدنيا مُفجِّعة وإنّ من غرَّت الدُّنيا لَمَغْرُورُ قد كان عِنْدك لَلْمَعْروف مَعْرفةٌ وكان عِنْدك للنَّكْرَاء تَنْكير لو خَلَّدَ الخِيرُ والإسلامُ ذا قَدَم إذًا لَخَلَّدَك الإسلامُ والخير والأبيات لحارثة بنَ بَدْر يَرْثى زياداً.

المدائنيّ قال: لما دَفن عليُّ بن أبي طالب كرَّم اللهّ وجهه فاطمة عليهما السلام تَمثّل عند قبرها فقال: لكُلّ اجْتماع من خَلِيلَين فَرْقَةٌ وكل الذي دون الممات قَلِيلُ وإنّ آفتقادى واحداً بعد واحدٍ دليل على أن لا يَدُومَ خَليل لما مات الحسنُ بن عليّ عليهما السلامُ ضرَبت آمرأته فُسْطاطا على قبره وأقامت حَوْلاً ثم انصرفتْ إلى بَيتِّها فسمعَتْ قائلاً يقَول: أدرَكوا ما طَلبوا.

فأجابه مُجيب: بل مَلُّوا فانصرفوا.

ابن الكَلْبي قال: وقفت نائلة بنتُ الفُرافِصَة الكَلْبية عَلى قبر عثمان فتَرحمت عليه ثم قالت: ثم انصرفتْ إلى منزلها فقالت: إني رأيتُ الحُزْنَ يَبْلى كما يَبْلى الثوبُ وقد خِفْت أن يَبْلى حُزْنُ عثمان في قلبي.

فَدَعَتْ بفِهْر فهشَمت فاها وقالت: واللّه لا قَعد منّي رجل مَقعد عثمان أبدا.

لما هلك الإسْكندر قامت الخُطباء على رأسه فكان من قولهم: الإسكندر كان أمس أنطقَ منه اليوم وهو اليوم أوعظُ منه أمس.

أخذ هذا المعنى أبو العتاهية فقال عند دَفْنه ولداً له: كَفي حَزَناً بِدَفْنِك ثم أني نفضتُ تُرَاب قَبْرك من يَديا وكنتَ وفي حَياتك لي عِظاتٌ فأنتَ اليومَ أوعظُ منك حيّا وَقف أبو ذرّ الهَمْداني على قبر ابنه ذرّ فقال: يا ذَرّ شغلني الحزن لك عن الحزْن عليك فليت شِعْري ما قُلتَ وما قيل لك.

ثم قال: اللهم إنّي قد وهبتُ لك إساءته إلي فَهَبْ له إساءته إليك.

فلما انصرف عنه التفتَ إلى قبره فقال: يا ذرّ قد انصرفنا وتَرَكْناك ولو أقمنا ما نَفعناك.

وقف محمد بن سُليمان على قبر ابنه فقال: اللهم إني أرجوك له وأخافك عليه فحقق رجائي وآمِنْ خوفي.

وَقفت أعرابيّة على قبر أبيها فقالت: يا أبتِ إنَّ في اللهّ تبارك وتعالى من فَقْدِك عِوَضاً وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم من مُصيبتك أسْوة ثم قالت: اللهم نَزلِ بك عبدُك مُقْفِراً من الزاد مخشَوْشِن المِهاد غَنِيًّا عما في أيدي العباد فقيراً إلى ما في يَدَيك يا جواد وأنت أي ربّ خيرُ من نزل به المؤمِّلون وأسْتَغْنى بفَضْلِهِ المقِلُّون وولَجَ في سَعة رَحْمَته المُذْنبون.

اللهم فَليكن قِرَى عبدك منك رحمتَك ومِهادُه جنّتك ثم انصرفت.

قال عبد الرحمن بن عمر: دخلْتُ على امرأة من نجد بأعلى على الأرض في خِباءٍ لها وبين يَدَيْها بُنَيّ لها قد نزلَ به الموتُ فقامتْ إليه فأغْمضَته وعَصَبته وَسَجَّته وقالت: يابن أخي قلتُ: ما تشائين قالت: ما أَحَقَّ من ألبس النِّعمة وأطِيلَت به النَظِرة أن لا يدع التوثّق من نَفْسه قبل حِل عُقْدته والحُلول بعَقْوَته والمحالة بينه وبين نَفْسه.

قال: وما يَقطر من عينها دمعة صبراً وآحتساباً.

ثم نظرت إليه فقالت: واللهّ ما كان " مالُه " لبَطنه ولا أمره لعِرْسه ثم أنشدت: رَحِيبُ ذِرَاعُ بالتي لا تشينه وإن كانت الفَحْشاء ضاق بها ذَرْعا وَقفَ عمرُ بن عبد العزيز على قبر ابنه عبد الملك فقال: رَحمك الله يا بُنيّ فلقد كنت سارًّا مولوداً بارًّا ناشئاً وما أَحْسِب أنّي لو دعوتُك أجبْتني.

تُوفي رجل كان مُسْرِفاً على نفسه بالذُّنوب فتحامَى الناسُ جِنَازَته فبلغ عمرَ بن ذرّ خبره فأوصى إلى أهله أن خذوا في جهازه فإذا فرغتم فآذنوني ففعلوا وشهده عمر بن ذر وشهده الناسُ معه فلما فَرَغ من دفنِه وقفَ عمر بن ذر على قبره فقال: يَرْحمك الله أبا فلان فلقد صَحِبت عُمرَك بالتَّوحيد وعَفَرْت لله سمع الحسنُ جارية واقفة على قبر أبيها وهي تقول: يا أبتِ مثلَ يومك لم أرَه.

قال الذي والله لم يرَ مثلَ يومه أبوك.

وسمع عمر بن عبد العزيز خَصِيًّا للوليد بن عبد الملك واقفاً على قبر الوليد وهو يقول: يا مولاي ماذا لَقِينا بعدك فقال له عمر: أما واللّه لو أُذِن له في الكلام لأخبر أنه لَقي بعدكم أكثرَ مما لَقيتم بعده.

وقف مُعاوية على قَبْر أخيه عُتْبة فدعا له وتَرَحّم عليه ثم التفت إلى مَن معه فقال: لو أن الدُنيا بُنِيت على نِسْيان الأحِبة ما نسِيت عُتبة أبداً.

المراثيّ من رثي نفسه ووصف قبره وما يكتب على القبر

قال قال ابن قتَيْبة: بلغني أن أوّل مَنْ بكى على نفسه وذكرَ الموت في شِعْره يزيدُ بن خَذّاق فقال: هَل للفتى من بنات الدهر مِن وَاقِي أم هل له من حِمام المَوْتِ من رَاقِي قد رَجَّلوني وما بالشَّعر من شَعَثٍ وألبَسوني ثِيَاباً

غيرَ أخْلاق وطَيَّبوني وقالوا أيما رَجُلٍ وأدرَجوني كأنّي طيّ مخْرَاق وأرسَلوا فِتْيَةً من خيْرِهِمْ حَسَباً لِيُسْنِدُوا في ضرَيح القَبْر أطباقي وقَسمُوا المال وارفضّت عوائدُهم وقال قائلُهُم مات ابن خَدّاق هَوِّن عليك ولا تُولَع بإشفاق فإنّما مالُنا للوارث الباقي وقال أبو ذُؤيب الهُذليّ يَصِفُ حُفرته: مُطأطَأةً لم ينبطوها وإنها لَيَرْضى بها فُرَّاطها أُمَّ واحدِ فكنتُ ذَنُوبَ البِئر لما تَبَسَّلت وأدرجتُ أكفاني ووُسَدْتُ ساعِدي وقال عُروة بن حِزام لما نَزل به الموتُ: مَن كان مِن أخَوَاتي باكياً أبداً فاليومَ إني أُراني اليوْمَ مَقْبُوضَا يُسْمِعْنَنِيه فإنّي غيرُ سامِعِه إذا علوتُ رِقابَ القول مَعْرِوضا وقال الطرمِّاح بن حَكِيم: فيا رَبِّ لا تَجعل وَفاتِيَ إن أتَتْ على شَرْجَعٍ يُعْلَى بخُضْر المَطَارفِ ولكنْ شهيداً ثاوياً في عِصابة يُصابون في فَجٍّ من الأرْض خائف إذا فارَقُوا دَنْياهُم فارَقُوا الأذىَ وصارُوا إلى مَوْعُود ما في الصَّحَائف فأقْتَلَ قَعْصاً ثم يُرْمى بأعْظُمِي مُفَرقةً أوصالُها في التَنَائف ويُصْبِحَ لَحْمِي بَطْنَ نَسْر مقيلُه بجَوَ السماءِ في نُسورعواكف وقال مالك بن الرّيْب يَرْثى نَفْسه ويصِف قَبْرَه وكان خرَج مع سَعيد بن عثمان بن عفّان لما وَليَ خُراسان فلما كان ببعض الطَّريق أراد أن يَلْبَس خُفَّه فإذا بأفعى في داخلها فلسعَتْه فلما أحسّ الموت استلقى على قَفاه ثم أنشأ يقول: دَعاني الهَوَى من أهل أودَ وصُحْبَتي بذِي الطَّبَسينْ فآلتفتُّ ورَائِياً ألم تَرَني بِعْتُ الضلالةَ بالهدَى وأصبحتُ في جَيْش ابن عَفّان غازيا فللّه درّى حين أتْرُك طائعاً بَنيَّ بأعْلَى الرقْمَتين وماليا ودَرّ كبيرَىَّ اللذين كِلاهما علَيَّ شفيقٌ ناصح لو نهانيا ودرُّ الظِّبَاء السانحات عَشيةً يُخَبَرْن أني هالكٌ من أماميا تقول ابنتي لما رأت وَشْك رِحْلتي سِفَارُك هذا تارِكي لا أباليا ألا ليتَ شِعْري هل بَكتْ أمالك كما كنتُ لو عالَوْا نَعِيك باكيا على جَدَث قد جرَّت الرِّيح فوقَه تُرَابا كسَحْق المَرْنبانيّ هابيا فيا صاحَبيْ رَحْلِي دَنا الموت فاحفِرَا برابية إنّي مُقيم ليالِيا وخُطّا بأطراف الأسِنَّة مَضْجعِي ورُدَّا عَلَى عَيْني فَضْلَ رِدَائيا ولا تَحْسداني بارَك الله فيكما من الأرض ذاتِ العَرْض أن توسِعالِيا خُذَاني فَجُراني بِبُرْدِي إليكما وقد كنت قبلَ اليوم صَعْباً قيَاديا تفَقَّدْت مَنْ يَبكى عليّ فلم أجد سوى السَّيف والرُّمح الردَيّنيِّ باكيا لعمري لَئِن غالت خُراسانُ هامتي لقد كنتُ عن بابَيْ خرَاسان نائيا تَحَمَّل أصحابي عِشَاءَ وغادَرُوا أخا ثِقَةٍ في عَرْصَة الدَار ثاوِيا يَقُولون لا تَبْعَد وهم يَدْفِنُونني وأينَ مَكان البُعْدِ إلا مَكانيا وقال رجُل من بني تَغْلب يقال له أفْنُون وهو لَقبه واسمه صُرَيم بن مَعْشر بن ذُهْل بن تَيْم بن عمرو بن مالك بن حَبيب بن عمرو بن عُثمان بن تَغْلِب ولَقِيَ كاهناً في الجاهلية فقال له: إنك تموت بمكان يقال له إلاهَة.

فمكث ما شاء الله ثم سافر في رَكْب من قومه إلى الشام فأتَوْها ثم انصرفوا فضلّوا الطَّريق فمالوا لرجل: كيف نَأخذ فقال: سِيرُوا حتى إذا كنتم بمكان كذا وكذا ظَهَر لكم الطريق ورَأيتم إلاهة - وإلاهة قارة بالسّماوة - فلما أتَوْها نزل أصحابُه وأبى أن يَنْزل فبينما ناقتُه تَرْتعى وهو راكبها إذ أخَذتْ بمشْفر ناقته حَيَّة فاحتكت الناقةُ بمشْفرِها فلدغتْ ساقه فقال لأخيه وكان معه واسمَه مُعاوية: احفر لي فإني ميّت ثَم تغنّى قبل أن يموت يبكى نفسه: فلستُ على شيء فُروحَنْ مُعاويا ولا المُشْفِقاتُ إذ تَبِعْنَ الحوَازيا ولا خَيْرَ فيما يَكْذِب المرْءُ نفسَه وتَقْوَالِه للشيء يا ليت ذا ليا وإن أعْجَبَتك الدهرَ حال من آمرىء فَدَعْه ووَاكلْ حاله واللّياليا فطأ مُعْرِضاً إنّ الحُتُوف كثيرةٌ وأنَّك لا تبْقى بنَفْسِك باقيا لعَمْرك ما يَدْري آمرؤ كيف يَتَّقي إذا هو لم يَجْعل له الله

وَاقيا كفي حَزناً أن يَرحل الرَّكب غُدْوَةَ وأنزِلَ في أعلَى إلاهة ثاويا قال: فمات فَدَفَنوه بها.

وقال هُدْبة العذُري لما أيْقن بالموت: ألا عَلَلاني قبل نَوْح النوائح وقبلَ آطّلاع النَّفس بين الجَوَانح وقَبل غدٍ يالَهْفَ نفْسي على غَدٍ إذا راح أصحَابي ولستُ برائح إذا راح أصحابي بِفَيض دُموعهم وغُودِرتُ في لَحْدٍ عليّ صَفَائحي يَقولون هل أصلحتمُ لأخِيكُم وما الرمْس في الأرض القِوَاء بصالح وقال محمد بن بَشير: ويلٌ لمن لم يَرْحَم الله ومَن تكون النار مثْوَاهُ والوَيل لي من كل يوم أتى يُذَكِّرُني الموتَ وأنسَاه كأنّه قد قيل في مَجْلِس قد كنتُ أتية وأغْشاه: صار البَشيريّ إلى رَبّه يَرْحَمَنا اللهّ وإياه أذْنَ حَيّ تسمعي اسمعي ثم عِي وَعي أنا رَهْنٌ بمَضْجَعي فاجنَرِي مثلَ مَصْرَعي عِشْتُ تسعين حِجّةَ ثم وافيتُ مَضجَعي لي شيءٌ سِوى التُّقَى فخذِي منه أو دَعي وعارَضه بعضُ الشعراء في هذه الأبيات وأوْصى بأن تُكتب على قَبره أيضاً فكُتبت وهي: أصبح القبرُ مَضْجَعي ومَحلّي.

ومَوْضِعي صَرَعَتْني الحُتوف في التُّرْب يا ذُلَ مَصْرَعي أين إخوانيَ الذي ن إليهم تَطلّعي متُّ وَحْدِي فلم يَمُتْ واحد مِنْهُمُ مَعي وُجِد على قَبْر جارية إلى جَنْب قبر أبي نُواس ثلاثةُ أبيات فقِيل إنها من قول أبي نواس وهي: أقول لِقَبْر زُرْتُه مُتَلثِّماً سَقَى اللهّ بَرْدَ العفو صاحبة القبر لقد غَيَّبُوا تحت الثَّرَى قَمَرَ الدُّجى وشَمْس الضُحى بين الصَّفائح والعفْو إن كان لا يَرْجوك إلا مُحْسِنٌ فَبِمن يَلوذ ويستجير المُجْرِمُ أدْعُوك ربِّ كما أمرتَ تَضرُّعاً فإذا رَدَدْتَ يدِي فمن ذا يَرْحم مالي إليك وسيلةٌ إلا الرّجا وجَميلُ عَفوك ثم أني مُسْلِمُ الخُشنيّ قال: أخبرنا بعضُ أصحابنا ممن كان يَغْشى مجلس الرِّياشي قال: رأيتُ علي قبر أبي هاشم الإياديّ بواسط: الموتُ أخْرَجَني من دار مَمْلكتِي والموتُ أضْرَعني من بَعد تَشْريفِي لله عَبْدٌ رَأى قَبري فأعْبرَه وخاف من دَهْره رَيْبَ التَصارِيف الأصمعي قال: أخذ بيدي يحيى بن خالد بن بَرْمك فوقفني على قبره بالحِيرة فإذا عليه مكتوب: إنَّ بَنِي المُنذر لما آنقضَوْا بحب شاد البَيْعة الراهب تنفَح بالمِسْك مَحاريبهم وعنبرٍ يقطبه قاطِبُ والخُبز واللَحم لهم راهنٌ وقهْوَة راوُوقها ساكِب والقُطْنُ والكَتّان أثوابُهم لم يَجْلِب الصُوفَ لهم جالِب فأصْبَحوا قُوتاً لدُود الثَّرى والدَهرُ لا يَبْقى له صاحِب الشَيبانيّ قال: وُجد مكتوباً على بعض القبور: مَل الأحِبّةُ زَوْرتي فجفيت وسَكنتُ في دار البلَى فنسيتُ الحيّ يَكْذِب لا صَديقَ لِمَيِّتٍ لو كَان يَصْدُق مات حين يَمُوت يا مُؤْنِسا سَكن الثَّرى وَبَقِيتُ لو كنتُ أصدُق إذ بليتُ بَليت أو كان يعمَى للبكاء مُفَجَّع من طُول ما أبكِي عليك عَمِيت وقال محمدُ بن عبد الله: وعمّا قلَيلٍ لنْ تَرى باكياً لنا سَيَضْحك من يَبْكى وُيعْرض عن ذِكْري تَرى صاحبي يبكى قَليلاً لِفَرْقتي ويَضْحك من طُول اللَيالي على قَبري ويُحْدِث إخواناً ويَنْسى مَودَتي وتَشْغله الأحباب عنّي وعن ذِكْري من رثى ولده: فمن قولي في وَلدي: بَلِيت عِظامُك والأسىَ يتجَدَد والصبْر يَنْفَد والبُكا لا يَنْفَدُ يا غائباً لا يُرْتَجَى لِإيَابه ولقائه دونَ القِيامة مَوْعد ومن قولي فيه أيضاً: واكَبِدَا قد قُطعت كَبِدي وحَرَّقتها لواعجُ الكَمدِ ما مات حَيٌ لميِّتٍ أسَفاً أعذر من والِدِ على وَلد يا رَحْمةَ الله جاوِرِي جَدَثاً دفَنْتُ فيه حُشَاشتي بِيَدي ونَوِّري ظُلْمة القُبور على مَن لم يَصِلْ ظُلْمُه إلى أحد من كان خِلْواً من كل بائقةِ وطَيِّبَ الرُّوح طاهرَ الجَسَد يا موت يَحيى لقد ذهبتَ له ليس بُزمَّيْلَةٍ ولا نَكِد يا مَوْتَه لو أقلتَ عَثْرته يا يومَه لو تركتَه لِغَدِ يا موتُ لو لم تَكُن تعاجله لكان لا

شكّ بَيْضَة البَلد أو كنتَ راخيتَ في العِنان حاز العُلا واحتَوَى على الأمد أي حسام سلبت رَوْنَقه وأيَّ رُوح سَلَلت من جَسد وأيَ ساقٍ قطعت من قَدَم وأيَ كَفٍّ أزلْت من عَضدُ لو لم أَمُتْ عند مَوْته كمَداً لَحُقَّ لي أن أموت من كَمَدي يا لَوْعةً ما يزال لاعِجُها يَقْدح نارَ الأسى على كَبِدي وقلت فيه أيضاً: قَصَد المَنُون له فمات فَقِيدَا ومَضى على صَرْف الخطُوب حَمِيدا بأبي وأمّي هالِكاً أفْرِدتُه قد كان في كلّ العُلوم فَرِيدا سُود المقَابر أصبحتْ بيضاً به وغَدت له بيضُ الضمائر سُودا لم نُرْزَه لما رزِينا وَحْدَه وإن استقلَّ به المنون وَحِيدا لكنْ رُزِينا القاسمَ بنَ محمّد في فَضْله والأسْودَ بنَ يَزيدا وابن المُبارك في الرقائق مُخْبِراً وابن المُسيِّب في الحديث سَعِيدا والأخفَشيَنْ فَصاحةً وبلاغةً والأعْشَيَيْن رِوايةً ونشيدا كان الوَصيَّ إذا أردتُ وصيّةً والمُستفادَ إذا طلبتُ مفِيدا وَلّى حَفيظاً في الأذمّة حافظا ومَضى ودودا في الوَرَى مَوْدُودا تأبَى القُلوب المسْتَكِينة للأسى مِن أن تَكون حجارةً وحَدَيدا إن الذي باد السُّرورُ بِموْته ما كان حُزني بعده لِيَبِيدا الآنَ لما أن حَوَيتَ مآثراً أعْيَت عَدُوّا في الوَرَى وحَسُودا ورأيتُ فيك من الصلاح شمائلاً ومن السَّماح دلائلاً وشُهودا أبْكِي عليك إذا الحمامة طَرَّبت وَجْهَ الصَّباح وَغَرِّدت تَغْريدا لولا الحَياء وأنْ أَرَنّ بِبِدْعة مما يُعدِّده الوَرى تعْدِيدا لجعلتُ يومَك في المَنائح مَأتما وجعلتُ يومَك في الموالد عِيدا وقلت فيه أيضاً: لا بَيْتَ يُسْكن إلا فارَق السكنَا ولا امتلا فَرَحاً إلا امتلا حَزَنَا لَهْفِي على مَيِّت مات السُّرور به لو كَان حَيًّا لأحْيَا الدينَ والسُّنَنا واهاً عليك أبا بَكْرٍ مُرَدَّدةً لو سَكَّنتْ ولَهاً أو فَتَرت شَجَنا إذَا ذكرتُك يوماً قُلت واحَزَنا وما يَرُد عليّ القَوْلُ: واحَزَنا لو كنتُ أعطَي به الدنيا مُعاوَضةً منه لما كانت الدُنيا له ثَمنا وقال أبو ذُؤيب الهُذلي وكان له أولادٌ سبعة فماتوا كلّهم إلا طفلا فقال يرثيهم: أمِنَ المَنون وَرَيْبه نَتَوجع والدَهر ليس بمُعْتِب من يَجْزَعُ قالت أمَيمة ما لجسْمك شاحباً منذ ابتُذِلْت ومثلُ مالك يَنْفع أم ما لجسمك لا يُلائِم مَضْجَعاً إلا أقَضَّ عليك ذاك المَضْجع فأجبتُها أن ما لجسْمي أنّه أوْدىَ بنَي من البِلاَد فودَعوا أودى بَنيّ وأعقَبُوني حَسْرةً بعد الرُّقاد وعَبْرةً ما تُقلِع سَبَقُوا هَوىّ وأعْنَقُوا لهواهمُ فَتُخرِّموا ولكلِّ جَنْبٍ مَصرَع فَبقِيت بعدهُم بعَيْشٍ ناصِبٍ وإخَال أنّي لاحقٌ مسْتتبِع ولقد حَرَصْت بأن أدافع عنهم وإذا المَنَيّة أقبلَتْ لا تُدْفَع وإذا المنيَّة أنْشَبت أظفارَها ألفيتَ كلَّ تَمِيمة لا تَنْفع فالعين بَعدهُم كأنّ حِدَاقها سُمِلت بشَوْك فهي عُورٌ تَدْمَع والنفسُ راغبةٌ إذا رَغَّبْتَها وإذا تُرِدُّ إلى قليلٍ تَقنَعُ وقال الأصمعي: هذا أبْدَع بَيْت قالته العرب.

وقال أعرابيٌّ يَرْثى بَنِيه: أسُكّان بَطْن الأرْض لو يُقْبَلُ الفِدَا فَدَينا وأعْطينا بكم ساكِني الظَّهْرِ فيا ليتَ مَن فيها عليها وليتَ مَن عليها ثَوَى فيها مُقِيماً إلى الحَشْر وقاسَمني دهرِي بَنيّ بِشَطْره فلما تَقَصىَّ شَطْرُه مالَ في شَطْري فصارُوا دُيوناً للمَنايا ولم يَكُن عليهم لها دَيْن قَضَوْه على عُسْر كأنهمُ لم يَعْرف الموتُ غيرَهم فتُكْلٌ على ثُكل وقبر إلى قَبْر وقد كنتُ حَيَّ الخَوْفِ قبل وَفاتهم فلما تُوفّوا مات خوْفي من الدَّهر فلله ما أعْطى ولله ما حَوَى وليس لأيّام الرزِّية كالصَّبر وقيل لأعرابية مات ابنها: ما أحسنَ عزاءَك قالت: إن فَقْدي إياه امنَني كل فَقْدٍ سواه وإن مُصيبتي به هونت عليّ المصائب بعده.

ثم أنشأت تقول: مَن شاء بعدك فَلْيَمُتْ فَعَليك كنت أحاذِرُ إنّي وَغَيري لا محا لهَ حيثُ صِرْتَ لصائر أخذ الحسنُ بن هانئ معنى هذا البيت الأول فقال في الأمين: طَوَى الموت ما بَيْني وبين محمد وليس لمَا تَطْوِي المِنيّة ناشر وكنتُ

عليه أحذر الموتَ وحدَه فلم يَبْق لي شيءٌ عليه أحاذير لئن عَمَرت دُورٌ بمن لا أحبّه لقد عَمَرت ممّن أحبّ المقابر وقال عبدُ الله بن الأهتم يَرْثي ابنا له: دَعوتُك يا بُنيِّ فلم تجِبْني فَرُدّت دَعْوتي يأساً عليِّ بموتك ماتت اللّذات منّي وكانت حَيَّةَ ما دُمتَ حياً فيا أسفَا عَلَيك وطُولَ شَوْقي إليك لو ان ذلك رَدّ شَيّا وأصيب أبو العتاهية بابن له فلما دَفنه وقَف على قبره وقال: كَفي حَزَناً بَدَفْنك ثم أنِّي نَفَضْتُ تُراب قَبْرك مِن يَدَيّا وكانت في حياتك لي عِظاتٌ فأنت اليومَ أوْعظُ منك حَيّا ومات ابن لأعرابيّ فاشتد حُزْنه عليه وكان الأعرابيّ يُكْنى به فقيل له: لو صَبرتَ لكان أعظمَ كيف السُّلوّ وكيف أنسى ذِكْره وإذا دُعِيت فإنما أدْعَي به خرج عمرُ بن الخطّاب رضي اللّهّ عنه يوماً إلى بقيع الغَرْقد فإذا أعرابي بين يديه فقال: يا أعرابيّ ما أدخلك دارَ الحق قال: وَدِيعة لي ها هنا منذُ ثلاث سنين قال: وما وَديعتك قال: ابنٌ لي حين تَرَعْرع فقدتُه فأنا أنْدُبه قال عمر: أسْمِعني ما قلتَ فيه فقال: يا غائباً ما يؤوب من سَفَره عاجَله موتُه على صِغَره يا قُرّة العَين كُنْتَ لي سَكَناً في طُول لَيْلى نَعم وفي قِصرَه شَرِبْتَ كأساً أبوكَ شاربُها لا بدُ يوماً له على كِبرَه أشربُها والأنامِ كلهم مَن كان في بَدْوِه وفي حَضَره فالحَمْد لله لا شريك له الموتُ في حُكمه وفي قَدَره قد قَسَّم الموتَ في الأنام فما يَقْدِر خَلْقٌ يَزِيد في عُمرُه قال عمر: صدقتَ يا أعرابي غَير أن الله خيرٌ لك منه.

الشَيباني قال: لما مات جَعفر بن أبي جعفر الْمَنصور اشتدّ عليه حزنه فلما فَرغ من دَفْنه التفت إلى الرَّبيع فقال: يا ربيع كيف قال مُطيع بن إياس في يحيى بن زياد فأنشد: يا هل دواء لِقَلْبيَ القَرِح وللدُّموع الذوارِفِ السُّفُح يا خير من يَحسُن البُكاءُ به اليومَ ومَن كان أمس للمِدَح قد طَفِر الحُزنُ بالسُّرور وقد أديل مَكْروهُه مِنَ الفَرح وقالت أعرابيةً تَنْدُب ابناً لها: ابنيّ غَيّبك المَحلّ المُلْحَدُ إمّا بَعُدت فأين من لا يَبْعُدُ أنت الذي في كل مُمْسىَ لَيْلةٍ تَبْلى وحُزْنك في الحَشىَ يتجدَّد وقالت فيه: لئن كنتَ لهواً للعُيون وقُوَّةً لقد صِرْت سُقْماً للقُلوب الصَّحائح وهَوَّن حُزْني أنّ يومَك مُدْرِكي وأني غداً من أهل تلك الضَّرائح وقال أبو الخطّار يَرْثي ابنه الخَطّار: ألا خَبِّراني بارك الله فِيكما مَتى العَهْدُ بالخَطّار يا فَتَيان فتى لا يَرى نَومَ العِشاء غَنِيمةً ولا يَنْثَني من صَوْلة الحَدَثَان وقال جرير يرْثي ولده سَوَادَة: قالوا نَصِيبَك من أجر فقلتُ لهم كيف العزَاء وقد فارقتُ أشْبالي وقال أبو الشَّغْب يَرْثي ابنه شَغْباً: قد كان شَغْبُ لو آن الله عَمّره عِزًّا تُزاد به في عِزّها مُضَرُ ليتَ الجبالَ تَدَاعت قبل مَصرعه دَكًّا فلم يَبْقَ من أحجارها حَجَر فارقتُ شَغْبا وقد قُوِّسْت من كِبَرٍ بِئْس الخلِيطان طولُ الحُزْن والكِبَر ولما تُوفي أيوبُ بن سُليمان بن عبد الملك في حياة سُليمان وكانَ ولِيّ عهده وأكبر ولده رثاه ابن عبد الأعلى وكان من خاصّته فقال فيه: ولقد أقولُ لذي الشَّماتة إذ رَأى جَزَعي ومن يَذُق الحوادثَ يَجْزَع أبْشِر فقد قَرَع الحوادِثُ مَرْوَتي وآفرحْ بِمَرْوَتِك التي لم تُقْرَع إنْ عِشْتَ تُفجَع بالأحِبّة كلِّهم أو يُفْجَعوا بك إن بهم لم تُفْجَع أيُّوبُ من يَشْمَت بِموْتك لم يُطِقْ عن نَفْسه دَفْعاً وهل مِن مَدْفع الأصمعيّ عن رجلٍ من الأعراب قال: كُنّا عشرةَ إخْوة وكان لنا أخ يقال له حسن فَنُعِي إلَى أبينا فبقي سَنَتين يَبْكي عليه حتى كُفَّ بَصَرُه وقال فيه: أفلحتُ إن كان لم يَمُت حَسَنُ وكُفّ عِنّي البُكاءُ والحَزَنُ بل أكْذَب الله مَن نَعى حَسَناً ليس لتَكْذِيب قَوْله ثَمَن بُدِّلْتُهم منك ليتَ أنهمُ كانُوا وبَيْني وبَيْنهم مُدُن قد عَلِموا عند ما أنافرهم ما في قَناتي صَدْع ولا أبَن قد جَرَّبوني فما ألاومُهم ما زال بَيني وبَينهم إحَن قد بُرى الجسمُ مذ نُعيتَ لنا كما بَرى فَرْع نَبْعة سَفَن فإن نَعِشِ

فالمُنى حَياتُكَ وال خُلْد وأنت الحديثُ والوَسَن إن تَحْيَ نحْيَ بخير عَيْشٍ وإن تَمْض فتِلْك السَّبيلُ والسَّنن بَربدُك الحمدُ والسَّلامُ مَعاً فكُلُّ حَيٍّ بالموت مُرْتَهَن يا ويح نَفْسي أن كنتَ في جَدَثٍ دونَك فيه التِرابُ والكَفن على للّه إن لقيتك من قَبْل الممات الصَيامُ والبُدُن أسوقُها حافياً مُجلَّلةً أدْما هِجَاناً قد كظَّها السِّمَن فلا نُبالي إذا بَقيتَ لنا من مات أو مَن أوْدى به الزَمن كُنتَ خليلي وكنتَ خالِصتي لِكل حيٍّ من أهلِهِ سَكَن فإن يَنْقَطع منك الرَّجاء فإنه سَيَبْقى عليك الحُزْن ما بَقِيَ الدَّهر وقال أعرابِيّ يرثي ابنه: بُنَيّ لئن ضنَّت جُفونٌ بمائها لقد قَرِحَتْ منّي عليك جُفُونُ دَفَنتُ بكفّي بَعْضَ نفسي فأصبحتْ وللنفس منها دافِنٌ ودَفِين وهذا نظير قولِي في طِفل أصبْت به: على مِثْلها من فجْعة خانني الصَّبْر فِراق حبيب دون أوْبته الحَشْرُ ولي كَبِدٌ مَشْطُورة في يَدِ الأسى فَتَحْتَ الثّرى شَطرٌ وفوق الثّرى شَطر يَقولون لي صَبِّر فُؤادَك بعدَه فقلتُ لهم مالي فؤادٌ ولا صَبر فُرَيخ من الحُمْر الحواصل ما اكْتَسى من الرِّيش حتى ضَمّه الموتُ والقَبْر إذا قلتُ أسْلو عنه هاجت بلابلٌ يُجدِّدها فِكْر يُجدِّده ذِكْر وأنظر حَوْلي لا أرى غير قَبْرِه كأنّ جَمِيع الأرْض عندي له قَبر أفَرْخ جِنَان الخُلْد طِرْتَ بمُهْجتي وليس سِوى قَعْرِ الضَّريح له وَكْر وقالت أعرابيّة تَرْثي ولدها: أيقنتُ بعدكَ أنّي غيرُ باقيةٍ وكيف يَبْقى ذراعٌ زال عن عَضُد تُوفي ابنٌ لأعرابيٍّ فَبكى عليه حينا فلما هَمّ أن يَسْلُو عنه تُوفيّ له ابن آخر فقال في ذلك: إنْ أفِقْ مِن حَزَنٍ هاج حَزَنْ فَفُؤادي ما له اليومَ سَكَنْ وكما تَبْلَى وُجوهٌ في الثَّرى فَكذا يَبْلَى عليهنّ الحَزَن وقال في ذلك: عُيون قد بَكَيْتَك مُوجَعاتٍ أضرَّ بها البُكاء وما يَنِينَا إذا أنْفَدْن دَمْعاً بعد دمْعٍ يُرَاجِعْن الشُؤونَ فيستقينا أبو عبد اللهِ البَجَلي قال: وقفتْ أعرابيةٌ على قبر ابن لها يقال له عامر فقالت: أقمتُ أبْكِيه على قَبْرِه مَنْ ليَ مِن بَعْدك يا عامرُ تَرَكْتَني في الدّار لي وَحْشَةٌ قد ذلَّ مَن ليس له ناصِر وقالت فيه: هو الصَّبْرُ والتَسْلِيم لِلهّ والرِضّا إذ نَزلتْ بي خُطَّة لا أُشاؤُهَا إذا نحنُ أبْنا سالِمِينَ بأنْفُسٍ كِرَام رَجَتْ أمْراً فَخاب رجاؤُها هو ابنىَ أمْسى أجره " لي " وعَزَّني على نَفْسِه رَبُّ إليه وَلاَؤُها فإنْ احْتَسِب أوجَر وإن أبكِه أكنْ كباكيةٍ لم يُحْي مَيّتَاً بُكاؤُها الشَيبانيّ قال: كانت امرأة من هُذَيل لها عَشرة إخْوة وعَشْرَة أعمام فَهَلكوا جمعياً في الطاعون وكانت بِكْراً لم تَتزوّج فَخَطبها ابن عمّ لها فتزوّجها فلم تَلْبث أنْ اشتملت على غُلام فولدتْه فنَبت نباتاً كأنما يُمد بناصِيَته وبلغ فزوّجتْه وأخذتْ في جَهازه حتى إذا لم يَبْق إلا البِنَاء " بأهْله " أتاه أجلُه فلم تَشُقّ لها جَيْباً ولم تَدْمَع لها عَين فلما فَرغوا من جَهازه دُعِيت لتوديعه فأكبَّت عليه ساعةَ ثم رَفعت رأسَها ونظرت إليه وقالت: ألا تلك المَسَرَّة لا تَدُوم ولا يَبْقَى على الدَّهر النَّعيمُ ولا يبقى على الحَدَثان غُفْر بشَاهِقَةٍ له أمٌّ رءُوم ثم اكبَّتْ عليه أخرى فلم تقطع نَحيبها حتى فاضت نَفسُها فَدُفِنا جميعاً.

خَليفة بن خَيّاط قال: ما رأيت أشدَّ كَمَداً من آمرأة من بني شَيبان قُتِل ابنها وأبوها وزَوجُها وأمّها وعَمَّتها وخالتُها مع الضَّحّاك الحَرُورِيّ فما رأيتُها قطُّ ضاحكةً ولا مُتَبَسِّمَةً حتى فارقت الدنيا وقالت ترثيهم: مَنْ لِقَلْبٍ شَفَّه الحَزَنُ ولنَفْس ما لها سَكَن مَعْشر قضَوْا نُحوبهم كل ما قد قدَّموا حَسَن صَبَرُوا عند السّيُوف فلم يَنْكلُوا عنها ولا جَبُنُوا فِتْيةٌ باعُوا نَفوسَهُم لا وَرَبِّ البَيْتِ ما غُبِنُوا فأصاب القومُ ما طَلَبوا مِنَّةً ما بعدها مِنَن وقال عبدُ الله بن ثَعلبة يَرْثي ولَداً له: أأخْضِب رَأسي أم أطَيِّبُ مَفْرِقي ورَأسُكَ مَرْموسٌ وأنتَ سلِيبُ نَسِيبُك من أمْسى يُناجِيك طَرْفُه وليس لمن تحت التراب نَسِيب غَرِيبٌ وأطْرافُ البُيوت تُكِنّه ألاَ كلّ مَن تحت التراب غريب قال العُتْبِيّ - محمدُ بن عُبيد اللّه

- يرثِي ابنا له: أَصْحَتْ بخدي للدُّموع رُسُومُ أسَفاً عليك وفي الفؤاد كُلُومُ والصَّبْر يُحمد في المَوَاطن كلِّها إلاّ عليك فإنّه مَذْمُوم خَرج أعرابيّ هارباً من الطاعون فبينما هو سائر إذْ لدغته أفعَى فمات فقال أبوه يَرْثيه: طافَ يَبْغِي نَجْوَة مِنْ هَلاَكٍ فَهَلَكْ كلُّ شيءٍ قاتِلٌ حين تَلْقى أجلَك لما قَتل عبد الله المأمون أخاه محمدَ بنَ زبيدة أرسلت أمه زُبيدة بنت جَعْفر إلى أبي العَتاهية أن يقول أبياتاً على لسانها للمأمون فقال: ألا إن رَيْبَ الدّهر يُدْنِي ويُبْعِد وللدَّهْرِ أيَّام تُذَمّ وتُحْمَدُ أقول لرَحيب الدَّهر إن ذَهبتْ يدٌ فقد بَقِيتْ والحمدُ للهّ لِي يَد إذا بَقِيَ المأمونُ لِي فالرَّشِيدُ لِي ولي جَعْفَرٌ لم يَهْلِكَا ومحمّد وكَتبت إليه من قوله: لخير إمام مِن خَير مَعْشَر وأكرم بَسَّام على عُودِ مِنْبَرِ كَتبتُ وَعيني تستهلُّ دُموعُها إليْك ابن يَعْلي من دمُوعي ومحْجري فُجِعْنا بأدنىَ الناسِ مِنك قَرَابةً ومَن زلَّ عن كِبْدي فقَلّ تَصبُّري أتىَ طاهرٌ لا طهَّر الله طاهراً وما طاهرٌ في فِعْله بمُطَهَّر فأبْرزَني مَكْشوفَة الوَجْه حاسِراً وأنْهَب أمْوالِي وخَرَّب أدْوُرِي وعَزَّ على هارونَ ما قد لَقِيتُه وما نابني مِن ناقِص الخَلْق أعْوَرِ ذلك الوقت وقَبِلتْ منه ما وجّه " به " إليها.

فلما صارتْ إليه بعد ذلك قال لها: مَن قائل الأبيات قالت: أبو العَتاهية قال: وبكم أمرْتِ له فقالت: بعشرين ألفَ دِرْهم قال المأمون: وقد أمرنا له بمثل ذلك.

واعتذر إليها من قَتْل أخيه محمد وقال " لها ": لستُ صاحبَه ولا قاتِلَه.

فقالت: يا أميرَ المؤمنين إنّ لكما يوماً تَجْتمعان فيه وأرْجو أنْ يَغْفِر اللهّ لكما إن شاء اللّه.

أبُو شَأس يَرثي ابنه شأسا: ورَبيَّتُ شأساً لِرَيْب الزمان فلله تَرْبيتي والنَّصبْ فلَيتَك يا شأسُ فيمن بَقِي وكنتُ مكانَك فيمنْ ذَهَب " من رثى إخوته الرِّياشي قال: صَلَّى مُتَمِّم بن نوَيْرة الصُّبح مع أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله تعالى عنه ثم أنشد: نِعْم القَتِيلُ - إذا الرِّياحُ تَنَاوَحَتْ بين البيُوت - قَتَلْت يا بنَ الأزْور أدعَوْتَه باللّه - ثم قَتَلْتَه لو هو دَعاكَ بِذِمَّة لم يَغْدِر لا يُصْمِر الفَحْشاءَ تحت رِدَائه حلْوٌ شمائلُه عَفِيفٌ المِئزَر قال: ثمّ بكى حتى سالت عَينُه العَوْراء.

قال أبو بَكر: مَا دعوتُه ولا قتلتُه.

وقال مُتَمِّم: ومُسْتَضْحِكٍ منّي أدّعى كَمصيبتي وليس أخو الشَّجْو الحَزين بضاحكِ يَقُول أتَبكي مِن قُبُور رأيتَها لِقَبْرٍ بأطْراف المَلاَ فالدَّكادك فقلتُ له إنّ الأسى يَبْعَث الأسىَ فَدَعني فَهذِي كلُّها قَبْرُ مالك وقال مُتَمّم يَرْثي أخاه مالكاً وهي التي تُسمَّى أمَّ المَراثي: لَعَمْرِي وما دَهْرِي بتأبين هالكٍ ولا جَزَع ممّا أَلمّ فَأَوْجَعَا لقد غَيَّب المِنْهَالُ تحت رِدَائه فَتىً غَيرَ مبطَانِ العَشِيّات أرْوعَا تَراه كنَصْل السّيف يهتز للنَّدَى إذا لم تَجد عند امرىء السَّوء مَطْمَعا فَعَيْنىّ هلا تَبْكيان لمالكٍ إذا هَزَّت الرِّيحْ الكَنِيفَ المُرفَّعا وأرملَة تَمْشي بأشْعَثَ مُحْتَل كَفَرْخ الحُبَاري ريشهُ قد تَمَزَّعا وما كان وَقّافا إذا الْخَيْل أحْجَمت ولا طالباً من خَشْية الْمَوت مَفْزَعا ولا بكهامٍ سَيْفُه عَن عدوّه إذا هو لاقَى حاسراً أو مُقَنَّعا أبى الصَّبرَ آياتٌ أراها وأنّني أرَى كُلَّ حَبْل بعد حَبْلِك أقْطَعَا وأنّي متى ما أدْعُ باسمك لم تُجب وكُنت حَرِيًّا أن تُجيب وتسمعا تَحِيَّتَه منّي وإن كان نائياً وأمسى تُراباً فوقهَ الأرضُ بَلْقَعا فإن تَكُنِ الأيّام فَرقْن بَيْننا فقَد بان مَحْموداً

أخِي حِينٍ وَدَّعا فَعِشْنا بِخيْر في الحَياة وقَبْلَنا أصاب المَنايا رَهْطَ كِسْرَى وتُبَّعا وكُنَا كَنَدْمَانِي جَدِيمة حِقْبَةً من الدَهر حتى قِيل لن يَتَصَدَّعا فلمّا تَفَرَّقْنا كأنِّي ومالِكا لِطُول اجتماع لم نَبِت ليلةً معا سَقى الله أرضاً حَلَّها قَبْرُ مالك ذِهابُ الغَوَادي المُدْجنات فأمْرَعاَ قيل لعمرو بن بَحْر الجاحظ: إنّ الأصمعيّ كان يُسَمِّي هذا الشعرَ أمَّ المَراثي فقال: لم يَسمع الأصمعيُّ: أي القلوب عليكم ليس يَنْصَدعُ وأي نَوْم عليكم ليس يَمْتَنعُ وقال الأصمعيُّ: لم يَبْتدى أحدٌ مَرْثِية بأحسنَ من ابتداء أوس بن حَجَر: أيتُها النَّفْسَ أجمِلِي جَزَعا إنّ الذي تَحْذرين قد وَقَعا وبعدها قولُ زُمَيل: أجارتَنَا مَن يجتمع يَتَفَرَّقِ ومَن يَكُ رَهْنَاً للحوادث يَعْلَقِ قال ابن إسحاق صاحبُ المغازي: لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصَّفْراء - وقال ابن هِشام: الأثيل - أمَر عليَّ بن أبي طالب بضَرْب عُنق النضر بن الحارث بن كَلَدَة بن عَلْقمة بن عبد مَناف صَبْراً بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت أخته قُتَيْلة بنت الحارث تَرْثيه: يا راكباً إنّ الأثَيل مَظنَّة من صُبْح خامسةٍ وأنت مُوَفَّقُ أبْلِغْ بها مَيْتاً بأنْ تَحيَّةً ما إن تَزال بها النَّجائِبُ تَخْفِقَ هل يَسْمَعنِّي النَضْر إن ناديتُه أم كيف يَسْمع مَيِّتٌ لا يَنْطِق أمحمدٌ يا خير ضِنْء كريمةٍ في قومِها والفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِق ما كان ضَرَّك لو مَنَنْتَ وربما مَنَّ الفتى وهو المَغِيظُ المُحْنِق فالنَّضر أقْرَبُ مَنْ أسَرْتَ قَرَابَةً وأحقُّهم إن كان عِتْقٌ يُعْتَقُ ظَلَّت سُيوف بني أبيه تَنُوشه للّه أرحام هُناك تشقَّق صَبْراً يُقَاد إلى المنيَّة مُتْعَباً رَسْفَ المُقَيد وهو فانٍ مُوثَق قال ابن هشام: قال النبي الصلاة والسلام لما بلغه هذا الشِّعر: لو بلغني قبلَ قَتْله ما قتلتُه.

الأصمعيَّ قال: نَظر عمرُ بن الخَطاب إلى الخَنساء وبها نَدوب في وَجْهها فقال: ما هذه النُدوب يا خَنْساء قالت: من طُول البُكاء على أخَوَيّ قال لها: أخَواك في النار قالت: ذلك أطْول لِحُزني عليهما إني كنتُ أشْفِق عليهما من النار وأنا اليوم أبْكي لهما من النار وأنشدتْ: وقائلةٍ والنَّعشُ قد فات خَطْوَها لِتَّدْرِكه: يا لَهْفَ نفسي عَلَى صَخْرِ ألا ثَكِلت أمُ الذين غَدَوْا به إلى القَبرِ ماذا يَحْمِلون إلى القَبر دخلت خَنساء على عائشة أمّ المؤمنين رضي اللهّ تعالى عنها وعليها صِدَار من شَعَر قد استشعرته إلى جِلْدِها فقالت لها: ما هذا يا خَنساء فوالله لقد تُوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فما لَبِسْتُه قالت: إنّ له مَعْنى دَعاني إلى لِباسه وذلك أنّ أبي زَوَجني سيّد قومه وكان رجلاً مِثْلافاً فأسْرف في ماله حتى أنْفده ثم رَجِع في مالي فأنْفده أيضاً ثم التفت إليّ فقال: إلى أين يا خَنْساء قلتُ: إلى أخي صَخر.

قالتَ: فأتيناه فَقَسَّم مالَه شَطْرَين ثم خَيَّرنا في أحْسن الشَّطْرين فَرَجْعنا من عنده فلم يَزَل زَوْجي حتى أذْهَبَ جَمِيعَه.

ثم التفت إليّ فقال لي: إلى أينِ يا خَنْساء قلت: إلى أخي صَخْر.

قالت: فَرَحَلْنا إليه ثمٍ قَسَّم ماله شَطْرين وخيَّرنا في أفضل الشَّطْرين.

فقالت له زوجتُه: أما تَرْضى أن تشَاطِرهَم مالك حتى تُخَيِّرهم بين الشَطرين فقال: واللّه لا أمْنَحها شِرَارَها فلو هَلَكْت قَدَّدَتْ خِمَارَها واتخذَتْ من شَعَر صِدَارَها " وهي حَصَان قد كَفتْني عارها " فآليت أن لا يُفارق الصِّدارُ جَسَدي ما بَقِيت.

قيل للخَنْساء: صِفِي لنا أخَوَيك صَخْراً ومُعاوية قالت: كان صَخْرٌ واللّه جُنةَ الزمان الأغْبر وزُعافَ الخَميس الأحمر وكان واللّه مُعاوية القائلَ والفاعل.

قيل لها: فأيهما كان أسْنَى وأفْخَر قالت: أمّا صَخْر فَحَرُّ الشِّتاءِ وأما مُعاوية فَبَرْد الهواء.

قيل لها: فأيهما أوْجع وأفْجَع قالت: أسَدان مُحْمَرَّا المَخالب نَجْدَةً بَحْران في الزَمن الغَضُوب الأمْمرِ قمرَان في النَّادِي رَفِيعا مَحْتدٍ في المَجْدِ فَرْعا سُودَدٍ مُتَخَير وقالت الخنساء تَرْثِي أخاها " صَخْر بن الشريد ": قَذىً بعَيْنِك أمْ بالْعَينْ عُوَّارُ أم أقْفَرت إذ خَلَتْ من أهْلها الدَّارُ كأنَّ عَيْني لِذِكْراه إذا خَطَرتْ فَيْضٌ يَسِيلُ على الخَدَّين مِدْرار فالعَينْ تَبكِي على صَخْر وحُق لها ودُونه من جَديد الأرض أسْتار بُكاءَ والهةٍ ضَلَّت أليفَتها لها حَنينان إصْغار وإكبار ترعى إذا نسيت حتي إذا ذكرت فإنما هي إقبالٌ وإدبار وإن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علمٌ في رأسه نار حامي الحقيقة محمود الخليقة مه ديُّ الطريقة نفاع ضرار وقالت أيضاً: ألا ما لعيني ألا مالها لقد أخضل الدمع سربالها أمن بعد صخرٍ من آل الشريد حلتٍ به الأرض أثقالها سأحمل نفسي على خطة فإما عليها وإما لها وقالت أيضاً: أعيني جودا ولا تجمدا ألا تبكيان لصخر الندى ألا تبكيان الجريء الجواد ألا تبكيان الفتى السيدا طويال النجاد رفيع العما د ساد عشيرته أمردا يحمله القوم ما غالهم وإن كان أصغرهم مولدا جموع الضيوف إلى بابه يرى أفضل الكسب أن يحمدا وقالت أيضاً: فما أدركت كف امرئ متناولاً من المجد إلا والذي نلت أطول وما بلغ المهدون للمدح غاية ولول جهدوا إلا الذي فيك إفضل وما ألغيث في جعد الثرى دمث الربى تعبق فيها الوابل المتهلل بأفضل سيباً من يديك ونعمةً تجود بها بل سيب كفيك أجزل من القوم مغشي الرواق كأنه إذا سيم ضيماً خادرٌ متبسل أيا شجر الخابور مالك مورقاً كأنك لم تجزع على ابن طريف فتى لا يريد العز إلا من التقى ولا المال إلا من قناً وسيوف ولا الذخر إلا كل جرداء صلدمٍ وكل رقيق الشفرتين حليف فقدناه فقدان الربيع فليتنا فديناه من سادتنا بألوف خفيفٌ على ظهر الجواد إذا عدا وليس على أعدائه بخفيف عليك سلام الله وقفاً فإنني أرى الموت وقاعاً بكل شريف وقال آخر يرثي أخاه: أخٌ طالما سرني ذكره فقد صرت أشجى إلى ذكره وقد كنت أغدو إلى قصره فقد صرت أغدو إلى قبره وكنت أراني غنيا به عن الناس لو مد في عمره وكنت إذا جئته زائراً فأمري يجوز على أمره وقالت الخنساء ترثى أخاها صخراً: بكت عيني وعاودها قذاها بعوار فما تقضي كراها لئن جزعت بنو عمرو عليه لقد رزئت بنو عمرو فتاها له كف يشد بها وكفٌ تجود فيما يجف ثرى نداها ترى الشم الغطارف من سليم وقد بلت مدامعها لجاها أحامِيَكم ومُطْعِمَكم تركتُم لَدَى غَبْرَاءَ مُنْهَدم رَجاها فَمن للضَّيْف إن هَبَّت شَمَالٌ مُزَعْزعة تُنَاوِحها صَبَاها وأَلْجأ برْدُها الأشْوالَ حُدْباً إلى الحُجُرات بادِيةً كُلاها هنالك لو نَزلْت بباب صَخْرٍ قَرَى الأضيافَ شَحْماً من ذُرَاها وخَيْل قد دَلَفْتَ لها بِخَيْل فَدَارَتْ بين كَبْشَيْها رَحاها تُكَفْكِفُ فَضْلَ سابِغَة دِلاصٍ على خَيْفانةٍ خَفِقٌ حَشاها " وقال كعب يرثي أخاه أبا المِغْوار: تقول سُلَيْمى ما لِجِسْمك شاحباً كأنَّك يَحْمِيكَ الطَّعامَ طَبِيبُ فقُلتُ شجُون من خُطُوبٍ تَتابعت عليّ كِبَارٌ والزَّمانُ يَريب أخٌ كان يَكْفِيني وكان يُعِينني على نائباتِ الدَّهْرِ حين تَنوب هو العَسَل الماذيُّ لِيناً وشِيمةً وليثٌ إذا لاقَى الرجالَ قَطُوب هَوَتْ أُمُّه ما يَبْعَثُ الصُّبحُ غادِياً وماذا يَرُدّ الليلُ حين يؤوب كعالِية الرُّمْح الرُّدَيْنيّ لم يَكَن إذا ابتدر الخيلَ الرجالُ يَخيب وَدَاعٍ

دَعَا يا مَن يُجيب إلى النَّدا فلم يَسْتَجبه عند ذاك مُجيَب فقلت ادعُ أخرى وارفَع الصوت ثانيا لعلّ أبي المغْوَار منْك قَريب يُجبْك كما قد كان يَفْعَل إنّه بأمْثالها رَحْبُ الذّراع أريب وحَدّثتُماني أنّما المَوْتُ بالقُرى فكيفَ وهاتي هَضْبة وكثِيبُ فلو كانت المَوْتى تُباع اشتريتُه بما لم تَكُن عنه النُّفوس تَطيب بِعَيْني أو يمنى يَدَيّ وخِلْتُني أنا الغانمُ الجَذْلانُ حين يؤوب لقد أفسد الموتُ الحياةَ وقد أتى على يَوْمِهِ عِلْقٌ إليّ حَبيب أتى دون حُلْوِ العَيْش حتى أمَرَّه قُطُوبٌ على آثارهن نُكُوب ألا يا عَين جُودي لي شَنينَا وبَكّي للملوك الذَّاهبينا مُلُوك مِن بني صَخر بن عمرو يُقَادُون العَشِيَّة يقْتَلونا فلم تُغْسَل رُؤوسُهم بِسِدْر ولَكنْ في الدِّمَاءِ مُزَمَّلينا فَلَو في يَوْم مَعْرَكة أصِيبُوا ولكنْ في ديَار بَني مَرِينا وقال الأبَيْرد بن المُعذَّر الرياحي يَرْثي أخاه بُرَيداً: " تَطَاوَل لَيلي ولم أنمهُ تَقَلّباً كأنَّ فِرَاشي حالَ من دونه الجَمْرُ أراقب من ليل التَّمام نُجومَه لَدُن غاب قَرْنُ الشمس حَتَّى بدا الفجر تَذَكَّرَ عِلْق بَانَ منّا بنَصره ونائله يا حَبَّذا ذلك الذِّكْر فإن تَكُن الأيّام فَرَّقْن بَينَنا فقد عَذَرَتْنا في صَحابَتِه العُذْر وكنتُ أرى هَجْراً فِراقك ساعةً ألا لا بَل الموتُ التفرُّق والهَجْرُ أحَقًّا عبادَ الله أنْ لستُ لاقيا بُرَيْداً طَوَالَ الدَّهْرِ ما لألأ العُفْر فَتًى ليس كالفِتْيانِ إلاّ خِيارَهم مِن القَوْم جَزْلٌ لا ذَليلٌ ولا غُمْر فَليتَك كُنت الحيَّ في الناس باقياً وكنتُ أنا المَيْتَ الذي ضَمَّه القَبْر فتًى يَشتَري حُسْن الثَّناء بماله إذا السَّنَةُ الشَّهْباء قَلَّ بها القَطْر كأنْ لم يُصَاحِبْها بُرَيد بِغبْطةٍ ولم تَأتنا يَوْماً بأخْباره البُشْر لَعَمْري لَنِعْم المرءُ عالىَ نَعِيَّهُ لَنا ابنْ عَرِيْنٍ بعد ما جَنَح العَصْر تَمَصَّتْ به الأخْبار حتى تَغَلْغَلت ولم تَثْنِه الأطْباعُ عَنّا ولا الجُدْر فلمّا نَعى النّاعي بُرَيْداً تَغَوَّلَت بي الأرْض فَرْطَ الحُزْن وانْقَطَع الظَّهر عَساكِرُ تَغْشَى النَّفْس حتى كأنني أخو نَشْوَةٍ ارت بهامَته الخَمْر إلى الله أشكُو في بُرَيْدٍ مُصِيبتي وبَثّي وأحْزاناً يَجيش بها الصّدر وقد كُنتُ أستَعفي الإله إذا اشتكى من الأجر لي فيه وإن سَرَّني الأجر وما زال في عَيْنَيّ بَعدُ غِشاوةٌ وسَمْعيَ عما كنتُ أسْمعه وَقْر عَلى أنَّني أقنَى الحياءَ واتَّقي شماتة أقوام عُيونُهم خُزْر فحيَّاكَ عَنّي الليلُ والصبحُ إذ بدا وهُوجٌ من الأرْواح غُدْوَتُها شَهْر ومُجْتَمع الحُجّاج حيث تَوَاقفَت رِفاقٌ من الآفاق تَكْبيرها جَأر " يَمينَ امريءٍ آلى وليسَ بكاذبٍ وما في يَمين بَثُّها صادقٌ وِزْرُ لَئن كان أمْسَى ابنُ المُعَذَّر قد ثَوَى بُرَيْدٌ لِنِعْم المَرْء غَيَّبَه القَبْر هو المَرْء للمَعْرُوف والدِّين والنَّدَى ومِسْعَر حَرْب لا كَهَامٌ ولا غُمْر أقام ونادَى أهلُه فَتَحَمَّلوا وصُرِّمَتِ الأسْباب واختَلفت النَّجْر فأيّ امريء غادرتُم في بُيوتكم إذا هي أمْسَتْ لونُ آفاقِها حُمْر إذا الشَّول أمْسَتْ وهي حُدْبٌ ظُهورها عِجَافا ولم يُسْمَع لِفَحْل لها هَدْر كَثِير رَمادِ النَّار يُغْشَى فِنَاؤه إذا نُودي الأيْسار واحْتُضِر الجُزْر فَتًى كان يُغلي اللحمَ نِيئاً ولحمُه رَخِيصٌ بكَفّيه إذا تَنْزِل القِدْر يُقَسِّمه حتى يَشِيع ولم يَكُن كآخَر يُضْحى من غيبته ذُخْر فَتى الحيِّ والأضياف إنْ رَوَّحَتْهم بَلِيلٌ وزادُ القَوم إن أرْمَل السَّفْر إذا جَهَد القومُ المَطِيَّ وأدْرَجَتْ من الضُّمْر حتى يَبْلغ الحقَبَ الصَّفْر وإن خَشَعتْ أبصارهم وتَضَاءَلت من الأيْن جلى مثلَ ما يَنْظُر الصَقْر وإنْ جارةٌ حَلَت إليه وَفي لها فباتت ولم يُهْتك لجارته سِتر عَفِيفٌ عن السوآت ما التَبَسَت به صليبٌ فما يُلفي بِعُودٍ له كَسْر سَلَكْت سبيلَ العالَمين فما لَهم وراءَ الذي لاقَيْت مَعْدًى ولا قَصر وكلَّ امرىء يوماً مُلاَقٍ حِمَامه وإن دَانت الدُّنْيا وطال به العُمْر فأبليت خيراً في الحياة وأنما ثوابُك عِنْدي اليومَ أن يَنْطِق الشَّعر لِيَفْدِك مَوْلًى أو أخٌ ذو ذِمامَةٍ قليل الغناء لا عطاءٌ ولا نصرْ لِشِبْل بن مَعْبَد البَجَلي: أتى دون حُلْوِ العَيْش حتى أمرَّه نُكُوبٌ على آثارهنّ نكُوبُ تَتَابَعْنَ في الأحْبَاب حتى أبَدْنَهم فلم يَبْقَ فيهمْ في الدِّيار قَريبُ بَرَتني صُروف الدَّهْرِ من كلّ جانب كما يَنبري دون اللحَاء

عَسِيب فأصبحتُ إلا رحمةَ الله مُفْرَدَاً لَدَى الناس طُرَّا والفُؤاد كَئِيب فقلتْ لأصْحابي وقد قَذَفَتْ بنا نَوَى غُربةٍ عمن نُحِب شَطُوب مَنَى العهدُ بالأهْل الذين تَرَكْتُهم لهم في فُؤادي بِالعِرَاق نَصِيب فَما تَرَك الطاعونُ من ذِي قَرابة إليه إذا حانَ الإيابُ نَؤُوب فقد أصبحوا لا دارهم منك غرْبَةٌ بعد ولاهُمْ في الحياة قَريب وكُنْتَ تُرَجَّى أنْ تؤُوب إليهمُ فغالَتْهمُ من دون ذاك شَعُوب مَقادِير لا يُعْفِلن مَن حان يَوْمُه لهنّ على كلِّ النُّفوس رَقيب سَقَينَ بكَأس المَوْت مَن حانِ حَيْنُه وفي الحَيِّ مِن أنفاسِهنَّ ذَنُوب وإنَّا وإيّاهمْ كَوَارِد مَنْهَلٍ على حَوْضِه بالتَّاليات يُهِيب إلَيه تَنَاهِينا ولو كان دُونه مياهٌ رَوَاء كلّهن شرُوب فهوَّن عني بَعْضَ وَجْدِيَ أنَّني رأيْتُ المَنايا تَغْتَدِي وَتَؤُوب ولَسْنا بأحْيَا مِنْهُم غيرَ أننا إلى أجَلٍ نُدْعَى له فَنجِيب وإني إذا ما شِئْت لاقيتُ أسْوَةً تَكاد لها نَفْس الحَزِين تَطِيب دُمُوع مَرَاها الشجْوُ حتى كأنها جَدَاوِلُ تَجْري بَيْنَهن غروب إذا ما أرَدْتُ الصبرَ هاج لِيَ البُكا فُؤادٌ إلى أهل القُبُور طَرُوب بكَى شَجْوه ثم ارْعَوى بعد عَوْله كما واتَرَتْ بين الحنين سَلُوب دَعَاها الهَوَى من سَقْبها فَهِيَ والِهٌ ورُدّت إلى الألاَّفِ فَهي تَحُوب فَوَجْدِي بأهلِي وَجْدُها غيرَ أنهم شَبَابٌ يَزينون النَّدى ومَشِيب من رثت زوجها قالت أسماء بنتُ أبي بكر ذاتُ النِّطاقين " رضي الله عنها " تَرْثي زَوْجَها الزُّبير بن العَوَّام وكان قَتله عَمْرو بن جُرْمُوز المُجاشِعيّ بوادي السِّباع وهو مَنْصَرف من وَقْعة الجَمَل.

" وتروى هذه الأبيات لزوجته عاتكة التي تَزوّجها بعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ": غَدَر ابن جُرْمُوز فارس بهُمِةٍ يَومَ الهِيَاج وكانِ غَيْرَ مُعَرِّد يا عَمْرُو لو نَبَّهْتَه لوَجَدَتْه لا طائشاً رَعِشَ الجَنَانِ ولا اليَدَ ثَكِلَتك أمُّك إن قَتَلْت لمُسْلِماً حَلَّت عليك عُقوبة المُتَعَمِّد الهلاليّ قال: تَزَوّج محمد بن هارون الرشيد لُبانة بنت علي بن رَيْطة وكانت من أجمل النّساء فقُتل محمد عنها ولم يَبْنِ بها فقالت تَرْثيه: أبْكِيكَ لا لِلنعِيم والأنُسِ بل لِلمَعَالي والرُّمْح والفَرَس يا فَارساً بالعَرَاء مطَّرَحاً خانَتْه قواده مَع الحرَس أبْكي على سَيِّدٍ فجِعْتُ به أرْمَلَني قَبْل ليلة العُرُس أمْ مَن لِبِرِّ أمْ مَن لعائدة أم مَن لِذكْر الإله في الغَلَس وقالت أعرابيّة تَرْثي زَوْجَها: كُنَا كغُصنَين في جُرْثومةٍ بَسَقَا حِيناً على خير ما يَنْمِي به الشَّجَر حَتّى إذا قِيلَ قد طالت فُرُوعُهما وطَابَ قِنْواهُما واسْتُنْظِر الثَّمر أخْنَى على واحد رَيْبُ الزَمان وما يُبْقِي الزمانُ على شيء ولا يَذَر كُنَّا كأنْجمُ ليلٍ بينها قَمَر يَجْلو الدُجَى فَهَوَى مِن بَينها القَمر الأصْمعيّ قال: دخلتُ بعضَ مَقابر الأعراب ومعي صاحبٌ لي فإذا جاريةٌ على قبر كأنها تِمثال وعليها من الحَلْى والحُلَل ما لم أر مِثْلَه وهي تَبْكي بعين غَزيرة وصوت شَجيّ.

فالتفتُّ إلى صاحبي.

فقلتُ: هل رأيتَ أعجَب من هذه قال: لا والله ولا أحسَبني أراه.

ثم قلتُ لها: يا هذه إني أراك حَزِينة وما عليك زِيّ الحُزْن: فانشأت تقول: فإن تَسْألاني فِيم حُزْني فإنّني رَهِينةُ هَذا القَبْر يا فَتَيانِ وإني لأسْتَحْييه والتُرْب بيننا كما كنْتُ أستَحْييه حين يَرَاني أهابُك إجلالاً وان كُنتَ في الثرى مَخافَة يوم أن يَسُوك لِسَاني ثم اندفعت في البُكاء وجعلت تقول: يا صاحبَ القَبْر يا مَنْ كان يَنْعَم بي بالاً ويُكثر في الدَّنْيا مُوَاساتِي أردْتُ آتِيكَ فيما كنت أعرفُه انْ قد تُسَرُ به من بَعض هَيْنَاتي فمَن رَآني رأى عَبْرى مُوَلَهَةً عَجيبةَ الزِّيِّ تَبْكي بَينَ أمْوات وقال: رأيتُ بصحراء جاريةً قد ألْصقت خدَّهَا بقَبْر وهي

تَبْكي وتقول: خدَي تَقيك خشُونةَ اللَّحْدِ وقَلِيلةٌ لك سَيِّدِي خَدِّي يا ساكنَ القَبر الذي بوَفاته عَمِيتْ عَليَّ مسالِكُ الرُّشد اسْمَع أبثك علَتي فلعلّني أطْفِي بذلك حُرْقَة الوَجْد من رثى جاريته كان لمُعلّى الطائي جارية يُقال لها وَصْف وكانت أديبةً شاعرة فأخبرني محمد بن وَضّاح قال: أدركتُ معلًّى الطائي بمصر وأعْطِي بجاريته وَصْف أربعةَ الآف دينار فباعها.

فلما دَخل عليها قالت له: بِعْتني يا مُعلى! قال نعم قالت: واللّه لو مَلَكْتَ منك مثلَ ما تَمْلك مني ما بِعْتك بالدُّنيا وما فيها.

فَردَ الدَّنانير واستقال صاحبَه فأصيب بها إلى ثمانية أيام فقال يَرْثيها: يا موتُ كيفَ سَلَبْتَني وَصْفَا قَدَّمْتها وتَرَكْتَني خَلْفَا هَلا ذَهَبْتَ بنا معاً فَلَقد ظَفِرَتْ يَدَاك فسُمْتَني خَسْفا فَعَلَيك بالباقي بلا أجَل فالموتُ بعد وفاتها أعفي يا موتُ ما بَقّيت لي أحداً لما زَفَفْت إلى البِلَى وَصْفا هَلاّ رَحِمْت شَبَابَ غَانِيةٍ رَيَّا العِظام وشَعْرَها الوَحْفا ورَحِمْت عَيْني ظَبْية جَعَلت بين الرّياض تُناظِر الخِشْفا تُغْفي إذا انتصبت فرائصه ولَظَلَّ تَرْعاه إذا أغفى فإذا مَشى اختلفت قوائمهُ وَقْت الرَّضاع فَيَنْطَوِي ضعْفا متحيراً في المَشيْ مُرْتَعِشاً يَخْطو فَيَضْرِب ظِلْفُه الظِّلْفا فكأنها وَصْفٌ إذا جَعَلت نحوي تُدِير مَحَاجِراً وُطْفا يا مَوْتُ أنت كذا لكلِّ أخِي إلفٍ يَصُون ببزّه الإلْفا خَلّيتني فَرْداً وبِنْت بها ما كنتُ قَبْلَك حافلا وكفا فَتَرَكْتُها بالرَّغْم في جَدَث للرّيح يَنْسِف تُرْبَه نَسْفا دون المُقَطّم لا ألبسها من زينةٍ قُرْطاً ولا شَنْفا فكأنّها والنفسُ زاهِقةٌ غُصْن من الرَّيْحانِ قد جَفّا يا قبرُ أبْقِ على محاسنها فلقد حويت النور والظرْفا لما هُزِم مَرْوان بن محمد وخَرج نحو مِصرْ كتب إلى جارية له خَلّفها بالرَّمْلة: وما زَال يَدْعُوني إلى الصَّبر ما أرى فأبى ويَثْنِيني الذي لكِ في صَدْري وكانَ عزيزاً أنّ بَيْني وبينها حِجاباً فقد أمسيتُ منك على عَسَر وأنْكاهما لِلْقَلْب واللّه فاعلمي إذا ازددتُ مِثلَيها فَصِرْتُ على شَهْر وأعظمُ من هَذَين واللّه أنني أخاف بأن لا نَلْتَقي آخرَ الدَّهر سأبْكِيك لا مُستَبْقِياً فَيْض عَبْرة ولا طالِباً بالصبر عاقبةَ الصَّبر وَجدوا على قبر جارية إلى جَنب قَبر أبي نُواس أبياتاً ذكروا أنَ أبا نُواس قالها وهى: أقُولُ لقبْرٍ زُرْتُه مُتَلَثِّما سَقَي اللهّ بَرْدَ العَفْو صاحبَة القَبْر لقد غيَّبوا تَحت الثّرَى قَمرَ الدُّجَى وشَمْس الضَّحَى بين الصَّفائح والعَفر عَجِبتُ لِعَينْ بَعدها مَلَت البُكا وقلْب عَلَيْها يَرْتَجي راحَة الصَّبر وقال حَبِيب الطائي يَرثِي جارية أصِيب بها: وألبسنى ثوباً من الحُزْن والأسيَ هِلاَلٌ عليه نَسْجُ ثَوْب من التُّرب وكنتُ أرَجِّي القُرْبَ وهي بعيدة فقد ثقُلَت بَعْدي عن البُعدِ والقُرْب أقول وقد قالوا استراح بموتها من الكرب رَوْح المَوْت شَرٌّ من الكَرْب لها مَنزل تحت الثَّرَى وعَهدتُها لها منزلٌ بين الجَوانِح والقَلْب وقال يرْثيها: ألم تَرَني خَليتُ نَفْسي وشانَها ولم أحفِل الدُّنيا ولا حَدَثانَها لقد خوَفَتْني النائباتُ صُرُوفَها ولو أمَّنَتْني ما قِبلتُ أمانَها وكيف على نارِ اللَيالي مُعرَّسي إذا كان شَيْبُ العارِضَين دُخانَها أصِبْتُ بِخَوْد سوف أعْبُر بعدها حليفَ أسى أبكى زماناً زمانَها عِنَانٌ من اللَذّات قد كان في يَدِي فلما قَضىَ الإلْفُ استردت عِنَانَهَا مَنَحْتُ المَهَاهَجْرِي فَلاَ مُحْسِناتها أوَدُّ ولا يَهْوِىَ فُؤَادِي حِسانَها يقولون هَلْ يبكي الفَتَى لِخَرِيدةٍ إذا ما أرادِ اعتاض عَشْراً مَكانَها أمُنْفَصِلٌ عن نَدْي أم كريمةٍ أم العاشقُ النَّابي به كلُّ مَضْجَع وقال محمود الوِرّاق يَرْثي جاريتَه نَشْو: ومنتصح يُرَدِّد ذِكْر نَشْوٍ على عَمْدٍ لِيَبْعَثَ لي اكتئاباً أقول - وَعَدَّ - ما كانت تُسَاوي سَيَحْسُبُ ذاك مَن خَلَقَ الحِسابا عَطِيَّته إذا أعطى سُرور وإن أخذ الذي أعطَى أثَابَا فأيُ النِّعمتينْ أعمُّ نَفْعاً وأحسَنُ في عَواقِبها إيابا أنعِمْته

التي أهْدت سروراً أم الأُخْرى التي أهدت ثَوَابا بل الأخرى وَإِنْ نَزَلَت بحُزْن أَحَقُ بِشُكْرِ مَن صَبَرَ احتسابا أبو جَعفر البغداديّ قال: كان لنَا جارٌ وكانت له جاريةٌ جَميلَة وكان شَديد المحبَّة لها فماتت فَوَجد عليها وَجْداً شديداً فبينا هو ذاتَ لَيْلة نائمٌ إذ أتتْه الجاريةُ في نَوْمه فأنشدتْه هذه الأبيات: جاءت تَزور وسادِي بعدما دُفِنتْ في النَّوْم أَلْثِمُ خَدًّا زَانَه الجيدُ فقلتُ قُرَّةَ عيني قد نُعيتِ لنا فكيفَ ذا وطَريقُ القبر مسدود فانتبه وقد حَفِظها وكان يحدّث الناس بذلك ويُنشدهم.

فما بَقي بعدَها إلا أيَّاماً يَسيرة حتى لَحِق بها.

من رثى ابنه

قال البُحْتريّ في رثاء ابنة لأحد بَني حُمَيد: ظَلَم الدَّهْرُ فِيكم وأساءَ فَعَزاءَ بَني حُمَيْد عَزَاءَ أنفْسٌ ما تَزَالُ تَفْقِدُ فَقْداً وصُدُورٌ ما تَبْرَح البُرَحَاءَ أصْبَحَ السيفُ دَاءَكم وهو الدَّاء الّذِي ما يزال يُعْي الدَّوَاءَ وانتحى القَتْلَ فيكم فَبَكَيْنا بِدمَاء الدُّمُوع تلك الدِّماء يا أبَا القاسم المُقَسَّم في النَّج دِة والجُودِ والنَّدَى أجزاء والهزَبْر الذي إذا دارت الحَر بُ به صرَّف الرَّدىَ كيف شَاء الأسىَ واجبٌ على الحُرّ إمّا نِيَّةً حُرَّةً وإما رِياء وسَفَاها أن يَجْزَع الحُرّ مما كان حَتماً على العِبَاد قَضَاء أتُبكّى من لا يُنازل بالسَّيْفِ مُشيحاً ولا يَهُزّ اللِّوَاء والفَتى مَن رأى القُبورَ لمن طاب به مِر بَناته أكفَاء لَسْنَ مِن زينة الْحَياة لعِدّ اللَّ ه منها الأموال والأبناء لم يَئِدِتِرْ بهَنّ قَيْسُ تَمِيم عَيْلةً بل حَمِيَّةً وإبَاء وتَغَشى مُهلهلَ الذلّ فيه نِ وقد أعْطَى الأديم حِبَاء وشقيق بنُ فاتكٍ حَذَرَ العار عليهنّ فارَقَ الدَّهْناء وعَلَى غَيْرِهِنّ أحْزن يَعْقو بُ وقد جاءَه بَنوه عِشاء وشعَيْب من أجلهنّ رَأى الوُح دة ضعْفاً فاستَأجر الأنبياء وَتَلَفَّتْ إلى القبائِل فانظُرْ أمهات ينسبن أمْ أباء واستْزَلَّ الشَّيطانُ آدَم في الجنَّ ة لما أغْرَى به حَوَّاء ولعمْري ما العَجْز عِندِيَ إلا أن تَبيتَ الرجالُ تَبْكي النِّساء مراثي الأشراف قال حَسّان بنُ ثابت يَرْثي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بَكر وعمر رضوانُ اللهّ عليهم: ثَلاثَةٌ بَرَزُوا بِسَبْقِهِمُ نَضرَهم ربُّهم إذا نُشرُوا عاشُوا بلا فُرْقة حَياتَهم واجْتَمعوا في المَمات إذ قُبِروا فَلَيْس مِن مُسْلِمٍ له بَصرٌ يُنْكِرهم فَضْلَهم إذا ذُكِروا إذا تَذَكرتَ شَجْواً من أخي ثِقَةٍ فاذْكُر أخاكَ أبا بكْرٍ بما فَعَلا خَيْرَ البرّية أتقَاها وأعْدَلها بعد النبي وأوفاها بما حَمَلا الثّانيَ اثنينِ والمَحْمُودَ مَشْهَدُه وأوّل الناس طُرا صَدَّق الرُّسُلا وكان حب رسول اللهَ قد عَلِموا مِن البرية لم يَعْدِلْ به رَجُلا وقال يَرْثِي عُمر بن الخطّاب رضي الله عنه: عليك سَلامٌ من أمير وبارَكَتْ يَدُ اللهّ في ذَاك الأديم المُمَزَّقِ فمَن يَجْرِ أو يَرْكَبْ جَناحَيْ نَعامةٍ لِيُدْرِكَ ما قَدَّمْتَ بالأمْس يُسْبَق قَضَيْتَ أموراً ثم غادرتَ بعدها نَوَافِجَ في أكمامِها لم تُفَتَّق وما كنتُ أخْشى أن تكونَ وفاتُه بَكَفَّيْ سَبَنْتي أزْرَقِ العَينْ مُطْرِق وقال يَرْثي عثمان بنِ عفّان رضي الله عنه: مَن سَرَّه الموتُ صِرْفاً لا مِزَاج له فَلْيأتِ ما سَرَّه في دار عُثْمانَا إنّي لمنهُمْ وإن غابوا وإن شَهِدُوا ما دمتُ حيًّا وما سُمِّيت حَسَّانَا يا ليت شِعْري وليت الطَّير تُخْبرني ما كَان شَأنُ علّي وابن عفّانَا وقال الفرزدق في قَتْل عثمان رضي الله تعالى عنه: إنَّ الخِلَافَةَ لما أظْعِنت ظَعَنتْ مِن أهْل يَثْربَ إذ غَيرَ الهُدَى سَلَكوا صارتْ إلى أهْلها منهم ووارِثِها لما رأى الله في عثمانَ ما انتَهكوا السافِكي دَمِه ظُلْماً ومَعْصيةً أيَّ دَم لا هُدُوا من غَيهمْ سفَكوا وقال السيّد الْحِميريّ يَرْثي عليَّ بن أبي طالب كَرَّم الله وَجْهه ويَذكر يومَ صِفِّين: إنّي أدين بما دان الوَصي به

وشاركتْ كفُه كَفِّي بصِفِّينا في سِفْكِ ما سَفكَتْ فيها إذا احتُضِروا وأبرز اللّهُ للقِسطِ المَوازِينا تلك الدِّماء معاً يا ربّ في عُنقي ثم اسْقِني مثلَها آمينَ آمينا آمين من مِثْلهم في مِثْل حالِهمُ في فِتْيَة هاجَرُوا للهّ سارينا لَيْسُوا يريدون غيرَ اللهّ رَبِّهم نعم المُراد تَوَخَّاه المُرِيدونَا أنشد الرِّياشي لرجل مِن أهل الشام يرثي عمرَ بن عبد العزيز رضي اللهّ عنه: قد غَيّب الدَّافنون اللحدَ إذ دَفَنُوا بدَيْرِ سِمْعان قِسْطاسَ المَوازينِ من لم يَكُنْ همُّه عَيْنًا يُفجِّرها ولا النَخيلَ ولا رَكْضَ البَراذِين ظَلُّوا على قَبْره يَسْتغْفِرون له وقد يَقُولون ثاراتٍ لنا العبَرُ يُقَبِّلون تُرابا فوق أعْظُمه كما يُقَبَّل في المَحجُوجة الحَجَر للّه أرضٌ أجَنَّته ضَريحتُها وكيف يُدْفن في المَلْحُودة القَمَر إنّ المَنابر لا تَعْتاض عن مَلِك إليه يشخصُ فوق المِنْبر البَصر وقال جريرٌ يرثي عمرَ بنَ عبد العزيز: يَنْعَى النُّعاة أميرَ المُؤمنين لنَا يا خير منْ حَجّ بيتَ الله واعتمرا حُمِّلتَ أمراً عظيماً فاصْطَبرتَ له وقُمْتَ فيه بأمْرِ اللهّ يا عُمَرا فالشمسُ طالعةٌ ليستْ بكاسفةٍ تَبْكي عليك نُجوم الليل والقمرا وقال جرير يَرْثي الوليدَ بن عبد الملك: إنّ الخَلِيفة قد وَارَتْ شمائلَه غَبْراءُ مَلْحُودةٌ في جُولها زَوَرُ أمْسى بنو وقد جَلَّت مُصِيبتهم مثلَ النُجُوم هَوَى من بينها القَمَر كانوا جَميعاً فلم يَدْفَع مَنِّيَتَه عبدُ العزيز ولا روْحٌ ولا عُمَر وقال غيره يرثي قَيْس بن عاصم المنقريّ: فما كان قيسٌ هُلْكُه هُلْكُ واحدٍ ولكنّه بُنْيان قَوْم تَهدَّما وقال أبو عَطَاء السِّنْدي يَرْثي يزيد بن عمر بن هُبَيرة لما قُتل بوَاسط: ألا إنّ عيناً لم تجُد يومَ واسطٍ عليكَ بِجَارِي دمْعِها لَجَمُودُ عَشِيّةَ راحَ الدَّافِنُون وشُقَّقتْ جُيوب بأيدي مأتم وخُدود فإن تك مَهْجُورَ الفِناء فربما أقام به بعد الوُفود وُفود وإنك لم تَبْعد على متعهِّد بَلى إنّ مَن تحت التراب بَعيد وقال منصور النَّمري يَرْثي يزيد بن مَزْيد: مَتى يَبْرُد الحُزْن الذي في فُؤاديا أبا خالدٍ من بعد أن لا تَلاَقِيَا أبا خالدٍ ما كان أدهَى مُصِيبةً أصابت مَعدًا يومَ أصْبَحْت ثاويا لَعَمْرِي لئن سُرّ الأعادي وأظهَروا شَمَاتاً لقد سُرُّوا برَبْعِكَ خالِيا وأوْتار أقْوَام لَدَيْكَ لَوَيْتَها وزُرْتَ بها الأجْداثَ وهِي كما هيا نُعَزِّي أميرَ المؤمنين ورَهْطَه بسَيْفٍ لهم ما كان في الحَرْب نابيا على مِثْل ما لاقَى يزيدُ بن مَزْيد عليه المَنايا فالْقَ إن كُنْتَ لاقِيا سأبكيكَ ما فاضت دموعي فإن تَغِضْ فَحَسْبُكَ منّي ما تّجنّ الجَوانِحُ كأن لم يَمُتْ حَيٌّ سِواك ولم تَقُم على أحدٍ إلا عليكَ النَّوائح لئن حَسُنت فيك المَرَاثي وذِكْرُها لقد حَسُنَت من قبلُ فيك المَدَائحُ فما أنا مِن رُزْءٍ وإنْ جلَّ جازعٌ ولا بسُرورٍ بعد مَوْتك فارِح وقال زِياد الأعجم يرثي المُغيرة بن المهلّب: إنَ الشَّجاعةَ والسَّماحةَ ضُمِّنا قَبْرًا بِمَرْوَ على الطَّريق الواضِح فإذا مَرَرْتَ بقبره فاعقِرْ به كُومَ الهجَان وكل طِرْفٍ سابح " وانضح جوانبَ قَبْره بدمائها فلقد يكون أخا دَم وذَبائح " والآن لما كُنْتَ أكملَ مَنْ مَشىَ وافتر نابُكَ عن شَبَاةِ القارِح وتَكامَلَت فيك المروءةُ كلُّها وَأعَنْتَ ذلك بالفَعَال الصَالح للمهلّبي من مَرْثيته للمتوكل: لا حُزْنَ إلا أراه دُونَ ما أجدُ وهَلْ كمن فَقَدَتْ عَيْناي مَفتَقَدُ لا يَبْعدَنْ هالكٌ كانت مَنِيته كما هَوَى من عِطاء الرُّبْية الأسد هلاَّ أتَتْهُ أعاديه مُجاهرةً والحَربُ تَسْعَر والأبطال تَجْتلد فخَر فوق سرَير المُلْكِ مُنْجدلاً لم يَحْمه مُلكُه لما آنقضىَ الأمد قد كان أنصارُه يَحْمُونَ حَوْزتَه وللردىَ دون أرْصاد الفَتَى رَصَد وأصْبَح الناس فَوْضىَ يَعْجَبون له لَيثاً صريعاً تَنَزَّى حوله النَّقَد علَنْكَ أسيافُ من لا دونه أحدٌ وليسَ فوقك إلا الواحد الصمد جاءُوا عظيماً لدُنيا يَسْعدون بها فقد شَقُوا بالذي جاءُوا وما سَعِدوا ضَجَّت نِساؤُك بعد العزَ حين رأتْ خدًّا كريماً عليه قارِت جَسِد أضحى شهيدُ بني العبّاس مَوْعِظةً لكلّ ذي عِزّة في رأسه صَيَد خَليفةٌ لم ينل ما ناله أحدٌ ولم يكن مثله رُوح ولا جَسَد كم في أديمك من فَوْهاء هادرة من الجَوَائف يَعْلى فوقها الزَّبَد إذا بَكيتُ فإنّ

الدمع مُنْهملٌ وإن رَثيتُ فإنَ القولَ مُطَرد قد كنتُ أسرف في مالي ويُخْلِف لي فعلّمتْني الليالي كيف أقْتَصِد " إذا قُرَيْشَ أرادوا شَدِّ مُلكهمُ بغير قَحْطان لم يَبْرَح به أوَد " من الأُلى وَهَبوا للمَجد أنْفَسَم فما يبالون ما نَالوا إذا حُمدوا قد وتُر الناسُ طرًّا ثم صَمَتُوا حتى كأنَّ الذي يَبْلونه رَشَد وقال آخر: وفتًى كأنّ جَبينَه بَدْرُ الدُّجا قامت عليه نَوَادِبٌ ورَوَامِس غرَسَ الفَسِيلَ مُؤَمّلاً لِبَقائه فنَما الفَسِيلُ ومات عنه الغارس وقال الأسود بن يَعْفُر.

ماذا أؤَمِّلُ بعد آل مُحَرق تَرَكُوا منازلَهم وبَعد إيَادِ أهل الخَوَرْنَق والسَّدير وبارقٍ والقَصْر ذي الشّرفات مِن سِنْداد نَزَلوا بأنقِرة يَسِيلُ عليهمُ ماءُ الفرات يَجيءُ مِن أطواد جَرَت الرِّياحُ على محلِّ دِيارهم فكأنما كانوا عَلَى مِيعاد ولقد غَنُوا فيها بأنعِم عِيشةٍ في ظِل مُلْك ثابتِ الأوتاد وإذا النَّعيم وكلَّ ما يلْهَى به يوماً يصِيرُ إلى بِلًى ونَفَاد يا حار ما طَلَعت شمسٌ ولا غَرَبتْ إلا تُقَرَبُ آجالا لميعاد هل نحن إلا كأرْواح يُمر بها تحت التراب وأجسادٌ كأجساد لما مات أسماء بن خارجة الفَزَاري قال الحجاج: ذلك رجل عاش ما شاء ومات حين شاء.

وقال فيه الشاعر: إذا مات ابن خارجةَ بن زَيْدٍ فلا مَطَرَتْ على الأرض السماءُ ولا جاء البَريدُ بغُنْم جَيْشٍ ولا حُمِلَت على الطهر النساء فَيَومٌ منْك خيرٌ من رِجالٍ كثيرٍ عندهم نَعَمٌ وَشَاء وقال مسلم بن الوليد الأنصاري: أمَسْعود هل غَادَاكَ يومٌ بفَرْحَةٍ وأمْسَيْتَ لم تَعْرِضْ لها التَّرَحَاتُ وهل نحْنُ إلاّ أنفسٌ مُستعارةٌ تَمر بهما الرَّوَحات والغدوات بكَيتَ وأعْطَتْكَ البكاءَ مُصيبة مَضَتْ وَهْيَ فَرد ما لها أخَوَات كأنك فيها لم تَكن تَعْرِفُ العَزَا ولم تَتعمَّد غيْرَك النَّكَبات سَقَى الضاحكُ الوَسْميُ أعظَمَ حُفْرَةٍ طَواها الردَّى في اللّحْدِ وَهْي رُفات وقال أيضاً: أمَّا القُبورُ فإنَّهُنَّ أوانسٌ بِجِوارِ قَبْرِك والدِّيار قُبُورُ عَمَتْ فَوَاضِلُه وعَمَّ مُصابه فالناسُ فيه كُلّهم مَأجور رَدَّت صنائعه إليه حياتَه فَكانه من نَشْرِها منْشور وقال أشجع بن عمرو السُّلَمي يرثي منصور بن زِياد: يا حُفْرةَ الملك المُؤَمَّل رِفدُهُ ما في ثَرَاكِ مِن النَدَى والخِير لا زِلْتِ في ظِلّين ظِلِّ سَحابةٍ وَطْفَاءَ دانيةٍ وظِل حبُور وسَقَى الوليُّ على العِهاد عِراصَ ما وَالاكِ من قَبْرٍ ومن مَقْبور يا يومَ مَنصورٍ أبَحْتَ حِمَى النَدى وَفَجَعْته بِوليّه المَذكور يا يومَه أعْرَيْتَ راحلةَ النَّدَى من رَبِّها وحَرَمْتَ كل فَقير يا يومه ماذا صنَعت بِمُرْمل يرْجُو الغِنى ومُكبّل مأسور يا يومَه لو كنت جِئتَ بِصيْحَةٍ فَجَمَعت بين الحيِّ والمقبور للهّ أوْصال تقسمها البِلى في اللحد بين صَفائح وصخور ذَلَتْ بمصرعه المكارِمُ والندى وذُبابُ كلِّ مُهَنَّد مأثُور أفَلتْ نجوم بَني زِيادٍ بَعدما طَلَعَت بنور أهلّة وبُدُور لولا بقاءُ محمد لتصدَعت أكبادُنا أسفاً على منصور أبقى مَكارِمَ لا تَبِيدُ صفَاتُها ومَضىَ لِوَقت حِمَامه المَقْدُور أصْبحتَ مَهْجوراً بحُفرتك التي بُدِّلْتها من قَصرْك المَعْمُور بَلَيت عِظَامُك والصفاحُ جَديدة ليس البلى لفَعَالك المَشْهور إنْ كُنْت ساكِنَ حفْرةٍ فلقد تُرى سَكناً لعُودي مِنْبرٍ وسرَير وقال يرثي محمد بن مَنْصور: أنْعَى فَتِىَ الجُودِ إلى الجود ما مِثلُ مَن أنْعَى بِمَوْجُودِ أنْعَي فَتَى مَصَّ الثَّرى بعده بَقِية الماءِ مِنَ العُود فانْثَلم المَجْدُ به ثَلَمَةً جانِبُها ليس بِمَسْدُود أنْعَي ابن مَنْصور إلى سَيِّدٍ وأيِّدٍ ليسَ برِعْدِيد أوْرَده يومٌ عَظِيمٌ ثَأى في المجد حوضاً غير محمود كُلُّ امرىءٍ يَجرى إلَى مُدَّة وأجَل قد خُطّ مَعْدُود سَيَنْطَق الشِّعْرُ بأيامه على لِسانٍ غَيْرِ مَعْقُود فكل مَفْقودٍ إلى جَنْبِه وإنْ تعالى غَير مَفْقُود يا وافِدَيْ قومهما إنّ مَن طَلَبتما تحت الْجَلاميد طَلَبتما الجودَ وقد ضَمَه محمدٌ في بطن مَلْحُود فاتّكما

الموت بمعْرُوفِه وليس ما فات بِمَرْدُود يا عَضداً لِلْمَجْدَ مَفْتوتةً وساعِداً ليس بمَعْضود أوْهَن زَنْدَيْها وَأكْباهما قَرْعُ المنايا في الصِّنَّاديد وهدَّت الرُكْنَ الذي كان بالأمْس عِمَاداً غَيْرَ مَهْدُود وقال حبيبٌ الطائيَّ يَرثي خالدَ بن يَزيد بن مَزيد: أشَيْبان لا ذاك الهِلالُ بطالِعٍ عَلَينا ولا ذاك الغَمَام بعائدِ وأنشد أبو محمد التّيْمي في يَزيد بن مَزْيد: أحقاً أنَّه أودى يَزِيدُ تَبَينَّ أيها النَّاعِي المُشِيدُ أتدْرِي من نَعَيت وكيف فاهتْ به شَفَتَاكَ واراك الصَّعِيد أحامي المُلْكِ والإسْلام أوْدى فَما للأرْض وَيْحَكَ لا تَمِيد تَأمَّلْ هل تَرَى الإسْلامَ مالتْ دَعائمُهُ وهل شَابَ الوَليد وهَلْ شِيمَتْ سُيوف بني نِزَارٍ وهَل وُضِعت عن الخَيْل اللُّبُود وهَلْ نَسْقِي البِلادَ عِشَارُ مُزْنٍ بدرَّتها وهَلْ يَخْضَرُ عُود أما هُدَّت لمَصرَعه نِزَار بَلَى وتقوّض المجد المَشِيد وحلّ ضَرِيحَه إذ حَلَّ فيه طَرِيفُ المَجْدِ والحَسَبُ التَّلِيد وهُدَّ العِزُّ والإسْلامُ لما ثَوَى وخَلِيفة اللهّ الرَّشيد لقد أوْفي رَبيعَةَ كُلَّ نحْسٍ لمهْلِكه وغُيِّبت السُّعُود وانْصِلَت الأسِنّة مِن قَنَاهاً وأسْرعت الرِّمَاح لِمَن يَكِيد فمِن يَحْمي حِمَى الإسْلام أمْ مَن يَذُبّ عن المَكارم أو يذُود ومَن يَدْعُو الإمامُ لكلّ خَطْبٍ يخاف وكُلِّ معضلة تَؤُود ومَن تُجْلَى به الغَمَراتُ أم مَنَ يَقُوم لها إذا اعوج العنيد ومن يحمي الخميس إذا تعَايا بحيلة نَفْسه البَطَل النَّجِيد وأين يَؤُمِّ منْتَجع وَلاجٍ وأين تَحُطّ أرْحُلَها الوُفُود لقد رُزِئتْ نِزَارٌ يوْمَ أودْىَ عمدٌ ما يقاسُ به عَمِيد فلو قُبِلَ الفِدَاءُ فَدَاهُ منّا بِمُهْجَته المُسَوَّدُ والمَسُود أبَعْدَ يَزيد تَختَزن البَوَاكِي دُمُوعاً أو تُصَان لها خُدُود أما واللّه لا تَنْفَكّ عَيْنِي عليه بدَمْعِها أبداً تجود وإنْ تَجْمُد دُمُوعُ لَئيم قَوْم فليس لِدَمْع ذي حَسَب جُمود وإن يك غالَه حَينٌ فأوْدَىً لقد أودىَ وليس لهُ نَدِيد وإنْ يَعْثر بهِ دهرٌ فكم قَد تَفَادىَ من مخافته الأسُود ألم تَعْلَم أخِي أن المَنايا غَدَرْنَ به وهُنَّ له جُنود قَصَدْنَ له وكُنَّ يَحدْنَ عنه إذا ما الحَرْبُ شبّ لها الوَقُود فهلا يوْمَ يَقْدُمهَا يَزِيدُ إلى الأبطال والخُلان حِيد ولو لاقى الحُتُوف عَلى سِوَاه للاقاها به حتْفٌ عَنِيد أضَرَاب الفوارس كل يوْم ترَى فيه الحُتُوفُ لها وَعِيد فمن يُرْضى القَواطع والعَواليً إذا ما هَزّها قَرْعٌ شَديد لِتَبْكِكَ قبَّةُ الإسلام لمَّاَ وَهتْ أطنابُها وَوَهى العَمُود وَيبْكِك مُرْهَقٌ تتْلُوهُ خَيْلٌ إبَالَةُ وهو مَجْدُول وَحِيد وَيَبْكِكَ خاملٌ ناداك لمَّا تَوَا كَلَهُ الأقارِبُ والبعيد وَيَبْكِكَ شاعرٌ لم يُبْقِ دَهرٌ له نَشبَا وقد كَسَدَ القَصِيد تَرَكْتَ المَشرفيَّة والعَوَالي مُحَلاةً وقد حانَ الوُرُود وغادَرْتَ الجِيَاد بكُلِّ لُغْزٍ عَوَاطِلَ بَعْدَ زِينتها تَرُود لَقَد عَزَّى ربيعةَ أنَّ يوماً عليها مثلُ يَوْمك لا يعود ومِثْلُك من قَصَدْن له المنايا بأسْهُمها وهُنَّ له جُنود فيا للدهر ما صَنَعَتْ يَدَاهُ كأنَّ الدهر منها مستقيد سَقَى جَدَثاً أقامَ به يزيدُ من الوَسْمِيِّ بَسَّام رَعُود فإن أجْزَعْ لمَهْلِكة فإنّي على النَّكَبات إذ أوْدىَ جَلِيد لِيَذْهَبْ مَن أراد فَلَسْت آسىَ على مَن مات بعدك يا يزيد وقال مَرْوان بن أبي حَفْصَة يَرْثي مَعْنَ بن زائدة: زار ابن زائدةَ المَقابِر بَعْدَ ما أَلْقَتْ إليه عُرَى الأمور نِزَارُ إنَّ القبائلَ مِنْ نزَارٍ أصْبَحَتْ وقلُوبُها أسفاً عليه حَرَارُ وَدَّتْ رَبيعَةُ أنَّها قسمتْ لَهُ منها فعاشَ بِشَطْرِها الأعمار فَلأبْكِينَّ فَتَى رَبيعَة ما دَجَا ليلٌ بِظُلْمَته ولاح نَهَار لا زال قَبْرُ أبي الوَليد تَجُوده بِعِهادها وبوَبْلِها الأمْطَار لهفاً عليك إذا الطِّعَانُ بمأزِق تَرَكَ القَنَا وطِوالُهُنَ قِصَار خلّى الأعنة يومَ مات مشَيعٌ بَطَلُ اللِّقَاءِ مُجَربٌ مِغْوَار يُمْسي وَيُصْبِحُ مُعْلَماً تَذْكَى بِه نَارٌ بمُعْتَرَكٍ وَتُخْمَدُ نَار مهما يُمرَّ فليس يَرْجُو نفْضَهُ أحدٌ وليس لِنَقْضِهِ إمْرَارُ لو كان خَلْفَكَ أو أمامَكَ هائباً أحداً سِوَاك لَهَابَكَ المِقْدَار وقال يرثيه: بَكى الشامُ مَعْناً يومَ خَلَى مكانَه فكادت له أرض العِرَاقين تَرْجُفُ ثَوَى القائدُ المَيْمُون والذائد الذي به كان يُرْمَى الجانبُ المتَخَوَف أتى الموتُ مَعْناً وهو للعِرْض صائنٌ وللمجدِ مُبْتَاعٌ وللمالِ مُتلِف وما مات حَتَّى قّلدَتْهُ أمُورَها ربيعةُ والحيَّان قيْسٌ وخِنْدِف وحتىَ فَشَا في كلِّ

شَرْقٍ ومَغْرِبِ أيادٍ له بالضرُّ والنفْع تُعْرَف وكم مِن يدٍ عنْدِي لِمَعنٍ كَريمةٍ سأشْكُرُها ما دامت العين تَطْرِف جَرَت جَوَارٍ بالسَّعد والنَّحس فنحن في وحْشَةٍ وَفي أنْس العينُ تَبْكي والسنُّ ضاحكةٌ فنحن في مأتم وفي عُرْس يُضْحِكنا القائم الأمِينُ ويُب كِينا وفاة الإمام بالأمْس بدْرَانِ بَدْرٌ أضْحَى بِبَغْداد في ال خُلْدِ وبَحْرُ بطُوس في الرّمْس وأنشد العُتْبي: والمرءُ يجمع مالَهُ مُسْتَهْتِراً فَرِحاً وليس بآكِلٍ ما يجمعُ وليأتينّ عليك يومٌ مرَّةً يُنكَى عليك مُقَنَّعاً لا تَسْمَع وقال حارثه بن بَدْر الغُدانيّ يرثي زياداً: صَلّى الإلهُ علي قبرٍ وطهَرَه عند النّويّة يَسْفِي فوقه المُورُ زَفَّتْ إليه قُرَيْشٌ نعْشَ سيِّدها فتَمَّ كلّ التُّقَى والبر مقبور أبا المغيرَة والدُّنْيَا مُغَيِّرَةٌ وإنَ من غرّت الدُّنيا لمغرُور قد كان عندكِ لِلمعْرُوف معرفةٌ وكان عندك للنُّكْراء تَنْكير لوْ خلَّدَ الخيرُ والإسلامُ ذا قَدَم إذاً لخلَّدَك الإسْلاَمُ والخِير ألا ذَهَبَ الغَزْو المُقَرِّبُ لِلغِنَى وماتِ النَّدَى والحَزْم بعد المهلَّب أقاما بمَرْو الرّوذ رَهْن ضرَيحه وقد غيبَا من كلِّ شرق ومَغْرِب وقال المهلهل بنُ رَبيعة يرْثي أخاه كُلَيْب وائل وكان كُلَيب إذا جَلس لم يَرْفَع أحد بحضْرتِهِ صوتَه: ذَهَبَ الخِيار من المَعاشر كلِّهم واستُبَّ بعدك يا كُلَيْبُ المَجْلِسُ وَتناولُوا من كُلِّ أمرٍ عظيمةٍ لو كنتَ حاضرِ أمرِهم لم يَنْبسوا وقال عبد الصَّمد بن المُعذّل يَرْثِي سَعيد بن سَلم: كم يتيم جَبَرْتَه بعد يُتْمٍ وعَدِيمٍ نعَشْتَه بعد عُدْم كلما عض بالحوادث نادى رَضيَ اللهّ عن سعيد بنِ سَلمَ وقال ابن أخت تأبطَ شرا يرْثي خاله تأبطَ شرّا الفَهْمي وكانت هُذَيل قتلته: إنْ بالشَعْب الذي دونَ سَلْع لقتيلاً دمه ما يُطَل قَذف العَبءَ عليَّ ووَلّى أنا بالعِبْء له مستَقِلٍ وَوراء الثأرِ منيَ ابن أختٍ مَصعٌ عُقْدَتُهُ ما تُحَل بَزَّني الدَّهر وكان غَشوماً بأبّي جارُهُ ما بُذَلَّ شامِسٌ في القُرِّ حتى إذا ما ذَكَتِ الشِّعري فَبَرْدٌ وَظِلٌّ يابِسُ الجَنْبَينْ من غير بُؤسٍ ونِدِيُّ الكَفَّين شَهْمٌ مُدِلّ ظاعِن بالْحَزم حتَّى إذا ما حَل حَلَّ الحزْمُ حيْثُ يَحلُّ وله طَعْمانِ أرْيٌ وَشَرْيٌ وكلا الطعْمَينْ قد ذاقَ كلِ رائحٌ بالمَجْدِ غادٍ عليه من ثيابِ الحمْدَ ثَوْبٌ رِفَلّ أفْتَحُ الراحة بالجُودِ جَواداً عاش في جَدْوَى يدَيْه المُقِلُّ مُسْبِلٌ في الحَيّ أحْوَى رِفَل وإذا يَغْزُو فسِمْع أزَلُّ يرْكَبُ الهوْلَ وَحيداً يَصحَبُه إلا اليماني اقَلّ ولا فاحتَسوا أنفاسَ يوم فلمّا هَوَّموا رُعْتَهُمْ فاشْمَعَلّوا كلُّ ماض قد تَردَّى بمَاضٍ كسَنَا البَرْقِ إذا ما يُسَل فَلئِنْ فَلّت هُذَيْلٌ شَبَاه لَبِمَا كان هُذَيْلاً يَفُلّ تَضْحَكُ الضَّبْعُ لِقَتْلَى هُذيلٍ وتَرَى الذِّئْبَ لها يَستهل وعِتَاقُ الطَّير تَغْدُو بِطاناً تَتَخَطَّاهمُ فما تستقلّ وفُتُوّ هَجَّروا ثم أسْرَوْا ليْلَهم حتَّى إذا آنجاب حَلُّوا فاسْقِنِيها يا سوادَ بن عَمْروٍ إنّ جِسْمي بعدَ خالِي لَخَلٌّ وقال أُمَية بن أبي الصلت يَرْثى قَتلَى بَدْر " من قُريش ".

ألاّ بَكّيْتِ عَلَى الكِرام بَني الكِرام أولِى المَمَادحْ كَبُكا الحَمام على فُروع الأيْكَ في الغُصنُ الجوانح " يبكين حَرَّى مُستكي ناتٍ يَرُحْن مع الروَائح " أمْثالَهنَّ الباكِيا ت المُعْوِلات من النوائح مَنْ يَبكهم يَبْكى على حُزْنٍ وَيَصدُق كُلَّ مادح من ذا بِبَدْر فالعقن قل من مَرازِبة جَحَاجِح شُمْطٍ وَشُبَّانٍ بَهَا ليل مَناوير وَحَاوح دُعْمُوص أبواب المُلو ك وجائِب لِلخَرْق فاتح ومن السرَّاطِمَة الحَلا جمةَ المَلازِبة المنَاجِح القائِلين الفاعلي ن الآمِرين بكُلِّ صالح المُطْعِمينَ الشَحْم فوقَ الخُبْزِ شَحْماً كالأنافح نُقُل الجفَانِ مع الجفَا ن إلى جِفَانَ كالمنَاضِح ليست بأَصْفارٍ لِمَنْ يَعْفُو ولا رَح رَحارِح " للضيْف ثُمَّ الضَيْف بعد الضَّيْفِ والبُسْط السَّلاطَح " وُهُب المِئين من المِئين إلى المِئين من اللواقح سَوْقَ المُؤَبَّلِ للمؤبَّل صادِرَاتٍ عن بَلاَدِح لِكِرامهم فوق الكرا م مزَيّة وَزْن الرَّواجح كتثاقل الأرطال بالقسطاس في الأيدي الموائح للّه در بني عليّ أيّم

منهم وناكح وُيلاقِ قِرْنِ قِرْنَهُ مَشي المُصَافح للمُصَافح بزُهاءِ أَلْفٍ ثُمَ أل ف بين ذي بَدنٍ ورَامح الضَّارِبين التَقْدُمِيَّة بالمُهنَّدَة الصفائح روى الأخفش لسَهل بن هارون: ما للحوادث عَنْكَ مُنصَرِف إلاّ بنَفْسٍ ما لهَا خَلَفُ فَكأنّها رَامٍ عَلَى حَنقٍ وَكأنَّنى لِسَهَامِها هَدَف دهرٌ سُرِرْتَ به فأَعْقَبَني جَرَيانه ما عِشْتُ أُلْتَقف فابْكَ الّذي وَلِّى لمَهْلِكهَ عنك السُّرورُ خُلِّفَ الأسف إذ لا يَردّ عليك ما أخذَتْ منك الحوادثُ دَمْعةٌ تَكِف قَبْرٌ بمُخْتَلف الرِّياح به مَنْ لَسْتُ أبلغه بما أَصِف أنسَ الثرى بمحَلِّه وله قد أوحَشَ المُسْتَأنَس الأَلِف فالصبر أحسن ما اعْتَصَمْتَ به إذ ليس منه لدَيّ منتصف تَجْري المَجَرّة والنِّسْرَان بَيْنهما والشمسُ والقمرُ الساري بمقدَار لقد علمتُ وخَيرُ العِلْم أنْفعه أن السَّيَدَ الذي ينْجُو منَ النار وقال يرْثى قَوْمَه: همُ نَصَبُوا الأجْسَادِ للنَبْل والقَنَا فلم يَبْق منها اليوم إلا رَميمُها تَظلّ عِتاقُ الطير تحجلُ حَوْلهم يُعلِّلن أجساداً قليلا نَعيمها لِطَافاً بَرَاها الصَّوْمُ حتى كأنَها سيوفٌ إذا ما الخَيلُ تَدْمى كلومُها التعازي قال عبد الرحمن بن أبي بكر لسليمان بن عبد الملك يُعزِّيه في ابنه أيوب وكان وليّ عهده وأكبر ولده: يا أمير المؤمنين إنه من طال عمره فَقَدَ أحبَّتَهُ ومن قَصر عُمره كانت مُصيبته في نفسه.

فلو لم يكن في مِيزانك لكُنْتَ في ميزانه.

وكَتَب الحسنُ بن أبي الحسن إلى عُمَر بن عبد العزيز يُعزِّيه في ابنه عبد الملك: وعوِّضْتَ أَجْرًا مِنْ فَقِيدٍ فَلاَ يَكُنْ فَقِيدُكَ لا يَأتي وأَجْرُكَ يَذْهَبُ العُتْبِي قال: قال عبدُ الله بن الأهْتَم: مات لي ابن وأنا بمكة فجزِعْتُ عليه جَزَعاً شديداً فَدَخَل عليَّ ابن جُرَيج يُعَزِّيني فقال لي: يا أبا محمد اسْلُ صَبراً واحْتِساباً قبْلَ أن تَسْلُو غفلةً ونسْياناً كما تَسْلو البهائم.

وهذا الكِلامُ لعليّ ابن أبي طالب كرّم الله وجهَه يُعزِّي به الأشْعَثَ بن قيْس في ابن له ومنه أخذه ابن جُرَيْج.

وقد ذكَرَه حبيب في شعره فقال: وقال عليّ في التعازي لأشْعَث وخاف عليه بعضَ تلك المآثِم أتَصْبِرُ لِلْبلْوَى عَزَاءً وحِسْبَةً فَتُؤْجَرَ أَمْ تَسْلُو سَلُوَّ البهائم أتى عليَّ أبي طالب كَرَّم الله وجهه لأشْعَث يُعَزِّيه عن ابنه فقال: إن تَحْزَنْ فقد آستحقَّتْ ذلك مِنك الرّحم وإن تَصْبر فإن في الله خَلَفاً من كلِّ هالك مع أنّك إن صَبَرت جرَى عليك القَدَر وأنت مَأجُور وإن جَزِعْت جَرَى عليك القَدَر وأنت أثِم.

وعزَّى ابن السمَّاك رجلاً فقال: عليك بالصَّبْر فبه يَعْمل من احتَسَب وإليه يَصير مَن جزع واعلم أنه ليست مُصيبة إلا ومعها أعظمُ منها من طاعة الله فيها أو مَعْصيته بها.

الأصمعيّ قال: عزّى صالحُ المُرِّي رجلاً بابنه فقال له: إنْ كانت مُصيبتك لم تُحْدِث لك مَوْعظةً فمُصِيبتك بنَفْسك أعظمُ من مُصيبتك بابنك واعلم أنّ التَّهْنِئَة على آجِل الثَّوَاب أولَى من التَّعزِية على عاجل المصيبة.

العُتْبيّ قال: عزَى أبي رجلاً فقال: إنما يَسْتوجب على اللهّ وَعْده من صبر لحقه فلا تجْمَع إلى ما فُجِعت به الفَجيعةَ بالأجر فإنها أعظمُ المصيبتن عليك ولكلّ اجتماعٍ فُرْقة إلى دار الحُلولِ.

عزّى عبدُ الله بن عبَّاس عمر بن الخطّاب رضى الله تعالى عنه في بُنى له صَغير فقال: عوَّضك الله منه ما عوّضه الله منك.

وكان عليٌّ بن أبي طالب رضى الله عنه إذا عزَّى قوماً قال: عليكم بالصَّبر فإنّ به يأخُذ الحازم وإليه يَرْجع الجازع.

وكان الحسنُ يقول في المُصيبة: الحمدُ لله الذي آجَرَنا على ما لو كلَّفنا غيرَه لعَجَزْنا عنه.

أما بعد فإنَ أحق مَن تعزَّى وأوْلى مَنْ تأسى وسلّم لأمر اللّه وقَبِلَ تأديبَه في الصَبر على نَكبَات الدنيا وتجرع غُصَص البَلْوى مَن تَنجَز من الله وعده وفَهِم عن كتابه أمرَه وأخْلص له نفسَه واعترف له بما هو أهلُه.

وفي كتاب اللّه سَلوَة من فَقْدَ كل حَبيب وإن لم تَطب النفسُ عنه وأنْسٌ من كلِّ فقيد وإن عَظُمت اللوعةُ به إذ يقول عزَّ وجلّ: " كلُّ شيءَ هَالِكٌ إلاّ وَجْهَه لَهُ الحُكم وَإلَيْهِ تُرْجَعُون " وحيث يقول: " الذين إذا أصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قالُوا إنّا للّه وَإنّا إلَيْهِ رَاجِعُون أولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وأولئِكَ هم المُهْتَدُون ".

والموتُ سبيل الماضِين والغابرين ومورد الخَلاَئق أجْمعين وفي أَنبياء الله وسالفِ أوليائه أفضلُ العِبْرة وأحْسن الأسوة فهل أحد منهم إلا وقد أخذ من فجائع الدُّنيا بأجْزل العطاء ومن الصبر عليها باحتساب الأجْر فيها بأوْفر الأنصِبَاء فِجع نبيّنا عليه الصلاةُ والسلام بابنه إبراهيم وكان ذخْرَ الإيمان وقُرَّة عَين الإسلام وعَقِب الطُهارة وسَلِيل الوحي ونَتِيج الرَّحمة وحَضِين الملائِكة وبقيّة آل إبراهيم وإسماعيل صلوات اللّه عليهم أجمعين وعلى عامة الأنبياء والمُرْسلين فعمَت الثقلَين مُصِيبتُه وخَصَّت الملائكةَ رَزِيَّةً " ورضى صلى الله عليه وسلم من فراقه بثواب الله بدلاً ومنِ " فِقْدَانه عِوَضاً فشكَرَ قَضَاه واتبع رِضَاه فقال: يَحْزَن القَلب وتَدْمَع العين ولا نقول ما يُسْخِط الربّ وإنّا بك يا إبراهيم لَمَحْزونون.

وإذا تأمَّل ذو النّظَر ما هو مُشْفٍ عليه من غَير الدُّنيا وانْتَصح نفسه وفِكْرَه في غِيرَها بتنقُّل الأحوال وتقارُب الآجال وانقطاع يسير هذه المُدَّة ذَلَّت الدُّنيا عنده وهانت المصائبُ عليه وتَسهَّلت الفجائعُ لديه فأخَذ للأمر أهْبته وأعدَّ للموت عُدَّته.

ومن صَحِب الدُّنيا بحُسْن رَويَّة ولاحَظَها بعين الحقيقة كان على بَصِيرة من وَشْكِ زوالها.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: أذكُرُوا الموت فإنه هادم اللذات ومُنَغِّص الشَّهَوَات.

وليس شيء مما اقتصصتُ إلا وقد جعلك اللّه مُقَدَّماً في العِلْم به.

ولَعْمري إن الخَطْبَ فيما أصِبْتَ به لَعَظيم غير أن تَعوّصه من الأجْر والمَثُوبة عليه بحُسْن الصَّبر يُهَوِّنان الرَّزِيَّة وإن ثَقُلَت ويُسَهِّلاَن الخَطْب وإن عَظُم.

وهب الله لك من عِصْمة الصَّبر ما يُكمل لك به زُلْفي الفائزين ومزيد الشاكرين وجعلك من المُرتَضين قَوْلاً وفِعلا الذين أعطاهم " الحُسْنَى " ووفَّقهم للصَّبْر والتَّقْوَى.

محمد بن الفَضل عن أبي حازم قال: مات عُقْبة بن عِيَاض بن غَنْم الفِهْريّ فعزَّى رجلٌ أباه فقال: لا تَجْزع عليه فقد قُتِل شهيداً فقال: وكيف أجزع على من كان في حَيَاته زينةَ الدُّنيا وهو اليومَ من الباقيَات الصَّالحات.

ابن الغاز قال: حَدَّثنا عيسى بن إسماعيل قال: سمعتُ الأصمعيّ يقول: دخلتُ على جعفر بن سُليمان وقد ترك الطعامَ جَزَعاً على أخيه محمد بن سليمان فأنشدته بيتين فما برحتُ حتى دعا بالمائدة.

فقلتُ للأصمعيّ: ما هما فسكت فسألتهُ فقال: أتدري قد زادهُ كلَفاً بالحُبِّ إذ مَنَعت أحبُ شيء إلى الإنسان ما مُنِعاَ قال أبو موسى: والأبيات لأراكة الثقفي يرْثى بها عمرو بن أراكَة ويُعزِّى نفسه حيث يقول: لَعَمْري لئن أَتْبَعْتَ عينك ما مضى به الدَّهْرُ أو ساق الحِمَامُ إلى القَبر لتستنفدن ماءَ الشُّئون بأَسْره وإنْ كُنْتَ تَمريهنَ من ثَبَج البَحْر تَبَيّنْ فإنْ كان البُكا ردّ هالِكاً على أَحَدٍ فاجْهَد بُكاك على عَمْرو فلا تَبْكِ مَيْتاً بعد مَيت أَجَنَّة عليُّ وعبَّاس وآل أبي بَكْر أبو عمر بن يزيد قال: لما مات أخو مالكَ بن دِينار بكى مالك وقال: يا أخي لا تَقَرُّ عيْني بعدك حتى أعْلم أفي الجنَّة أنت أم في النَّار ولا أعلم ذلك حتى ألحق بك.

وقالت أعرابية ورأت ميتاً يُدْفَن: جافي الله عن جَنْبَيْه الثَّرَى وأعانه على طول البِلَى.

وعَزَّى أعرابيَ رجلاً فقال: أوصيك بالرِّضا من الله بقَضائه والتنجُّز لما وعد به من ثوابه فإنَ الدُّنيا دار زوال ولا بد من لقاء اللهّ.

وَعزَّى أيضاً رجلاً فقال: إنّ من كان لك في الآخرة أجراً خيرٌ لك ممن كان لك في الدُّنيا سرُوراً.

وجَزع رجلٌ على ابن له فشكا ذلك إلى الحسن فقال له: هل كان ابنك يَغيب عنك قال: نَعم كان مَغيبُه عنِّي أكثر من حضوره قال: فاترَكه غائباً فإنه فإنه لم يَغِب عنك غيبةً الأجر لك فيها أعظمُ من هذه الغَيْبة.

وعزّى رجلٌ نصرانيٌّ مسلماً فقال له: إنّ مِثْلي وكان عليٌّ بن الحُسين رضى الله عنه في مجلسه وعنده جماعةٌ إذ سمع ناعيةً في بَيْته فنَهض إلى منزله فَسَكّنَهم ثم رجَعَ إلى مجلسه فقالوا له: أَمِنْ حَدَث كانت الناعية قال: نعم.

فعَزَّوه وعَجِبوا من صَبْره فقال: إنا أهل بيت نُطيع الله فيما نُحب ونَحْمَدُه على ما نَكره.

تعزية - التمس ما وَعد الله من ثَوَابه بالتّسليم لقضائِه والانتهاء إلى أمره فإن ما فات غير مُسْتَدْرَك.

وعزى موسى المَهْدِيّ إبراهيمَ بن سَلْم على ابن له مات فَجَزع عليه جزعاً شديداً فقال له: أيسرُّك وهو بلية وفِتْنَة ويَحْزُنك وهو صَلَوات ورحمة سُفيان الثّوْري عن سعيد بن جُبير قال: ما أُعْطِيَتْ أمّة عند المُصِيبة ما أُعْطِيَت هذه الأمة من قولها: " إنّا للّه وإنّا إليه رَاجِعُون ".

ولو أعْطِيها أحدٌ لأعْطيها يَعْقوب حيثُ يقول: " وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم ".

وعَزَى رجلٌ بابن له فقال له: ذَهب أبوك وهو أصلُك وذَهب ابنك وهو فَرْعك فما بَقَاء مَن ذهب أصلُه وفرعه تعازى الملوك العُتْبى قال: عَزّى أكثَم بن صَيْفيّ عمرو بنَ هِنْد ملكَ العرب على أخيه فقال له: أيها الملك إنّ أهلَ الدار سَفْرٌ لا يَحُلّون عُقَد الرحال إلا في غَيْرها وقد أتاك ما ليس بمردود عنك وارتحل عنك ما ليس براجع إليك وأقام معك مَن سَيَظْعَنِ عنك ويَدَعك.

واعلم أنّ الدُنيا ثلاثة أيام: فأمس عِظَة وشاهدُ عَدْل فَجَعَك بِنفْسه وأبْقَى لك عليه حُكْمَك واليوم غَنيمة وصَدَيق أتاك ولم تَأته طالت عليك غَيْبَتُه وستُسْرع عنك رِحْلته وغَد لا تَدري من أهلُه وسيأتيك إنْ وَجَدك.

فما أحسَن الشُّكر للمُنْعم والتسليمَ للقادر! وقد مَضت لنا أصولٌ نحن فُروعها فما بَقَاء الفُروع بعد أصُولها! واعلم أنّ أعظم من المُصيبة سوءُ الخَلف منها وخيرٌ من الخير مُعْطيه وشرٌ من الشرّ فاعله.

لما هَلك أميرُ المؤمنين المَنصور قَدِمَت وُفود الأنصار على أمير المؤمنين المهديّ وقَدِمَ فيهم أبو العَيْناء المُحَدّث فَتَقَدَّمَ إلى التّعْزية فقال: آجَرَ الله أميرَ المؤمنين على أمير المؤمنين قبلَه وبارك لأمير المُؤمنين فيما خَلّفه له فلا مُصِيبةَ أعظمُ من مُصيبة إمام والد ولا عُقْبَى أفْضَلُ من خِلافة الله على أوليائه فاقبل من الله أفضلَ العطية واصْبر له على الرزيّة.

ولما مات معاويةُ بن أبي سفيان ويزيدُ غائب صلَّى عليه الضحّاك بن قيس الفِهْري ثم قَدِمَ يزيد من يومه ذلك فلم يَقْدَم أحدٌ على تَعْزيته حتى دخل عليه عبدُ الله بن همّام السلوليّ فقال: اصْبرْ يزيدُ فقد فارقتَ ذا مِقَةٍ واشكُر حِبَاءَ الذي بالمُلْك حاباكَا لا رُزْءَ أعظمُ في الأقْوَام قد عَلِمُوا مما رُزِئْتَ ولا عُقْبَى كعُقْبَاكا أصبحتَ رَاعى أهل الأرض كلِّهمُ فأنت تَرعاهُم واللّه يَرْعاكا وفي مُعاويةَ الباقي لنا خلف إذا بقيتَ فلا نَسْمَع بِمَنْعاكا فافتتح الخُطباء الكلام.

عَزى شَبيبُ بن شَيْبَة المنصورَ على أخيه أبي العبّاس فقال: جَعل الله ثوابَ ما رُزِئت به لك أجراً وأعْقَبك عليه صبرا وخَتَم لك ذلك بعافية تامّة ونعْمة عامّة فثوابُ الله خير لك منه وما عند الله خير له منك وأحقُّ ما صُبر عليه ما ليس إلى تَغْييره سبيل.

وكتب إبراهيم بن إسحاق إلى بعض الخُلَفاء يُعَزِّيه: إنّ أحَقَّ مَن عَرف حقَ اللهّ فيما أخَذ منه مَن عَرف نِعْمَته فيما أبقَى عليه.

يا أميرَ المؤمنين إنّ الماضيَ قبلك هو الباقي لك والباقيَ بعدك هو المأجور فيك وإنّ النِّعمة على الصابرين فيما ابتُلوا به أعظمُ منها عليهم فيما يُعَافَوْنَ منه.

دخل عبدُ الملك بن صالح دار الرّشيد فقال له الحاجبُ: إن أمير المؤمنين قد أصِيب بابن له ووُلد له آخر.

فلما دخل عليه قال: سرَّك الله يا أمير المؤمنين فيما ساءَك ولا ساءَك فيما سرّك وجَعل هذه بهذه مَثُوبةً على الصبر وجزاءً على الشكر.

ودخل المأمونُ عَلَى أم الفَضْل بن سَهل يُعَزِّيها بابنها الفَضْل بن سهل فقال: يا أُمّه إنك لم تَفْقِدِي إلا رؤيته وأنا ولدُك مكانَه فقالت: يا أمير المؤمنين إنّ رجلا أفادني ولداً مثلك لَجَدير أن أَجْزع عليه.

لما مات عبدُ الملك بن عمر بن عبد العزيز كتب عمر إلى عُمّاله: إنَّ عبد الملك كان عبداً من عَبيد اللّه أَحْسَنَ الله إليه وإليّ فيهِ أعاشه ما شاء وقَبَضَه حين شاء وكان - ما علمتُ من صالِحِي شباب أَهْل بَيْته قراءةً للقرآن وتَحَرِّياً للخير وأعوذ باللّه أن تكون لي مَحَبّة أخالف فيها محبة اللّه فإن ذلك لا يَحْسُن في إحسانه إليّ وتتابُع نَعمه عليّ ولأعلمنّ ما بكت عليه باكية ولا ناحت عليه نائحة قد نَهينا أهلَه الذين هم أحقُّ بالبكاء عليه.

دخل زيادُ بن عثمان بن زياد على سُليمان بن عبد الملك وقد تُوفي ابنه أيُّوب فقال: يا أميرَ المؤمنين إنّ عبدَ الرحمن ابن أبي بكر كان يقول: من أحبّ البقاء - ولا بقاء - فَلْيُوَطِّن نفسه على المصائب.

لما مات مُعاوية دخل عَطاء بن أبي صيْفِيّ على يزيد فقال: يا أميرَ المؤمنين أصبحتَ رُزِئْت خليفةَ اللّه وأعطيت خلافةَ اللّه فاحْتَسِب على الله أعظم الرزيّة واشكُره على أحسن العَطية.

عزّى محمدُ بن الوليد بن عتبة عُمَر بن عبد العزيز على ابنه عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين أَعِدّ لما تَرَى عُدَّةً تكنِ لك جُنّة من الحُزن وسِتْراً من النار.

فقال عمر: هل رأيتَ حُزْناً يُحْتَجّ به أو غَفْلة يُنبّه عليها قال: يا أميرَ المؤمنين لو أن رجلاً ترَكَ تعْزية رجل لِعِلْمِه وانتباهه لكُنَته ولكن الله قضى أن الذِّكرى تنفع المؤمنين.

وتُوُفِّيَت أخْتٌ لعمر بن عبد العزيز فلما فرغ من دَفْنها دَنا إليه رجل فعزَّاه فلم يَرُدّ عليه شيئاً ثم دنا إليه آخرُ فعزَّاه فلم يرُدَّ عليه شيئاً فلما رأى الناسُ ذلك أمسكوا عنه ومَشَوْا معه.

فلما بلغ البابَ أقبل على الناس بوجهه وقال: أدركتُ الناس وهم لا يُعَزون بامرأة إلا أن تكون أُمًّا انقلبوا رحمكم اللّه.

وُجد في حائط من حيطان تُبَّع مكتوب: اصبِرْ لِدَهْرٍ نال من ك فهكذا مضت الدهور فرح وَحُزْنٌ مرةً لا الحزن دام ولا السرور وهذا نظيرُ قول العتَّابي:

وقائلة لمَّا رَأَتْني مسهداً كَأَنّ الحَشَا مِنِّي تُلَذِّعُه الجَمُرْ أباطِنُ داءٍ أم جَوَى بك قاتلٌ فقلتُ الذي بي ما يَقوم له صبر تَفرّق ألافٍ وموتُ أَحِبّة وفَقْدُ ذَوى الإفْضَال قالت كذا الدهر كتب محمد بن عبد الله بن طاهر إلى المُتوكل يُعزيه بابن له: ليس المُعزى ببعد ميته بباق بعد مَيِّته ولا المعزِّي وإن عاشا إلى حِين وقال أبو عُيَينة: فإنْ أشكُ من لَيلى بجُرْجان طُولَه فقد كنت أشكو منه بالبَصرة القِصَرْ وقائلةٍ ماذا نأى بك عنهمُ فقلت لها لا عِلْم لي فَسَلِي القَدَر وقال بعض الحُكماء لسُليمان بن عبد الملك لما أصِيب بابنه أيّوب: يا أميرَ المؤمنين إنّ مثلَك لا يُوعَظ إلا بدون عِلْمه فإن رأيتَ أن تَقَدِّم ما أخَّرَت العَجَزة من حُسن العَزاء والصَّبر على المُصيبة فتُرضي ربَّك وتُرِيح بدنك فافعل.

وكتب الحسنُ إلى عمر بن عبد العزيزُ يعزِّيه في ابنه عبد الملك ببيت شعر وهو: وعُوِّضْتُ أَجْراً مِن فَقيد فلا يكُن فَقِيدُك لا يَأتي وأَجْرُك يَذْهَبُ ولما حَضرت الإسكندرَ الوفاةُ كَتب إلى أمِّه: أن اصنَعي طعاماً يحضُره الناسُ ثم تَقدّمي إليهم أن لا يَأكل منه مَحْزون ففَعلت.

فلم يبْسُط إليه أحدٌ يده فقالت: ما لكم لا تَأكلون فقالوا: إنك تقَدّمت إلينا أن لا يأكلَ منه مَحْزون وليس منَّا إلا من قد أصيب بِحَميم أو قرِيب فقالت: مات واللّه ابني وما أَوْصى إِليّ بهذا إلا ليُعَزِّينَى به.

وكان سهل بن هارون يقول في تَعْزِيته: إن التَهْنِئَة بآجل الثَوَاب أوجبُ من التَّعزية على عاجل

كتاب اليتيمة في النسب

كتاب اليتيمة في النسب وفضائل العرب قال أحمدُ بنُ محمّد بن عبد ربّه: قد مَضى قولُنا في النّوادب والمَراثي ونحنُ قائلون بعَوْن الله وتوفيقه في النَّسب الذي هو سبب التعارُف وسُلّم إلى التَّواصل به تتعاطف الأرحام الواشجة وعليه تحافظ الأوَاصر القَريبة.

قال اللهّ تبارك وتعالى: " يا أيُّهَا النَّاسُ إنّا خَلقْنَاكُم مِنْ ذَكَرٍ وَأنْثَى وَجَعلْنَاكُم شُعُوبَاً وقَبَائِلَ لِتعَارَفُوا ".

فمن لم يَعْرف النسب لم يعرف الناسَ ومَنِ لم يَعْرف الناسَ لم يُعَدّ من الناس.

وفي الحديث: تَعلَّموا من النَّسَب ما تَعْرِفون به أحسابَكم وتَصِلون به أرحامَكم.

وقال عمرُ بن الخطّاب: تَعلّموا النَّسَب ولا تَكونوا كَنبِيط السَّواد إذا سُئِل أحدُهم عن أصْله قال: من قَرْية كذا وكذا.

أصل النسب معاوية بن صالِح عن يحيى عن سَعيد بن المُسيِّب قال: وَلَد نُوحٍ ثلاثة أولاد: سام وحام ويافِث.

فوَلد سام العَرَب وفارس الرُّوم وَوَلَد حامٌ السّودان والبربر والنبط وَوَلد يافثُ الترك والصَّقَالبة ويَأجوِج ومَأجوج.

أصل قريش - كانت قُرَيش تُدْعى النضرَ بن كِنَانة وكانوا مُتَفرِّقين في بَنِي كِنانة فَجَمَعهم قُصيَّ بن كِلاب بن مُرّة بنِ كعْب بن لؤيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك من كلِّ أَوْب إلى البيت فَسُمُّوا قُرَيشاً.

والتّقَرش: التّجَمُّع وسُمِّي قُصيَّ بن كِلاب مُجَمِّعاً فقال فيه الشاعر: قُصيَّ أبوكم كان يُدْعى مُجَمِّعاً به جَمَّع الله القبائلَ من فِهْرِ وقال حبيب: غَدَوْا في نواحي نَعْشِه وكأنما قُرَيشٌ يوم مات مُجَمِّعُ يُريد بمُجَمِّع قُصيَّ بن كِلاب وهو الذي بَنى المَشْعَر الحَرَام وكان يقوم عليه أيام الحج فسمَّاه اللهّ مَشْعَراً وأمر بالوقوف عنده.

وإنما جمع قَصيَّ إلى مكة بني فِهْر بن مالك فجِذْم قُرَيش كلّها فِهْر بن مالك فما دُونه قُريش وما فوقه عَرب مثل كِنانة وأسد وغيرهما من قبائل مُضر وأما قبائل قُرَيش فإنما تَنْتهي إلى فِهر بن مالك لا تُجاوزه.

وكان قُريش تُسَمَّى آلَ اللهّ وجِيران اللّه وسكّان حرم اللهّ وفي ذلك يقول عبدُ المطلب ابن هاشم: نحن آل الله في ذِمَّتِه لم نَزَلْ فيها على عَهْدٍ قَدُمْ إنَّ للبيتِ لَرَبًّا مانِعاً مَن يُرِد فيه بإثْمٍ يُخْتَرَم لم تَزَلْ للّه فينا حُرْمةٌ يَدْفَعُ الله بها عَنَا النِّقَم إذا اشْتَعَبَ النَاسُ البيوتَ فأنتُمُ أولو الله والبيتِ العَتِيق المُحَرَّم نسب قريش - أبو المنذر هِشام بن محمد بن السائب الكَلْبي: تَسمِيةُ من انتهى إليه الشرَّف من قُرَيش في الجاهلية فَوَصله بالإسلام عَشرة رَهْط من عشرة أبْطُنٍ وهم: هاشم وأمَيَّةُ ونوْفل وعبد الدار وأسد وتَيْم ومَخْزوم وعَدِيّ وجُمَح وسَهْم.

فكان من هاشم: العبَّاس بن عبد المُطلب يَسْقِي الحَجِيج في الجاهليَّة وبقى له ذلك في الإسلام ومن بني أمية: أبو سُفيان بن حَرْب كانت عنده العُقاب رايةُ قُرَيش وإذا كانت عند رَجُل أخرجها إذا حَمِيَت الحرب فإذا اجتمعت قُريشِ على أحد أعْطَوْه العُقَاب وإن لم يَجْتمعوا على أحد رأسوا صاحبَها فقَدَّموه ومن بني نوْفَل: الحارثُ بن عامر وكانت إليه الرِّفادة وهي ما كانت تُخْرِجه من أموالها وتَرْفُد به مُنْقَطِع الحاج ومن بني عبد الدار: عثمان ابن طَلْحة كان إليه اللِّواء والسِّدانة مع الحِجابة ويقال: والنَّدْوة أيضاً في بَني عبد الدَّار ومن بَني أَسَد: يزيدُ بن زَمْعة بن الأسود وكان إليه المَشُورة وذلك أن رُؤَساء قُريش كانوا لا يجتمعون على أمر حتى يَعْرِضُوه عليه فإن وافَقه والاهم عليه وإلا تَخَيَّر وكانوا له أعواناً واستُشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطَّائف ومن بني تَيْم: أبو بكر الصِّديق وكانت إليه في الجاهليّة الأشْناق وهي الدِّيات والمَغْرَم فكان إذا احتمل شيئاً فسأل فيه قُريشاً صدَقوه وأمْضوا حمالة مَنْ نَهض معه وإن احتملها غيرُه خَذَلوه ومن بني مَخْزوم: خالدُ ابن الوليد كانت إليه القُبَّة والأعِنَّة فأما القُبة فإنهم كانوا يضرْبونها ثم يجمعون إليها ما يُجَهِّزون به الجَيش وأما الأعِنَّة فإنه كان على خَيْل قُرَيش في الحَرْب ومن بَني عَدِيّ: عمر بن الخطاب وكانت إليه السِّفارة في الجاهليَّة وذلك أنهم كانوا إذا وقعت بينهم وبين غيرهم حَرْب بعَثوه سفيراً وإن نافرهم حي لمُفاخرة جَعَلوه مُنَافِراً ورَضُوا به ومن بني

جمح: صَفْوان بن أمية وكانت إليه الأيسار وهي الأزْلام فكان لا يُسْبَق بأمْر عام حتى يكون هو الذي تَسْييره على يَدَيْه ومن بني سَهْم: الحارث بن قَيس وكانت إليه الحكومة والأموال المُحَجَّرة التي سمَوها لآلهتهم.

فهذه مكارم قُريش التي كانت في الجاهليَّة وهي السِّقاية والعِمارة والعُقاب والرِّفادة والسِّدانة والحِجابة والنَّدوة واللِّواء والمَشُورة والأشناق والقُبَّة والأعِنَة والسِّفارة والأيسار والحكومة والأموال المحجَّرة إلى هؤلاء العَشَرة من هذه البُطون العَشرة على حال ما كانت في أوليتهم يتوارثون ذلك كابراً عن كابر وجاء الإسلامُ فوَصَل ذلك لهم وكذلك كلُّ شرف من شرف الجاهليَّة أدْرَكَه الإسلام وَصله فكانت سِقاية الحاجّ وعِمارة المَسْجِد الحَرَام وحلْوان النَّفْر في بَني هاشم.

فأما السِّقاية فمَعْروفة وأما العِمارة فهو أن لا يتكلم أحد في المَسْجد الحَرَام بهُجْر ولا رَفَث ولا يرفعٍ فيه صوتَه كان العبَّاس ينْهاهم عن ذلك.

وأما حُلْوان النَّفْر فإن العَرب لم تَكُن تملك عليها في الجاهليَّة أحداً فإن كان حَرب أقْرعوا بين أهل الرِّياسة فمَنْ خَرَجت عليه القُرْعة أحْضروه صَغيراً كان أو كبيراً فلما كان يوم الفِجار أقرَعوا بين بني هاشم فخَرَج سَهْم العبّاس وهو صَغير فأجلسوه على المِجَن.

أبو الطاهر أحمدُ بن كَثير بن عبد الوهّاب قال: حدَّثني أبو ذَكْوان عن أحمد بن يَزِيد الأنطاكيّ أنّه سَمع المأمون يقول لأبي الطّاهر الذي كان على البَحْرين: من أيّ قُرَيش أنت قال: من بَني سامَة بن لُؤَيّ فقال المأمون: ما سَمِعنا بسامةَ بن لُؤَي نَسَباً في بُطوننا العَشرة لو عَلِمنا به على بعْدِه لكُنَّا به بَررَة.

فضل بني هاشم وبني أمية

قيل لعليّ بن أبي طالب: أَخبرْنا عنكم وعن بني أمية فقال: بنو أمية أَنْكَر وأمْكَر وأفْجَر ونحنُ أصْبَح وأنصح وأسْمح.

وسأل رجلٌ الشَّعْبي عن بني هاشم وبني أمية فقال: إن شِئْت أخبَرْتُك ما قال عليّ بن أبى طالب فيهم قال: أما بنو هاشم فأطْعَمها للطَّعام وأضْرَبُها للهَام وأما بنو أمية فأسدّها حِجْراً وأطْلبها للأمر الذي لا يُنال فَيَنالونه.

قيل لمُعاوية: أخْبرْنا عنكم وعن بني هاشم قال: بنو هاشم أشْرَف واحداً ونحن أشرف عدداً فما كان إلا كَلا وَبَلى حتى جاءوا بواحدةٍ بَذَّت الأوَّلين والآخرين يريد النبي صلى الله عليه وسلم.

وبقوله " أشْرَف واحداً ": عبدَ المطلب بن هاشم.

الرِّياشي عن الأصمعي قال: تَصَدّى رجلٌ من بني أمية لهارون الرّشيد فأنشده: يا أمينَ الله إني قائلٌ قَول ذِي فَهْم وعِلْم وأدَبْ عَبْدُ شَمْس كان يَتْلُو هاشماً وهُما بعدُ لأُمٍّ ولأبْ فاحْفظِ الأرحام فيناً إنما عبدُ شَمْسٍ جَدُّ عَبْد المُطّلِب لكُم الفَضْلِ علينا ولنا بكُمُ الفَضْلُ علَى كلِّ العَرَبْ فأحسنَ جائزنه وَوَصلَه.

سُفْيان الثَّوْريّ يرفَعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: إنّ الله خَلق الخَلْقَ فجَعَلنِي في خَيْر خَلْقه وجَعلهم أفْراقاً فَجَعلني في خيْر فِرْقةٍ وجَعلهم قبائل فَجَعلني في خيْر قَبِيلة وجَعَلهم بيُوتاً فَجَعلني في خَيْر بَيْت فأنَا خَيْرُكم بَيتاً وخَيْرُكم نَسَباً.

وقال صلى الله عليه وسلم: كلُّ سَبب ونسَب مُنْقَطع يومَ القيامة إلا سَبَبي ونسبي.

جماعة بني هاشم بن عبد مناف وجماعة قريش - عبدُ المُطّلب بن هاشم ولدُه عَشْرَ بَنين وهم: عبد الله أبو محمّد صلى الله عليه وسلم وأبو طالب والزُّبير أمهم فاطمة بنت عمر المَخْزومية والعبّاس وضِرَار أمهما نُتَيلة النَّمريّة وحَمزَة والمُقَوَّم أمّهما هالةُ بنت وَهْب وأبو لَهَب أمّه لُبْنى خُزَاعيَّة والحارث أمه صَفِيّة من بني عامر بن صَعْصعة والغَيْداق أمه خُزَاعية.

جماعة بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف

- وهو أمية الأكبر: حَرْب بن أمية وأبو حَرْب وسُفْيان وأبو سُفيان وعَمْرو وأبو عَمْرو وهؤلاء يقال لهم العَنابس لعاصي وأبو العاصي والعِيص وأبو العيص وهؤلاء يقال لهم الأعْياص ومِنهم مُعاوية بن أبي سُفيان وعثمان بن عَفَّان بن أبي العاص بن أمية وسعيد بن العاص بن أميَّة ومَروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية.

جماعة بني نوفلِ

- الحارث بن عامر صاحب الرِّفادة ومُطعم بنِ نَوْفل ومنهم عَدِيّ بن الخِيَار بن نوْفل ومنهم نافع بن ظُريب بن عمرو بن نَوْفل وهو كاتب المصاحف لعمر بن الخطّاب ومُسلم بن قَرَظَة قُتِلَ يوم الجَمَل.

جماعة بني عبد الدار - عثمان بن طَلْحَة صاحب الحِجابة وشَيْبة بن أبي طَلْحَة والحارث بن عَلْقمَة بن كَلَدَة كان رَهِينة قريش عند أبي يَكْسوم والنَّضْر بن الحارث بن عَلْقمة بن كَلَدة بن عبد مَناف بن عبد الدار.

قَتَله النبي صلى الله عليه وسلم صَبْراً أمر عليّ بن أبي طالب فَقَتله يوم الأثَيل.

جماعة بني أسد بن عبد العزى - منهم: الزُّبير بن العَوَّام بن خوَيْلد بن أسَد وأمّه صَفية بنت عبدُ المطلب ويزيد بن زَمْعَة بن الأسود صاحب المَشُورة وأبو البَخْتري واسمه العاصي بن هِشام بن الحارث بن أسَد وَوَرقَة ابن نوفل بن أسد وهو الذي أدرك الإيمان بعقله وبَشر خديجة بالنبي صلى الله عليه وسلم.

جماهير بني تيم بن مرة - منهم: أبو بكر الصِّديق وطَلْحَة بن عُبيد اللهّ وعمر بن عبيد اللهّ بن مَعْمر وعبد الله بن جُدْعان وعليّ بن يَزيد ابن عبد الله بن أبي مُلَيكة والمُهاجر بن قنْفُذ بن عُمير بن جُدْعان ومحمد بن المنكدر بن عبد اللهّ بن الهَدير.

جماهير مخزوم بن مرة - منهم: المغيرة بن عبد اللهّ بن عُمَر بن مخزوم وخالدُ بن الوليد بن المُغيرة وعبد الرَّحمن بن الحارث وعَمرو بن حُرَيث وأبو جَهْل بن هِشام بن المُغيرة وعياش بن أبي رَبيعة الشاعر وعبدُ اللهّ بن المهاجر وعُمارة بن الوليد بن المُغيرة وإسماعيل بن هِشام بن المُغيرة ولي ابنه هشامُ ابن إسماعيل بن هشام بن المغيرة المدينة وضرَب سَعيد بن المُسَيِّب بن أبي وَهْب الفَقيه.

جماهير عدي بن كعب

- منهم: عمر بن الخطَّاب وسعيدُ بن زَيْد ابن عَمْرُو بن نُفَيْل وهو من أصحاب حِرَاء وعبد الحميد بن عبد الرحمن بن زَيْد بن الخطّاب وَلي الكوفة لِعمر بن عبد العزيز وسُرَاقة بن المُعْتمر والنحام بن عبد الله بن أسِيد والنُّعمان بن عَدِيّ بن نَضْلة.

استعمله عُمَر على مَيْسان وعبد اللهّ بن مُطيع وأبو جَهْم بن حُذَيفة وخارجةُ بن حُذافة وكان قاضياً لِعَمرو بن العاصي بمصر فقَتَله الخارجي وهو يظُنّه عمرو بن العاصي وقال فيه: أردتُ عَمْراً وأراد اللّه خارجة.

جماهير جمح - منهم: صَفْوان بن أُمية من المُؤَلَّفة قلوبهُم وأمية بن خَلَف قُتِل يومَ بَدْر وأبيّ بن خلَف ومحمد بن حاطب وجَميل بن مَعْمر بن حُذافة وأبو عَزَّة وهو عَمرو بن عبد الله وأبو مَحْذُورة مؤَذّن النبي صلى الله عليه وسلم.

جماهير بني سهم - منهم: الحارث بن قَيْس صاحبُ حكومة قرَيش وعَمرو بن العاصي وقَيْس بن عَدِيّ وخُنَيْس بن حُذَافة ومُنَبِّه ونُبَيه ابنا الحَجّاج ومنهم العاصي بن مُنَبِّه قُتِل مع أبيه قَتله عليّ يوم بَدْر وأخذ سَيفَه ذا الفقَار فصار إلى النبي عليه الصلاة والسلام.

جماهير عامر بن لؤى - ومنهم: سُهيل بن عَمْرو من المُؤلَّفة قلوبهُم ومنهم ابن أبي ذِئْب الفَقِيه واسمُه محمد بن عبد الرَّحمن وحُوَيطب بن عبد العُزَّى من المُؤلفة قلوبهُم وعبدُ اللهّ بن مَخْرَمة بَدْرِي ونَوْفل بن مُسَاحق وأبو بكر بن عبد الله بن أبي سَبْرة الفَقيه.

وعبد الله بن أبي سَرْح بدريّ.

ومنهم: ابن أمِّ مَكتوم مُؤذِّن النبي عليه الصلاة والسلام.

جماهير بني محارب بن فهد بن مالك - منهم: الضحّاك بن قَيْس الفِهْري وحَبيب بن مَسْلمة.

جماهير بني الحارث بن فهد بن مالك - منهم: أبو عُبيدة بن الجَرَّاح أمن هذ الأمة.

وسُهيل وصفْوان ابنا وَهْب وعِياض بنُ غَنْم بن زُهَير وأبو جَهْم بن خالد.

وبنو الحارث هؤلاء من المُطَيَّبن الذي تحالفوا وغَمَسوا أيديَهم في جَفْنة فيها طيب.

قريش الظواهر وغيرها من بطون قريش - بنو الحارث وبنو مُحارب ابنا فِهْر بن مالك وهم قُرَيش الظواهر لأنهم نزلوا حول مكة وما والاها.

فمن بنى الحارث بن فِهْر: أبو عُبيدة بن الجَرَّاح واسمه عامر بن عبد الله بن الجَرّاح من المُهاجرين الأوّلين.

ومن بني مَحَارب بن فِهْر: الضَّحَّاك بن قَيْس الفِهْريّ صاحِب مَرْج راهِط.

وما سوى هؤلاء من بُطون قُرَيش يقال لهم قُرَيش البِطَاح لأنهم سَكَنُوا بَطْحَاء مكة وهم البُطون العشرَة التي ذَكَرناها قبل هذا الباب.

ومن بطون قريش: بنو زُهْرة بن كِلاب بن كَعْب بن لُؤَيّ.

منهم: عبد الرَّحمن بن عوف خال النبي عليه الصلاة والسلام ومنهمِ بنو حَبيب ابن عبد شَمْس.

ومنهم عبدُ الله بن عامر بن كُرَيز بن حَبِيب بن عبد شمْس صاحِب العِرَاق ومنهم بنو أمية الاصغر بنِ عبد شمْس بن عبد مَناف وأمه عَبْلة فيقال لهم العَبَلات.

وبنو عبد العُزَّى بن عَبْد شَمْس منهم أبو العاصي بن الرَّبيع صهْر رسول الله صلى الله عليه وسلم تَزَوَّج ابنته التي قال النبي صلى الله عليه وسلم فيه: ولكنَّ أبا العاصي لم يَذْمُم صِهْره.

ومنهم: بنو المُطّلب بن عبد مَناف ومنهم محمد بن إدريس الشافعيّ.

ومن بني نَوْفل بن عبد مناف: المُطعِم بن عَدِيّ.

ولعبد شَمْس بن عبد مَناف ونَوْفَل بن عبد مناف يقول أبو طالب: فيا أَخَوَيْنَا عبد شَمْسٍ ونَوْفَلا أُعِيذُ كما أن تَبْعثا بيننا حَرْبَا وَوَلَد أُميةُ الأكبْر العاصيَ وأبا العاصي والعيص وأبا العيص فهؤلاء يقال لهم الأعياص وحرباً وأبا حَرْب.

وهذه البُطون التي ذَكرْناها كلّها من قرَيش ليست من البطون العَشَرَة التي ذكَرْناها أولا وذَكَرْنا جماهيرها.

فضل قريش

قال النبي عليه الصلاة والسلام: الأئمة من قُريش.

وقال: وقَدِّموا قُريشاً ولا تَقْدَّموها.

ولما قتل النضر بن الحارث بن كَلَدة بن عَبْد مناف قال: لا يُقْتَل قُرَشيٌّ صَبْرًا بعد اليوم.

يُرِيد أنه لا يُكَفّرُ قرَشي فَيُقْتَل صبْراً بعد هذا اليوم.

الأصمعيّ قال: قال مُعاوية: أي الناس أفْصَح فقال رجل من السِّماط: يا أمير المؤمِنين قوم ارتفعوا عن رُتَة العِرَاق وتياسرُوا عن كَشكَشَة بَكْرِ وتيامنوا عن شَنشَنة تغلب ليست فيهم غَمْغَمَة قُضَاعَة ولا طمطمانِيّة حِمْيَر قال: مَنْ هُم قال: قَوْمُك يا أمير المُؤمنين قال: صدَقْتَ قال: فمِمّن أنت قال: من جَرْم.

قال الأصمعيّ: وجَرْم فُصْحى العَرَب.

قدم محمد بن عُمَير بن عُطارد في نَيِّف وسَبعين راكباً فاستزارهم عَمْرو بن عُتْبَة.

قال: فسمعتُه يقول: يا أبا سُفْيَان ما بالُ العَرب تُطِيل كلامَها وأنتُمْ تَقْصرُونه مَعاشرَ قُريش فقال عمرٍ و بن عُتْبة: بالجَنْدَل يُرْمى الجَنْدَل إن كلامَنَا كلام يَقِلّ لَفْظُهُ وَيَكثر مَعْناه ويُكتَفي بأولاه ويُسْتَشْفي بأخْراه يَتَحَثَّر تَحَدُر الزُلال على الكَبِد الحَرَّى ولقد نَقَصُوا وأطال غيرُهم فما أخلُوا ولله أقوامٌ أدرَكْتُهم كأنّما خُلِقوا لتَحْسين ما قَبحت الدنيا سهُلَت ألفاظُهم كما سهُلت عليهم أنفاسُهم فآبتذلوا أموالَهم وصانوا أعراضَهم حتى ما يجد الطاعنُ فيهم مَطعنا ولا المادحُ مَزِيدا ولقد كان آل أبي سُفْيان مع قلّتهم كثيراً منه نَصيبُهم ولله دَرُّ مَوْلاهم حيث يقول: وَضعَ الدهرُفيهمُ شَفْرتيه فَمَضى سالماً وأمْسَوْا شَعُوبَا شَفْرتَان واللّه أفْنَتا أبدانَهم وأبقتا أخبارَهم فَتَركتَاهم حديثاً حسناً في الدنيا ثوابُه في الآخرة احسنُ وحديثاً سيّئاً في الدُّنيا عقابُه في الآخرة أسوأ فيَا مَوعوظاً بمَنْ قَبْلَه مَوْعُوظاً به من بعده ارْبَحْ نَفْسَك إذا خَسرَها غيرُك.

قال: فظننتُ أنه أَرَاد أن يُعْلمه أنّ قُريشاً إذا شاءت أن تتكلّم تكلّمَت.

العُتبيّ قال: شَهِدْتُ مجلس عمرو بن عُتْبَة وفيه ناسٌ من القُرَشييّن فتشاحُّوا في مَواريث وتجاحدوا فلما قاموا من عنده أقبل علينا فقال: إن لِقُرَيش دَرَجاً تَزْلَقُ عنها أقدامُ الرجال وأفعالاً تَخْضَع لها رقاب الأقوال وغاياتٍ تَقْصرٌ عنها الجِيَاد المَنْسوبة وألسنةً تَكِلُّ عنها الشَفار المَشْحُوذة ولو آحتفلت الدنيا ما تَزَيَّنَت إلا بهم ولو كانت لهم ضاقت عن سَعة أحلامهم.

ثم إنّ قوماً منهم تَخَلَّقُوا بأخلاق العَوَام فصار لهم رِفق باللُؤم وخُرْق في الحِرْص ولو أمكنهم لقاسَمُوا الطيرَ أرزاقها وإن خافُوا مَكْرُوهاً تَعَجّلوا له الفَقْر وإن عجلت لهم النِّعم أخروا عليها الشُّكر أولئك " أنْضَاء " فكرة الفَقْر وعَجَزَة حَمَلَة الشُّكر.

قال أبو العَيْناء الهاشميّ: جَرى بين محمد بن الفَضل وبين قَوْم من أهل الأهْوَاز كلام فلما أصبح رَجع عنه.

قالوا له: ألم تَقُل أمس كذا وكذا قال: تَخْتلف الاقوالُ إذا اختلفت الأحوال.

ودخَل محمد بن الفَضْل على وَالي الأهْوَاز فَسَمِعَه يقول: إذا كان الحقُّ استوى عندي الهاشِمِيُّ والنَّبَطِيِّ.

فقال محمد بن الفضل: لئن استوت حالتاهما عندك فما ذلك بزائد النّبطيَّ زينةَ ليست له ولا ناقص الهاشميَّ قَدْراً هو له وإنما يَلْحَقُ النقصُ المُسَوِّيَ بينهما.

العُتبي قال: قال عمرو بن عُتبة: اْختصم قوْمٌ من قُرَيش عند مُعاوية فمنعوا الحقَّ.

فقال مُعاوية: يا معشرَ قُرَيش ما بال القَوْم لِأمّ يَصلون بينهم ما انقطع وأنتم لعَلاَّت تَقْطعون بينكم ما وَصَلَ اللّه وتُباعدون ما قرب بلِ كيف تَرْجُون لغيركم وقد عَجَزتم عن أنفسكم! تقولون: كَفانا الشَّرَفَ من قَبْلنا فعِنْدَها لَزِمَتْكم الحُجة فاكفوه مَن بعدكم كما كفاكم مَن قبلكم.

أَوَ تعلمون أنكم كنتم رِقاعاً في جُنوب العَرَب وقد أُخْرجتم من حَرَم ربكم ومُنِعتيم ميراث أبيكم وبَلَدِكم فأخَذَ لَكم اللّه ما أَخِذَ مِنكم وسمّاكم باجتماعكم اسماً به أباتَكم من جميع العرَب وردَّ به كيد العَجَم فقال جل ثناؤه: " لإيلاَفِ قُرَيش إيلاَفِهِمْ " فارْغَبُوا في الائتلاف أكْرَمَكم اللّه به فقد حَذرَتْكم الفُرْقَةُ نَفْسَهَا وكفي بالتَّجْربة وَاعِظاً.

مكان العرب من قريش

يحيى بن عبد العزيز عن أبي الحجَّاج رِياح بن ثابت عن أبكر بن خُنَيس عن أبي الأحوص عن أبي الحَصِن عن عبد الله بن مَسْعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قُرَيش الجُؤْجُؤ والعرب الجناحان والجؤجؤ لا يَنْهض إلا بالجنَاحَنْ.

قال عمرو بن عُتبة: ما آستدَرّ لعمّي كلامٌ قطّ فَقَطَعه حتى يَذكر العرَب بفضل أو يُوصى فيهم بخير.

ولقد أنْشَده مروَان ذات يوم بيتاً للنابغة حيث يقول: فهم دِرْعي التي آسْتلأمْتُ فيها إلى يوم النِّسَار وهُمْ مِجنى فقال معاوية: ألا إن دُرُوع هذا الحيّ من قُرَيش إخوانُهم من العرَب المُتَشَابِكة أرْحَامُهم تَشَابُك حَلَق الدِّرْع التي إن ذَهَبت حَلْقة منه فرقت بين أربع ولا تَزَال السيوفُ تَكْره مَذاقَ لُحُوم قُرَيش ما بَقِيَت دُرُوعها معها وشَدَّتْ نُطفَها عليها ولم تَفُكَّ حَلَقها منها فإذا خَلَعتْها من رِقابها كانت للسُيُوف جَزَرًا.

العُتبي عن أبيه عن عَمْرو بن عُتْبة قال: عَقُمت النِّساءُ أن يَلِدْن مثلَ عَمِّي شَهدْتُه يوماً وقد قَدِمَتْ عليه وفودُ العَرب فقضى حوائجَهُم وأحسن جوائزَهم فلما دخلوا عليه ليَشْكروه سَبَقَهم إلى الشُّكْر فقال لهم: جَزاكم الله يا مَعْشرَ العرَب عن قُرَيش أفضل الجَزاء بتَقَدُّمِكم إياهم في الحَرْب وتَقْدِيمكم لهم في السَّلْم وحَقْنِكم دِماءَهم بِسَفْكِهَا منكم أمَا واللّه لا يُؤثِركم على غيركم منهم إلا حازمٌ كريم ولا يرْغَب عنكم منهم إلا عاجزٌ لئيم شجرة قامت على ساقٍ فَتفرَّعِ أعلاها وآجتمع أصلُها عضَّدَ اللّه من عَضَّدَها.

فيالها كلمةً لو آجتمعت وأيدياَ لو آئتلفت ولكن كيف بإصلاح ما يُرِيد الله إفسادَه.

فضل العرب

يحيى بن عبد العزيز قال حدَّثنا أبو الحجّاج رِياح - بن ثابت قال حدَّثنا بكرُ بن خُنَيس عن أبي الأَحْوص عن أبي الحَصِين عن عبد الله بن مَسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا سألتم الحوائج فاسألوا العرَب فإنها تُعْطى لِثَلاَث خِصال: كَرَم أحسَابها واستحياء بَعْضها من بعض والمُواساة للّه.

ثم قال: من أَبْغَض العرَب أبغضه اللهّ.

ابن الكَلْبي قال: كانت في العرب خاصةً عَشْرُ خِصَال لم تكن في أُمَّةٍ من الأمم خمْسٌ منها في الرأس وخمس في الجَسَد.

فأما التي في الرأس: فالفَرْق والسِّوَاك والمضْمَضة والاستِنْثار وقَصُّ الشارب.

وأما التي في الجَسد: فتَقليم الأظفار ونَتْفُ الإبط وحَلْق العانَة والخِتَان والاسْتِنْجاء.

وكانت في العرب خاصةً القِيَافة لم يَكُن في جميع الأمم أحدٌ ينْظُر إلى رجُلَين أحدُهما قَصِير والآخر طويل أو أحدهما أسْود والآخر أبيَض فيقول: هذا القَصِير ابن هذا الطويل وهذا الأسود ابن هذا الأبيض إلا في العَرب.

أبو العَيْناء الهاشميّ عن القَحْذَميّ عن شَبيب بن شَيبة قال: كنّا وُقوفاً بالمِرْبد - وكان المِرْبد مَألف الأشرَاف - إذْ أَقْبل ابن المَقَفَّع فَبشَشْنا به وبَدَأناه بالسلام فرَدَّ علينا السلامَ ثم قال: لو مِلتم إلى دار نيْرُوز وظلها الظَّليل وسُورها المديد ونَسِيمها العَجيب فَعَوَّدْتم أبدانَكم تَمْهِيد الأَرْض وأَرَحتُم دَوابَّكم من جَهْد الثِّقل فإنّ الذي تَطْلُبونه لن تُفَاتوه ومهما قضى الله لكم من شيء تَنالوه.

فَقَبِلْنا وملنا فلما إسْتَقرّ بنا المكانُ قال لنا: أيّ الأمم أَعْقَل فنظرَ بعضُنا إلى بَعْض فقُلْنا: لعلّه أَرَاد أصلَه من فارس قُلنا: فارس فقال ليسوا بذلك إنهم مَلكوا كثيراً من الأرض ووجَدُوا عظيماً من المُلْك وغَلَبُوا على كَثِير من الخَلق ولَبِثَ فيهم عَقْد الأمر فما استَنْبَطوا شيئاً بعقولهم ولا ابتدعوا باقي حِكَم بنفُوسهم قلنا: فالروم قال: أصحابُ صَنعة قلنا: فالصِّين قال: أصحابُ طُرْفة قلنا: الهند قال: أصحابُ فَلسفة قُلنا: السُّودان قال: شرُّ خَلْق اللّه قُلنا: التُّرْك قال: كلاب ضالّة قُلنا: الخزَرُ قال: بقر سائمة قلنا: فقُل قال: العرَب.

قال فَضَحِكنا.

قال: أما إنّي ما أردت مُوافَقتكم ولكنْ إذا فاتَنى حظّي من النِّسْبة فلا يَفُوتني حظّي منِ المَعْرفة.

إنّ العرَب حَكمت على غير مِثال مُثَل لها ولا آثارٍ أثِرَت أصحاب إبل وغنَم وسَكان شَعَر وأَدَم يَجودُ أحدُهم بقُوته ويتَفضَّل بمَجْهوده ويُشَارِك في مَيْسوره ومَعْسوره ويَصِف الشيء بعَقْله فيكون قُدْوَة ويَفْعَله فيَصِيرحُجّة

ويُحَسِّن ما شاءَ فَيَحْسُن ويُقَبِّح ما شاء فَيَقْبُح أَدَّبَتْهُمْ أنْفُسُهم ورَفعتهم هِممهم وأعْلتهم قُلوبُهم وألْسِنتهم فلم يزل حِبَاء اللهّ فيهم وحِبَاؤهم في أنْفُسُهم حتى رَفع " الله " لهم الفَخرِ وبلغ بهم أشرف الذكر خَتم لهم بمُلكهم الدُنيا على الدَّهر وافتتحِ دينَه وخلافته بهم إلى الحَشرْ على الخَيْر فيهم ولهم.

فقال " تعالى ": " إنَّ الأرْض لله يُورِثُهَا مَن يَشَاء مِنْ عِبَاده والعَاقبَةُ للمُتَّقِين ".

فمن وَضَع حَقَّهم خَسِر ومَنْ أنْكَر فضلَهم خصِم ودَفع الحقِّ باللَسَان أَكْبَتُ للجَنان.

ذَكر الأصمعي عن ذي الرُّمة قال: رأيتُ عبْداً أسودَ لبني أسد قَدِم علينا من شِق اليمامة وكان وَحْشِيًّا لطُول تَعزُّبه في الإبل وربما كان لَقِي الأكَرة فلا يَفْهم عنهم ولا يَسْتَطيع إفهامَهم فلما رآني سَكن إليَّ ثم قال لي: يا غَيْلان لعن الله بلاداً ليس فيها قَريب وقاتل الله الشاعرَ حيثُ يقول: حُرُّ الثرى مُسْتَغْرَب التُراب وما رأيتُ هذِه العرَب في جميع الناس إلا مِقْدار القَرْحة في جِلْد الفَرَس ولولا أنَ الله رَقَّ عليهم فَجعَلهم في حَشاه لطمَست هذه العجْمان آثارَهم.

والله ما أمر الله نَبِيَّه بقَتْلِهم إلا لضنّه بهم ولا ترَك قَبُول الجزْية " منهم " لا لِتَرْكِها لهم.

الأكَرَة: جمع أكار وهم الحُرَّاث.

وقوله: جعلهم في حَشَاه أي آستَبْطَنهم يقول الرجل للعربيّ إذا آستَبْطنه: خَبَأْتُك في حَشَاي.

وقال الراجز: وصاحبٍ كالدُمَّل المُمِدِّ جَعَلْتُه في رُقْعَةٍ من جِلْدي وقال آخر: يَوَدونَ لو خاطُوا عليكَ جُلودهم ولا يدفع الموتَ النفوسُ الشَّحَائح علماء النسب كان أبو بكر رضي الله عنه نَسَّابة وكان سَعيد بن المُسيِّب نَسابة وقال رجل: أريد أن تعلِّمني النسبَ قال: إنما تُريد أن تُسَابَّ الناس.

عِكْرمة عن ابن عبّاس عن عليّ بن أبي طالب قال: لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنْ يَعْرض نفسَه على القبائل خَرج مرَّة وأنا معه وأبو بكر حتى رُفِعنا إلى مجلسٍ من مجالس العرب فتقدَّم أبو بكر فسلّم - قال عليّ: وكان أبو بكر مُقَدَّماً في كل خير وكان رجلاً نسَّابة - فقال: ممَّن القوم قالوا: من رَبيعة قال: وأيّ ربيعة أنتم أمن هامَتها قالوا: من هامتها العُظمى قال: وأي هامَتها العُظمى أنتم قالوا: ذهل الأكبر قال أبو بكر: فمِنْكم عَوْف بن محلِّم الذي يقال فيه: لا حُرَّ بوادِي عَوْف قالوا: لا قال: فمنكم جَسّاس بن مرة الحامي الذِّمار والمانعُ الجار قالوا: لا قال: فمنكم أخوالُ المُلوك من كِنْدة قالوا: لا قال: فمنِكم أصْهار المُلوك من لَخْم قالوا: لا قال أبو بكر فلستم ذُهلاً الأكبر أنتم ذهل الأصْغر.

فقام إليه غلام من شَيْبان حين بَقَل وَجْهه يُقال له دَغفل فقال: إنّ على سائلنا أن نَسْأله والعِبْ! لا تَعْرِفه أو تَحْمِلَه يا هذا إنّك قد سألتَنا فأخْبرناك

ولم نكْتُمْكَ شيئاً فممَّن الرجل قال أبو بكر: من قُريش قال: بَخ بَخ أهل الشَرف والرياسة فمن أيّ قُريش أنت قال: من ولدَ تَيْم بنِ مُرَّة قال: أمكنتَ واللّه الرامي من سَوَاء الثَّغرة أفمنكم قُصيَّ ابن كلاب الذي جمع القبائل فسمي مجمعاً قال: لا قال: أفمنكم هاشم الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف قال: لا أفمنكم شَيْبة الحَمْدِ وعبدُ المطلب مُطعم طَيْر السماء الذي وَجْهه كالقَمر في الليلة الظَّلماء قال: لا قال: فمن أهل الإفاضة بالنَّاس أنت قال: لا قال: فمن أهل السقاية أنت قال: لا.

فاجتذب أبو بكر زِمام الناقة ورَجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الغلام: صادف دَرُّ السيل دراً يدفعه يَهيضُه حيناً وحِيناً يَصْدَعه قال: فتبسَّم النبي عليه الصلاة والسلام.

قال عليّ: فقلتُ له: وقعتَ يا أبا بكر من الأعرابيّ على بائقة قال: أجل ما من طامَّة إلا وفوقها أخرى والبلاء مُوَكَّل بالمَنْطق والحديث ذو شجون.

قال ابن الأعرابي: بَلغني أنَّ جماعةً من الأنصار وَقفوا على دَعْفَل النسابة بعدما كَفَّ فسلموا عليه فقال: مَن القوم قالوا: سادةُ اليَمن فقال: أمن أهل مَجْدها القديم وشَرفها العَمِيم كِندة قالوا: لا قال: فأنتم الطَّوال " أقَصَباً " المُمَحصَّون نَسباً بنو عبدالمَدَان قالوا: لا قال: فأنتم أقودُها للزُّحوف وأخْرقُها للصفوف وأضرَبُها بالسُّيوف رهطُ عمرو بن مَعْد يكرب قالوا: لا قال: فأنتم أحضرها قَراء وأطيبُها فِنَاء وأشدُّها لِقاءً " رَهْط " حاتم ابن عبد الله قالوا: لا قال: فأنتم الغارسون للنّخْل والمُطْعِمُون في المَحْل والقائلون بالعَدْل الأنصار قالوا: نعم.

مَسلَمة بن شَبِيب عن المِنقريّ قال: ذَكروا أنّ يزيدَ بن شَيبان بن عَلْقمة ابن زُرارة بن عُدَسِ قال: خرجتُ حاجاً حتى إذا كنتُ بالمحصَّب من مِنًى إذا رجل على راحلة معه عَشرة من الشباب مع كل رجل منهم مِحْجَن يُنَحُّون الناس عنه وُيوسعون له فلما رأيتُه دنوتُ منه فقلت: ممّن الرجلُ قال: رجلٌ من مَهْرَة ممن يَسْكن الشَحْر.

قال: فكرهتُه ووَلَّيتُ عنه فناداني من ورائي: مالَك فقلتُ: لستَ من قومي ولستَ تعرفني ولا أعرفك قال: إن كنتَ من كِرام العرب فسأعرفك قال: فكَرِرْتُ عليه راحلتي فقلت: إني من كِرام العرب قال: فممن أنت قلت: مِن مضر قال: فمن الفُرْسان أنتَ لم من الأرْحاء فعلمتُ أن أراد بالفُرْسان قَيْساً وبالأرحاء خِنْدفاً فقلت: بل من الأرحاء قال: أنت آمرءٌ من خِنْدف قلت: نعم قال: من الأرنبة " أنت " أم من الجُمْجمة فعلمتُ أنه أراد بالأرنبة مُدْركة وبالجُمْجمة بَني أدّ بن طابِخة قلتُ: بل من الجُمجمة قال: فأنت آمرؤ من بني أد بن طابخة قلت: أجل قال: فمن الدَّوَاني أنت أم من الصَّمِيم قال: فعلِمتُ أنه أراد بالدَواني الرَّباب وبالصَّميم بَني تميم قلتُ: من الصَّميم فأنت إذاً من بني تَمِيم قلت: أجل قال: فمن الأكثرِيَنَ أنت أم الأقلّين أو من إخوانهم الآخرين فعلمتُ أنه أراد بالأكثرين وَلَد زَيْد " مَناة " وبالأقلّين ولد الحارث وبإخوانهم الآخرِين بَني عمرو بن تَمِيم قلتُ: من الأكْثرين قال: فأنت إذاً من وَلد زَيْد قلتُ: أجل قال: فمن البُحور أنت أم من الجُدود أم من الثِّماد فعلمت أنه أراد بالبُحور بني سعد وبالجُدود بني مالك بن حَنْظلة وبالثَماد بني

امرئ القَيْس ابن زيد قلت: بل من الجُدود قال: فأنت من مالك بن حنظلة قلتُ: أجل قال: فمن اللِّهاب أنت أم من الشِّعاب أم من اللِّصاب فعلمتُ: أنه أراد باللِّهاب مُجاشعاً وبالشِّعاب نَهْشَلاً وباللِّصاب بني عبد الله بن دارم فقلتُ له: من اللِّصاب قال: فأنت من بني عبد الله بن دارم قلتُ: أجل قال: فمن البُيوت أنت أم من الزِّوافر فَعَلِمْتُ أنه أراد بالبُيوت ولدَ زُرَارة وبالزَّوافر الأحْلاف قلت: من البُيوت قال: فأنت يزيدُ بن شَيْبان ابن عَلْقمة بن زُرَارة بن عُدَس وقد كان لأبيك امرأتان فأيتهما أمّك.

قول دغفل في قبائل العرب - الهَيثم بن عَدِيّ عن عوَانة قال: سأل زِيادٌ دَغْفلاً عن العَرَب فقال: الجاهليّة لليَمن والإسلامُ لِمُضر والْفَينة " بينهما " لرَبيعة قال: فأخْبرْني عن مُضر قال: فاخِرْ بِكنانة وكاثر بتَميم وحارِبْ بِقَيْس ففيها الفُرسان والأنجاد وأما أسَد ففيها دَلٌّ وكِبْر.

وسأل مُعاوية بن أبي سُفيان دَغْفلاً فقال له: ما تقولُ في بني عامر بن صَعْصعة قال: أعْناق ظِبَاء وأعجاز نِساء قال: فما تقول في بني أسد قال: عافَة قَافَة فُصحاء كافَة قال: فما تقول في بني تميم قال: حَجَر أخْشَن إن صادفْتَه آذاك وإن تركتَه أعْفاك قال: فما تقول في خُزاعة قال: جُوع وأحاديث قال: فما تقول في اليَمن قال: شِدَّة وإباء.

قال نَصرْ بن سيّار: إنّا وهذا الحيَّ من يَمَن لَنا عِنْد الفَخَار أَعِزَّةٌ أَكْفَاءُ قومٌ لهم فينا دماءٌ جَمَّةٌ ولنا لديهم إِحْنَةٌ ودِمَاء وَربيعة الأذْناب فيما بَيْننا لا هُم لنا سَلْمٌ ولا أعْداء إن يَنْصرُونا لا نَعِزُّ بنَصرْهم أو يَخْذُلونا فالسَّماء سَماء مفاخرة يمن ومضر - قال الأبرش الكَلْبي لخالد بن صَفْوان: هَلُمّ أفاخرك وهما عند هشام بن عبد الملك فقال له خالد: قُل فقال الأبْرش: لنا رُبْع البَيْت - يُريد الرّكْن اليماني - ومنّا حاتمُ طَيِّىء ومنا المُهلَب بن أبي صُفْرة.

قال خالدُ بن صَفْوان: منّا النبي المُرْسَل وفينا الكِتَاب المنَزّل ولنا الخليفةُ المُؤَمَّل قال الأبْرش: لا فاخرتُ مُضرياً بعدك.

ونزل بأبي العبّاس قَوْمٌ من اليمن مِن أخواله مِن كَعْب فَفَخروا عنده بقدِيمهم وحَدِيثهم فقال أبو العبّاس لخالد بن صَفْوان: أجب القومَ فقال: أخوالُ أمير المُؤمنين قال: لا بُدَ أنْ تقول قال: وما أقول لقوم يا أميرَ المؤمنين هم بين حائك بُرْد وسائس قِرْد ودابغ جِلْد دَلَ عليهم هُدْهد ومَلَكَتْهم امرأة وغَرَّقتهم فَأرة فلم مفاخرة الأوس والخزرج - الخُشنى يَرْفعه إلى أنس قال: تفَاخرت الأوسُ والخَزْرج فقالت الأوْس: منا غَسِيلُ المَلائكة حَنْظلةُ بن الرَّاهب ومنَّا عاصم بن " ثابت بن أبي " الأقْلح الذي حَمَت لَحْمَه الدَبْر ومنا ذو الشَّهادتين خُزَيمة بن ثابت ومنّا الذي اهتز لمَوْته العرشُ سعدُ بن مُعاذ.

قالت الخزرجُ: منّا أَرْبعة قرأوا القُرآن على عَهْد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقرأه غيرُهم: زيدُ بن ثابت وأبو زَيد ومُعاذ بن جَبل وأبيّ بن كَعْب سيّد القُرّاء ومنّا الذي أيَّده الله برُوح القُدس في شِعْره حَسَّان بنُ ثابت.

قال أبو عُبيدة في كتاب التاج: آجتمع عند عبد الملك بن مَرْوان في سَمَره عُلماء كثيرون من العرب فَذَكروا بُيوتات العرب فاتفقوا على خَمسة أبْيات بيت بني مُعاوية الأكْرمين في كِنْدة وبَيْت بني جُشَم بن بكر في تَغْلب وبيتِ ابن ذي الجَدَّين في بَكْر وبيت زُرارة بن عُدَس في تميم وبيت بني بَدْر في قَيْس.

وفيهم الأحْرز بن مُجاهد التِّغلَبي وكان أعلمَ القَوْم فَجعل لا يَخُوض معهم فيما يَخُوضون فيه فقال له عبدُ الملك: مالك يا أحَيرز ساكتاً منذُ الليلة فواللّه ما أنت بدون القوم عِلماً قال: وما أقولُ سَبق أهلَ الفَضْل " في فضلهم أهلُ النقص " في نقُصانهم واللّه لو أن للناس كلَهم فَرساً سابقاً لكانت غُرتَه بنو شَيبان ففيم الإكْثار.

وقد قالت المُسيب بن عَلَس: تَبِيت المُلوكُ على عتْبها وشَيْبانُ إنْ عَتبت تُعتِبِ فكا لشُهْد بالرَّاح أخْلاقُهم وأحلامُهم مِنْها أعْذَب وكالمِسك تُرْب مَقَاماتهم وتُرْب قبورِهُم أطيَب بيوتات مضر وفضائلها جُمْجُمتها وفيها العَيْنان وأسَد لسانُها وتميم كاهلُها.

وقالوا: بيتُ تميم بنو عبد الله بن دارم ومركزه بنو زُرارة وبيتُ قيس فَزَارة ومَركزه بنو بَدْر " بن عمرو " وبيتُ بَكْر بن وائل شَيْبان ومركزه بيتُ بني ذي الجَدّين.

وقال مُعاوية للكَلْبي حين سأله عن أخْبار العَرب قال: أخبرْني عن أعزِّ العَرب فقال: رجلٌ رأيته بباب قُبته فَقَسَّم الفيء بين الحَلِيفين أسد وغَطفان معاً قال: ومَن هو قال: حِصْن بن حُذَيفة بن بَدْر.

قال: فأخْبرني عن أشرف بيت في العرب قال: واللّه إني لأعْرفه وإني لأبْغضه قال: ومَن هو قال: بيتُ زُرارة بن عُدَس.

قال: فأخْبرْني عن أفْصح العرب قال: بنو أسد.

والمُجْتمع عليه عند أهل النُسب وفيما ذكره أبو عُبيدة في التاج أن أشرف بيت في مُضر غَير مُدافَع في الجاهليِّة بيتُ بَهْدَلة بن عَوْف بن كعب ابن سَعد بن زَيْد مَنَاة بن تَمِيم.

وقال النعمان بن المُنذر ذاتَ يومٍ وعنده وُجوه العرب ووفُود القبائل ودَعا بُبْرديْ مُحرِّق فقال: لِيَلْبس هذين البردين أكرمُ العَرب وأشرفُهم حَسَباً وأعزُهم قَبيلة فأحْجم الناس فقال الأحَيْمِر بن خَلَق بن بَهدلة بن عَوف بن كَعْب بن سَعْد بن زَيد مَناة فقال: أنا لهما فائْتزَر بأحدهما وآرتدى بالاخر.

فقال له النعمان: وما حُجَّتك فيما آدّعيتَ قال: الشرفُ من نِزار كلَها في مَضرَ ثم في تَميم ثم في سَعْد ثمّ في كَعْب ثمّ في بَهْدَلة قال: هذا أنتَ فِي أهلك فكيف أنت في عَشِيرتك قال: أنا أبو عَشرَة وعَنُم عَشرَة وأخو عَشَرة وخالُ عَشرة فهذا أنت في عَشِيرتك فكيف أنت في نَفْسك فقال: شاهدُ العيَنْ شاهدي ثم قام فَوَضع قَدَمه في الأرض وقال: مَن أزالها فله من الإبل مائة.

فلم يَقُم إليه أَحدٌ ولا تَعاطَى ذلك.

ففيه يقول الفَرزدق: فما ثَمّ في سَعْدٍ ولا آل مالك غلامٌ إذا سِيلَ لم يَتَبَهْدل لهم وَهَب النعمانُ بُردىَ مُحرِّق بمَجد مَعدّ والعَديدِ المُحَصَّل ومن بيت بَهْدلة بن عوف كان الزِّبْرقان بن بَدْر وكان يُسمَّى سعد " بن زيد مناة بن تميم: سعدَ " الأَكْرِمين وفيهم كانت الإفاضة في الجاهليَّة في عُطارد بن عَوْف بن كَعْب بن سعد ثم في آل كَرِب بن صَفْوان بن عُطار وكان إذا آجتمِع الناسُ أيامَ الحج بمنى لم يَبْرح أحدٌ حتى يَجوز آلُ صَفْوان ومَن وَرِث ذلك عنهم ثم يمرّ الناسُ أرسالاً.

وفي ذلك يقولُ: أوسُ بنُ مَغْراء السّعديّ: ولا يَريمون في التَّعْريف مَوْقفهم حتى يُقال أجيزُوا آلَ صَفْوَانَا ما تَطْلُع الشمسُ إلا عند أوّلنا ولا تَغِيبنَّ إلاّ عند أُخْرَانا وقال الفَرَزْدق: ترى الناسَ ما سرنا يَسيرون خَلْفَنَا وإنْ نحن أَوْمَأنا إلى الناس وَقَّفُوا قال النبي صلى الله عليه وسلم: إني لأجدُ نفس رَبكم من قِبل اليمن.

معناه واللّه أعلم: أن الله يُنفِّس عن المُسلمين بأهل اليمنِ يريدُ الأنْصار ولذلك تقول العرب: نفسني فلانٌ في حاجتي إذا رَوَّح عنه بعض ما كان يَغُمَّه من أمر حاجته.

وقال عبد الله بن عباس لبعض اليمانيّة: لكم مِن السماء نَجْمُها ومِن الكَعْبَة رُكبُها ومن الشَّرف صَمِيمه.

وقال عمرُ بن الخطاب: مَنْ أجودُ العَرَب قالوا: حاتم طيء قال: فَمَن فارسُها قالوا: عَمْرو بن مَعْدِ يكرب قال: فَمَن شاعرُها قالوا: آمرؤ القَيْس بن حُجْر قال: فأيّ سُيوفها أَقْطَع قالوا: الصَّمْصامة قال: كَفي بهذا فَخْراً لليمن.

وقال أبو عُبيدة: مُلوك العَرب حِمْير ومَقَاولُها غَسّان ولَخْم وعَدَدُها وفُرسانها الأَزْد وسِنانُها مَذْحج ورَيْحانتها كِنْدة وقُرَيْشها الأنصار.

وقال ابن الكَلْبي: حِمْير مُلُوكٌ وأَرْداف المُلوك والأزْد أُسْد ومَذْحج الطُّغَان وهَمْدان أَحْلاس الخَيْل وغَسان أَرْباب المُلوك.

ومن الأزْد: الأنْصار وهم الأوْس والخَزْرج ابنا حارثة بن عمرو بن عامر وهم أعزُّ الناس أَنْفساً وأشرفُهم هِمَما لم يُؤَدَّوا إتاوةَ قطّ إلى أحد من المُلوك.

وكتب إليهم أبو كَرِب تُبَّع الآخِر يَسْتَدْعيهم إلى طاعته ويتوعّدهم إنْ لم يَفْعلوا أَنّ يَغْزُوَهم فَكتبوا إليه: العَبْدُ تُبَّعكم يُريد قِتالَنا ومكانُه بالمَنْزِل المُتذَلَل إنّا أناس لا يُنامُ بأرْضنا عَضَ الرَّسُولُ بِبَظْر أمِّ المُرْسِل قال: فَغزاهم أبو كَرِب فكانوا يُحاربونه بالنَّهار ويَقْرُونه باللَّيل فقال أبو كرب: ما رأيتُ قوماً أكرمَ من هؤلاء يُحاربوننا بالنَهار ويُخْرجون لنا العَشَاء باللَّيل آرْتحِلُوا عنهم فارتحلوا.

ابن لَهِيعة عن ابن هُبيرة عن عَلْقمة ابن وَعْلة عن ابن عبّاس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئل عن سَبأ ما هو أبلدٌ أم رَجُل أم امرأة فقال: بل رَجُل وُلد له عَشرة فَسَكن اليمنَ منهم ستةٌ والشامَ أربعةٌ أمّا اليمانيّون

فكِنْدة ومَذْحج والأزد وأنمار وحِمْير والأشعريون وأمّا الشاميُون فَلَخْم وجُذَام وغَسّان وعامِلة.

ابن لهيعة قال: كان أبو هُريرة إذا جاء الرسولُ سأله ممّن هو فإذا قال: من جُذام قال: مَرْحباً بأصهار مُوسى وقوم شُعَيب.

ابن لَهيعة عن بَكْر بن سَوَادة قال: أتى رجلٌ من مَهْرَة إلى عليّ بن أبي طالب قال: ممن أنت قال: من مَهْرَة قال: " وَٱذْكُرْ أَخَا عادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بالأحْقَافِ ".

وقال ابن لَهِيعة: قَبْرُ هُود في مَهْرَة.

تفسير القبائل والعمائر والشعوب قال ابن الكَلْبيّ: الشَّعب أكبرُ من القَبيلة ثم العِمَارة ثم البَطْن ثم الفَخِذ ثم العَشِيرة ثم الفَصِيلة.

وقال غيرُه: الشّعوبُ العَجَم والقبائل العرب وإنما قيل للقَبيلة قبيلة لتقابُلها وتناظرُها وأن بعضَها يُكافئ بعضاً.

وقيل للشَّعْب شَعْب لأنه انشَعب منه أكثر مما آنشعب من القَبيلة وقيل لها عَمائر من الاعتمار والاجتماع وقيل لها بُطون لأنها دون القبائل وقيل لها أفخاذ لأنها دون البُطون ثم العَشيرة وهي رَهط الرجل ثم الفَصيلة وهي أهلُ بيت الرجل خاصة.

قال تعالى: " وفَصِيلتِهِ التي تُؤويه ".

وقال تعالى: " وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَك الأقْرَبِينَ ".

تفسير الأرحاء والجماجم

- وقال أبو عُبيدة في التَاج: كانت أَرْحاء العَرَب سِتّاً وجَماجمها ثمانياً فالأرحاء الست بمُضَر منها اثنتان ولرَبيعة اثنتان.

ولليمن اثنتان واللتان في مضَر تَميم بن مُرّ وأسد بن خُزَيمة واللتان في اليمن كَلْب ابن وَبْرة وطيئ بن أدد وإنما سُميت هذه أَرْحاء لأنها أَحْرزت دوراً ومِياهَاَ لم يكن للعرب مثلُها.

ولم تَبْرح من أَوْطانها ودَارت في دورها كالأرْحاء على أَقْطابها إلا أَنْ يَنتجع بعضها في البُرَحاء وعامَ الجَدْب وذلك قليلٌ منهم.

وقيل للجَماجم جماجم لأنها يَتفرع من كلّ وَاحدة منها قبائل اكتفت بأسمائها دون الانتساب إليها فصارت كأنها جَسَد قائم وكلّ عُضْو منها مُكْتَفٍ باسمه مَعْروف بمَوْضعه والجماجمُ ثمانٍ: فاثنتان منها في اليَمن واثنتان في رَبيعة وَأَرْبع في مُضرَ.

فالأربع التي في مُضر: اثنتان في قَيْس واثنتان في خِنْدف ففي قَيْس: غَطَفان وهَوَازن وفي خِنْدف: كنانة وتَميم واللتان في رَبيعة: بكر ابن وائل وعبدُ القَيْس بن أَقصىَ واللتان في اليمن: مَذْحج وهو مالك بن أدد ابن زَيْد بن كَهلان بن سَبَأ وقُضاعة بن مالك بن زيد بن مالك بن حِمْير بن سبأ.

أَلا تَرَى أَن بَكْراً وَتَغْلِب ابني وائل قبيلتان مُتكافِئتان في القدر والعَدد فلم يَكُنْ في تَغْلِب رجال شُهِرَت أسماؤهم حتى انتُسِب إليهم واستجزِئ بهم عن تَغْلِب فإذا سألتَ الرجلَ من بني تَغْلب لم يَسْتَجْزِئ حتى يقول تَغْلَبي.

ولبَكْرٍ رجالٌ قد اشتَهرت أسماؤهم حتى كانت مثلَ بكر فمنها شَيبان وعِجْل ويشْكُر وقَيْس وحنيفة وذُهْل ومثلُ ذلك عبد القَيْس ألا ترى أن عَنَزة فوقها في النّسب ليس بينها وبين رَبيعة إلا أَبٌ واحد عَنَزة بن أسد بن ربيعة فلا يَسْتجزِئ الرِجلُ منهم إذا سُئل أن يقول عَنَزِيّ والرجل من عبد القَيْس يُنْسب شَيبانيَاً وجَرْمِيَّاً وبَكْرِيَّاً.

ومثلُ ذلك أن ضَبَّة بن أد عم تميم فلا يَسْتجزئ الرجلُ منهم أن يقول ضبّي والتَّمِيميّ قد ينتسب فيقول مِنْقَرِيّ وَهُجَيْمِيّ وطُهوِيّ ويَرْبُوعِيّ ودارميّ وكَلْبيّ وكذلك الكِناني يَنْتَسب فيقول لَيْثي ودُؤَلِيٌ وَضمْريٌ وَفِرَاسيّ وكل ذلك مَشْهور مَعْروف وكذلك الغَطَفَاني ينتسب فيقول عَبْسي وذُبْياني وَفَزَارِيّ ومُرّي وأَشْجعي وَبَغِيضيّ.

وكذلك هَوَازن منها ثقيف والأعْجَاز وعامِر بن صَعْصَعة وقُشَير وَعقيل وجَعْدة وكذلك القبائل من يَمن التي ذكرنا فهذا فرق ما بني الجماجم وغيرها من القبائل والمعنى الذي به سميت جماجم.

وجمرات العَرب أَرْبعة وهمْ: بنو نُمير بن عامر بن صَعْصعة وبنو الحارث بن كَعْب وبنو ضبَّة وبنو عَبْس بن بَغِيض وإنما قيل لها الجَمَرات لاجتماعهم والجَمْرة الجَماعة أسماء ولد نزار قال أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الخُشَنى: لما احتضِر نِزار بن مَعدِّ ابن عَدْنان تَرك أربعةَ بنين: مُضَر ورَبيعة وأنمار وإياد وأَوْصىَ أن يُقَسَم ميراثَهم بينهم سَطِيحٌ الكاهِن.

فلما مات نِزار صَفَّهم سَطيح بين يَدَيه ثم أعطاهم على الفِرَاسة فأَعْطى ربيعةَ الخَيْلَ فيُقال له رَبيعة الفَرَس وأَعْطَى مُضر الناقَة الحمراء فيُقال له مُضَر الحَمْراء.

وأَعْطى أَنماراً الحِمارَ وأَعْطى إياداً أثاثَ البيت.

قال: فقِيل لسَطِيح: مِن أين عَلِمْت هذا العِلْم قال سَمِعْتُه من أخي حين سَمِعه من مُوسى يومَ طورِ سيناء.

الأصمعيّ قال: أخبرني شيخٌ من تَغْلب قال: أَرْدَفني أبي فلمّا أَصْحَر رَفَع عَقيرَته فقال: رأتْ سِدْرةً مَن سِدر حَوْمَلَ فابتَنَت به بيتها أَلا تُحاذِرَ راميَا إذا هي قامتْ فيه قامتْ ظَلِيلةً وأَدْرك روْقَاها الغُصونَ الدَّوانيا تَطَلَّعُ منه بالعَشيّ وبالضُحَى تَطَلّعَ ذاتِ الخِدْر تَدْعو الجَوارِيا ثمّ قال: أَتَدْري من قائلُ هذه

الأبيات يا بُني قلت: لا أَدري قال: قالها رَبيعةُ بن نِزَار فقلت: وما يَصِف قال: البَقرة الوَحْشيَّة.

ولد مضرَ بن نِزَار إلياس والناس وهو عَيْلان أمهما الرباب بنت حَيْدة بن مَعدّ.

فَولَد الناس الذي هو عَيْلان بن مُضَر قَيْسَ بن عَيْلان بنِ مُضر وولد إلياس بن مُضر عَمْراً وهو مُدْركة وعامراً وهو طابخة وعُميراً وهو القَمَعة.

ويقال إن القَمَعة هو الجُزَعة وأُمهم خِنْدف وهي لَيْلَى بنت حُلْوان بنِ عمْران بن الحاف بن قُضاعة فَجَميع ولد إلياس بن مُضر بن نِزار من خِنْدف ولذلك يُقال لهم خِنْدف لأنها أمهم وإليها يُنسبون.

فَجَميع ولد مُضر بن نِزار قيس وخِنْدف.

ومن بُطون خِنْدف: بنو مُدْركة بن إلياس بن مُضر وهم هُنَيل بن مُدْركة وكِنانة بن خُزَيمة بن مُدْركة وأَسَد بن خُزَيمة بن مُدْركة والهُوِن بن خُزيمة بن مُدْرِكة وهم إخْوة أسد.

ومن بني طابخة بن إلياس من مُضَر ضبة بن أدبن طابخة ومُزَينة وهما بنو عمرو بن أدّبن طابخة نُسبوا إلى أمهم مُزينة بنت كَلب بن وَبْرة والرباب بنو أدبن طابخة وهم عَدِيّ وتَيْم وثَوْر وعُكْل وإنما سُمِّيت الرباب لأنها اجتَمعت وتحالفت فكانت مثل الربابة.

ويقال إنهم كانوا إذا تحالفوا وَضعوا أَيْديهم في جَفْنة فيها رُبّ.

وصُوفة وهو الرُبيط بن الغَوْث بن أُدّبن طابخة وكانوا أصحابَ الإجازة ثم انتقلت في بني عُطارد بن عَوْف بن كَعْب بن سَعْد بن زَبْد مَنَاة بن تَمِيم و تَميم ابن مُرّ بن أُدّ ابن طابخة.

فجميع قبائل مُضر تجمعها قَيْس وخِنْدف وقد تنسب ربيعة في مُضر وإنماهم إخوة مُضر لأن ربيعة ابن نُزار ومُضرَ ابن نزار.

بطون هذيل وجماهيرها

منهم لِحْيان بن هُذَيل بَطْن: وخُنَاعة بن سَعد بن هُذَيل بَطْن وحرَيث بن سَعد بن هُذَيل بَطْن وصاهِلة بن كاهل بن الحارث بن سَعْد بن هُذيل بطن وصُبح بن كاهل بطن وكَعْب بن كاهل بطن.

فمن بَنى صاهلةٍ: عبد الله بن مَسْعود صاحِبُ رسول الله صلى الله عليه وسلم شَهد بدراً.

ومن بني صُبْح بن كاهل: أبو بكر الهُذَليّ الفَقيه ومنهم: صَخْر بن حَبيب الشاعر الذي يقال له صَخْر الغَيّ وأبو بكر الشاعر واسمه ثابت بن عبد شَمْس ومنهم: أبو ذُؤَيب الشاعر وهو خُوَيلد بن خالد.

وبُطون هُذَيل كلّها لا تَنْتَسب إلى شيء منها وإنما تَنْتَسب إلى هُذَيل لأنها ليست جُمْجُمَة.